الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

مخبر الجنوب الجزائري للبحث

في التاريخ والحضارة الإسلامية

إسهامات أعلام منطقة مزاب في الحركة الفكرية والسياسية بالجزائر أثناء الإحتلال الفرنسي

1830م-1954م

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

طاعة مصطفى

إشراف الأستاذ الدكتور:

سعيود إبراهيم

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
بحاز إبراهيم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيسا
سعيود إبراهيم	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	مشرفا ومقررا
ناصر بلحاج	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	ممتحنا
صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	ممتحنا
محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	ممتحنا
بكار الدهمة	أستاذ محاضر .أ	جامعة غرداية	ممتحنا

السنـة الجامعية:1443ه-1444ه / 2022م-2023م


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

أتوجه قبل كل شيء إلى الله عز وجل بالشكر العظيم والامتنان الوفير على ما منحني إياه من همة العون والتوفيق والسداد "وأما بنعمة ربك فحدث".

وصلى الله على سيدنا محمد نور الأبدان وضيائها وطب القلوب ودوائها، أحب خلق الله إليه، كما لا يفوتني الذكر أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير:

إلى الإستاذ المشرف الدكتور سعيود إبراهيم أطال الله في عمره على ما قدمه لي من توجيهات ونصائح طيلة مسيرة البحث، ونشكر فيه تلك الصرامة والحزم.

كما أقدم جزيل الشكر لكل من ساعدني في إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر الأستاذ بارودي عبد القادر رحمه الله، والأستاذ أعطى الله ناصر والأستاذ مغرابي الطيب وإلى ابن العم أستاذ اللغة العربية سعد.

كما أسدي جزيل الشكر إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة.

إهـداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل الأسرة الكريمة إلى الوالدين الكريمين للذين دفعاني إلى معترك الحياة بكل ثقة.

إلى روح أبي الطاهرة رحمه الله.

إلى العائلة الكريمة.

إلى كل الأصدقاء.

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة هذا العمل.

قائمة المختصرات:

العنوان	الاختصار
الصفحة	ص
العدد	ع
الطبعة	ط
طبعة خاصة	ط خ
الجزء	ج
المجلد	مج
دون دار نشر	د د ن
دون رقم طبع	د ر ط
دون تاريخ	د ت
تعريب	تع
ترجمة	تر
تحقيق	تح
تقديم	تق
تصدير	تصد
إخراج	إخ
توفي	تو
فهرس مخطوطات خزانة	ف.م.خ
رصيد مكتبة عبد الرحمن حواش	ر م ع ح
Volume	Vol
Page	p
Référence susmentionnée	op.cit
Type	T

المقدمة

المقدمة:

تُعد منطقة وادي مزاب من المناطق التي برزت إسهاماتها في مختلف مناحي حياة المجتمع الجزائري عبر العصور، ولازالت في هذا إلى يومنا، فقد أسهم مزاب في مختلف المجالات وإستطاع أن يشارك في البناء الحضاري رغم أنه لا يملك موقعا استراتيجيا ، فهي منطقة نائية معزولة، أدى فيها مجلس العزابة دورا هاما في إقرار العدل وتنظيم المجتمع ونشر الهدوء، جعل لها ذلك محطات تاريخية شاركت بها في صنع تاريخ الجزائر، فكان لها الفضل في الحفاظ على المذهب الإباضي من الاندثار أمام الزحف العبيدي، وأسسوا قراهم السبع تحت إشراف مجلس عمي سعيد، وانتشروا في كامل القطر الجزائري ينشرون العلم ويشاركون في مجريات السياسة العامة، إذ أنهم برزوا في رد العدوان الأوروبي الصليبي على سواحل الوطن.

وبعد النكبة التي حلت بالجزائر على يد الفرنسيين سنة 1830م وتدهور الأوضاع العامة جراء ما عمدته إدارة الاحتلال لضرب معالم الشخصية الوطنية، فلم يتأخر الجزائريون شمالا وجنوبا في خوض غمار المقاومة، ولم يتخلف بنو مزاب عن هذا المصير، وبسبب تباين موازين القوى، والتأكد من أن مصير المقاومة الشعبية سيكون كمصير مثيلتها في الشمال لجؤوا إلى عقد معاهدة الحماية مع إدارة المحتل سنة 1853م، إلا أن هذه المعاهدة ما كانت إلا تمهيدا لسيطرة الفرنسيين على وادي مزاب كباقي مناطق الوطن.

كان في ظن المحتل الفرنسي أن أسلوبه العسكري ومنهجه القمعي وسياسته التسلطية كفيل بفرض السيطرة الكاملة على الجزائريين، ويحول دون بروز من يسهم في تحريك أركان الوطن الفكرية والسياسية، غير أن أعلام الجزائر ناضلوا في هذا الاتجاه كل في اختصاصه وميدانه وتعددت إسهاماتهم، بالرغم من أن هذا النضال قد أخذ الطابع المحلي الجهوي على غرار ما حدث في منطقة وادي مزاب.

وقد برز في سبيل هذا النضال مجموعة من أعلام منطقة وادي مزاب كانت لهم بصمتهم في الحركة الفكرية والسياسية، فألفوا المصنفات وأشرفوا على البعثات العلمية

وأنشؤوا الجمعيات ومراكز التعليم، وكانت السياسة ميدانا لبروز ثلة من المزابيين انطلاقا من خلفياتهم الحزبية، فأبلوا البلاء الحسن وصاروا مشاغبين في نظر الإدارة الفرنسية ومعادين لها، أمثال أبى اليقظان والشيخ بيوض ومفدي زكرياء وغيرهم كثير.

ومن هذا المنطلق كان اختياري لدراسة إسهامات أعلام منطقة وادي مزاب في الحركة الفكرية والسياسية بالجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1954م تتحكم فيه عدة عوامل بعضها ذاتي والآخر موضوعي.

1. فمن العوامل الذاتية هو اعتبار موضوع البحث من أهم المواضيع التي لفتت انتباهي خلال عملية البحث التي قمت بها، لما يكتسيه من أهمية بالغة في تاريخ الجزائر، فكان هدفي وراء الاختيار هو الرغبة في الكشف عن شخصيات فاعلة في النهضة الجزائرية وإلقاء الضوء على خبايا أعمالهم الفكرية والسياسية والتي كان لها دور في نشر الوعي الوطني، في فترة لها خصوصياتها لكونها صعبة والوقوف على حجم هذه المساهمات.
2. إن الكثير من مجالات البحث قد تعرضت لنضال الشعب الجزائري ضد المحتل الفرنسي سواء فكريا أو سياسيا، وهذا النضال كان في شكل محلي أو جهوي، إلا أن وادي مزاب ففيها الاستثناء، بسبب وضعيتها القانونية جراء معاهدة الحماية 1853م، وتظاهر فرنسا باحترام بنودها طيلة فترة الاحتلال، فهو وضع ذو حساسية بالغة يستوجب استحضاره في حيثيات البحث، ونعتبر هذا عاملا موضوعيا لاختيار موضوع البحث.
3. بحثي جاء لإبراز مساهمات أعلام المنطقة في الميدان الفكري والسياسي في كامل القطر الجزائري، والمشاركة الفعالة في صناعة التاريخ في مرحلة صعبة كان يعيشها الجزائريون، فكانت هذه الإسهامات مع بداية الاحتلال، فهذه الأدوار التي قام بها هؤلاء لم تكن هامشية، بل كانوا روادا في مجال تخصصهم.
4. كما كان للأستاذ المشرف: سعيود إبراهيم دور في تحفيزي وتشجيعي على اختيار هذا الموضوع واعتباره موضوعا ذا أهمية.

من خلال اطلاعنا على المادة العلمية، أدركنا ما يكتسيه الموضوع "إسهامات أعلام منطقة مزاب في الحركة الفكرية والسياسية بالجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي 1830-1954م" من أهمية بالغة لكونه موضوعا تاريخيا بامتياز يهتم بالجانب الفكري والسياسي في المنطقة وارتباطه بإحدى أهم المراحل التي عاشتها الجزائر، ميزها الاستبداد والظلم والصراع والصدام مع المحتل الفرنسي، وقد ميزنا عنصر أعلام مزاب ولو لم يرتبطوا بمنطقتهم ومدى مساهمتهم كل في مجال تخصصه، والوقوف على درجة الانتفاع سواء بالنسبة للمجتمع المزابي على الخصوص أو الجزائر بصفة عامة فكريا وسياسيا من هذا الإسهام.

وقد تبين لنا من خلال دراسة موضوع البحث أن أهميته لا تكمن فقط في جانبه التاريخي المرتبط بفترة الاحتلال، بل كان للإطار الجغرافي أهمية في الدراسة لكون المنطقة قد تغيرت أوضاعها القانونية مع الإدارة الفرنسية سواء لما عقدت المعاهدة 1853م، أو لما ألحقت عسكريا 1882م، وهذا كله كان له تأثير على الحياة الفكرية والسياسية بالنسبة للمجتمع المحلي الذي كان يرى أن المنطقة المحمية لا ينطبق عليها ما ينطبق على المناطق الجزائرية الأخرى، وفي المقابل محتل يبيع الوهم ويتظاهر أنه يلتزم بالبنود، ولكن في حقيقة الأمر كان يطبق سياسة الهروب إلى الأمام ويتاجر بالسراب، فالواقع أن ما كان يجري على الجزائر يجري على منطقة وادي مزاب، فكانت الغاية من هذه الدراسة معرفة مدى التكامل والتواصل بين أعلام المنطقة وغيرهم من الجزائريين في المجال الفكري والسياسي خلال فترة الاحتلال، والوقوف على مساعي أعلام المنطقة المتواصل لصناعة وضع فكري وسياسي قادر على مقاومة السياسة الاستعمارية.

تمثل فترة 1830-1954م مرحلة هامة وذات حساسية، إذ أن الجزائر أصبحت تحت نير الاحتلال وهذا ما أثر على الجزائريين بصفة عامة ووادي مزاب من ضمنها، الذي عرف أحداثا لها خصوصيتها، إذ أن المنطقة أقدمت على إبرام معاهدة الحماية سنة 1853م، وما كان ذلك إلا مقدمة لإلحاقها عسكريا سنة 1882م، فجعلها في إطار تاريخي قانوني خاص، في خضم هذه الأوضاع قام أعلام مزاب بحركة فكرية "علمية واجتماعية" قادها العلامة

الشيخ "امحمد بن يوسف أطفيش" حينما خلف عددا من المؤلفات والطلبة يصعب حصرهم حملوا راية النشاط الفكري، وأصبحوا روادا في مجالاتهم، وتنتهي الفترة المدروسة سنة 1954م وهي مرحلة توحد قوى النضال تحت إشراف جبهة التحرير الوطني، لأن ما سبقها كان نضالا في شكل محلي جهوي، فكان اختيارنا لوادي مزاب كإطار جغرافي للدراسة والبحث.

تزامن احتلال الجزائر سنة 1830م مع بروز عدة أعلام في منطقة وادي مزاب انتشروا في جميع مناحي الحياة، ونالوا مكانة هامة في المجتمع، وانطلاقا من تلك المكانة تقلد هؤلاء الرجال عدة أدوار ريادية ساهموا من خلالها في الحركة الفكري والسياسية أثرت في مجريات الأحداث العامة للجزائر، فما مدى مساهمة أعلام منطقة وادي مزاب في إثراء الحركة الفكرية والسياسية؟، وهل كان لهذه المساهمة مآثر على المجتمع المحلي والجزائري خلال فترة الاحتلال 1830-1954م؟ ولنوضح هذه الإشكالية استوجب طرح التساؤلات التالية:

- فيم تجلت مساهمات أعلام مزاب في الحركة الفكرية بالجزائر خلال فترة الاحتلال 1830-1954م؟
- ما هي مظاهر إسهامات أعلام مزاب في الحركة الفكرية الجزائرية؟ وهل كان للمرأة المزابية حضور في ذلك؟
- ما حجم الإسهام الفكري لأعلام وادي مزاب في ظل سياسة الإدارة الفرنسية؟
- كيف كانت مواقف أعلام مزاب السياسية من بعض المشاريع والقوانين الاستثنائية التي طبقها المحتل على الجزائر؟
- فيم تتجلى إسهامات أعلام مزاب في النشاط الحزبي والنيابي؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، استندنا على مجموعة من المناهج:

1. **المنهج الوصفي:** الذي تطرقنا من خلاله إلى الإنجازات الفكرية والسياسية في منطقة مزاب وقد وقفنا على حقائق تاريخية كشفت إسهام أعلام المنطقة في هذا الحراك رغم الوضع القانوني الخاص والظروف الصعبة التي أحاطت بالوادي، مستعينا بما وصلت إليه من مادة علمية.

2. **المنهج التحليلي:** حينما حاولت استقراء النتائج والعبر المترتبة عن إسهامات الأعلام في الحركة الفكرية والسياسية في الفترة المدروسة، وهل كان لهذه الإسهامات فوائد وعبر ومآثر على الجزائر و حركتها الوطنية.

3. **المنهج المقارن:** اعتمد على المنهج حسب ما يتطلبه البحث، خاصة لما يتعلق الأمر ببعض ما احتوته المراجع والوثائق الأرشيفية، حينما نجد اختلافا في التواريخ والأحداث.

أما فيما يتعلق بالمصادر والمراجع لإنجاز هذا البحث، فقد اعتمدنا على كم متنوع من المصادر والمراجع التي استقيناها من عدة مكتبات ومراكز لهم اهتمام بتاريخ المنطقة ومنها:

1. الوثائق الأرشيفية الموجودة في مكتبة عبد الرحمن حواش وهي عبارة عن تقارير ومراسلات في غالبها عسكرية حول بعض الأعلام الذين كانوا تحت المراقبة ويحسبون خطرا على الإدارة الفرنسية، والأكيد أن هذا الأرشيف قد كلف الأستاذ حواش جهدا كبيرا في جمعه وتصويره من مركزه الأرشيفي ما وراء البحار، وهو مشكور باعتبار أن هذه الوثائق قد استفاد منها عدد كبير من الباحثين قبلي في مجال هذا البحث بالتحديد.

2. اعتمدنا كذلك على مخطوط "**ملحق لسير الشماخي**" لأبي اليقظان بكل أجزائه الثلاثة لاحتوائه على موسوعة من التراجم لأعلام مزاب بالشرح والتفصيل، وهذا المخطوط قد أفادني كثيرا ووجهني في بحثي.

3. أما المخطوط الآخر فهو "**الرسالة الشافية في بعض التواريخ**" لصاحبه الشيخ أمحمد بن الحاج يوسف أطفيش الميزابي، وهو خلاصة لتاريخ بني مزاب تتضمن أنسابهم وأصولهم وعقائدهم وتواريخهم ورجالهم، وهو مصدر هام لتاريخ المنطقة.

4. اعتمدنا كذلك على مصدر "**الشيخ القرادي حياته وآثاره**" للشيخ الحاج أيوب إبراهيم بن يحي، وهذا الكتاب من تقديم الأستاذ محمد ناصر، وقد تناول هذا الكتاب العديد من الجوانب الاجتماعية لمنطقة وادي مزاب، استفدنا من هذا المصدر في مسألة التبشير وكذا مواقف الشيخ أمحمد أطفيش السياسية.

5. ومن المصادر التي تناولت تاريخ المزابيين في الجزائر خلال الفترة الحديثة والمعاصرة كتاب "**أعلام الإصلاح في الجزائر**" وهو من خمسة أجزاء لصاحبه محمد علي دبوز، حيث يعد من أهم الكتابات في تاريخ أعلام الإصلاح وجهودهم في ميدان الحركة الإصلاحية، فقد عرف أعلام الإصلاح بشكل من الشرح والتفصيل، عدنا إليه في متن البحث.

- كما لمحمد علي دبوز مؤلف بعنوان "**نهضة الجزائر وثورتها المباركة**" من ثلاثة أجزاء تناول فيه المؤلف الحياة السياسية في الجزائر عامة، تطرق إلى الحياة العلمية من بداية القرن العشرين ومظاهر هذه الحياة العلمية من إنشاء للجمعيات وإشراف على المدارس العصرية وإرسال البعثات العلمية، وقد استفدنا منه في كل فصول البحث.

6. ومن المراجع التي اعتمدتها في البحث كتاب "**معجم أعلام الإباضية، قسم الغرب**" لمجموعة من المؤلفين في جزئه الثاني، وكان حقا هذا المرجع موجها ومرشدا في سير البحث، حيث أن هذا الكتاب تناول مجموعة من الأعلام المزابية وإنتاجهم الفكري والوظائف التي تقلدوها.

7. كتاب بعنوان "**تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**" لمؤلفه الحاج سعيد يوسف بن بكير، وقد تناول هذا الكتاب أصول بني مزاب ونشاطهم في الحركة الإصلاحية والوطنية، عدنا إليه في الكثير من المرات.

8. كتاب "**معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر**" من تأليف قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، وقد تناول فيه الأوضاع العامة لمنطقة وادي مزاب وتأثير حلقة العزابة على

النسق الاجتماعي ودورها في تعليم المجتمع، وإسهام الشيخ أمحمد أطفيش في النهضة هو ما ساعدنا للوقوف على إسهاماته.

9. كتاب بعنوان "**أبو اليقظان وجهاد الكلمة**" من جزأين لصاحبه محمد صالح ناصر، وقد عالج المؤلف العديد من الجوانب في حياة أبو اليقظان، وخص جزأه الثاني لنضاله الصحفي، كما قام بعملية جرد تفصيلي لجرائده وقد كان هذا المرجع معينا لنا وموجها ومرشدا للاستفادة من مقالاته التي تخدم البحث.

- كتاب بعنوان "**الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما**" لصاحبه محمد صالح ناصر، وجاء في ثلاثة فصول، وقد تناول المؤلف حياة الشيخ بيوض النضالية في ميدان الإصلاح والسياسة، وقد أفادني هذا المرجع كثيرا في إسهامات الشيخ سواء الفكرية أو السياسية.
- كتاب آخر بعنوان "**الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاده الإسلامي**" لصاحبه محمد صالح ناصر، وجاء في سبعة فصول، تناول هذا الكتاب حياة الشيخ أطفيش إبراهيم وقف على أهم مواقفه التي ساهم بها ضد الاستعمار والجمود الفكري والتنصير، وجعل فصلا كاملا لمجلة "المنهاج"، وقد وظفناه في متن البحث.

10. وكتاب "**الشيخ بيوض والعمل السياسي**" لصاحبه محمد بن قاسم ناصر بوحجام، وقد استفدت من الكتاب في إسهامات الشيخ بيوض السياسية وخاصة ما يتعلق بعضويته في المجلس الجزائري.

وقد استفدت كثيرا من مؤسسة الشيخ **عمي سعيد** و**جمعية أبي إسحاق** بغرداية و**جمعية التراث** بالقرارة لما فيها من فهارس ومخطوطات وكتب ومقالات وجرائد ورسائل "ماجستير ودكتوراه" ساعدتني في استخراج المادة المعرفية التي تخدم موضوع البحث.

11. وكتاب "**La vie Féminine au M'zab**" لصاحبته" أميلي ماري قواشون " **Goichon A.M**" وقد ركز على حياة المرأة في منطقة وادي مزاب وقد حاولت الاستفادة منه في إسهامات المرأة المزابية.

12. وكتاب "**Le M'zab et les Mozabites**" لصاحبه "امات شارل"" **Charles Amat** " تناول الجانب الطبيعي وعمراني لمنطقة وادي مزاب وقد إستفدت منه في التطرق لقرى وادي مزاب.

13. "**le m'zab et les mozabites**" لصاحبه كومندان روبان" **C.Robin** " كان عبارة عن دراسة طبيعية وإجتماعية لمنطقة وادي مراب وقد استفدت منه في تأسيس قرى وادي مزاب السبعة.

14. كذلك كتاب "**Le MZAB et son Annexiom a la France**" لصاحبه كومندان روبان " **C.Robin** "تناول مجريات إتفاقية الحماية 1853م وقد استفدت منه في دوافع عقد هذا الاتفاق بين الإدارة الفرنسية والمزابيين.

15. ومن المراجع التي اعتمدتها باللغة الفرنسية:

"Institut Al-Haya 1925-1962: Un exemple d'Ecole Réformiste Ibadite au M'zab".

لصاحبه صالح بن إدريسو وهو عمل تناول معهد الحياة كنموذج للمدارس العصرية الإصلاحية في منطقة وادي مزاب، وقد استفدنا منها في مجال التعريف بمعهد الحياة وإسهامه في الحركة الفكرية في المنطقة.

الدراسات السابقة:

ومن الرسائل والأطروحات الجامعية في هذا الشأن، استفدنا من مجموعة الأعمال الأكاديمية من بينها: أطروحة بن عمر الحاج موسى بعنوان "**القضايا الوطنية والعربية والإسلامية من منظور أعلام مزاب 1902-1962م**" وهي في تاريخ الجزائر المعاصر،

نوقشت بجامعة الجزائر 02 سنة 2008-2009م، حيث أفادني كثيرا خاصة ما تعلق بنشاط ودور مزاب في الحركة الوطنية.

والعمل الثاني بعنوان "**دور مزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1930-1962م**" للطالب محمد بوسعدة وهي في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، نوقشت في جامعة الوادي سنة 2019-2020م، وقد استفدت منها خاصة ما تعلق بالحركة الوطنية ومساهمة بني مزاب فيها.

والعمل الثالث بعنوان "**الحركة العلمية في منطقة وادي مزاب ما بين القرن 10-13هـ/16-19م**" من إعداد الأستاذ زدك إبراهيم وهي في التاريخ الحديث، نوقشت في جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان سنة 2018-2019م، وقد أعانتني فيما تعلق بالتآليف الشيخ أمحمد أطفيش "قطب الأئمة".

كان مستهل بحثنا انطلاقا من المادة العلمية التي اطلعنا عليها والتساؤلات التي تم طرحها مقدمة توضح المراحل المنهجية لموضوع البحث في صيغته المختصرة، تحمل في طياتها إشكالية ومجموعة تساؤلات.

1. **الفصل التمهيدي:** فقد عُنْوِنَ بـ: "**الأوضاع العامة لمنطقة مزاب عبر العصور**"، كان بمثابة مدخل لمعالجة طرحنا، وقفت فيه على ظروف منطقة وادي مزاب منذ نشأتها واستقرار مجتمعها في قراه بمذهبهم الإباضي، وتطرق إلى الأدوار الحضارية لأنظمتهم الاجتماعية في مختلف العصور إلى قدوم الاحتلال الفرنسي والمشاركة في مقاومته شمالا وجنوبا.
2. **الفصل الأول:** عنونته بـ: **المآثر الفكرية لأعلام مزاب خلال فترة الاحتلال 1830م-1954م** "**التأليف أنموذجا**" وفيه استعرضت العوامل التي ساهمت في ازدهار الحركة الفكرية في المنطقة وترجمة لبعض الأعلام خلال الفترة المدروسة، وتناولنا إسهاماتهم في هذا مجال التأليف، وقد أخذ الشيخ أمحمد أطفيش حظا كبيرا فيه لكثرة مؤلفاته حتى

صعب حصرها، وقد عمدت إلى عملية جرد لمؤلفات هؤلاء الأعلام من بعض الخزائن والمكتبات والجمعيات الفكرية من خلال فهارسها.

3. **الفصل الثاني:** عنونته بـ"**إسهامات أعلام مزاب في ميدان التربية والتعليم خلال فترة 1830-1954م**"، تناولنا جانب التربية والتعليم لكونه من بين أهم عناصر الحركة الفكرية في أي مجتمع، فازدهاره يعني ازدهار الجانب الفكري والعكس صحيح، وحتى نحيط بهذا الميدان إحاطة علمية لابد من التطرق إلى مظاهره من مكتبات وخزائن المخطوطات ودورها في الحياة الفكرية، كما عرجنا إلى الرحلات والبعثات العلمية وروادها خلال الفترة المدروسة وأهم الفوائد والعبر منها مع بداية القرن العشرين، وهذا ما تحدث عنه البحث في أن هذه المؤسسات كانت مهدا لتأسيس مشروع تعليمي عصري في وادي مزاب من خلالها ازدهرت دور المشايخ وانفتحت على المدارس الإصلاحية العصرية، بعدما كانت ولمدة طويلة منبوذة من طرفهم، فهذا المشروع شارك فيه ثلة من أعلام مزاب من خريجي البعثات العلمية.

ولما عرفت هذه المرحلة نوعا من التطور والعصرنة في مجال التربية والتعليم، فإن المجتمع قد التفت إلى تعليم المرأة المزابية وعنيت بالاهتمام والتي بدورها سيكون لها أدوار فكرية عكس ما يروج له أنها منغلقة على نفسها.

4. **الفصل الثالث:** وعنوانه: "**إسهامات أعلام مزاب في الحركة السياسية خلال فترة الاحتلال 1830م-1954م**" فيه تطرقنا إلى مساهمة النخبة المزابية في أهم المسائل السياسية التي شغلت الرأي العام الجزائري حينذاك، بداية بإبرام معاهدة الحماية 1853م والجدال في توقيعها بين مؤيد ومعارض، وقضية الإلحاق العسكري لمنطقة وادي مزاب 1882م، لتظهر المسائل القانونية التي طبقتها فرنسا على الجزائر، هل تصبح سارية المفعول على وادي مزاب باعتبار الضمانات التي قدمها العسكر لهم أم أنها مجرد وعود كاذبة؟ ومن بين هذه المسائل قضية التجنيد الإجباري ومساهمات شخصيات مزابية في

النضال من أجل إبطاله، فكان من نتائج هذا النضال ظهور صحافة أبي اليقظان وأقلامها المقاومة.

وقد عالجنا قضية الصحافة في خضم الحركة السياسية، رغم أن الصحافة ظاهرة فكرية، لاعتبار أن المرحلة التي مرت بها الجزائر هي فترة احتلال فتصبح الصحافة وسيلة سياسية للمطالبة بالحقوق، ويطغى الجانب السياسي على الفكري، ولأن هذه المرحلة عرفت نوعا من الانفتاح، فقد استفادت النخب من القوانين في هذا الظرف وأسست الجمعيات والنوادي الثقافية، وقد ألقينا الضوء على مواقف أعلام مزاب من التنصير، وخلفياتهم السياسية من العمل الحزبي، ومواقفهم المتباينة من مسألة التمثيل النيابي وخاصة انتخابات المجلس الجزائري 1984م.

5. **خاتمة:** تشتمل على أهم النتائج التي توصلت إلى استخلاصها من هذا البحث، كما ألحقنا هذه الدراسة بمجموعة من الملاحق لتوضيح بعض الجوانب المذكورة في المتن.

لقد واجهتني في إنجاز هذا البحث عدة صعوبات أعاقت سيره وأطالت مدته، فكان أهمها جائحة كورونا، وما صاحبها من حالة حجر بتوقف المواصلات وغلق دور ومراكز البحث، فصعب معها الاطلاع على جميع الكتب والوثائق التي لها علاقة بالموضوع، خاصة وأن مدة الحجر كانت طويلة فأثرت سلبا وجعلنا نبحث ثنايا المكتبات الإلكترونية.

المصادر التي تعالج الفترة المعاصرة في شقها الفكري لا تستطيع أن تروي ظمأ المتعطش للبحث العلمي وهو الأمر الذي يتطلب تحقيق العديد من المخطوطات التي خلفها أعلام مزاب في هذا المجال والتي تمنح إضافة فعلية في الحركة الفكرية للمنطقة، الاهتمام بأعلام منطقة وادي مزاب مازال بحاجة غلى اهتمام بالغ، إذا لم نستثني بعض الدراسات والبحوث المحلية المشكورة في هذا السبيل، فهذه المواضيع يحتاج إلى تضافر الجهود من أجل الوصول إلى المبتغى العلمي.

المادة العلمية المتعلقة بالجانب السياسي خاصة ما تعلق بالعمل الحزبي لم يكن إلى حد ما كافيا، إذ أن الكثير من الدراسات تناولت هذا الموضوع ولكن سلطت الضوء على

أعلام مزابية وكان جل نشاطهم في المدن الشمالية، وإن كان له تأثير إيجابي على الجزائريين في تلك المرحلة، ولكن هذا الدراسات لابد أن تكشف لنا أن نشاط هؤلاء الأعلام في المجتمع المزابي حتى يكون نوع من التكامل والأثر البالغ في هذا الجانب، مما استدعى الحديث عن شخصيات سياسية ولكن جل إسهاماتها كانت تقريبا في مدن الشمال، فلهذا نجد أن البحث لم نستوفه حقه.

ومهما اجتهد الباحث، فإنه من المستحيل ومن الصعب بما كان الإلمام بجميع حيثيات بحثه، وأن يطلع على جميع ما كتب حول تاريخ المنطقة خلال الفترة المدروسة، وهذا ما يجعل عملي بداية لدراسات مستقبلية تعرفنا أكثر بالمنطقة وجوابها المختلفة.

الفصل التمهيدي

الأوضاع العامة لمنطقة

مزاب عبر العصور

✓ **النطاق الجغرافي لمنطقة مزاب:**

يقع وادي مزاب شمالي صحراء الجزائر، على هضبة صخرية كلسية، يطلق عليها بلاد الشبكة لأن هناك أودية عديدة تتجه كلها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي تنتهي عند بحيرة شمال غرب وارجلان، فصارت تشبه الشبكة في شكلها، وهي وحدة جغرافية متكاملة من حيث المظهر الطبيعي، تتميز عن المناطق المجاورة بالقساوة وللعلم فإن أغلب مساحة بلاد الشبكة حازها وادي مزاب بمساحة تقدر بثمانية وثلاثين ألف كيلوا متر مربع[1].

يحد الشبكة شمالا وادي بوزبير، وغربا وادي زرقون، ويمتد شرقا فتشمل زلفانة والقرارة، ويحاذيها جنوبا بلاد الشعانبة، تبعد عن الجزائر العاصمة بـ 600 كيلو متر، تموقعها الفلكي بين دائرتي العرض 38 و30 درجة شمالا، وبين خطي طول 30° و45° شرقا وهذا يخص ولاية غرداية[2]، أما موقع وادي مزاب بالتحديد يقع عند نقطة تقاطع خط العرض 32° و32.20° شمال خط الاستواء وبين خط الطول 0.4° و1.5° شرق خط غرينيتش[3]، ويقدر ارتفاعها عن سطح البحر بحوالي 530 مترا[4].

ويمتاز وادي مزاب بمناخه الجاف، ومما يزده جفافا هبوب رياح الشهيلي الحارة من الجهة الجنوبية الغربية خاصة في نهاية الشتاء وبداية فصل الربيع، لهذا نجد أن معدل الأمطار لا يتجاوز 67 ملم سنويا، ودرجة الحرارة القصوى تتعدى بعض الأحيان 50°مئوية، ومن نتائج هذا المناخ خاصة في فصل الصيف شدة الإشعاع الضوئي وطول مدة الحرارة

---

[1]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، د ت، ط05، ص، 211.

[2]– قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر، 1157هـ–1774م، إلى 1382هـ–1962م، المطبعة العربية، غرداية، 2011، ط1، ص، 56.

[3]– الحاج موسى بن عمر، القضايا الوطنية من منظور أعلام مزاب، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007 – 2008، ص، 15.

[4]– يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، الجزائر ،2017م، ط4، ص، 01.

في اليوم الواحد[1]، كما أن بلاد الشبكة شهدت حالات جفاف حادة على غرار باقي المناطق الصحراوية سنوات، 1283هـ/1867م، 1338هـ/1920م، 1373هـ/1954م، كما شهدت فيضانات جارفة سنوات 1317هـ/1900م، 1332هـ/1914م، 1379هـ/1960م، لأن بعض الفترات يصل معدل التساقط 120 ملم سنويا لساعات متتالية[2].

إن بلاد الشبكة أرض غنية بالحجارة الكلسية أو البحرية على شكل طبقات ذات اللون الرمادي المائل إلى اللون الأسود، وتميل الطبقات الكلسية الأفقية منها إلى اللون البني الضارب إلى الصفرة، وهذه الظاهرة تختلط في الأخاديد بالجبس الذي يعتبر مادة أولية في البناء[3]، وقد أشارة الدراسات إلى أن هذه الهضبة تكونت في العهد الجيولوجي الثاني وتحديدا في العصر الطباشيري[4]، ولعلها قد تعرضت إلى عملية حت طويلة في العهد الجيولوجي الرابع نتيجة الأودية القوية والرياح الشديدة تشكلت على إثرها أخاديد عميقة في اتجاه الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي مما جعل المنطقة يطلق عليها "بلاد الشبكة"[5].

ولقد خلفت عملية الحت والتعرية القوية مجموعة من الوديان تتخلل منطقة وادي مزاب أهمها وادي زقرير ووادي إنسا ووادي مزاب ووادي متليلي الذي ينحدر من الشمال الغربي بإتجاه منطقة الجنوب الغربي[6]، فوادي زقرير ينحدر من الضايات باتجاه واحة القرارة

---

1 – C. Robin, le m’zab et les mozabites, imprimerie générale, mimes, France 1900, P, 15.

2– قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص، 56.

3– زدك إبراهيم، الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب مابين القرنين 10–13 هـ/16– 19 م، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة تلمسان، ص، 14.

4– H. Duveyrier, Coup d’œil sur les pays des Beni M’zab et celui des Chaambas occidentaux, Extrait de Bull. Soc. Geog. de Paris, Octobre 1859, p, 128.

5– يحي بوراس، العمارة الدفاعية في منطقة وادي ميزاب (قصر بني يزقن نموذجا) (من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م). دراسة وصفية تحليلية ومقارنة، ماجستير، جامعة الجزائر، 2001 – 2002م، ص، 02.

6 – Charles Amat, Le M’zab et les Mozabites, librairie Algérienne et coloniale, Paris, 1988, p p 51, 52.

أما وادي إنسا فله رافدان هما وادي بالوح ووادي السودان يلتقيان عند بريان، ويستقبل وادي مزاب مياه وادي لغديرة ووادي الأبيض فيسقي واحة غرداية ومليكة، أما واحة بني يزقن فيسقيها وادي انتيسا، وينحدر من الجانب الشرقي وادي أزويل الذي يسقي واحة بونورة، ثم يتجه وادي مزاب إلى العطف فزلفانة وينتهي في صبخة الهيشة على بعد 16 كيلومتر من مدينة نقوسة شمال ورقلة[1].

تتميز هذه الأودية بالمياه الجوفية فلا تجري إلا عند التساقط مما يوفر للمنطقة مخزونا مائيا يستخرج من الآبار[2]ولكنه ليس قريبا من السطح فالعمق العام للآبار يتجاوز ثمانية وخمسين مترا[3].

✓ **الإطار التاريخي لمنطقة مزاب:**

1/ مزاب في عصور ما قبل التاريخ:

اختلفت الدراسات التاريخية والأثرية حول الإقرار بوجود إستيطان بشري بمنطقة وادي مزاب في عصور ما قبل التاريخ بل يستبعد الباحث "مارسيل مرسي" "mercel mercier" هذا الوجود لعدم توفر الدلائل المادية في حين توصل بعد ذلك كل من الباحثين "بيار روفو" "pierre Roffo" و"جويل ابونو" "Joel Abonneau" إلى استخلاص نتائج تحمل الكثير من

[1]– يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص، 02.

[2]– الحاج ابن الدين الأغواطي، مجموعة رحلات "رحلة الأغواطي"، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر،2011م، ط خ، ص، 90.

[3]– عبد القادر عزام عوادي، هجرة مزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية خلال الفترة 1881 – 1956، دار نزهة الألباب، غرداية، 2018م، د ر ط، ص، 11.

الدلائل القطعية على وجود نشاط إنساني في المنطقة في فترة ما قبل التاريخ بهذه المنطقة[1].

يذكر يوسف بن بكير أن بلاد الشبكة كانت عامرة بالسكان من أقدم العصور استشهادا بالمحاضرة التي ألقاها "بيار روفر" "pierre Roffo" في الدورة الحادية عشرة لمؤتمر ماقبل التاريخ المنعقد بفرنسا سنة1352هـ/1934م، حيث بين فيها حصيلة بحوثه الميدانية في منطقة وادي مزاب، ذكر فيها بالتفصيل إحدى عشر محطة في العصر الحجري الأول[2]، ووصف فيها ما جمعه من أدوات ذلك العصر والتي بلغ عددها 2259 أداة، بالإضافة إلى ذلك فإن المنطقة غنية بالرسوم على الصخور والأدوات الحجرية تثبت أن إنسان الفن الصخري استقر حينا من الدهر بهذه البلاد عرفت بحضارة الهواء الطلق[3].

تنتشر عبر تراب منطقة مزاب عدة محطات لما قبل التاريخ، تشتمل على مواد أثرية وصناعات حجرية، ترجع إلى العصر الحجري القديم و الأوسط و الحديث، وإلى جانب الصناعات الحجرية والتحف الأثرية توجد على ضفاف وادي مزاب نقوش صخرية كثيرة كلها دلائل على الوجود الإنساني[4].

2/ مزاب في فجر التاريخ:

إن الحديث عن بني مزاب في الفترة المسماة بالبونية وما تلاها من إحتلال روماني، والوندالي والبيزنطي تكاد تكون غامضة، لولا بعض الإشارات القليلة للباحثين الأجانب الدالة

---

[1]– داود عمر، الحركة التبشيرية في الجزائر، نشاط الآباء و الأخوات البيض في غرداية نموذجا، مقارنة سوسو – تاريخية، نزهة الألباب، غرداية، 2016، د ر ط، ص، 76.

[2] – Pierre Roffo, contribution à l'Etude de la préhistoire du sahara Septentrional, Ancienne Imprimerie, Alger.1934, p04.

[3] –Pierre Roffo, Note sur les civilization paléolithiques du m'zab, CH , MONNYER, 1935, p08 .

[4]– يحي بوراس، المرجع السابق، ص، 5.

على وجود قبائل الجيتول البربرية[1] المستقرون في المنطقة بعيدا عن السلطة الرسمية في الشمال[2].

يذكر محمد إبراهيم طلاي أن الرسوم الصخرية على الجبال بمحاذاة الوادي، وآثار العمران يدل على التواجد البشري بالمنطقة منذ القديم لكن لا نعلم الزمن الذي بدأت فيه الحياة بتلك الربوع، وهل شهدت عمرانا مستمرا ناميا كما هو مشاهد فيها الآن؟؟.

يضيف قائلا: « إنما المطمئن إليه أنّ وادي مزاب مرت عليه فترة من الزمن كان عامرا ببعض القرى، والمداشر، غير القرى التي نعرفها الآن .... ولم تبقى منها إلا رسوم أو أمارات تشير إليها، ليست أكثر من كدى أنقاض تكدّست، أو جزء حائط، أو بقية مسجد، ومنها ما بني على أنقاضها بعض القرى الموجودة الآن»[3].

3/ مزاب في فجر الإسلام:

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة 27هـ/648م أمر واليه بمصر عبد الله بن أبي سرح بالتوجه بجيشه نحو افريقية، فقدِمها ومعه كبار الفاتحين أمثال عبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن العباس، وعقبة بن نافع الفهري، واستمرت إرساليات الفاتحين إلى غاية إتمام الفتح في زمن الوالي حسان بن النعمان[4]، سنة 84 هـ/703 م، فاعتنق الأمازيغ الإسلام وحملوا على عاتقهم نشره، ولكن السياسة الاضطهادية والتعسفية

---

1 – W. Ragot, Le Sahara de la province de Constantine, Recueil des notices et mémoires de la soc, d'archéo, de la prov de Constantine, 6ème Vol, de la 2ème Série, Constantine, 1874, pp, 125-130.

2– يحي بوراس، المرجع السابق، ص، 5.

3– الشيخ أمحمّد بن يوسف اطفيش، الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل وادي ميزاب، مخطوط، معهد الدراسات الإسلامية، تحت رقم C83T A 864R، د ت، ص ص،19–27. ينظر كذلك: إبراهيم محمد طلاي، مزاب بلد الكفاح، دراسة تاريخية اجتماعية تلقي أضواء على نشأة هذا البلد وحياة ساكنيه، مطبعة آفاق، غرداية ، د ر ط،2013، ص، 18.

4– عبد القادر عزام عوادي، المرجع السابق، ص، 17.

التي حكم بها ولاة الدولة الأموية بلاد المغرب على غرار الوالي عنيسة بن سحيم الكلبي الذي سلك مع الساكنة سياسة أغضبتهم كثيرا وأرهقتهم بالضرائب والجزية، فكانت الحركة الصفرية أولى هذه الحركات الانفصالية الخارجة عن طاعة الأمويين التي قادها ميسرة المطغري ولكن ذلك لم يستمر كثيرا[1].

✓ **الإباضية في بلاد المغرب:**

يذكر الدرجيني أن المؤسس الأول للمذهب الإباضي هو العلامة الفقيه أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العماني العربي المسلم الذي ولد بين 18هـ أو 22هـ في مدينة الفرق العمانية، أما وفاته بالبصرة فكانت سنة 93هـ/711م، فقد أخذ العلم رحمه الله عن الإمام عبد الله بن وهب الراسي، وكانت له علاقة وطيدة مع زعيم القعدة في البصرة، وهو أبو بلال مرداس بن أدية التميمي[2]، وكان طلابه كُثر إذ أخذوا عنه العلم كضمام بن السائب، والربيع بن حبيب، ومسلم بن أبي كريمة[3]، وعبد الله ابن إباض[4].

---

[1]– موسى لقبال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، السياسة ونظم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ط01، ص ص، 155–165.

[2]–أبو بلال مرداس بن أدية التميمي: تابعي زاهد ورع صاحب كرامات وأقوال مأثورة توفي سنة 61هـ/680م، ينظر: مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب الإسلامي، ج2، ط1، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1999م، ص، 411.

[3]– أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: فارسي الأصل، عرف المذهب الإباضي على يده أهم الإنجازات، أخذ علمه عن جابر بن زيد، وخلفه على امامة المذهب، وهو من أنشأ مدرسة السرداب التي تخرج منها مشاهير المذهب، ترك الكثير من المصنفات. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 418.

[4]– عبد الله بن إباض: نشأ في مدينة البصرة، عاصر حادثة صفين، عُرف اتباعه بأهل الدعوة، وإليه ينسب المذهب الإباضي، توفي سنة 86هـ/7.5م. ينظر: نفسه، ص، 263.

وقد ذُكر جابر بن زيد الأزدي[1] في طبقات الدرجيني على أنه بحر العلوم العجاج[2].

أما ظهور الاباضية كمذهب إسلامي – فتنتسب إلى – الإمام عبد الله بن إباض بن تميم بن ثعلبة من بني مرة وهي قبيلة عربية عراقية، نشأ في مدينة البصرة واهتم بتطبيق أراء شيخه جابر بن زيد باعتباره إمام المذهب ومؤسسه الحقيقي، وقد انتشرت هذه الآراء المذهبية في بلاد المغرب على يد مجموعة المتحمسين من أصحاب هذا المذهب والذين يسمون بالدعاة، ويعتبر سلمة بن سعد أول من نقل مبادئ الاباضية إلى افريقية، وقد استطاع تكوين بعثة علمية توجهت إلى البصرة لتكون بعد التكوين دعاة وحاملو هذا المذهب، سميت هذه البعثة "حملة العلم إلى المغرب"[3].

حملة العلم تزودوا من مرشدهم "أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة" وعملوا بوصيته وبايعوا أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، والذي كانت له تجربة تأسيس أول دولة إسلامية قائمة على المذهب الإباضي في ليبيا سنة 140هـ/757م، ولكن أبا جعفر المنصور العباسي تمكن من القضاء على هذه الإمامة سنة 144هـ/761م بقيادة محمد بن الأشعث، هذا الحلم لم يمت بموت أبي الخطاب فقد ناصر الفكرة عبد الرحمن بن رستم[4]

---

[1]– جابر بن زيد الأزدي: ولد سنة 18هـ/639م في عائلة علم، قصد البصرة لطلبه، إلتزم الكتمان لنشر أرائه بسبب الأخطار التي كانت تحدق به، إنفصلت عنه طائفة الأزارقة، وأنصاره فسموا أهل الدعوة توفي سنة 93هـ/711م. ينظر: مجموعة من اباحثين، المرجع السابق، ص، 108.

[2]– أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، ج2، تح تص إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م، ص، 205، ينظر كذلك: بكير بن سعد اعوشت، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا وتاريخيا واجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية 1991م، ص، 51، 52.

[3]– بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية 160هـ–296هـ، 777م–909م دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، ط02، نشر جمعية التراث، غرداية، 1993، ص ص، 73، 76.

[4]– عبد الرحمن بن رستم: ولد بالعراق، من الأكاسرة ملوك الفرس ومن المؤرخين يرجع نسبه إلى اللذارقة ملوك الأندلس ومنهم من يقول انه مجهول الأصل، نشأ في القيروان، وهو مؤسس الدولة الرستمية في المغرب

وأتباعه فاستطاع أن يؤسس أول دولة إسلامية بمساعدة قبيلة لماية وذلك سنة 160هـ/776م واتخذ تيهرت عاصمة لها[1].

وفي ذِكر وادي مزاب أشار يحي بوراس أن المصادر العربية سواء التاريخية أو الجغرافية تظل خالية من ذكر المنطقة في غداة الفتح الإسلامي، التي تعتبر في هذه الفترة نائية معزولة وكل ما قيل في هذا الشأن يبقى مجرد روايات شفوية قريبة من الخيال، فتذكر هذه الروايات أن قبيلة زناتية يطلق عليها بني مصعب اعتنقت الإسلام على مذهب الواصلية المعتزلة كانت تستقر في المنطقة في فصل الربيع بحثا عن مناطق الرعي[2].

وهذا نفس ما ذكره يوسف بن بكير في كتابة تاريخ بني مزاب حينما ظهرت المذاهب الإسلامية اتبع بني مزاب أصول المعتزلة فأخذوا بها، وكانوا يسمون واصلية[3]نسبة إلى واصل بن عطاء(80هـ-131هـ)(699م-798م)[4] لكنه لم يكن أشعريا قط، فالأشعرية جاءت من تعاليم أبي الحسن الأشعري (260هـ-324هـ)(873م-936م) فكيف يكون

=الأوسط(160هـ-171هـ). ينظر: ابن صغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح، تع، محمد ناصر وبحاز إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985م، د ر ط، ص،26. ينظر كذلك: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص ص، ،246، 247.

[1]- بكير بن سعد اعوشت، المرجع السابق، ص، 55.

[2]- يحي بوراس، المرجع السابق، ص، 6.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 10.

[4]- واصل بن عطاء: هو أبو حذيفة بن عطاء المعتزلي المعروف بالغزال مولى بني ضبة وقيل مولى بني محزوم، كان أحد الأئمة الكبار المتكلمين، ويحكى أنه كان يلثغ بالراء ينطقها غينا، قال في حقه أبو العباس المبرد في كتاب "الكامل": «كان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب وذلك أنه قبيل الشفة في الراء فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه». ينظر: محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج06، دار صادر، بيروت،1900م، د ر ط، ص ص،07،08.

السابق تابعا للاحق فالصواب أن واصل بن عطاء اعتزل مجالس الحسن البصري كما هو معلوم في التاريخ والتراجم لذا يجب التدقيق في المعلومات.

ويذكر الشيخ القطب في هذا الصدد « وليس أهل هؤلاء القرى إباضية من أول، بل كانوا معتزلة، يسافرون إلى تاهرت لقتال الإباضية»[1]. وهذا ما ذكره الشيخ إبراهيم مطياز «فالمعتزلة الذين كانوا في هذا الوطن ... كانوا منعزلين عن بني رستم، بل كانوا يحاربون الرستميين»[2].

✓ **بنو مزاب من الاعتزال إلى الإباضية:**

إن العقيدة الإباضية لم تظهر في منطقة وادي مزاب إلا مع بداية القرن الخامس هجري، وهذا كان بفضل الدعوة التي قام بها الداعية أبو عبد الله محمد بن بكر[3]، في حاضرة سدراتن[4]، جنوب وارجلان والتي خطاها الأمير يعقوب بن أفلح[5]، وذاع اسمها

---

[1]– امحمّد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ص، 38.

[2]– إبراهيم مطياز، تاريخ مزاب، نسخة مخطوطة في خزانته، ص، 6.

[3]– محمد بن بكير بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي أبو عبد الله: أحد أقطاب الإباضية في المغرب الإسلامي، ولد بجبل نفوسة في ليبيا، ولم تحدد كتب السير تاريخ ميلاده فجعله الأستاذ الجعبيري في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، كان له الفضل في تأسيس نظام العزابة وضع قواعده ومع مرور الزمن أصبح هذا النظام بمثابة الإمام في جميع الأمور والأحكام، أجمعت المصادر على أن وفاة الشيخ كانت سنة 440هـ/ 1049م. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 368.

[4]–سدراتن: منطقة واقعة إلى الجنوب من وارجلان بسبعة أميال. ينظر: أحمد الياس حسين، الإباضية في المغرب العربي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1992م، ط01، ص، 50.

[5]– يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (تو:310هـ/922م) من أعلام الدولة الرستمية أشتهر بفطنته وذاكرته القوية، يعد من عائلة أيمة العلم والدين وله إسهام في الحكم والسياسة تولى إمامة الرستميين سنة282هـ/895م ودام فيها أربع سنوات في ظروف صعبة كثرت فيها الفتن والنكبات، إعتزل السياسةّ وإنعزل عنها بعد عزله لصالح ابن اخيه، ومع هجوم العبيديين وسقوط الدولة الرستمية هاجر إلى وارجلان حيث استقر هناك ينشر العلم، وتوفي بها ودفن هناك ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص،473.

وانتشر بها العلم و العلماء، ولكن هذا الحضور الحضاري لم يدوم طويلا بسبب النكبات المتتالية في مقدمتها العدد الهائل من الأسر الهاربة من بطش العبيدين، و الجفاف المتواصل الذي جعل مصادر العيش تتضائل.

وهو ما حملهم للتفكير في اللجوء إلى مناطق أخرى خاصة بعد التخريب الذي عرفته مدينة سدراتن على يد أمير قلعة بني حماد المنصور بن ناصر سنة 444هـ/1051م والتخريب الثاني سنة 625هـ/1228م على يد يحي بن إسحاق المعروف بابن غانية أثناء ثورته ضد الدولة الموحدية، كل هذه المشاكل جعلت الساكنة يفكرون في منطقة أكثر استقرارا، لذلك انعقد مؤتمر واد اريغ سنة 420هـ/1029م ويقول الشيخ مطياز في هذا الشأن «... وقد غص أريغ بسكانه، وبأولئك اللاجئين، فاقتضى رأي المؤتمر على انتداب العلامة أبي عبد الله بن بكر ليجول في الصحراء جنوب المغرب الأوسط، عله يجد ما عسى أن يمكن التفسح فيه لأولئك اللاجئين وغيرهم من الإباضية بأريغ، خرج العلامة برفقة ابنه وغلامه فساحوا بنواحي الجنوب فوقع اختيارهم على وادي ميزاب إلا أنه معمور بكثير من المعتزلة"[1].

بعد الإجماع على الذهاب إلى وادي مزاب عكف الإمام عبد الله محمد بن بكر على نشر المذهب الإباضي في أواسط المعتزلة، فتحولوا من مذهب الإعتزال إلى المذهب الإباضي، وبدأت الهجرات السكانية نحو وادي مزاب تتوالى سواء من مدينة سدراتن، أو من الجهات الأخرى بداية من القرن الخامس الهجري[2].

فكانت آخر وجود للمعتزلة في المغرب الإسلامي بوادي مزاب في القرن الخامس هجري، فقد ساعدتهم المنطقة المنيعة الصعبة على الصمود، ولكن هذا الإعتزال سرعان

[1]– إبراهيم مطياز، المصدر السابق، ص، 12.

[2]– عبد القادر عزام عوادي، المرجع السابق، ص، 26.

ماتحول إلى المذهب الإباضي في فترة وجيزة بفضل الشيخ ابي عبد الله بن بكر لما إمتلكه من علم وقوة إقناع[1].

✓ **أصل تسمية بني مزاب:**

تطلق مزاب أو بلاد بني مزاب على ما يسمى ببلاد الشبكة ، فقد تعددت الروايات حول أصل التسمية، و المرجح أنها كانت تلفظ في البادئ "بنو مصعب" نسبة إلى القبيلة التي عمرت المنطقة وهي إحدى فروع قبيلة زناتة البربرية المعروفة[2].

بادية بني مصعب أو بلاد بني مصعب أو جبال بني مصعب هي أقدم تسمية أطلقت على ساكنة منطقة الشبكة، وقد ذكر بن خلدون في كلامه عن فرار السلطان أبي حمو موسى الثاني إلى وادي مزاب "مصاب" في النسخة الخطية بصورة صاد وسطها زاي، إشارة إلى أن الصاد تنطق مشمة بالزاي[3]. ومصاب هذا هو مصعب بن محمد بن بادين، انتقل أهله إلى وادي مزاب وهم بنو "واسين " الذين نزلوا فيها بعد أن اختطوها، وهم من شعوب بني عبد الواد، وبني توجين ومصاب، وهم من فروع قبيلة زناتة[4].

ولعل الاختلاط بين مصاب وبني عبد الوادي كان سببه حادثة إحتلال تلمسان من طرف السلطان المريني عبد العزيز بن أبي الحسن المكنى أبا فارس، سنة 772هـ الموافق لـ 1370م حين خرج منها سلطان بني عبد الواد أبو حمو الثاني مقهورا متشردا متنقلا في

---

[1]– إبراهيم بحاز،" المزابيون المعتزلة قراءة جديدة لنصوص قديمة" مجلة الحياة، ع01، جمعية التراث، غرداية، 1998م، ص، 131.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ بن خلدون، ج07، دار العلم بيروت، 1978م، ص ص 58،59. ينظر كذلك: قاسم بن احمد شيخ بالحاج، المرجع السابق، ص، 57.

[3]– عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ص 59. ينظر كذلك: مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق تص، محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، د ر ط، ص،214.

[4]– اسماوي صالح بن عمر، نظام العزابة ودوره في الحياة الإجتماعية والثقافية في وادي ميزاب، دراسة معمقة، جامعة الجزائر، 1986 – 1987م، ص: 2.

الصحراء[1] إلى أن أحس بالأمان في وادي مزاب فاستقر بها، وهذه خلاصة ما توصل إليه الدكتور إبراهيم بحاز بأن المنطقة خاصة ببني مصاب في بداية الأمر وشهدت توافد قبائل بربرية أخرى، ورغم ذلك بقيت تسمية بني مصاب مرتبطة بالمنطقة وهي الأصل في شهرتها[2].

ويرى ابن خلدون أن بني مصعب ينسبون إلى مصاب بن بادين من فروع زناتة، انتقلوا إلى الوادي فيقول « قصور مصاب سكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال فيمن انضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب»[3].

إن بني مزاب يتكلمون المزابية ذات الأصول الزناتية وهي قريبة من القوارير والشاوية والشلحية والنفوسية، كما أنهم ينطقون العربية بطلاقة، وهم أكثر البربر قربا من العرب، خاصة وأن المنطقة هي خليط من الأجناس البربرية والعربية ، منها قبيلة بني مرزوق، وقبيلة المذابيح، وقبيلة الشرفة، وقبيلة الشعانبة[4]، وقبيلة العطاطشة، وقبيلة المخادمة، وهذا يفند أن بني مزاب بربر خلص لم يحصل لهم أي اختلاط حيث يذكر محمد علي دبوز "أصل الميزابيين من العرب والبربر ففي عروقهم دماء العرب والبربر جميعا"[5].

---

[1]– عبد الرحمن بن محمد جيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ط02، ص، 177.

[2]– بحاز إبراهيم،" المزابيون المعتزلة قراءة جديدة لنصوص قديمة" مجلة الحياة، ع01، جمعية التراث، غرداية، 1998م، ص، 126. ينظر كذلك: يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص، 7.

[3]– عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص، 123، 124.

[4]– الشعانبة: قبائل عربية عدنانية زحفت مع الهجرة الهلالية. ينظر: عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة، مج07، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2004م، ص، 48

[5]– محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1،، المطبعة العربية، الجزائر،1981، ط1، ص، 167.

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أن المنطقة لا تختص بالمذهب الإباضي فقط بل ينتشر المذهب المالكي في الوادي، خاصة في أوساط القبائل العربية، فكان من مميزات وسمات مجتمع وادي مزاب أنه يجمع العنصر البربري والعربي، ويجتمع فيه المذهب الإباضي والمالكي في بيئة قل نظيرها، وقد أسهم جميعهم في بناء الوادي وعمارته وتشييد هذه الحضارة التي زاد عمرها عن ألف سنة[1].

يذكر حمو عيسى النوري : « إن مما لا شك فيه ولا نقاش أن الشعانبة كبني ميزاب لا تجمعهم وشيجة نسب خاص بل هم في الحقيقة الثابتة أعراش متباينة الأنساب تجاوروا وتصاهروا فشملهم ذلك الاسم كذلك، بني ميزاب أعراش توافدوا إلى وادي ميزاب من أقاصي البلاد فيهم البربر والعرب الأقحاح بعد انقراض الإمامة الرستمية وخراب سدراتة، فكونوا في الوادي وحدة قومية ووحدة مذهبية ووحدة لغوية، فأصبحوا بحكم التجاور والمصاهرة، والمعتقد أمة متماسكة، واسم الميزابي يسمى به كل إباضي على وجه المعمور، ولم يكن خاصا بسكان ميزاب فإن التسمية إلى ميزاب الكعبة إن صحت الرواية»[2].

✓ **نشأة وتطور حواضر مزاب:**

يتفق جل الباحثين على عدم معرفة بالتحديد تاريخ تأسيس الوادي بدقة، والأكيد أن بني مصعب سكنوا في بادئ الأمر الخيم والكهوف والغيران، ثم أسسوا تجمعات سكانية تطورت مع مرور الزمن، وكان للمعتزلة دور في بنائها قبل قدوم الإباضية، أو قبل تحولهم من الاعتزال إلى مذهبهم الإباضي، فيذكر يحي بوراس أن تواريخ تأسيس قصور مزاب يشوبها نوع من الغموض والتناقض وعدم الوضوح، خاصة وأنها كانت مسبوقة بتجمعات

[1]– قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص، 59.

[2]– حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، مج1، مطبعة البعث، د ت، د ر ط، ص، 128.

سكانية أخرى قدرت بـ25 قرية[1]، وأقدم نص يشير إلى قصور بني مصعب، ما ذكره الدرجيني في طبقاته حين سرده قصة وقعت للشيخ أبي عمار عبد الكافي أحد أعلام الوارجلانيين الذين عاشوا في النصف الأول من القرن 6هـ/12م[2].

كما أن العلامة ابن خلدون أورد فقرة هامة في كتاب العبر عن موضوع قصور مزاب وعن مؤسسيها، لكن دون الحديث عن تاريخ التأسيس نصها: « ومن بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة دون الرمال وعلى ثلاثة مراحل من قصور بني ريغة في الغرب، وهذا الاسم اسم للقوم الذين اختطوها ونزلوها من شعوب بني بادين ... وسكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وزردال فيمن يضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب»[3].

وما يؤكد هذا الغموض ما ذكر إبراهيم محمد طلاي، حينما قال على منطقة مزاب: « كان ذلك منذ ردح من الزمن لا يعلم مبدأه بالضبط إلا الله تعالى، وبذلك الصبر، وبتلك الإرادة الدّؤوب استطعنا الآن أن نرى هذه القرى»[4].

لقد تحول سكان وادي مزاب من حياة البدو والتنقل والترحال إلى حياة الحضر والاستقرار، وبدأت مع هذا التحول ظهور تجمعات سكانية تطورت مع مرور الزمن حتى أصبحت قرى، أو ما يطلق عليها القصور لوجود الحراسة، ولعل الذين كانوا يقطنون هذه المنطقة قبل قدوم العلامة أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي لاجئا إليه ومن معه من الإباضية لهم دورا في تأسيس هذه القرى قبل القرن الخامس هجري ونذكر منها:

---

1 – Huguet M. J., Les villes mortes du Mzab, La médecine et les pratiques médicales indigènes, In: Bulletin et Mémoire de la Société d'anthropologie de Paris, Numéro 01, Vol 04,1903 p. 583.07 ينظر كذلك: يحي بوراس المرجع السابق، ص،

2– الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص، 427.

3– ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص، 123. ينظر كذلك: يحي بوراس، المرجع السابق، ص، 8.

4– إبراهيم محمد طلاي، المرجع السابق، ص: 15.

- **قرية أغرم نتلزضيت:** تقع جنوب شرق العطف، أنها تأسست سنة 95هـ/714م أما تاريخ خرابها فمجهول لم يبق منها اليوم إلا الأطلال وتعني بالبربرية قرية الصوف ولعل هذا يدل على حرفة ساكنيها[1].
- **قرية موركي:** تلفظ كذلك مورقي، بنيت على هضبة مرتفعة يفصل بينها وبين "أت بنور" وادي مزاب الذي يتجه نحو تاجنيت[2].
- **قصر أوخيرة:** يبعد عن العطف بحوالي كيلومترين شرقا كانت موجودة حوالي 43هـ/669م بنيت على جبل يقابل الجبل الذي بنيت عليه العطف والشاهد على عمرانها وجود مقبرة على سفح هذا الجبل[3]، يقال أنه خربها ساكنة نتلزضيت.
- **قصر بابا سعد:** تعود تسمية القصر إلى مخططه الشيخ بابا السعد سنة 438هـ/1046م يقع على هضبة مرتفعة غرب تغردايت الحالية[4].
- **قصر بوكياو:** أسس على قمة جبل قريب من بني يزقن حوالي القرن 4هـ/10م، ويذكر بالحاج معروف أن مشيده من قبائل مغراوة الزيانيين وقد هجروه وسكنوا بني يزقن[5].

قصر اقثوناي: هي قرية قرب السد الكبير الحالي، ومن القرى القديمة أقيمت على ضفة مرتفعة لوادي انتيسا، لم يبق لهذا القصر أثر[6].

---

[1]– بالحاج معروف، العمارة الإسلامية، قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ط01، ص ص،48–49.

[2]– صالح بن عمر أسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، الحلقة 2، مطبعة الفنون الجميلة الجزائر، 2008م، ط02، ص، 608.

[3]– نفسه، ص، 603.

[4]– صالح بن اعمر اسماوي، المرجع السابق، ص ص، 608 – 609.

[5]– بالحاج بن بنوح معروف، المرجع السابق، ص، 46.

[6]– يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص، 13.

- **قصر أغرم أنواداي:** يطلق عليه القصر السفلي شيد سنة 334هـ/945م من الجهة الغربية لجبل "آت أمليشت" به مسجد مازال قائما إلى يومنا هذا بدون مئذنة وهذا يشبه مسجد أوخيرة، فهل المساجد كانت تبنى بدون مأذنة في ذلك العصر ؟[1].
- **قصر تميزرت:** يقع شمال التقاء وادي مزاب بوادي أزويل، وبهذا فهو يقع بين مليكة وبونورة في واحة تيغزرت، من بقاياه قبة كانت تزار سنويا، يقال أن العلامة "باسعيد بن بابكر" هو الذي أنشأها عند استقراره بوادي مزاب ويذكر صالح إسماوي أن هذا الموقع اشتهر باستجابة الدعاء لذلك يزار، فربما هذه الظاهرة كانت منتشرة عند المعتزلة قبل قدوم الإباضية[2].
- **قصر ترشين:** شيدت هذه القرية قرب مدخل شعبة "مومّو" في إتجاه واحات بني يزقن، لم يبق منها سوى مسجد ومعمرة لتعيلم الصبيان، ويقصد بها بالبربرية كومة التبن[3]، سكنها المعتزلة ثم لجأ إليه الاباضيون من المغرب الأقصى ونفوسة وقد مكثوا بها لفترة من الزمن قبل أن يلتحقوا بقصر بني يزقن في القرن 9هـ/15م[4].
- **قصر تلات موسى:** تقع جنوب غرب واحة بني يزقن على مقربة من شعبة (تلات) أطلالها مازالت موجودة إلى عهدنا هذا[5].
- **قصر الأحنش:** موقع القصر قريب من قصر بونورة على الجهة الجنوبية الشرقية، على الجهة اليسرى للذاهب باتجاه العطف، يذكر بالحاج معروف أنه كانت تقيم به جماعة من زناتة ومغراوة، اندثرت كل أطلالها ومعالمها[6].

---

[1]– نفسه، ص، 13، ينظر كذلك: بالحاج بن بنوح معروف، المرجع السابق، ص، 48.

[2]– ازدك إبراهيم، المرجع السابق، ص، 25.

[3]– يوسف بن بكير حاج السعيد، المرجع السابق، ص، 13.

[4]– بالحاج معروف، المرجع السابق، ص، 47.

[5]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 13.

[6]– بالحاج معروف، المرجع السابق، ص، 48.

يذكر يوسف بن بكير أن معظم القرى القديمة كانت تبنى على سفوح الجبال، رغم أن بعض القصور نجد بأنها شيدت في بدايتها على ضفاف الوادي، وتغيرت معالمها والتجؤوا إلى حصون أعلى، فهل هذا التغيير العمراني يدل على أن بني مزاب أحسوا في فترة من الفترات بالخطر فتحصنوا بهذه المواقع بعيدا عن أراضيهم ومواشيهم[1]، وحتى القرى الحالية والتي تعرف بالقصور السبع معظمهم بنيت على هضاب مرتفعة، ولعل الزائر للمنطقة يجد أنهم يشيدون المساجد في أعلى القمة للتعبير عن منزلة المساجد في قلوب المزابيين وفي نفس الوقت هي منارات للمراقبة وقلاع للدفاع وهي إستراتيجية حسنة شهدناها عبر العصور الإسلامية المتعاقبة والتي تعتمد على القلعة والسور حول القصر تقيها الغارات الأجنبية.

- ✓ **قصور مزاب السبع:**

إن الباحث النزيه لا يلمس الوضوح في عمران المنطقة إلا في القرن الخامس الهجري العاشر ميلادي، لما اجتمع المعتزلة حول العالم الإباضي الداعية أبي عبد الله محمد بن بكر، وتحولهم التدريجي من مذهب الاعتزال إلى المذهب الإباضي، وزاد معها كثرت الوافدين الإباضيين من الشمال ووادي ريغ وسدراته، استوجب معها إنشاء القصور الحالية، كانت منها خمسة على ضفاف الوادي، وأمام التزايد السكاني تم إنشاء قصران جديدان خلال القرن السابع عشر ميلادي (17م)، وهما بريان والقرارة بعيدين نسبيا على القصور الخمسة السابقة.

[1]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 12.

1/ قصر العطف (تاجنينت): يعتبر أقدم القصور الحالية[1]، يتكون من عرشين وهما "أولاد خلفي" و"أولاد عبد الله"[2]، تأكد الروايات أن تشييده كان سنة 403هـ/1013م[3]، ويذكر سعيد أعوشت أن قصر العطف أول تجمع سكاني سكنه الإباضية والمالكية ولكل منهما مسجده[4]، شُيد على يد الشيخ خليفة بن آبغور سنة 402هـ الموافق لـ 1012م ويرجع تسميتها إلى عدة فرضيات وأراء، فالعطف نسبة إلى بعض العائلات البربرية الزناتية التي سكنت المنطقة، ومازال هذا الاسم في بعض العائلات في الوادي وجبال الأوراس وقيل أن الاسم الصحيح هو "**تقنينت**" وهي كلمة بربرية يقصد بها إناء الشرب المصنوع من سعف النخل، وحتى شكل المدينة دائري يشبه شكل هذا الإناء[5]، أما امحمّد اطفيش يذكر في رسالته أن التسمية جاءت من مكان بناءها الموجود في انعطاف الوادي فلا يراها المارة إلا إذا وصلوا مكانا مائلا ترى منه[6].

ويقال أن العطفاء في أصلها كالحمراء ثم هذا الاسم قد تم نسيانه مع مرور الزمن، وأهل العطفاء كانوا في قرية أغرم أنتلرضيت وتعني قرية الصوف، والعطف هي قرية سليمان بن عبد الجبار المعتزلي، وهذا ما يؤكد فرضية أن سكانها في بادئ الأمر عائلات على المذهب المعتزلة، كونت مع الوقت ثلاثة عشائر وهي أولاد عيسى، أولاد إبراهيم، وأولاد اسماعيل، وقد انقسمت المدينة في فترة سابقة إلى قسمين متصارعين، والذي تسبب في بناء

---

1 – Huguet M. J, Op cit, p33.

2 – E.Masqueray, Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie « Kabyles de Djurjura, Chaouia de l'Aouras, Beni Mezab », EDISUD, Aix en Provence, 1983, pp, 42-43.

3 – أيوب إبراهيم بن يحي، رسالة في بعض أعراف وعادات بني ميزاب، تح، تق، يحي بن هون الحاج امحمد، ج2، دار مساحات المعرفة، الجزائر،2015م، ص، 22.

4 –Lieutenant D'armagnag, Le M'zab et Les Pays Chaamba, Editions Braconnier, Alger, 1934, p105.

5 – بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص، 66.

6 – امحمد أطفيش، المصدر السابق، ص، 23.

جدار بينهما لازالت معالمه لحد اليوم مع بناء مسجد ثان، فأصبحت العطف المدينة المزابية الوحيدة التي بها مسجدين[1].

2/ قصر بونورة (آت بنور): لقد شيد قصر بونورة سنة 437 هـ الموافق لـ 1044م، وأول من سكنه أولاد أبي اسماعيل وقيل أن جماعة من بني مطهر التي هاجرت من سدراتن هي التي أسسته وتسمية القصر الأصلية "آت بنورة" نسبة إلى القبيلة التي لا تزال توجد في واد مزاب وجبال الأوراس[2]، أما يوسف بن بكير فيذكر بأن تأسيسه كان سنة 457هـ الموافق لـ 1065م على جبل منقطع عن باقي الهضبة[3]، وبنور اسم لجد إحدى القبائل التي تنتمي إلى زناتة أو هو اسم "سيدي بنور" الذي يطلق في عاصمة الجزائر على مقبرة بني مزاب، ومن المعروف أن لفظ آت أو آيت أو نايت هي بمعنى آل باللغة العربية[4]، ويذكر امحمد أطفيش في رسالته أن التسمية تعود لامرأة تبيع النورة[5].

3/ قصر غرداية (تغردايت): إن غرداية قد أنشئت سنة 447هـ/1053م بعد العطف وبونورة وأول من سكنها الشيخ بابا والجمة محمد بن يحي، والشيخ أبو عيسى بن علوان، والشيخ بابا السعد، ولقد انضم إليهم الاباضيين الذين جاؤوا من وارجلان وأريغ وليبيا وجربة، أما بالنسبة إلى التسمية الأصلية فهي تغردايت معناها "حديقة صغيرة" تسقى بواسطة قناة اصطناعية، ومنها تامغردايت وهي نوع من النخيل الذي لا يزال موجودا في غرداية، وقيل تاغرديظ وتاغروط، وهي عبارة عن جبل صغير يشبه كتف الإنسان في عرضه[6]، وهذا ما

---

[1]– ازدك إبراهيم، المرجع السابق، ص ص، 33 ، 34.

[2]– بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص، 67.

[3]– يوسف بن بكير ، المرجع السابق، ص، 17.

[4]– الحاج أيوب بن بهون حاج امحمّد، المصدر السابق، ص، 29.

[5]– امحمد أطفيش، المصدر السابق، ص، 22.

[6]– بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص، 67.

ذكر امحمّد اطفيش في أن التسمية الأصلية معناها الجبل الصغير الذي سكنته امرأة[1] ، فقد بنيت على ربوة صغيرة[2] .

ويذكر الشيخ القرادي أن تغردايت معناها بالبربرية اسم لواحة على جانب الوادي تسقى به، فلا داية ولا غار، وهذا من صنع خيال المستشرقين[3]، وفي نفس سياق التسمية يرجح أن هناك قبيلة هلالية من الزيبان قدمت إلى وادي مزاب في القرن 5هـ/11م فلم يستقبلهم السكان المحليين فنزحوا إلى الأغواط، فكان من بين الأسرى امرأة تدعى "داية" فلجأت إلى غار بالجبل فتوسط الشيخين محمد بن يحي وباعيسى بن علوان للصلح بين القبيلة النازحة وبني مزاب وكان ذلك، وقاموا بتجديد العمران وبسطه من حول الغار، فأخذت المدينة تسمية غرداية بعد وفاة المرأة[4].

4/قصر بني يزقن أو بني يسجن، أو بني ازقن، آت يسجن، آت يزجن: يبعد عن قصر مليكة بحوالي 02 كيلومتر[5]، تأسس قصر "بني يزجن" سنة 720هـ/1321م وهو اندماج لمجموعة قرى قديمة على مقربة من المدينة الحالية وهي: بوكياو، موركي، ترشين، افنوناي، تفيلالت، لدواعي أمنية إتخذت هذه العشائر هذا الموضع[6]، وأصل التسمية فهو بربري من آت اسجن وهي إحدى القبائل من جهة الأوراس[7]، ويذكر ابن خلدون نقلا عن مرجع واد مزاب أن أبناء هذه القبيلة هم الذين بنوا مدينة وهران[8]كما أنه توجد في ناحية

[1]– امحمد أطفيش، المرجع السابق، ص، 21.

[2]- Charles Amat, Op cit, p, 45.

[3]– إبراهيم بن يحيى، المرجع السابق، ص، 30.

[4]– بلحاج معروف، المرجع السابق، ص،57.

[5]– Charles Amat, Op cit, p,47.

[6]– E.Masqueray, Op cit, p,175.

[7]– بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص، 69.

[8]– إبراهيم بن يحيى، المصدر السابق، ص، 29.

عين الفكرون قرب قسنطينة قبيلة شاوية وهم زناتة يسمون "السقنية" وفيهم أولاد خالد، وأولاد عنان، وأولاد موسى، وهذان الأخيران هما عرشان كبيران في بني يسقن الآن أما أولاد خالد فهم في فرع أولاد عنان، والفرع الثالث الذي تتفرع إليه البلد مع الفرعين السابقين فهم أولاد يدر وأولاد أبي إسماعيل[1].

5/ قصر مليكة (آيت مليشت): تأسس قصر مليكة سنة 756هـ/1355م وشيد قريبا من القصر القديم أغرم أنواداي ونقلا عن القطب فإن تسميته نسبة لجماعة عمروه من بلاد تسمى مليكش[2]، ويذكر الشيخ القرادي أن التسمية جاءت من قبيلة بربرية سكنت هذه القرية، ويقال أنها توجد في نواحي "ايغيل علي" في بلاد القبائل الصغرى يقال لهم بالقبائلية "مليكش"[3].

وهناك طرح آخر مفاده أن مليكة أنشأتها جماعة من نفوسة الليبية الإباضية وذلك سنة 750هـ/1350م وأصلها "أتمليشت" نسبة إلى مليكش أحد زعماء زناتة وقيل سميت مليكة لأنها تشرف وتعلو القرى الاربع رفعةً[4]، وهذا ما يخالفه القرادي فلا وجود لملكة إلا في خيال الأوربيين أو روادهم من المخازنية[5] المرتزقة[6].

6/قصر القرارة: يقع قصر القرارة فلكيا بين دائرتي عرض 32°- 46° شمالا وبين خطي طول 4° - 32° شرق خط غرينيتش[7]، وتعني الهضبة المرتفعة من حولها أرض

---

[1]- إبراهيم بن يحي، المصدر السابق، ص، 29.

[2]- يوسف بن بكير ، المرجع السابق، ص، 20.

[3]- إبراهيم بن يحيى، المصدر السابق، ص، 29.

[4]- بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص، 68.

[5]- المخازنية: يقصد من يكتب عند الفرنسيين بأجر.

[6]- إبراهيم بن يحيى، المصدر السابق، ص، 29.

[7]- إبراهيم بن محمد ويرو الحاج يحي، معالم الحضارة في واحة القرارة من خلال الوثائق الأرشفية، زمامات قيادة القرارة 1333هـ - 1337هـ / 1915م - 1952م، مطبعة الآفاق، غرداية 2017م، ص، 38.

منخفضة فاسم قارة (Gara) جاءت منه كلمة قوارير التي نشاهدها في منطقة توات في منطقة أدرار وهي مجموعة من الهضاب حولها أراضي منخفضة[1].

والقرارة كما وجدناها في مرجع رسالة في بعض أعراف وعادات وادي ميزاب معناها باللغة البربرية "جبل صغير" ويذكر أن قرب الأغواط توجد مجموعة من الجبال الصغيرة يقال لها "القراير الحمرة" وهو جمع للقرارة، ويستغرب الشيخ القرادي حول ما سمعه حول القرارة أن تسميتها اشتقت من قبيلة بربرية اسمها "زقرارة" ومنها اشتق "وادي زقرير" وهذه القبيلة مذكورة في تاريخ بن خلدون[2].

منطقة القرارة استقبلت الكثير من الوافدين وهذا ما زاد في تأزم الوضع وإذكاء نار الفتنة بين الساكنة، ولعل مقتل أحد أبناء عرش باخة جعل العصبية تتحرك ويتحرك معها العفافرة وأولاد نوح خارجين من غرداية صوب الأغواط في بداية القرن السادس عشر ميلادي، واستقروا بها ما يقارب ثلاثين سنة، ولما أحس سكان الأغواط أن هؤلاء الوافدين يريدون الاستقرار أخرجوهم وطاردوهم وقتل منهم في منطقة بوتركفين الكثير، أما من نجا منهم فتوجه إلى وادي نسا وفي ملتقى الوادي مع وادي الكبش بنو عمرانا وحفروا بئرا، ولكن بسبب عدم إحساسهم بالراحة والاطمئنان جعلهم يرتحلون هذه المرة إلى وادي زقرير وأسسوا قصر "المبرتخ"[3]، وينسب تأسيس هذا القصر إلى سيدي محمد بن أحمد بن علي بن يحي، وابنيه سيدي أحمد وسيدي سليمان، وهم على المذهب المالكي في النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادي[4].

---

[1]– إبراهيم بن محمد، المرجع السابق، ص، 34.

[2]– إبراهيم بن يحيى، المصدر السابق، ص، 30،31.

[3]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص ص، 87، 88.

[4]– ازدك إبراهيم، المرجع السابق، ص، 39.

إن استمرار اشتعال نار الفتنة أدى في النهاية إلى طرد أولاد باخة فلجؤوا إلى غرداية، فصدوا أمامهم كل أبواب الرجوع، مما دفع بأولاد باخة للاستنجاد بابن جلاب صاحب تقرت مقابل مبلغ من الدراهم، مما مكنهم من تأسيس قرية على كدية سموها "القرارة" لا تبعد عن الميرتخ إلا بنحوا واحد كيلومتر، وعند ارتحال بنوا جلاب تجدد الصراع وعادت الحرب من جديد انتهت بتخريب قصر الميرتخ حوالي سنة1040هـ/1631م وبسبب هذه الحادثة تبرأ بنوا مزاب من أهل لقرارة وبقوا أربعين سنة في حكم البراءة حتى اذعنوا للتوبة فتدخل أعيان مزاب وأصلحوا بين الخصمين، والقرارة اليوم مزيج بين الاباضية والمالكية لهذا عرفت عدة توسعات عمرانية[1].

7/ قصر بريان: ترجع نسبة تسمية القصر إلى ريان بن محمد الذي قام بحفر بئر بناحية تقع ما بين غابة الصيقع والشهري فوجد فيه الماء الوفير، فهي تسقى بفضل جريان وادي السودان[2]، فكان هذا سببا في عمارة المنطقة، فأخذت تسمية هذا الشخص واختلفت الروايات حول نسب ريان بن محمد، فمنهم من يقول أنه من عرش المذابيح ومنه من ينسبه إلى عرش الزناحرة، وفي رواية أخرى يعتبرونه رئيس قبيلة أولاد يعقوب الذي استقبل مهاجري قصر الميرتخ وسمح لهم بالاستقرار وعرفانا بالجميل سميت باسمه[3].

ويذكر القطب أطفيش في رسالته عن أصل التسمية ما يلي: « سمي البلد بريان لأنه بر ريان أي بر غير عطشان أي بر كثير الماء، ويقال أصله بير ريان لأن فيه بئرا معروفة إلى الآن بأنها بئر لرجل حفرها اسمه ريان»[4].

---

[1]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص ص، 88–89.

[2] – Charles Amat, Op cit, p,60.

[3]– إسماعيل بن محمد لعساكر، بريان تاريخ وحضارة، دراسة تاريخية حضارية سياسية اقتصادية اجتماعية دينية ثقافية، مطبعة أسامة، غرداية، 2018م، ط01، ص ص، 19، 20.

[4]– امحمّد أطفيش، المصدر السابق، ص، 38.

إن أصل التسمية يعود إلى آت ايرقان وهي لفظة بربرية المقصود بها خيمة الوبر وشعر الماعز، فأهل بريان اشتهروا بصناعة ونسيج الخيم الرفيعة[1].

ويرجح أن سنة 1101هـ/1690م هي سنة التأسيس خاصة وأن المتعارف في النظام العمراني في واد مزاب يكون مبدؤه المسجد[2]، ويذكر بالحاج معروف في مرجعه "العمارة الإسلامية" أن تاريخ التأسيس هو 1090هـ الموافق لـ 1679م[3]، أما سعيد أعوشت فيذكر أن تاريخ 1060هـ الموافق لـ1690م[4]، وفي حقيقة الأمر أن هذا التاريخ غير منسجم والفارق الميلادي يفوق أربعة وثلاثون سنة، في حين أن مرجع بريان تاريخ وحضارة قد ذكر بأن تاريخ تأسيس بريان كان حوالي 1005هـ الموافق لـ 1595م[5].

ومن خلال هذه المقارنة فالأكيد أن تأسيس القصر كان في القرن الحادي عشر هجري والسابع عشر ميلادي.

✓ **القبائل العربية في وادي مزاب:**

إن العديد من الباحثين الفرنسيين سعوا إلى تأكيد أن بني مزاب أمازيغ، لكن الحقيقة أن بني مزاب ليسوا أمازيغ بصفة كلية بل فيهم الأصول العربية وغير عربية[6].

من القبائل العربية الموجودة في وادي مزاب الشعابنة والمذابيح وهي أشهرها، ضف إلى ذلك بنو مرزوق، والعطاطشة وأولاد يحي والمخادمة وأولاد نايل وأولاد الشرفة وأولاد

---

[1]– بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق ص، 70.

[2]– يوسف بن بكير ، المرجع السابق ص، 90.

[3]– بالحاج معروف، المرجع السابق ص ص ، 63 ، 64.

[4]– بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق ص،71.

[5]– اسماعيل بن محمد لعساكر، ص،32.

[6]– علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج3، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2000م، ط3، ص، 313.

امغازي، وقد وجدت هذه الأعراش منذ القدم في واد مزاب جمعتهم أسباب سياسية وإقتصادية[1].

وقد سكنت قبيلة الشعابنة مدينة متليلي، ويطلق عليهم اسم البرازقة، وذلك كان في القرن العاشر هجري، أما عن أصل التسمية فيرى البعض أن لفظ متليلي بربرية عربية، ويقصد بها الجبل الذي توجد فيه دوائر حلزونية وهذا ما نلاحظه في النطاق الجبلي ونحن داخلون إلى المدينة، ويرى البعض أن التسمية عربية أصيلة نسبة إلى طبيعة واد متليلي – من المتل– أي القوى الشديدة، ويذكر سعيد أعوشت أن هذه القبيلة لها صلة قرابة ورحم مع بعض القبائل البربرية خاصة بين قصر متليلي وقصر مليكة[2].

تنقسم الشعابنة إلى عدة بطون أشهرها: بوروبة، الثوامر، أولاد عبد القادر، بالإضافة إلى مجموعات أخرى من الأشراف والمرابطين والزوي وبعض الزنوج، وتعود أصول الشعابنة إلى قبيلة سليم بن منصور القيسية العدنانية وصلوا في إطار الهجرة الهيلالية[3].

أما المذابيح فسكنوا "ضاية بن صخوة" قادمين إليه من جنوب جبل عمور سنة 995هـ/1587م[4] أصلهم من اليمن بصحراء الأحقاف، قدموا عبر السودان ثم ليبيا فالجريد واستقروا في لماية في جبل عمور، استقدمهم آت أم موسى إلى غرداية لمناصرتهم وكانوا اثنين وأربعين عائلة على المذهب المالكي حرفتهم تربية المواشي[5].

---

[1]– قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص ص، 58، 59.

[2]– علي يحي معمر، المرجع السابق، ص، 71.

[3]– إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، د ر ط، ص، 163. ينظر كذلك الدهمة بكار، دور منطقة غرداية في الحركة الوطنية الجزائرية 1919 – 1995م، ماجستير، جامعة الجزائر 2011 –2012م، ص، 85.

4– بكير بن سعيد اعوشت، المرجع السابق، ص، 72.

[5]– يوسف بن بكير حاج السعيد، المرجع السابق، ص، 85.

أما عن أصل التسمية "ضاية بن صخوة" فهو اسم مركب، الضاية كلمة بربرية معربة لا وجود لها في القاموس العربي، ويقصد بها البركة التي يتجمع فيها الماء والذي يصبح صالح للرعي، وأما ابن صخوة نسبة إلى أحد رجال هذه المدينة[1].

✓ **النظام العمراني في وادي مزاب:**

اهتمت الشعوب منذ العصور القديمة في نظام عمارتها بأن توفر شرط مهما في حياتها، وهو الأمن والاستقرار، فحاول بني مزاب بأن يزود قصورهم بنظم معمارية توفر الهدوء، فالمتجول في قصور الشبكة يلحظ أنها بنيت وشيدت فوق الجبال[2]، ومحصنة بالأسوار وبالأبراج حتى تسلم من الغارات الخارجية[3]، ومنطقة بلاد الشبكة طبيعتها صعبة وعرة الوصول فاختطوا منها قصورهم.

فقصر العطف يحتل سند جبل في طرف السلسلة الصخرية في الضفة اليمنى لوادي مزاب ويحيط به منحدر من ثلاثة جهات، وهذا ما نلاحظه في قصر بونورة حيث بني على هضبة صخرية في شكل جزيرة تحيط به المنحدرات من كل جهة، ويقع التشابه في قصور مزاب كلها مما يجعلها محصنة يصعب دخولها[4].

إن أظهر المساكن استعملت كسور للقصور، وهذه الظاهرة المعمارية منتشرة في الكثير من المناطق الصحراوية كالأغواط، ووادي ريغ، ينتهي هذا السور بمدخل رئيسي مراقب حفظا للأمن والهدوء[5]، والمتجول داخل القصور يشاهد طرق ملتوية في بعض

---

[1]– بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص، 72.

[2]– علال ليندة، دور الحركة التجارية في إزدهار قصور إقليم توات ووادي مزاب وتطورها خلال العصور الحديثة، ماجستر، هندسة معمارية، جامعة الجزائر، 2012م، ص، 191.

[3]– إبراهيم محمد طلاي، الصدر السابق، ص، 26.

[4]– يحي بوراس، المرجع السابق، ص، 34.

[5]– نفسه، ص، 34.

الأحيان بدون مبرر، وفي حقيقة الأمر هو نموذج للخطط الحربية، وحيل للدفاع، وفي قمة الهضبة أو الجبل نجد في غالب الأحيان المسجد ومجموعة من الأبراج للمراقبة والحراسة[1].

المراقب للأسوار الأسواق والمساجد والمداخل يلاحظ آثار التوسعة التي حدثت مع مرور الزمن بسبب تزايد عدد السكان أو استقبال الوافدين الجدد، ويرجع السبب في عدم استحداث قرى جديدة والاكتفاء بالتوسعة راجع إلى ندرة الماء الجوفي، أضف إلى ذلك أن ساكنة غرداية يمنعون تشييد واحة جديدة لأن ذلك يؤدي حتما إلى إلحاق الضرر بواحة غرداية بانخفاض منسوب المياه في الآبار وارتفاع نسبة الملوحة، وتجنبا لهذا فإن حلقة عزابة غرداية اشترت سنة1073هـ/1663م الأراضي الواقعة على جانب الواحة لتمنع الاستقرار بها واستصلاحها[2].

✓ **النظم الاجتماعية في وادي مزاب:**

إن من أهم الأنظمة الاجتماعية والدينية في واد مزاب هو نظام العزابة، رغم أن السلطة قبل هذا النظام كانت متركزة بالتحديد في يد العشائر، ولعل النظام العشائري كان يتحكم في دواليب الأسرة و الفرد، ونحن نعلم جيدا أن مبادئ الدين الإسلامي اهتمت بكل مناحي الحياة التي تهم المسلم من أسرة وسوق وشارع، فالإسلام حريص على الاهتمام بكل شيء فكان يلزم نظام جديد اجتماعي مبني على مراعاة مبادئ العقيدة من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وإيصال الدين الصحيح إلى فئات المجتمع المختلفة، دون المساس بالعشيرة التي أصبحت فيما بعد السند الحقيقي لنظام العزابة وذلك باتخاذهم رؤساء العشائر عونا لهم.

[1]– إبراهيم محمد طلاي، المصدر السابق، ص، 27.

[2]– يوسف بن بكير ، المرجع السابق، ص ص، 82، 83.

1-حلقة العزابة في وادي مزاب:

- **مفهومها:**

يقال أعزب رجل، عزب ومعزابة ومعناه لا أهل له، وعزبتا لأبل أي إبتعدت في المرعى، وأعزبها صاحبها وأعزب إبله أي بيتها ولم يرحها، وورد معناها في القرآن الكريم بمعنى الغياب، مصداقا لقوله: « **وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء** » " سورة يونس الأية 61"[1].

يذكر الشيخ البكري في هذا الصدد نقلا عن أبو عمار عبد الكافي أن العزابة مشتقة من العزوبة والعزلة والتصوف والتهجد على رؤوس الجبال، يعني توجد فيهم تلك الحالات وإن متفرقة، وليست كلها شرطا في كل واحد منهم، لأن الزهد مثلا قد يحمل صاحبه على التبتل انقطاعا للعبادة لكنه يكون قلة، لأن الإسلام الذي يجتهدون في إقامته يرغب في النكاح[2]، لقوله صلى الله عليه وسلم: "**تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**" رواه أحمد وصححه ابن حيان.

ويذكر الدكتور محمد صالح ناصر في مفهوم العزابة « وهي جمع عزاب بفتح العين، مأخوذ من عزب عن أهله أي انفرد عنهم، سموا بذلك لانقطاعهم إلى الله بالاشتغال بأمر دينه»[3].

وفي نفس الصدد خالف الدكتور محمد صالح تعريف أورده الأب المسيحي الايطالي "روبانيكسي" الذي إدعى أن العزابة كلمة جاءت من العزوبة أي ترك الزواج واستدل بأخبار الإمام أبي يزيد مخلد أحد الأئمة الإباضية في النصف الأول من القرن الرابع هجري لما

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج01، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1968م، ص، 79-81.

[2]- عبد الرحمان بن عمر بكلي، مقتطفات من مذكرات البكري، جم، تق عبد الوهاب بن الشيخ عبد الرحمان بكلي، مكتبة البكري، المطبعة العربية، غرداية، 2015م، د ر ط، ص، 258.

[3]- محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، نشر جمعية التراث، غرداية 1999م، ط،2 ص، 276.

سأل عن أحد طلاب العلم فقيل له "تزوج" فقال الإمام لأن يبلغني وفاة أحد من التلاميذ أحب إلي أن يبلغني تزوجه، وحاول روبانيكسي أن يربط بين المذهب الاباضي والرهبانية الموجودة في المسيحية، وهذا الاستدلال غير مؤسس في فكر محمد صالح لأن الإمام كان نفسه متزوجا ولوكان هذا واقعا لبدأ بنفسه، وإن الإمام كان يقصد الحرص في توجيه طلاب العلم إلى مقصدهم[1].

ويذكر محمد إبراهيم طلاي أن العزاب هو من يعزب عن الدنيا ومغرياتها ويبتغي الآخرة، والدعوة إلى الصلاح والتدين بإرشاد وتوجيه الناس وافهامهم الدين الصحيح[2].

ويبدو أن للبكري أحسن تعريف للعزابة لغة واصطلاحا ما ذكره الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش وهو أن العزابة لفظة يطلق على المجلس الديني الذي يتولى بيده الحل والعقد والأمر والنهي وإقامة الشرائع الدينية والإرشاد ونشر العرفان بين الأمة، مأخوذ من العزوبة وهي الإنفراد، وقد أطلق على الذين انقطعوا عن الدنيا إلى الانشغال بالدين علما وعملا[3].

كلمة العزابة مأخوذة من عّزب عن أهل أي الإنفرد والإنقطع عنهم، أما اصطلاحا فيقصد بها الاعتزال والفردة والبعد عن الشهوات وكمالياتها خدمة للدين الإسلامي، وخدمة للمجتمع انطلاقا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبتعدا عن مفاتن الدنيا[4].

- **نشأة حلقة العزابة:**

نظام حلقة العزابة في وادي مزاب طرأ عليه تطورا كبيرا منذ تأسيسه من قبل الأوائل ليصبح نظاما متكاملا يهتم بكل نواحي الحياة، ويعود ظهور هذا النظام إلى القرن الرابع هجري، بعدما أن حلت بالإباضية النكبات المتتالية في المغرب الأوسط، وخاصة حينما

[1]– محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص، 277.

[2]– إبراهيم محمد طلاي، المصدر السابق، ص، 44.

[3]– عبد الرحمان بن عمر بكلي، المصدر السابق، ص، 259.

[4]– بالحاج معروف، المرجع السابق، ص ص، 71 – 72. ينظر كذلك .E.Masqueray,OP cit, p,43,45

استولت الدولة العبيدية على زمام الأمور، ولحق القهر والغلبة بالزناتة فحلوا بالصحاري، فكانت ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المشهور بصاحب الحمار ضد المنصور العبيدي وإن باءت بالفشل رغم أن أبناءه ثاروا ضد مقتل أبيهم، وتوالت الثورات بقيادة أبي خزر يغلي بن زلتان[1]، أحد أعلام الإسلام وإن أجهضها الملك العبيدي قبل قيامها إلا أن هؤلاء الأعلام كان لهم الفضل في وضع الأسس الأولى لنظام العزابة[2]، القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولقد لخص عمر اسماوي أسباب نشأة نظام العزابة أو تطوره إلى الظروف التي عاشتها إباضية المغرب الإسلامي بعد سقوط تيهرت (296هـ/909م)، فهذه الظروف أصبحت تهدد المذهب الإباضي مما دفع الكثير من شيوخها إلى التنقل والفرار بمذهبهم للمحافظة على هذا الكيان، و على نظام الجماعة، والاهتمام بشؤون الفرد المسلم وعدم التعرض للسلطان، فاهتدوا إلى التدريس السري فظهرت مرة أخرى في تاريخ الإباضية التعليم في الغار بعيدا عن الأنظار، وتطورت هذه الحلقات إلى نظام العزابة[3]، الذي قام مقام الإمامة وصب جام اهتمامه في الأمور التعليمية السلوكية وأعرض عن الجوانب السياسية الظاهرية، وذلك لحفظ الإباضية من الاندثار والزوال دون أن يعرضهم ذلك للحروب والفتن، ولهذا الغرض فر الإباضيون إلى الصحاري بكتبهم النفيسة خوفا من التلف والضياع كما حدث لمكتبة "المعصومة" بتاهرت التي أحرقها العبيديين[4].

وقد توج هذا المجهود بوضع أسس لنظام العزابة بفضل عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي سنة 413هـ/1023م في مسجد المنية بمدينة تقيوس في عام "هزيمة الأبراج"

---

[1]– محمد بن عبد الرحمان بكلي، المصدر السابق، ص، 257.

[2]– محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص، 274.

[3]– اعمر سماوي، المرجع السابق، ص، 16.

[4]– نفسه، ص، 19.

التي قام به زناتة على صنهاجة، وإن كانت البدايات في ترتيب الحلقة ليس بهدف الإشراف على المجتمع الإباضي أو السلطة والإخضاع، وإنما الحلقة التي نظمها الشيخ أبو عبد الله وتلميذه أبي الربيع سليمان ابن يخلف المتوفى عام 471هـ/1079م وتلميذه ابن الخطاب عبد السلام منصور بن وزجون ليست إلا هيئة تربوية تعليمية بعيدة عن السلطة والجوانب السياسية، هدفها الوحيد نشر الدين الإسلامي بالمبادئ الإباضية، وتطبيق تعاليمه ميدانيا.

ويؤكد علي يحي معمر أن (نظام الحلقة) لم يبق على ما سطره الإمام أبو عبد الله ولا على ما حرره تلميذه أبو الربيع سليمان بن يخلف، وإنما تطور مع الزمن فكانت تضاف إليه من حين إلى آخر تنظيمات وصلاحيات جديدة فكان هذا النظام يتولى كل القضايا حسب حكم الله ماعدا إقامة الحدود لأنها من شأن الدولة فكانت الحلقة أحسن بديل للإمامة[1]، ومع مرور الزمن أصبح تنظيما إسلاميا قائما على الأمر بالمعروف والنهي على المنكر وقد وصفه أحمد توفيق المدني وصفا دقيقا بقوله « إن مجلس العزابة هو الهيئة العليا في المدينة، لها النفوذ الروحي على المجتمع الإباضي والسلطة المطلقة في كل حالة...»[2].

تسمية الحلقة أشتقت من الشكل الحاصل اثناء جلوس طلبة العلم حول شيخهم في حلقة دائرية الشكل، كما أن أعضاء العزابة في إجتماعاتهم للتشاور يستدرون في جلوسهم[3].

---

[1]– علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، الإباضية في الجزائر، ج1، المطبعة العربية، 1984م، ص، 171. ينظر كذلك: مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (196–442هـ/909–1058م)، نشر جمعية التراث، الجزائر، 1996م، ب ر ط، ص، 195، 196.

[2]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص، 110.

[3]– إبراهيم بحاز وآخرون، معجم المصطلحات الإباضية، ج02، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2008م، ص ص، 700،701. ينظر كذلك: بغني عيسى مسعود، معجم الألفاظ الشاملة، منشورات تاوالت الثقافية، ، د ت، ص، 120.

يُختار أعضاء المجلس من خيار القصر الذين اتصفوا بالعلم، والورع والإخلاص، وحسن التدبير، وحفظ القرآن، وعمارة المسجد، وحسن السيرة والنزاهة في معاملاتهم اليومية، وأن يكونوا متزوجين، ويشترط الكفاءة العلمية، والقدرة المالية حتى لا يكون عالة على المجتمع، وهذا دفعا للحاجة المادية، فإن الذي ينظم إلى المجلس يتطلب فيه إن يكون صاحب عمل أو حرفة حرة، فأعضاء العزابة كلهم يكسبون قوتهم من كد يمينهم، فهذا يضفي على عضويتهم التعفف ويجعلهم أفضل في الحياة الاجتماعية[1].

يذكر البكري أن مجلس العزابة يتركب من اثني عشر عضوا[2] يشتغلون في الوظائف التالية:

- واعظ ومرشد (وهو الشيخ في الغالب).
- إمام الصلاة.
- مؤذن.
- فقيهان للمحاضر.
- وكيلان لشؤون المسجد وأوقافه لا يتصرف أحدهما إلا بالاتفاق مع زميله.
- خمسة أعضاء يتولون تجهيز الموتى احتسابا[3].

[1]– عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران 2007م، د ر ط، ص ص، 171 ، 172.

[2]– زقاوي محمد، بلبشير عمر، "الحركة العلمية بورجلان من خلال نظام حلقة العزابة مابين القرن (4–6هـ) علم الكلام نموذجا"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج08، ع01، جامعة معسكر، ص ص، 206، 207.

[3]– عبد الرحمان بن عمر بكلي، المرجع السابق، ص، 260.

وقد يتجاوز مجلس العزابة هذا العدد إلا إذ اقتضت الضرورة ذلك مثل التوسع العمراني والسكاني، وتنوع مصالح الناس في القصر، ولهذا المجلس جلسة أسبوعية معينة يلتقي فيها العزابة للتدارس والتشاور[1].

يقول الأستاذ إبراهيم طلاي، وهو أحد أعضاء مجلس العزابة، أن الإشراف على شؤون القصر من اختصاص مجلس العزابة ويساعده في ذلك الهيئة المدنية أو ما يسمى مجلس العوام، أو مجلس الجماعة وهو بمثابة هيئة تنفيذية تتكون من رؤساء العشائر، ولكن هذه المساعدة تكون تحت إشراف العزابة مراعاة للجوانب الشرعية، فمجلس العوام يتولى الفصل في الخصومات[2]. ويذكر عبد العزيز شهبي أن هذه الجماعة يساعدها في أداء مهام مجلس "المكاريس" وهذا المجلس بدوره يتكون من العوام الذين يتصفون بالشجاعة والقوة، مهمتهم الرئيسة حفظ الأمن وحراسة ممتلكات الناس وحرمتهم"[3].

ولما كانت المرأة تشغل دورا مهما في المجتمع المزابي كان لزاما هيئة خاصة بالنساء تتولى شؤون المرأة، فأصبحت هيئة الغاسلات أو "تمسردين" من ضمن الهيئات التي تعمل تحت إشراف حلقة العزابة، لهن دور فعال في مراقبة المجتمع النسوي في وادي مزاب، ومن أهم عاداتهن التي لم يزل يحافظن عليها إلى الآن "مؤتمر الغاسلات النسوي" "لا إله إلا الله"[4].

---

[1]– عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص، 173.

[2]– محمد إبراهيم طلاي، المرجع السابق، ص، 53.

[3]– عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص، 174.

[4]– إبراهيم بن يحي، المرجع السابق، ص، 70.

- **أدوار مجلس العزابة:**

1-الدور الديني:

من أهم الأدوار الدينية التي قام بها مجلس العزابة الإمامة والإفتاء والآذان والنظر في الأوقاف وتأديب الصبيان، وتغسيل الأموات والوعظ والإرشاد، فالمساجد في وادي مزاب لا يقتصر دورها على أداء الصلوات الخمسة المكتوبة، وإنما يتعدى ذلك إلى مهام أخرى كتوجيه المجتمع وإخراجه من الظلمات إلى النور، بدأ ذلك في عهد الشيوخ الذين ظهروا في القرن الثالث عشر هجري وتكرس في زمن القطب أطفيش والشيخ بيوض[1].

2-الدور الاجتماعي :

لا يقتصر دور المجلس في المسجد، بل تغلغل في أعماق المجتمع، فتفقد السوق والمتجر والحقل والمصنع، فهم يحرصون كل الحرص على تنظيم العلاقات الاجتماعية[2] فالعزابة هي العمود الفقري لكل التظاهرات الاجتماعية من أفراح وأقراح، فهذه المشاركات ليست مظهرية بقدر ما هي أساسية في وضع نظمها من تشييعا للميت وقيادة حفلات الأعراس وتحديد المهور والصداق بكيفية ترضي الله ورسوله، كما أن أعضاء المجلس وبمساعدة شيوخ العشائر يشاركون في جمع الصدقات والزكاة وتوزيعها على أصحابها، ولتحقيق التوازن الاجتماعي فإنهم يطبقون الولاء والبراء بين الأشخاص حتى يصلح المجتمع وتقل الكبائر وتنتشر الفضائل[3].

---

[1]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص ص، 81، 86.

2- عزاوي حمزة، "أبعاد الترابط الاجتماعي في قوانين نظام العزابة عند بني مزاب"، مجلة معالم للدراسات القانونية والسياسية، مج03، ع02، المركز الجامعي تندوف، 2019م، ص، 221.

[3]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص ص، 287 – 293.

3-الدور التربوي:

إن المنحى الذي رسمت عليه الحلقة في بادئ الأمر قام على التربية و التعليم، وقد حافظ العزابة على هذا الدور فأصبحت تربية النشء، والعناية بتحفيظهم القرآن الكريم، وتعليمهم اللغة العربية والشريعة الإسلامية أهم الوسائل على استمرارية المجتمع عقيدة وعملا وسلوكا ومذهبا، ففي العصر الحديث أسست لهذا الدور المدارس والجمعيات التابعة للعزابة والمشرفة عليها[1] مما فتح فرصة التعليم للجميع ومجانا منذ القرن الخامس هجري[2].

4-الدور الاقتصادي:

تشرف حلقة العزابة على الجانب الاقتصادي، ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع تبين لنا أن هذا الدور هو بمثابة ويشبه كثيرا نظام الحسبة الذي طبق في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، فالعزابة رقيب البيع والشراء والأسواق، فحاربت الانحراف في التعاملات التجارية مثل الغش والتطفيف والاستغلال والاحتكار وكل الظواهر التي نهي عنها الشرع، وفض النزاعات التي تطرأ بين البائع والشاري وقد يتحول العزاب إلى محاسب والخبير التجاري لجرد التعاملات السنوية، كما أن الهيئة تشرف على مراقبة المذابح وإن كان هذا الدور قد تقلص وأصبح من اختصاص الحكومة، وقد وضعت العزابة نظم وقوانين وقواعد دقيقة في مجال التخطيط العمراني ما يحفظ حقوق الفردية والجماعية[3].

5-الدور السياسي:

بما أن مجلس العزابة يمثلون نخبة المجتمع المزابي، وخيرتهم، والسلطة الروحية، وقادته فإنهم كانوا يتحملون مهمة الدفاع، وحماية المجتمع ضد التدخلات الخارجية

[1]- حشاني أحمد، " نظام العزابة ودوره في تأمين التماسك الاجتماعي للمجتمع الإباضي في منطقة وادي ميزاب" مجلة روافد للبحوث والدراسات، مج05، ع02، جامعة غرداية، ص ص، 91،94.

[2]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص ص، 293 – 295.

[3]- نفسه ص ص: 295 – 298.

الأجنبية، وقد قاموا بهذا الدور في مختلف المراحل التاريخية، واتضح بوضوح في فترة الاحتلال الفرنسي رغم ما تحملته من سياسات هدفها التقليل من شأن هذا المجلس الموقر، فتراوحت الأدوار السياسية للعزابة بين التحدي حينا والدبلوماسية حينا آخر، ولعل أكبر دور قام به هذا المجلس هو التمسك بالإسلام واللغة العربية وهي كفيلة بمقاومة الاحتلال[1].

✓ **السلطة المركزية في قصور وادي مزاب:**

إنما وضع مجلس العزابة لحل، والفصل في المنازعات، والخصومات التي تظهر في القصر ولكن في بعض الحالات فإن الأمور تتجاوز هذا المجلس، ويحدث التمرد من العامة على الهيئة أو القرار الصادر منها، فوفقت قصور وادي مزاب إلى هيئة عليا تخفف هذا التمرد فكان لهذا النظام الجديد الدور الفعال في استقرار المنطقة وتنظيمها، والمسمى مجلس عمي سعيد فهو بمثابة المجلس الجهوي الذي يجتمع فيه كل ممثلي وادي مزاب من عزابتهم وعوامهم[2].

إن مجلس عمي سعيد هيئة دينية اجتماعية تتألف من كبار وأعيان وعلماء عزابة مدن وادي مزاب، ينوب عن كل قصر ثلاثة عزابة من كل قصر[3] في هذه الهيئة الجديدة، يشترط فيهم الأخلاق والكفاءة العلمية، إذ أصبح مجلس عمي السعيد مشكلا من مجموعة أعضاء العزابة، ومجموعة أعضاء مجلس الجماعة (العوام) عن كل قصر، ويختار رئيس هذا النظام الجديد عن طريق الاقتراع الحر، ويشترط فيه أن يكون عالما وذا كفاءة وذا شخصية قوية، يجتمع هذا المجلس كل ثلاثة أشهر، في جلسات عادية.

[1]– المرجع السابق، ص ص: 298 – 300.

[2]– محمد إبراهيم طلاي، المرجع السابق، ص: 55.

[3] – Charles Amat, Op,cit, p160.

يجتمع استثناءا في الحالات الطارئة، أما عن مقر الاجتماع فكان يعقد قديما في قصر مليكة بمسجد الشيخ أبي عبد الرحمان الكرثي[1] الذي يعد أحد أعلام الفكر الإباضي في القرن السادس هجري، وبعد ذلك أصبح يعقد في روضة الشيخ أبي مهدي عيسى ابن اسماعيل الذي عاش في القرن العاشر هجري، إلى أن استقر الاجتماع في مسجد الشيخ عمي سعيد بن علي بوحميدة بن عبد الرزاق بن السعيد الخيري الجربي[2] المتوفى في القرن التاسع هجري[3].

وقد سمي هذا المجلس باسم عمي سعيد تشريفا واعترافا بفضله وعلمه الذي أمد به هذه الهيئة، فقد أعطاها بتجربته نفسا جديدا وصلاحيات واسعة[4]، فقد وفد هذا العالم إلى وادي مزاب يطلب من سكانها لما استفحل أمر الجهل وشهدت المنطقة فترة من الجمود وكان هذا القدوم سنة 854هـ/1450م .[5].

يجتمع مجلس عمي سعيد للفصل في النوازل الفقهية والقضايا التنظيمية وتوحيد الفتاوى فيما عمت فيه البلوى، وإخماد الفتن والخلافات والنزاعات التي قد تظهر في المنطقة،

---

[1]– عبد الرحمن الكرتي المصعبي: من أعلام وادي مزاب، ومن القاطنين الاوائل لها، قصده طلاب العلم من كل قصور الوادي، كانت تعقد في مصلاه جلسات المجلس الأعلى لأعيان زاب، توفي خارج وادي مزاب. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص،245.

[2]– سعيد بن علي بن يحي بن يدر بن سليمان ابن عثمان الجربي الخيري (أبو صالح): ولد في قرية أجيم بجزيرة جربة بتونس، وبها نشأ وأخذ العلم، قدم إلى وادي مزاب لما تفشى بها الجهل سنة 854هـ/1450م، ولعل من بين أهم إنجازاته هو تأسيس هيئة أسماها في البداية مجلس الفتوى، جمع هذا المجلس كبار العلماء من وادي مزاب، وقد أطلق عليه بعد وفاته اسم مجلس عمي سعيد، كما أن للشيخ الفضل في إنشاء دار التلاميذ (إيروان) في غرداية درس فيها مختلف العلوم الشرعية واللغوية، نسخ وجمع الكثير من الكتب وضمها في خزانة دار إيروان، توفى في غرداية سنة 898هـ الموافق لجانفي 1492م. ينظر: نفسه، ج2، ص،182.

[3]– نفسه، ص: 56، ينظر: بكر بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص، 112.

[4]– محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص، 306.

[5]– سعيد بن بكير أعوشت، المرجع السابق، ص، 112.

كما أن هذا المجلس ينظر في قضايا الاستئناف التي ترفع من طرف قصور وادي مزاب فهو بمثابة محكمة تشريعية عليا في وادي مزاب[1].

✓ **علاقة قصور وادي مزاب بالحكام الأتراك في الجزائر:**

إن الرجوع إلى هذه الفترة لما أصبحت الجزائر أيالة عثمانية في القرن السادس عشر ميلادي، حينما كانت قصور وادي مزاب مستقلين في حكمهم وتسيير شؤونهم الداخلية بفضل نظام العزابة بمختلف هيئاته، وحسب محمد إبراهيم طلاي وما يذكره في مؤلفه "ميزاب بلد الكفاح" فإن هذه المرحلة يكتنفها الكثير من الغموض، وشك في وجود اتصال وثيق مع الأتراك في الجزائر باعتبار أن منطقة وادي مزاب كانت بعيدة عن مركز السلطة وجانبهم مأمونا، وفي نفس الوقت يشعر المؤلف بشيء من عدم الاطمئنان إلى أن المزابيين كانوا منعزلين عنهم، وربما كان هناك شيء من التبعية الاسمية فقط لا تؤثر في الأنظمة السائدة في المنطقة[2].

ولعل أول اتصال بين الولاة العثمانيين والمزابيين المهاجرين للتجارة في مدن الشمال " قسنطينة – الجزائر – سوق اهراس " أو حتى خارج الوطن باتجاه تونس والمغرب كان في شكل معاهدة لضمان المصالح المتبادلة[3]، فقد ابرمت هذه المعاهدة سنة 922هـ/1516م حسب قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج في مرجعه " معالم النهضة الإصلاحية " وكانت بنود المعاهدة تدور حول حماية المزابيين ومذهبهم وتجارتهم أثناء التنقل في الأجواء، مقابل

[1]– ناصر بالحاج، النظم والقوانين العرفية بوادي ميزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين)، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث، جامعة قسنطينة 2013–2014م، ص،48.

[2]– محمد إبراهيم طلاي، المرجع السابق، ص: 46.

[3]– نفسه، ص: 46 – 47.

ضريبة سنوية يتولون إيصالها لدار السلطان، مع اشتراطهم عدم التدخل في شؤونهم الداخلية[1].

ويذكر الشيخ القرادي أن أول اتصال بالدولة التركية في الجزائر كان سنة 916هـ/1510 لحماية تجارتهم في مختلف أنحاء الجزائر الشمالية، ويعتبرها الشيخ أول وثيقة سياسية ربطت الصحراء الجزائرية بالحكام الأتراك عن رضا وطواعية، قبل وصولهم إلى بسكرة وتوقرت والأغواط سنة 1199هـ/1785م[2].

إلا أننا ما نلاحظه هو عدم التقارب بين التاريخ الذي ذكره قاسم بن احمد والشيخ القرادي، وإن وجد التقارب فهناك إشكالية كبيرة تطرح هو أن هذان التاريخان كان قبل أن تصبح الجزائر إيالة عثمانية، لهذا نرجع ما ذكره إبراهيم طلاي أن الرابطة والاتصال الذي حصل بين الولاة العثمانيين في الجزائر وبني مزاب يعود إلى الأيام الأولى لقيام الحكم التركي[3]، والمسلم به هو أن منطقة وادي مزاب قد ارتبطت بالحكم العثماني منذ أن أصبحت الجزائر تابعة للباب العالي، وقد التزم العثمانيين بعدم التدخل في شؤون العزابة، وأبقت تبعيتهم إليها شكلية اسمية طوال مدة حكمها للجزائر، ويقول أحمد توفيق مدني "لما كان الميزابيون يهاجرون إلى مدن التل باستمرار قصد التجارة والكسب، فقد اعترفت قصورهم منذ انتصاب الأتراك بالبلاد بالتبعية للديوان، وإنما كانت التبعية اسمية فقط ولم يحدد مداها، فكان استقلالهم مطلق في بلادهم"[4].

---

[1]– قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص: 32.

[2]– الشيخ القرادي، حياته وآثاره، تق: محمد ناصر ،جمعية النهضة، المطبعة العربية، الجزائر 1990م، ص:176.

[3]– محمد إبراهيم طلاي، المرجع السابق، ص: 47.

[4]– أحمد توفيق مدني، محمد عثمان باشا، سيرته وحياته، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م، د ر ط، ص، 138.

✓ **مشاركة بني مزاب في مقاومة الاحتلال الأوربي لشمال إفريقيا:**

لما أحس الحاكم التركي بالجزائر خير الدين بربروس[1] بخطورة الوضع وحصار مدينة الجزائر واحتلال كدية الصابون من طرف الأسبان، استدعى إلى دار السلطان الشيخ باحيو بن موسى وهو من العطف، وأمين المزابيين في الجزائر العاصمة بكير بن الحاج محمد بن بكير وهو من مليكة، يستشرهم حول الوضع فأشاروا عليه بضرورة القيام بعملية فدائية.

واتفقوا معه بأن يقوموا هم بالعملية، فزودهم بالأسلحة من قصر القصبة، فاجتمع المزابيون في فرن الشعبة وهو موضع مسجد الإباضية بالعاصمة حاليا، واختاروا من بينهم سبعين فدائيا وهذا حسب حمو محمد عيسى النورى، في مرجعه "دور الميزابيين"[2]، في حين يذكر أحمد توفيق المدني في مرجعه "حرب الثلاثمائة سنة" أن عدد الفدائيين كان خمسمائة ولم يذكر أنهم مزابيين[3].

هؤلاء ومهما كان عددهم قرروا أن يحملوا أسلحتهم في نعش ويتظاهروا أنهم يمشون في جنازة إيهاما للعدو حتى دخلوا المعسكر وقاموا بنسف مستودع السلاح وأضرموا النار في القوارب التي توصل إلى الأسطول، وما ساعد الفدائيين الأمواج العاتية التي قتل على إثرها

---

[1]– خير الدين بربروس: بحار من جزيرة مدلي اليونانية التابعة للدولة العثمانية. ينظر، إبراهيم سعيود، "تأثيرات الوجود العثماني في بعض مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر"، مجلة الدراسة التاريخية، مج16، ع02، جامعة الجزائر2، 2015م، ص، 166.

[2]– حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ج1، ص ص، 206،207.

[3]– أحمد توفيق مدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ط3، ص، 207 – 208.

أربعة آلاف مقاتل، وكانت هذه النكبة على الإسبان يوم الأحد 13 شعبان 924هـ الموافق 29 أوت 1518[1].

✓ **حملة شارلكان ومساهمة المزابيين فيها:**

إن المساهمة في فك الحصار عن الجزائر وطرد الحصار من كدية الصابون ما هو إلا استمرار للولاء وسون العون للدولة العلية في الجزائر، ولعل بعد أن أخضع الإسبان العائلة الحفصية في تونس، والزيانيين في تلمسان فكروا على القضاء على الجزائر خاصة بعد حصارها، وقطع طرق المساعدات من شرقها وغربها، فإن تم لهم ذلك سيطروا على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وتراجعت أمام هذا النصر فرنسا حليفة الأتراك[2].

في هذه الأثناء استطاع البابا يوحنا الثالث الذي دأب على مطاردة سفن المسلمين وغيرهم[3] من تحرض المجتمعات المسيحية على المسلمين، طالبا الدعم المالي، فكونوا أسطولا بحريا ضخما مزودا بجيش من المتطوعين من أجل الهجوم على الجزائر، فكانت هذه الحملة بدوافع صليبية تحمل الكثير من الحقد الدفين على كل ماله علاقة بالمسلمين، خاصة وأن الجزائر قد حملت الراية الإسلامية ردحا من الزمن، فكانت حملتهم بقيادة الإمبراطور شارلكان (شارل الخامس) [4] في إطار حربه ضد العثمانيين وتنافسه مع فرنسا وقد رافقه

---

[1]– حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ج1، ص: 207.

[2] – E. Raveme, « un épisode de l'expédition de 1541 contre Alger » in 12 revue Africaine 3 et 4ème Trim, 1931, P, 180.

[3]– إبراهيم سعيود، "لمحة عن الصراع الجزائري الإيطالي خلال العهد العثماني" مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج02، ع01، جامعة الجزائر، 2009م، ص209

[4]– الإمبراطور شارلكان (1500–1585م): ابن فيليب الأول وجوان ملكة قشتالة وحفيد فيرديناند الثاني ملك أراغون وإيزابيلا ملكة قشتالة، تولى عرش أسبانيا سنة 1516م وأصبح إمبراطور الغرب بين سنتي 1519–1565م، حارب العثمانيين ودخل في صراع طويل مع فرانسوا الأول. ينظر: الشيخ لكحل، نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م، مذكرة شهادة ماجستير، تاريخ حديث، جامعة غرداية، 2013م، ص، 13.

أندريا دوريا[1] في 20جمادى الثانية الموافق 20 أكتوبر 1541م، وكان في المقابل حسن آغا على أتم الاستعداد لصد العدو[2].

وقد ساعدهم في هذه المهمة ورد أسطول العدو البحر ورياحه واضطرابه، مما تسبب في تحطم الكثير من سفن العدو وفساد أسلحتهم الحربية، فأبحر الإمبراطور شارل الخامس راجعا خائبا إلى بجاية ومنها إلى أوروبا راميا تاجه حالفا على عدم وضعه على رأسه حتى يتمكن من الجزائر، والظاهر أنه حرم نفسه من هذا التاج إلى الأبد، وفي روايات شفهية يقال أن بعض القادة الأوربيين الذين رفضوا الانسحاب احتموا بحامية قدرت بألف مقاتل سلطت جام غضبها على العاصمة حتى عاش السكان في ضيق من أمرهم، وحينها قرر بعض الإباضة المزابيين رفع هذا الضيق على العامة، فتسللوا إلى الحامية بزي نسائي واقتحموها وقتلوا جميع الاسبانيين[3].

ويذكر إبراهيم طلاي في هذا الصدد نقلا عن دوماس (dau mas) في كتابه "عادات وتقاليد الجزائر" "Mœurs et coutumes de l'Algérie" الذي أصدره سنة 1270هـ/1853م أنه عندما هاجم شارل الخامس العاصمة سنة 948هـ/1541م وتمركز في بعض التلال خلفها وفي برج مولاي حسن المدعو Fort l'Emperur خنق الأسبان العاصمة وطوقوها، فقامت جماعة من المزابيين بعملية فدائية خطيرة إذ هاجموا هذا البرج نسفوه وأسكتوا مدفعيته، وبفضل هذه العملية سلمت العاصمة من قنابل الأسبان[4].

---

[1]– أندريا دوريا(1466–1560م): أمير بحر وسياسي إيطالي من جمهورية جنوى، دحل في خدمةالأمبراطور شارلكان. ينظر: احمد توفيق مدني، المرجع السابق، ص ص، 220، 221.

[2]– بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1480–1548، دار النفائس، بيروت، 1970، ط1، ص، 139.

[3]– سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر وتق وتع أبو العيد دوود، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص، 164.

[4]– محمد إبراهيم طلاي، المرجع السابق، ص: 47.

ولعل هذه الحادثة كانت في خضم حرب العصابات التي طبقها المجاهدون في المدينة، ولم يكن الأوربيين على دراية بها ولم يحسنوها بعد، مما كبد القوات الاسبانية والايطالية والمالطية خسائر فادحة، حتى قال أحد فرسان مالطة في تقريره عن المعركة "لقد أذهلتنا هذه الطريقة في الحرب لأننا لم نكن نعرفها من قبل"[1].

✓ **موقف بني مزاب من أزمة الكراغلة:**

في سنة 1049هـ/1639م وضع الكراغلة مخططا للاستيلاء على الحكم وطرد الباشا حسين، مستغلين إنتفاضة الإنكشارية، واتهام الباشا بالنهب، لكن لما تناهى إلى مسامع الأتراك خبر اجتماعهم في حصن السلطان، سارعوا في إفشال مخططهم مستعينين بجماعة مزابية ألبسوهم لباس نسائي حاملين معهم الأسلحة، دخلوا إلى الحصن في ثوب وصورة نساء هاربين من ظلم واستبداد الأتراك، وبمجرد ولوجهم الحصن هاجموا الكراغلة وأخضعوهم ومنعوهم من دخول المدينة[2].

ويذكر بن المفتي في تاريخ هذه الحادثة ما يلي: "... ولا أستثني إلا الخصومة التي وقت بين الترك والقُلغاز فلقد بلغ الأمر حد الاقتتال كما ذكرت سابقا في 19 رمضان بينما وقع النفي في التاسع والعشرين من نفس الشهر من سنة 1038هـ (1629م) أي آخر أيام رمضان"[3].

وفي حقيقة هذه الحادثة أن التمرد لم يقده الكراغلة لوحدهم بل كانوا طرفا في التحالف الذي حصل بينهم وبين أهالي المناطق الداخلية، فما كان من الأتراك إلا أن اعدموا زعماء

[1]– بسام العسلي، المرجع السابق، ص، 153.

[2]– الحاج موسى بن عمر، المرجع السابق، ص، 24.

[3]– بن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، جم: فارس كعوان، بيت الحكمة الجزائر، 2009م، ط1، ص، 84.

هذا التمرد والعصيان، وسلبت أموالهم، وطردوا من كان على هذا النهج خارج المدينة وتحذيره من العودة[1].

تركت هذه العملية البطولية التي قام بها المزابيون الأثر الحميد في توطيد الروابط بين إباضية الجزائر والحكام العثمانيين، حيث منحت لهم الإيالة على إثرها عدة امتيازات تمثلت في الإشراف على إدارة بعض المهن والحرف، وبعض المرافق العمومية مثل المسالخ والحمامات والمخابر في مدينة الجزائر، مكافأة لهم على هذا العمل البطولي، وقد احترم الحكام الأتراك هذه الامتيازات وأبقتها متوارثة بينهم، ولا يزال عدد من الحمامات إلى اليوم ملكا للمزابيين كحمام سوق الكتان وحمام المالح وحمام الجنينة وحمام الصغير[2]، بالإضافة إلى حرف أخرى[3]، ومنحهم على إثر هذا النشاط صفة العضوية الكاملة والدائمة لأمينهم كفئة البرانية بمدينة الجزائر لحضور المجالس الاستشارية[4].

كان وادي مزاب مواليا للأتراك منذ مجيئهم إلى بلاد المغرب، ولعل اتصالهم بعروج[5] لما حل بجزيرة جربة بتونس سنة 916هـ/1510م خير دليل، وبقي هذا الولاء فترة طويلة من الزمن لا تشوبه شائبة، إلا ما حصل زمن والي قسنطينة "صالح باي"، وهذا كان عهد الحاكم التركي حسن باشا الدولاتلي سنة 1207هـ/1792م[6].

---

[1]– عزيز سامح البر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ط1، ص ص، 327 – 328.

[2]– الشيخ القرادي، المرجع السابق، ص: 176.

[3]– بالحاج ناصر، " التنظيمات الفرنسية للجماعات الحرفية..."، المرجع السابق، ص، 355.

[4]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت2000م، ط1، ص ص، 415– 416.

[5]– عروج (873هـ/924هـ–1468م–1518م): مؤسس دولة الجزائر وهو أخو خير الدين بربروس من عائلة تركية. ينظر: بسام العسلي، المرجع السابق، ص، 186 وما بعدها.

[6]– ازدك إبراهيم، المرجع السابق، ص،45.

لما قام واليه في قسنطينة [1] بإخضاع بعض القبائل في جبال العمور المتمردة وجعلها تحت سلطته ووجه أنظاره إلى وادي مزاب وكان له ذلك خاصة بعد سوء التفاهم الذي حدث بينه وبين بعض كبار التجار المزابيين بقسنطينة حول قيمة الضرائب الواجب دفعها[2]، ثم إن صالح باي لم يتغير موقفه اتجاه المزابيين فقط، وإنما كان هذا التغير في نظرته السياسية وصل حد التفكير في الاستيلاء على الحكم في دار السلطان خاصة بعد وفاة محمد عثمان باشا[3].

وقد تناهت هذه الحادثة إلى مسامع المزابيين، فتحركوا في اتصالات حثيثة مع دار السلطان ومع حاشية داي الجزائر لمنع هذا العمل[4].

وقد اجتمع العزابة و العوام وانتدبوا الشيخ الحاج بن عبد الرحمان بحمان[5] ليقوم بتحرير رسالة في هذا الشأن، يستنكرون من خلالها هذا التسلط الصادر من صالح باي على قصور وادي مزاب، فأرسلت هذه الرسالة إلى أمين المزابيين في العاصمة "إبراهيم بن صالح" ومكان له إلا أن يقدمها إلى الباشا بواسطة صهره الحاج علي بن عبد اللطيف، فلما قرأها أدرك معناها وفهم مغزاها فتراجع على إثرها حول ما أبرمه لصالح باي خوفا من أن يثور

[1]– صالح باي: ابن محمد الشريف من عائلة تركية ولد سنة 1190هـ/1776م، أمه من عائلة بن قانة من جنوب قسنطينة، عُين الحاج أحمد بايا على بايلك الشرق وشغل هذا المنصب 16 سنة، توفي سنة 1266هـ/1850م. ينظر: بوضرساية بوعزة، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم (1830م–1848م)، دار الحكمة، الجزائر، 2010م، ص، 57.

[2]– موسى الحاج اعمر، المرجع السابق، ص، 28.

[3]– حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ج1، ص، 229.

[4]– قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 33.

[5]– نفسه، ص، 33.

عليه بماله من مكانة ونفوذ وسطوة في بالك الشرق خاصة، وأنه بقي في السلطة هناك اثنان وعشرون سنة[1].

وحينها أصدر حسن باشا أمر عزله وأرسل بايا جديدا على قسنطينة وهو إبراهيم بك بوصباع، فغضب صالح باي وقام بقتل الباي الجديد وجماعته التي قدرت بأربعين نفرا، ولعل هذا العمل الشنيع أدى إلى انقلاب أعيان وأعلام قسنطينة عليه، وبلغ الخبر السلطة المركزية، فأوفد الباشا بايا جديدا هو حسين بوحنك المشهور "بالوز ناجي" ومعه أمرا بإعدام صالح باي، فما كان يصل إلى قسنطينة حتى كان أهلها قد قبضوا على صالح باي أسيرا ونفذ فيه حكم الإعدام وصودرت أملاكه، فحافظت بذلك منطقة وادي مزاب على خصوصيتها في تسيير شؤونها مع الالتزام على ما نصت عليه أول معاهدة بينهم وبين السلطة المركزية[2].

ومن خلال ما سبق لا يمكن أن نحصر حادثة إعدام صالح باي في أمر تطاوله على المناطق الصحراوية وبالتحديد وادي مزاب، وإنما هذا التطاول يعتبر خطأ من جملة الأخطاء السياسية التي ارتكبها الباي في آخر عهده فكانت نتيجتها الإعدام، وإن كان تاريخ العثماني في الجزائر قد اشتهر بهذا النوع من الاغتيالات والإعدامات التي سببها على العموم حب السلطة والسيطرة وجمع الثروة على حساب الأهالي.

قد تواجد بنو مزاب في مدينة الجزائر الحديثة وانظموا إلى التنظيمات المؤسساتية في فئة البرانية الوافدين من خارج المدينة قصد الكسب والعمل، واندمجوا في مجتمعات المدينة، ومارسوا حرفا عديدة مثل الطواحين والجزارات والحمامات، وقد تميزوا بفعالية ومثابرة وذكاء ونزاهة فائقة، مولوا مدينة الجزائر بكثير من المواد التي يجلبونها من المناطق الداخلية، ولما

[1]– حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ج1، ص ص: 230 – 233.

[2]– أحمد توفيق مدني، محمد عثمان باشا، المرجع السابق، ص: 155.

اكتشف حكام الأتراك هذه السمات في بني مزاب أوكلوا لهم العديد من الامتيازات قصد تنشيط المبادلات الاقتصادية وإعمار الأسواق، وقد مثلهم كغيرهم من البرانية أمينهم الأكثر ثروة وخبرة وحنكة، أسندت لهم مهمة متابعة شؤون الجماعة المهنية والاجتماعية وجمع الضرائب والوساطة لدى الحكام، وحل جميع الخلافات الاجتماعية وحتى السياسية منها[1].

خلاصة:

إن منطقة وادي مزاب لها تاريخ عريق فهي موغلة في التاريخ والآثار شاهدة على ذلك، صنعت محطات تاريخية هامة عبر عصورها، فقد أسست حواضر العطف، بونورة، غرداية، بن يزقن، مليكة مطلع القرن الخامس هجري والحادي عشر ميلادي وبعد ستة قرون من هذا التاريخ شيدت حاضرة القرارة وبريان، وفق أنظمة وقوانين عرفية ساهمت في بقائها رغم الطبيعة الصعبة والمنعزلة والفتن والحروب الخارجية.

ساهم الشيخ محمد بن أبي بكر الفرسطائي في اعتناق الكثير من سكان بادية بني مصعب المذهب الإباضي بعد اعتزالهم مطلع القرن الخامس هجري، وهذا التحول تغيرت معه معالم الجغرافية المذهبية في الجزائر والمغرب الإسلامي، فكانت حواضر مزاب ملاذا للعديد من الفارين والمهاجرين والوافدين الباحثين عن الأمن والاستقرار، فتحولت المنطقة إلى مزيجا من الأجناس البربرية والعربية تحت سلطتهم الروحية والدينية الممثلة في مجلس العزابة المسيطر على زمام الأمور.

إن الترابط والانسجام الاجتماعي في حواضر مزاب ساهم في صنع تاريخ المنطقة مع مطلع القرن السادس عشر ميلادي، من خلال توطيد العلاقات بالأتراك وتوثيق ولائهم بالباب العالي رغم التمسك بشؤونهم الداخلية.

[1]– بالحاج ناصر، "التنظيمات الفرنسية للجماعات الحرفية والاثنية غداة الاحتلال – حالة جماعة بني ميزاب – مجلة العلوم الإنسانية، مج24، ع2، جامعة قسنطينة، 2013م، ص ص، 354 ، 355.

الفصل الأول

المآثر الفكرية لأعلام منطقة مزاب 1830-1954م "التآليف أنموذجا"

تمهيد:

إن الحركة الفكرية هي تلك الانتفاضة ضد الجهل والأمية والبدع والخرافات والجمود وعدم إدراك الواقع المعاش، قد تبناها في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي نخبة من الأعلام يقودهم "عبد القادر مجاوي" و"عمر بن قدور الجزائري" و"محمد بن أبي شنب" إلا أن هذه المحاولات لم تشمل كامل القطر الجزائري، فكانت محاولات فردية في بعض المناطق.

فالذي أعطى لهذه الحركة الفكرية طابع الشمولية وصبغة العموم هو العلامة عبد الحميد بن باديس في مطلع القرن العشرين، وأكسبها نوع من التنظيم، فهذا التيار الفكري الجديد ألهم الكثير من الأعلام ، فكرسوا حياتهم في سبيل إعادة إحياء الوعي الوطني في ظل ظروف اجتماعية وثقافية واقتصادية قاهرة فرضها الاحتلال الفرنسي، هؤلاء الأعلام كانوا في الطليعة ففرضوا أفكارهم النهضوية في كل المجالات كلٌ في مجال تخصصه، فأعادوا بعث الحركة الفكرية بعد فتور.

فالعلم كما عرفه ابن منظور « العلم، المنار...والعلامة والعلم شيء ينصب في الفلوات يهتدى به الضّالّة... وقوله تعالى:« **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**» الرحمن الآية 24، وقالوا الأعلام الجبال الطويلة»[1]، وهذا هو المقصود من تسميات الشخصيات البارزة بالأعلام فهي التي يهتدى بها إلى الطريق، فالأعلام هي شخصيات اشتهرت في ميدان من ميادين الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية بإنجازاتها في التأليف والقضاء والإفتاء والإمامة أو مكانة أو من تردد ذكرهم بين الناس[2]، فالرجال الأعلام ضرورة قسوة في المجتمعات الحضارية.

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، 2016م، ص، 3075.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 6.

كان نوربيرت الياس[1] (1897-1990) يرى أن المجتمعات كانت دائما في حاجة إلى طبقة من الأعلام والأعيان التي تمثل الخزان الثقافي للمجتمع، والمنتج للثروة والمحرك لمسيرة التطور، والمجتمع الذي يفقد هذه الطبقة من النبلاء والأرستقراطيين والبرجوازيين يتعثر في سيره الحضاري ، بل يعود إلى الخلف إذا فرضت العامة نمط عيشها وطرق تفكيرها على الكل، فكانت نظرته للتطور يجب أن تكون من الأعلى إلى الأسفل[2].

إن لأعلام منطقة وادي مزاب مكانة مرموقة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر على حسب تفاوت مستواهم الفكري والسياسي وإعتبار مكانتهم الروحية في المجتمع ومواقفهم الحاسمة من الإحتلال الفرنسي ومؤامراته الدنيئة رغم الظروف القاهرة والقاسية، ولهذه السمات والمزايا من تضحية وإخلاص خلدهم التاريخ في الطليعة لما أسهموا به في الجانب الفكري والسياسي.

أ - العوامل التي ساهمت في إزدهار حركة التأليف في منطقة وادي مزاب:

1. نظام العزابة:

بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ/909م على يد العبيديين، فرَّ بقية رعاياها إلى الصحراء الجزائرية، وبالتحديد إلى وارجلان، وخوفا من ملاحقة الأعداء رأى أعلام الإباضية وأصحاب الرأي فيهم أن يصغُوا نظاما يحفظ صفهم من التمزق والاندثار، فاهتدوا إلى نظام العزابة[3]، الذي وضعه أبوعبد الله محمد بن بكر النفوسي سنة 409هـ/1019م، كما سبق ذكره[4].

---

[1]- نوربيرت إلياس: عالم اجتماع ألماني. ينظر: على الموقع الألماني: Munzinger IBA

[2]- مولود عويمر، كتب عشت معها، د د ن، د ر ط، الجزائر، 2021م، ص، 26.

[3]- فرحات الجعبري، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المطبعة العصرية، تونس، 1975م، ص،15.

[4]- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص، 169.

أُسس نظام العزابة لغايات أساسية[1] تعليمية وتوجيهية الهدف منه تكوين الطلبة ، وقد تطور مع مرور الوقت حتى أصبح يشمل جميع مناحي حياة الفرد المزابي الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية[2].

كان واضع هذا النظام حكيما إلى أبعد الحدود، فلم يترك مجالا من مجالات الحياة إلا وجعل لمجلس العزابة إشرافا عليه، وحسب ما يبدو أن هذا النظام قد أدخلت عليه تحسينات أوحت بها الحاجة، والأحداث، والتجارب [3].

وقد توجهت جهود حلقة العزابة إلى التدريس، وتحفيظ القرآن الكريم، وتلاوته الجماعية المستمرة في المسجد من خلال مجالس، وحلقات الذكر، وتشجيع الناس على تلاوته في بيوتهم، والتنافس على هذا المنوال، فحلقة العزابة استطاعت من خلال الإشراف على الكتاتيب أن تنشر الحد الأدنى من علوم الدين بتلقين الصبيان المبادئ العقيدية والفقهية، ومبادئ اللغة العربية، كما حرصت على تحفيظهم القرآن الكريم والتنافس على استظهاره، ومذاكرته من خلال فتح أقسام خاصة لحفظه [4].

ويقول محمد إبراهيم طلاي: « لعل أكبر جهد قامت به حلقات العزابة، وكان لها أقوى الأثر في المجتمع هو تنشئة الناشئة على التربية الدينية، وتعليمها، وتلقينها القرآن الكريم.... فلكل مسجد في ميزاب محضرتان، أو ثلاث محاضر تتلقى أطفال القرية، تعلمهم مبادئ

---

[1] -Emile Masqueray, «Conférence Faite par M. Emile Masqueray», in Bulletin de l'année (Société normande de géographie), Rouen, Imprimerie de Espérance Cagniard, T2, 1880, pp,80,85 .

[2]- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص، 169.

[3]- إبراهيم محمد طلاي، مزاب بلد الكفاح...، المصدر السابق، ص، 43.

[4]- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص، 76.

الكتابة، واللغة، وتحفظهم القرآن الكريم، والمهمة لا تترك لمن لا يحسن القيام بها، من الجهلة، أو الذين يتخذون التعلم مدرا للربح»[1].

ومن هنا فإن حلقة العزابة تقوم بمهمة تكوين النشء في الكتاتيب التي تبنى بجانب المساجد، ويديرها أحد العزابة، حيث يعلم التلاميذ القراءة والكتابة ورسم القرآن الكريم وحفظه وشيء من السيرة النبوية، وما تيسر من الأحاديث، وإذا حفظ التلميذ القرآن الكريم واستظهره فإنه ينتقل إلى دار التلاميذ وهي تابعة للمسجد ويشرف عليها العزابة أيضا[2].

وقد اتفق جلُّ المؤرخين القدماء والمعاصرين أمثال الربيع سليمان المزابي في مخطوطه "سير العزابة" وأبي عمار عبد الكافي في مخطوطه "رسالة العزابة"، و"رسالة تاريخ ميزاب وعوائد أهله" للشيخ أبي اليقظان، واعتمد المعاصرون منهم على هذا التراث القديم أمثال أحمد توفيق مدني والأستاذ على يحي معمر والأستاذ محمد علي دبوز وغيرهم كثير، على أن العزابة في واقع أمرها ما هي إلا نظام تربوي، وجد لخدمة الحركة الفكرية في وادي مزاب.

2. استقطاب العلماء:

يبدو أن الوضع الفكري خلال القرن العاشر هجري في منطقة وادي مزاب لا يبعث على الارتياح، خاصة وأنه تصاحب مع سوء الوضع الأخلاقي والاجتماعي، وقد اتضح لنا ذلك من خلال الرسالة التي خطها الشيخ أبو مهدي عيسى ابن إسماعيل المليكي (ت971هـ-1563م) إلى أهل عمان، حيث ذكر: « وقد كان بنو مصعب... في السنين الماضية في الفتنة العابسة، أفضت بهم إلى القتل والإخراج والغدر والهدم إلى ان كادت

[1]- إبراهيم طلاي، المصدر السابق، ص، 87.

[2]- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص، 184.

شموسهم تفول ونسبهم يغول، جرد الدهر على أهل الفضل منهم سبق العدوان وأخرجهم من الأوطان»[1].

فهذا الوضع الذي لا يبعث على السكينة، دفع أعيان وادي مزاب للتوجه إلى جزيرة جربة التي كانت تنعم في القرن10هـ/16م بالعلم، والإبداع الفكري، والترابط الاجتماعي، ليستنجدوا بعلمائها الإباضيين حتى يمكنوهم من تجاوز مرحلة الانحطاط والجهل[2].

لقد لبى أعيان جزيرة جربة طلب وادي مزاب وأوفدوا لهم ثلاثة علماء وهم الشيخ "عمي السعيد بن علي الجربي" والشيخ "بالحاج بن محمد بن سعيد" والشيخ "دحمان النفوسي"، فكان لهم الفضل في وضع الركائز الأولى لنهضة وادي مزاب وإنشغلوا بتكوين مجموعة من طلاب العلم وصلوا إلى درجة عالية من العلم، وأرسوا قواعد للحياة الفكرية والعلمية[3].

بفضل هؤلاء العلماء الوافدين وخاصة "عمي السعيد" ازداد عدد طلبة العلم في وادي مزاب والذين بدورهم قاموا برحلات علمية للاستزادة في طلب العلم ، وبفضل هذه الحركة تقوت الروابط الفكرية بين مزاب والأقطاب الثقافية الإباضية في تونس وعمان، وأصبحت مزاب مركز إشعاع علمي يستقطب إليه العلماء والطلبة من خارج الوادي [4].

---

[1]- الحاج موسى بشير بن موسى، "الشيخ عمر سعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي، حياته ودوره في وادي مزاب"، الأيام الدراسية العلمية من عمي سعيد الجربي إلى الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد، أيام 01 نوفمبر 2006م إلى غاية 03 نوفمبر 2006م ، مؤسسة عمي سعيد، غرداية، 2006م، ص، 13.

[2]- ازدك إبراهيم، "أعلام القرن 10هـ/16م في منطقة وادي مزاب"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج9، ع01، جامعة معسكر، جوان 2018م، ص، 476.

[3]- نفسه، ص ص، 476،477.

[4]- يحي بن عيسى بوراس، "الحياة الثقافية في منطقة وادي مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج05، ع02، جامعة غرداية 2012م، ص، 138.

استمر نشاط الحركة الفكرية مع بعض الفتور والجمود والركود من حين لآخر، إلى زمن المصلح الشيخ أبي زكرياء يحي بن صالح اليسجيني[1]، الذي يُعد من أزهى فترات الحياة العلمية في منطقة وادي مزاب في النصف الثاني من القرن 12هـ/18م، وقد حمل بعده الشعلة الشيخ عبد العزيز بن الحاج الثميني[2]، الذي يُعدُّ مؤسس الجيل الثاني من النهضة الفكرية، وظلَّ العطاء بعده، إلى أن برز في الأفق قطب الأيمة الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش[3].

3. انتشار خزائن المخطوطات والكتب:

تميزت حاضرة وادي مزاب في القرون التي تلت قدوم علماء جربة ونفوسة، بحركة فكرية فريدة من نوعها شملت جميع العلوم العقلية والنقلية، ساعدها في ذلك انتشار حلقات العلم ومعاهد التعليم ومكتباتها العامرة، فكثرت الكتب والمصنفات، فهذه الظاهرة نادرة في الجزائر، إذ لا نجدها إلا في بعض المراكز كزاوية الهامل ببسكرة، وزوايا توات وتمنطيط وحاضرة مازونة، ولعلَّ ما زاد وادي مزاب تميزا هو شغف النسخ والاقتناء وتبادل الكتب بين

---

[1]- أبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي اليسجيني: ولد سنة 1126هـ/1714م بقصر بني يزقن وتتلمذ على ابي يعقوب يوسف بن محمد المصعبي في جربة مدة اثني عشرة سنة سافر بعدها إلى مصر ولازم المدرسة الإباضية وجامع الأزهر، كان رفيقا للشيخ عمر بن رمضان التلاتي، شغل منصب التدريس خلفا للشيخ أحمد النجار وتفرغ له، يُعد مؤسس النهضة العلمية في وادي مزاب، توفي الشيخ سنة 1201هـ/1787م. ينظر: عبد القادر عزام عوادي، هجرة بني مزاب...، المرجع السابق، ص، 75.

[2]- عبد العزيز بن الحاج الثميني: فقيه إباضي ومن كبارهم، ولد في بني يزقن سنة 1130هـ/1718م ونشأ بوارجلان كان مرجعا في الفتوى، له مشاركة في علوم المنطق والحديث والأخلاق وأصول الدين من أهم مصنفاته "عمدة الفقه عند الإباضية" "المصباح" "معالم الدين" "النور" توفي في عام 1220هـ/1808م ينظر: عادل نويهض، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والتوجيه والنشر، بيروت، 1980م، ط02، ص،ص، 92،93.

[3]- يحي بوراس، المرجع السابق، ص ص، 138، 139.

المشرق والمغرب، وكشف عن الروابط المتينة[1]، فشكل مع مرور الزمن تراثا ثقافيا وخزائن من المخطوطات، فلا نجد قصرا من قصور المزابية يخلو من هذه النفائس الثمينة في مختلف المجالات والعلوم.

لقد اشتهر وادي مزاب بحركة تأليف، ونسخ، واقتناء للتآليف ليس لها نظير، فظهرت الخزائن والمكتبات الخاصة، والعامة رغم بُعد المنطقة عن الأقطار الثقافية واعتبارها نائية، ولعلَّ هذه الظاهرة العلمية كان سببها التأثر بالمراكز الإباضية التي اتسمت بحبها للعلم، وطلبه على غرار الدولة الرستمية في تيهرت، وجبل نفوسه في ليبيا، وجزيرة جربة في تونس.

كما أن مجلس العزابة كان له الدور المحوري في ذلك التطور الثقافي، باعتبار أنّ هذه الهيئة كانت تتحكم في زمام الأمور بالمنطقة، ولعل سبب هذا الإزدهار الفكري إهتمام أبو عبد الله محمد بن بكر في بادئ الأمر بالجانب التعليمي التربوي، فأصبحت لوادي مزاب مكانة فكرية انتشرت معها المخطوطات والمكتبات التي بلغ عددها 188 مكتبة عامة عامرة بالمخطوطات[2]، وما زاد من أهمية هذا التراث أنَّه مكتوب بلغة الضاد رغم أنَّ أصول سكان المنطقة بربر، كما أنَّهم اهتموا اهتمام بالغا بعلوم الدين وفروعه[3].

إنّ تطور وازدهار أيِّ حضارة يقاس بعدد المؤلفين والمؤلفات فيها، فالمكتبات تعتبر عصارة التطور الفكري في أيِّ مدينة، فوادي مزاب كان يزخر بمكتبات وخزائن عديدة كمكتبة دار أروان بغرداية التي أسسها الشيخ سعيد بن علي الجربي تزامنا مع إنشائه لنظام حلقة أروان أو حلقة التلاميذ، قال عنه الشيخ إبراهيم أبو اليقظان: «... وقد ترك الشيخ كثيرا

[1]- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، التواصل الثقافي بين عمان والجزائر، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2003م، ط01، ص، 48.

[2]- يحي بن بهون حاج امحمد، "المكتبات وخزانات المخطوط ببلدة تجننت بوادي مزاب"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج07، ع2، جامعة غرداية، 2014م، ص 515.

[3]- نفسه، ص511.

نفائس الكتب التي يمتلكها حبسا في خزانة دار التلاميذ بخطه في نص الوقف، فكان نفعها عاما وخيرها شاملا لجميع الأجيال العلمية المتعاقبة في غرداية... » [1].

ومن المكتبات القديمة خزانة الشيخ بالحاج "الحاج محمد بن سعيد" ورغم اندثارها، فإنّ بعض التدوينات تشير إلى أنّه خلّف الكثير من الكتب والمصنفات، ونسخت له الكثير منها في القرن العاشر هجري، وببلدة العطف نجد خزانة الشيخ أحمد بن موسى الشهير ب"الشيخ الميغر "[2].

4. انتشار حلق العلم:

إن انهيار الدولة الرستمية كان سببا رئيسيا في العودة إلى حلق العلم، والمدارس الحرة للمحافظة على المذهب الإباضي من الزوال، خاصة بعد ظهور المذهب الشيعي المتطرف، فأهم ما قام به الفارون نحو وارجلان وسدراته هو الحفاظ على حلق العلم والتدريس، يتذاكرون فيها أصول الشريعة الإسلامية ومبادئ مذهبهم، ولعلّ الفتن والقلاقل أدى بجموع الإباضية بالتوجه إلى وادي مزاب رغم قساوة مناخها، وعدم صلاحية أراضيه للزراعة، إلا أنّهم اختاروه ملجأ لهم بعد عمليات التشريد التي تعرضوا لها طوال حياتهم واستطاعوا تأسيس العديد من القصور [3].

فقد أقيمت حِلق العلم أساسا لتحفيظ القرآن الكريم وتلقين المبادئ الدينية، وتجلى ذلك منذ إنشاء قصور مزاب في الكتاتيب، والحلقات العلمية، وتُوِّج ذلك بقدوم "سعيد الجربي"

---

[1]- إبراهيم أبو اليقظان، ملحق لسير الشماخي، من رجال 950هـ إلى رجال 1350هـ، ج1، مخطوط، موجود في جمعية أبي إسحاق، غرداية قيد الفهرسة، بحوزتي نسخة، ص 06.

[2]- يحي بن بهون حاج امحمد، المرجع السابق، ص 514.

[3]- صديق بن حليمة، "الحياة العلمية والثقافية للإباضيين (من القرن الثالث هجري إلى منتصف القرن السابع هجري)، (200هـ-634هـ)"، مجلة الدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج10، ع2، جامعة وهران، 2021م، ص ص، 501،500.

الذي فتح محضرة أضحت محلَّ إقبال الطلبة الراغبين في الإستزادة من العلوم في ظلِّ الركود الفكري الذي عرفته الفترة، فكان لزاما استدراك هذا الوضع[1].

ساهمت المحاضر القرآنية والكتاتيب في الحركة العلمية والثقافية في منطقة وادي مزاب، فكانت القاعدة للتلاميذ والأساس، أفهمتهم الدين وأصوله فهما صحيحا، فكانوا يحفظون ما تيسر من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، ويتلقون فيها مبادئ اللغة العربية والشرعية[2].

غالبا أنَّ هذه المراكز العلمية تتواجد بجوار المسجد، يلتحق بها التلاميذ بمختلف طبقاتهم، يشرف عليهم شيوخ من حلقة العزابة، قمة في السلوك، وحسن السيرة، ذكرهم محمد علي دبوز بقوله: "وكان المعلمون في تلك المدارس مثالا للتقوى والورع، والإخلاص والصفاء والاستقامة في السلوك، والعلم وحبه، وقوة الشخصية التي تؤثر في التلميذ"[3]، وقد نلاحظ أنَّ هذا النمط لم يتغير منذ كانت الدولة الرستمية، فنظام العزابة عوّض تلك السلطة السياسية التي زالت مع الزحف الشيعي، وأشرفت على تنظيم تلك الحلق والمحاضر، حيث يذكر أحمد توفيق المدني ما يلي: « المحضرة في عرفهم عبارة عن كتاب للإملاء، وتعلم الخط وحفظ القرآن العظيم ودراسته... وسميت بذلك لأنها تحضر الصبي، وتهيئه للدخول في زمرة التلاميذ لتلقي العلوم، وهي تحت إدارة أحد أعضاء العزابة»[4].

---

[1]- إبراهيم بن محمد طلاي، "علاقة وادي مزاب بجزيرة جربة" الأيام الدراسية العلمية من الشيخ عمي سعيد ...، المرجع السابق، ص،06.

[2]- محمد بوسعدة، "دور المجتمع المزابي في الحراك الثقافي بالجنوب الجزائري"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج06، ع2، جامعة ورقلة، 2016م، ص، 15.

[3]- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج2، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1964م، ط01، ص، 329.

[4]- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص، 18.

ب – ترجمة لبعض أعلام منطقة مزاب خلال فترة الإحتلال:

1. يوسف بن حمو بن عدون (أبو يعقوب)(1745م-1836م):

من أوائل رجال النهضة العلمية الحديثة في وادي مزاب، عالم من بني يسجن ينتهي نسبه إلى عائلة قاسم واعمر ولد سنة 1158هـ/1745م أخذ العلم عند أقطاب النهضة، الشيخ أبي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي، وعند الشيخ عبد العزيز الثميني، خلف شيخه الكبير في إمامة مسجد بني يسجن في الوعظ والنصح، لما عاد من الحج أقام في مصر أربع سنوات بداية من سنة 1205هـ/1791م، التقى فيها بكبار علماء الأزهر، عاد بعدها إلى أرض وطنه واشتغل بالدعوة والتأليف والإصلاح[1].

ترأس حلقة العزابة في قصر بني يسجن وكان قاضيا فيه، اشتغل في التدريس وشرح كتاب النيل، من بين أهم تلاميذه الشيخ بالحاج بن كاسي القراري والشيخ الحاج سليمان بن عيسى والشيخ سعيد بن يوسف وينتن، اشتهر الشيخ يوسف بإصلاح ذات البين وكان له الفضل في تنظيم أوقاف المسجد في القصر، له العديد من المؤلفات سنتطرق لها في القادم من الفصول، توفي سنة 1252هـ/1836م[2].

2. محمد بن سليمان بن صالح اليسجني بن إدريسو(تو:1896م):

فقيه إباضي، قوي الحافظة[3]، ولد في قصر بني يسجن سنة1313هـ/1896م وأخذ العلم عن معاصريه وعلى رأسهم الشيخ عمر والحاج ولما كبر كان يحضر حلقات العلم عند قطب الأئمة الشيخ امحمّد بن يوسف أطفيش، كان لا يخاف لومة لائم في محاربة الفساد

[1]– مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 486.

[2]– يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص ص، 129، 130.

[3]– عادل نويهض، المرجع السابق، ص، 15.

والخرافات والبدع، مما تسبب في نفيه مع القطب إلى قصر بنورة، فتح هناك معهدا للتعليم الشرعي، كان له أسلوب مُشوق في التلقين والتدريس[1].

يقول عنه أبو اليقظان: « وكان ضريرا من صباه، كثير الحفظ، موهب الذكاء، جميل الصبر، وكان يحرض تلامذته على الصبر وتحمل المتاعب والآلام في سبيل تعلم العلم، ويضرب المثل بنفسه، ويحكي لهم عن نفسه أنه لما كان في دور الطلب يتعلم على شيخه علم النحو يأخذ عصاه، ويشق البلد يزقن من ناحية غرب البلد إلى شرقها.. » [2].

تعلم الكثير من العلوم، كان مقتدرا على التأليف نثرا وشعرا، خلف الكثير من المؤلفات مازالت محفوظة، سنأتي على ذكرها لاحقا[3]، ترك تلاميذ كثرا من بينهم أولاده سليمان وصالح وإبراهيم من حفظة القرآن الكريم، والشيخ صالح لعلي، توفي سنة1312هـ/1895م[4] ويقال أنه توفي سنة 1312هـ/1896م[5].

3. امحمّد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن إسماعيل بن محمّد بن عبد العزيز بن بكير الحفصي أطفيش(1821م-1914م):

ينتهي نسبه إلى بني عدي، ولا نستطيع أن نجزم بهذا النسب لعدم توفر الأدلة الواضحة، فقد حاول الشيخ إثبات النسب العربي لكثير من العشائر بوادي مزاب، ولعله اقتنع بما نقله ابن خلدون حين نقل العائلة الحفصية المالكة في المغرب إلى بني عدي وهي العائلة التي انتهى عندها نسب الشيخ[6].

---

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 379.

[2]- أبو اليقظان، ملحق لسير...، المصدر السابق، ج1، ، ص، 106.

[3]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص ص، 379، 380.

[4]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 164.

[5]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 379.

[6]- مصطفى بن ناصر وينتن، آراء الشيخ امحمّد بن يوسف أطفيش العقدية (1238-1332هـ/1821-1914م)، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، أكتوبر 1996م، د ر ط، ص، 23.

ولد محمد بن يوسف سنة 1236هـ/1818م في بني يسجن، وهذا ما رجحه أبو القاسم سعد الله، إذ أن الشيخ أطفيش كان عمره سنة 1267هـ/1851م، نيفا وعشرون سنة، وبالتالي يمكن أن ينحصر مولده ما بين 1236هـ و1238هـ/1818م و1821م[1].

والده كان تاجرا ما بين غرداية والجزائر الشمالية على ما دأب عليه أهل وادي مزاب إذ لم تعجبه الحياة في قصر بني يسجن، لما توفي والده تولته أمه وأحسنت تربيته، وقد حرصت على تعليمه، فعهدت به إلى إحدى المعمرات التابعة للمساجد ليتحصل على قسط من التربية والتعليم، وحفظ القرآن الكريم[2]. فكان لأمه الأثر البالغ في تربيته.

أخذ مبادئ النحو والفقه عن أخيه الأكبر إبراهيم ابن يوسف، وتلقى مبادئ المنطق عن الشيخ سعيد بن يوسف وينتن، وكان يحضر حلقة الشيخ عمر بن سليمان نوح مع أخيه إبراهيم، وحلقة الشيخ الحاج سليمان بن عيسى في دار التلاميذ، وحضر دروس الشيخ بابا بن يوسف في مسجد غرداية[3].

نشأ عصاميا فشمر على ساعد الجد والتحصيل بإرادة وعزيمة لا تعرف الملل، جعل هوايته الحرص على اقتناء الكتب واستنساخها، يجتهد في طلبها حتى من خارج الوطن رغم قلة المال، وصعوبة التواصل، وتحصل على مكتبة الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، وقد تزوج امرأة علم لها مكتبة ثرية ورثتها بعد وفاة والدها، وهذا ما جعله يتفوق في التحصيل العلمي وما كاد يبلغ السادسة عشرة حتى جلس للتدريس والتأليف[4].

فتح دار للتدريس سنة1253هـ/1837م، تخرج على يديه عشرات من التلاميذ، ومن مختلف الأقطار مثل: نفوسة وجربة وغيرها، ومن بين هؤلاء التلاميذ سليمان الباروني

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، ج3، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ط1، ص، 265.

[2]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج1، ص، 289.

[3]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 399.

[4]- نفسه، ص، 400.

النفوسي[1]، وسعيد بن تعاريت الجربي، وإبراهيم أبو اليقظان، وأبو إسحاق إبراهيم أطفيش، وبابكر بن الحاج مسعود، وصالح بن عمر لعلى، وصالح بن يحي بن الحاج سليمان آل الشيخ، وأحمد بن الحاج إبراهيم حميد أوجانة، يحي بن صالح وغيرهم كثير[2].

إنتشر طلبة القطب في كامل قصور وادي مزاب، وفي أرجاء الجزائر وخارجها، وفي بعض البلدان الإسلامية، فكان لهم الفضل في مواصلة مسيرة شيخهم[3].

كان الشيخ القطب كثير القراءة، والمطالعة وهي عادته منذ الصغر، وكان يستفيد من هذه المزية في التأليف، فقد مارسه في سن العشرين، كما أنه اهتم بعلم النحو وهو علم عقلي يحصن صاحبه من الوقوع في الخرافات والبدع، فدرس منه أعمال المؤلفين المعروفين، شاع أمره حتى بلغ أقصى الأقطار الإسلامية، ويذكر أبو القاسم سعد الله أنه بلغ درجة الاجتهاد وصار مرجعا في الفتوى بشهادة معاصريه[4].

كان الشيخ امحمّد اطفيش قليل الأسفار، تنقل داخل وادي مزاب ولم يخرج من هذا المحيط إلا مرتين لما أدى فريضة الحج، ولعل سبب قلة التنقل هذه هي تأثر الشيخ بالأوضاع السائدة، وانشغاله وتفرغه للتدريس، فكان لا يحب أن يتغيب عن طلبته، كما أن الإدارة الفرنسية كانت لا تسمح للقطب بالحركة إلا بترخيص يتلقاه من القائد العسكري

---

[1]- سليمان الباروني النفوسي: ولد بجبل نفوسة سنة 1287هـ/1870م، يُعد من أعلام العالم الإسلامي وأحد زعماء النهضة، تتلمذ في جامع الزيتونة، ثم جامع الأزهر أرسله والده سنة 1312هـ/1895م إلى معهد قطب الأئمة اطفيش، يُعد مجاهدا ضد الاحتلال الإيطالي في ليبيا، كان دعما لكل حركات التحرر، له العديد من المقالات الصحفية، أسس المطبعة البارونية بمصر سنة 1324هـ/1906م، توفي الشيخ سنة 1359هـ/1940م. للمزيد ينظر: أبي اليقظان إبراهيم، سليمان الباروني في أطوار حياته، الدار العمانية، 1956، د ر ط ، ص، 05 وما بعدها.

[2]- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص ص، 209-210.

[3]- قاسم بن أحمد، "جيل طلبة القُطب ودورهُم في الإصلاح بوادي ميزاب"، مجلة الحياة، ع15، جمعية التراث، المطبعة العربية، 2011م، ص، 233.

[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 266.

بغرداية، ورغم هذه المضايقات فإن أهل القصور يحتفلون أيما احتفال بقدوم القطب حتى تتحول أيامهم إلى أعياد يقضيها الشيخ في الوعظ والإرشاد، وقد زار امحمّد أطفيش وارجلان سنة 1330هـ/1912م[1].

حج القطب مرتين في حياته، أما الأولى فكانت سنة 1290هـ/1873م رفقة تلميذه الحاج الناصر بن الحاج إبراهيم الداغور، وقد ذكر هذه الرحلة الحجازية في مؤلفاته كثيرا، ودون في تلك السفرية معظم ملاحظاته، ولقاءاته مع الشخصيات العلمية أمثال الشيخ محمد حقي بن علي التركي الحنفي، أما رحلته الثانية فكانت سنة 1303هـ/1886م رفقة زوجته الثانية مريامة فرطاس وتلميذه الشيخ عمر بن حمو باكلي، نزلوا عند دليل القطر الجزائري الشيخ حمزة الرفاعي في داره القريبة من المسجد النبوي، وقد سمح له الشيخ محمد بالي الحنفي بالتدريس في المسجد النبوي مدة ثلاثة أيام، تحصل من رحلته هذه على الصحاح الستة، وموطأ الإمام مالك من أحد علماء الحرم، وعند رجوعه إلى الجزائر حسن استقباله في كل محطات السفرية بتوصية من الوالي العام لويس تيرمان[2].

قد ظهر أمر الشيخ اطفيش في ظروف صعبة عاشتها الجزائر، كان فيها المجتمع في أشد الحاجة إلى مصلح اجتماعي يواصل الجهود التي بدأها الشيخ بن صالح أبو زكرياء، والشيخ عبد العزيز الثميني، فأصبح الإصلاح الاجتماعي واجبا أمنه الشيخ حتى لا تذهب جهود السابقين في مهب الريح، وقد أدرك ذلك، فأفنى عمره في خدمة هذا التوجه ولخص أسباب تدهور المجتمع في أمرين وهما الجهل والبدع[3].

ويؤكد ذلك أبو القاسم سعد الله بقوله: « يعتبر الشيخ محمد بن يوسف باني النهضة العلمية، وكل من يحاول تعترضه عراقيل ومثبطات، فقد ظهر أمره في الوقت الذي غشي

---

[1]- مصطفي بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص ص، 28، 29.

[2]- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص ص، 211، 212.

[3]- مصطفي بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص، 30.

الجزائر كلها ضباب الجهل والاحتلال، ولذلك كان الشيخ أطفيش ينكر على الناس البدع التي ليست من الدين في شيء، وقد شدد عليهم في ذلك فهددوه حتى بالقتل واتهموه بالزندقة، وانتقد أساليب التربية القديمة للأولاد، واضطر إلى الخروج من بني يسقن... » [1].

فكان من بين المحن التي عاشها الشيخ نفيه خارج قصر بني يسجن، فأوى إلى قصر بنورة، ولم يثنه ذلك على مواصلة مشواره في التدريس والتأليف، وبقي هناك سبع سنوات ثم رجع إلى موطنه وأقام فيه ولم يغادره إلا قليلا حتى وافته المنية[2]، ولعل من أسباب نفيه وإبعاده هو تعجله عملية الإصلاح، ومحاربة البدع، والخرافات، والتربية التقليدية، ولم يعلم أن مثل هذه المهام، في تلك الظروف تستدعي التدرج.

ويذكر أبو القاسم سعد الله أن للشيخ القطب مراسلات مع عدد كبير من أعلام عصره، التقى مع محمد بن بلقاسم، كما سبق وأن راسل الشيخ محمد عبده[3]، وعبد الله الباروني والد تلميذه سليمان الباروني، وشيوخ الجزائر أمثال عبد القادر المجاوي، وابن الموهوب، وتقابل مع بعضهم[4]، واستقبل المستشرق الفرنسي إيميل ماسكري (تو: 1894م) "Masqueray Émile" سنة 1293هـ/1876م الذي طلب منه كتابة مؤلف عن تاريخ بني مزاب، وقد فعل وأسماه الرسالة الشافية، وفي السنة الموالية زاره وفد من مشايخ زنجبار، وراسل سلطان زنجبار "بُرغش" الذي كان يدفع له منحة شهرية، ويشارك في حركة النهضة

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 267.

[2]- مصطفي بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص، 27.

[3]- محمد عبده: ولد بمصر سنة 1265هـ/1849م، التحق بالأزهر الشريف سنة 1283هـ/1866م تحصل منه على الشهادة العالمية، شارك الشيخ في العربية، يُعد من مؤسسي العروة الوثقى مع رفيقة جمال الدين الأفغاني، وأسس جمعية الأحياء، له العديد من المؤلفات منها "رسالة التوحيد" "الإسلام والنصرانية الشرعية"، توفي سنة 1323هـ/1905م. ينظر: عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر(محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا) ج01، دار مداد، قسنطينة، 2009م، ط01، ص،ص، 182-187.

[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 268.

بطبع مؤلفات الإباضية، وقد طبع له كتاب هيمان الزاد إلى دار المعاد سنة 1305هـ/1887م في 14 جزءا[1].

استطاع القطب أن يؤسس سنة 1253هـ/1837م معهدا للتدريس في بني يزجن ثم انخرط في حلقة العزابة، فكان له الكثير من التلاميذ والأتباع، وسيلته في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وقت ساد فيه الجهل، والظلم، والاستبداد يدعم من الإدارة الفرنسية، فأصبح معهده مركزا علميا جلب إليه الطلبة من داخل الجزائر، وخارجها ليصبحوا في سنوات لاحقة رواد الإصلاح وأعلام الجزائر قاطبة[2].

لقد كانت مجهودات القطب عظيمة في التأليف والتي بلغت حوالي الثلاثمائة بين مراسلات وكتب بأجزائها، ارتقى من خلالها إلى مكانة مرموقة بين أقرانه فإعترف بعلمه الشرق والغرب وأهدوا له أوسمة الإستحقاق[3]، وهاهي السلطة العثمانية تسلمه وساما عندما أقدم على حل لغز الماء وهذا ما أغاض فرنسا واعتبرت نفسها أحق بهذا التكريم وأقدمت على تسليمه وسام الاستحقاق (لابالم أكاديميك) "La palm Académique"[4].

فقد كان الشيخ أطفيش جادا في أداء رسالته، مسخرا وقته من أجلها ومن أجل التأليف، قال في شأنه محمد علي دبوز: «كان القطب كما عرفت من أهله الذين عاشروه، ومن تلاميذه، قليل النوم في الليل، ينهض قبل نصف الليل فيبدأ عمله في التأليف إلى قرب الفجر...»[5].

---

[1]- حاج عيسى إلياس، الطباعة العربية للكتاب الإباضي أثناء الاحتلال الفرنسي، جهود بن إبراهيم العطفاوي أنموذجا (1854م-1912م)، مجلة العبر للدراسات التاريخية، مج02، ع02، جامعة تيارت، 2019م، ص، 289.

[2]- ازدك إبراهيم، المرجع السابق، ص، 264.

[3]- امحمّد بن يوسف اطفيش ، إطالة الأجور وإزالة الفجور، تق، تر: أحمد بن حمو كروم، عمر بن أحمد بازين، د ط، د ر ط، 1995، ص، ح.

[4]- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص، 214.

[5]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص، 234.

لقد جعل أطفيش الجهاد في سبيل الله عنوانا لرسالته ونضاله في الحياة، فغرس في تلاميذه كره فرنسا، وعلمهم معنى الحرية في ظل التمسك بالعقيدة، منهجهم في ذلك رفض الخضوع ونبذ التسلط والسيطرة واحتقار فرنسا المتجبرة[1].

فالنهضة التي دعا إليها امحمّد أطفيش كانت تساير وتواكب تطورات النهضة الإسلامية، فكان يحس بها أكثر من علماء القطر الجزائري بسبب تجربته من خلال رحلاته الحجازية، وأن وادي مزاب مفتوحة على تيارات إسلامية عديدة منها تونس والمغرب وعمان وزنجبار، منهجه في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

إن الشيخ "امحمّد أطفيش" يعد موسوعيا[3] استطاع من خلال إسهاماته العلمية والفكرية أن يستقطب قلوب كل الفئات داخل المجتمع المزابي وخارجه.

4. أحمد بن داود أمعيز(حي:1907م):

ولد بقصر مليكة وهو من أحفاد الشيخ باعمور بن الحاج أحمد، لا يوجد اتفاق حول تاريخ ميلاده، فيذكر يوسف بن بكير أنه ولد حوالي سنة 1226هـ/1811م، كان عالما في الفلك والتنجيم، تمكن من صنع ساعة زمنية توجد حاليا في مكتبة القطب، فهو من تلامذته في ميدان الفلك والتنجيم، تولى أحمد بن داود القضاء في قصر المليكة ويقال إنه توفي سنة 1321هـ/1903م[4]، في حين وجدنا في معجم أعلام الإباضية أنه كان حيا سنة 1325هـ/1907م[5].

---

[1]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج1، ص 327.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص 269.

[3]- بلقاسم شتوان، الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش، الحياة، ع14، المطبعة العربية، جمعية التراث، غرداية، 2010م، ص،18.

[4]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 208.

[5]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 43.

5. الناصر بن إبراهيم الداغور(1849م-1909م):

من علماء بريان ولد بها سنة 1265هـ/1849م، وبها حفظ القرآن الكريم، ثم قصد بني يسجن للتعلم على شيوخها، فيقول أبو اليقظان في حقه: «هو من العلماء الأجلاء في بريان وكان ممن أتاه الله بسطة في العلم والجسد والذكاء والنشاط، فكان أنجب أترابه أخذ العلم والدين عن قطب الأئمة الشيخ أطفيش ولبث عنده في طلب العلم مدة تزيد عن عشرة سنوات فهو من قدماء تلامذته ومن أحبهم»[1].

كان القطب اطفيش يخصه بدروس إضافية لما رأى فيه النبوغ والجد في التحصيل، رافق شيخه إلى الحج سنة1295هـ/1878م، أكمل دراسته في العاصمة عند الشيخ عبد القادر المجاري في المدرسة الثعالبية، وأخذ عنه علم الفلك فكان له غرام بهذا العلم حتى قيل أنه ألف رسالة فيه، وكان من النابغين في العلوم الشرعية واللغوية ويحسن اللغة الفرنسية[2].

رشحه الشيخ القطب في قضاء بريان وبقي على رأس المحكمة اثنتي عشرة سنة كان حريصا على اقتناء الكتب النفيسة، كانت له خزانة كبرى تشمل مخطوطات نادرة، لو بقيت لكانت فائدة كبيرة للجزائر، يقال إن أخاه باعها بعد وفاته بأبخس الأثمان، توفي في تونس سنة 1327هـ/1909م[3].

6. حمو بن باحمد بابا موسى(1863م-1957م):

من كبار شيوخ غرداية، ولد سنة 1280هـ/1863م حفظ القرآن الكريم في صغره وأخذ مبادئ النحو عن الشيخ عمر بن يحي القراري وأكمل دراسته عند الحاج بابكر بن الحاج مسعود، وكان من أنجب تلامذة القطب، ويذكر أبو اليقظان في كتابه ملحق السير ما

---

[1]- أبو اليقظان، المصدر السابق، ج2، ص، 199.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 437.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 227.

يلي: «...كان له ذكاء وقاد وفطنة لامعة وعلم غزير في المعقول والمنقول وهو من قدماء تلامذة الشيخ أطفيش...» [1].

ولما كان واسع المعارف، رشحه أهل غرداية لمنصب شيخ المسجد فرفض في البداية خوفا من عدم إعطاء المنصب حقه، ألزمه الشيخ أمحمد أطفيش بقبوله فقبله وهو يبكي وذلك سنة 1327هـ/1909م، وبقي في هذا المنصب خمسين سنة واعظا ومدرسا، أنشأ معهدا ب"شارع الحاسي" بغرداية، تخرج منه مجموعة من المصلحين أمثال الشيخ محمد بابا وموسى وهو أخوه، سعد الله العلواني، وبهون فخار، وحمو الشقبقب[2].

له العديد من المؤلفات في ميادين عديدة، لقب بعد وفاة القطب ب "شيخ وادي مزاب"، ترك خزانة زاخرة بالمخطوطات والمصنفات النفيسة، توفي يوم الأربعاء 29 جمادى الأولى 1376هـ/02 جانفي 1957م[3].

7. صالح بن عمر بن داود لعلي(1870م-1928م):

ولد سنة 1287هـ/1870م في قصر بني يزقن أمه لالة بنت يوسف بن هدون وينتن، عاش بداية حياته في ضيق شديد، فقد بصره وهو في سن الخامسة، تزوج في حياته مرتين، كانت زوجته مثقفة ساعدته كثيرا في المطالعة والتأليف[4].

نشأ صالح بن عمر لعلي محبا للعلم، حفظ القرآن الكريم، وهو ابن السبع سنوات أخذ العلم عن الشيخ سعيد وعمر ابني يوسف بن عدون وينتن، والشيخ امحمد بن سليمان ابن إدريسو مكث عنده إلى وفاة الشيخ، واختتم مشواره التعليمي عند قطب الأئمة الشيخ

---

[1]- أبو اليقظان، المصدر السابق، ج2، ص، 251.

[2]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر...،المصدر السابق، ج2، ص، 380.

[3]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص ص، 124، 125.

[4]- عمر بن إبراهيم باباعلي، "الشيخ الحاج صالح الترجمة والمصادر"، أعمال يوم دراسي 25 ديسمبر 2010م، نشر مكتبة الحاج صالح لعلي، غرداية، 2014م، ص، 22 وما بعدها.

أطفيش[1] مرورا بالشيخ الحاج محمد بن عيسى أزبار، وعلى علته تنقل إلى تونس وحضر حلقات العلم بالزيتونة، كما حضر دروسا في جامع الأزهر بالقاهرة في طريقه إلى الحج، كان كثير الاجتماع بالعلماء خاصة في حجته الثانية، حيث أقام عاما كاملا يجالس العلماء[2].

وقد وصفه أبو اليقظان بقوله: «كان غاية في الذكاء والحفظ والفطنة بين أقرانه وكان ذا جد وعزم وحزم وله بديهة خارقة وذاكرة نادرة، كان إذا عرف أحدا لا يمحى عن ذاكرته ولو بعد غياب سنين عنه، وكان إذا عرفه عرفه باسمه واسم أبيه وأمه وبلده وعشيرته، وكان إذا وقف على خزانته يلتمس كتابا يأخذه بيده لأول مرة، وهي تشتمل على نحو ألفي كتاب بدون حاجة إلى إعادة تفتيش وإذا أراد أن يبحث عن مسألة ما فأول ما يفتح الكتاب يصادف ضالته في نفس الصفحة...» [3].

بدأ التدريس سنة 1308هـ/1889م في معهد له، كما تولى التدريس في دار التلاميذ، وفي 03 جمادى الأخيرة 1335هـ/27 مارس 1917م، دخل حلقة العزابة خلفا للقطب، كانت له مواقف صارمة من سياسة التجنيد الإجباري هاجم فيها الإدارة الفرنسية، وألف لذلك رسالة بين فيها حرمة التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي ومضاره، فهدده الحكام الفرنسيون[4].

في سنة 1346هـ/1927م أنشأ أول مدرسة نظامية تابعة للمسجد هيأها لتستقبل عشرة أقسام يديرها عشرة معلمين، ولعل هذا التنظيم استقاه من جلوسه في حلقات الأزهر

[1]- أحمد عيساوي، الداعية المصلح والعلامة القطب الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش وكتابه القيم شامل الأصل والفرع (1228-1332هـ/1821-1914م)، ضمن كتاب بمناسبة تخرجه في 10 جويلية 2010م، نشر جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2010م، ص، 156.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 229.

[3]- أبو اليقظان، المصدر السابق، ج2، ص، 233.

[4]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 286.

الشريف، لم يعط المدرسة اسما إلا أن الشيخ حفار قد سماها مدرسة الرشاد لتربية النشء، في حين أن الشيخ محمد بن يوسف بابانو قد اعتبرها مدرسة الجابرية[1]، وحرصا من الشيخ على حصول النفع من الأوقاف قام بتنظيمها، ووثقها خاصة الأوقاف المتعلقة بالدور والبيوت والدكاكين وستائر الأبنية للمسجد أو المحاضر[2].

يوم 15 شعبان 1341هـ/02 أفريل 1923م ألقى الشيخ الحاج صالح درسا في المسجد ثار فيه على البعثة العلمية المتجهة إلى تونس، خوفا من ضياع الأطفال صغار السن في بيئة تختلف عن بيئة وادي مزاب، حيث إن هؤلاء الأطفال مازالت لم ترسخ فيهم العقيدة السليمة ولم يفهموا الدين الإسلامي فهما كاملا، وعندئذ ثار صراع بين الداعين إلى البعثات العلمية المحافظين المنكرين لهذه التجربة، كان ميدانها المقالات الصحفية والتأليف دامت نحو السنتين[3].

كان الشيخ صالح مولعا بجمع الكتب ونسخها وتأليفها، له مكتبة في بني يسجن مازالت قائمة إلى يومنا هذا تحت تصرف أحفاده تحوي حوالي ألفي كتاب بين المطبوع والمخطوط.

ترك الشيخ تراثا أدبيا ضخما[4] لا يزال معظمه غضا طريا بين مؤلفات ومخطوطات ورسائل من معاصريه في أمور شتى سنذكرها في الفصول القادمة، توفي الشيخ في قصر بني يسجن يوم السبت 27 ربيع الثاني 1347هـ/ 13 أكتوبر 1928م بعدما شرب ماء مثلجا بعد خروجه من الحمام[5].

---

[1]- محمد بن إبراهيم بابا علي، المرجع السابق، ص، 30.

[2]- نفسه، ص، 31.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 286.

[4]- مارتن كاستر، ببلوغرافيا الكتابات الإباضية، تر: مادغيس أوفولاي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2008م، ط01، ص،375,

[5]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 230.

8. إبراهيم بن بانوج مطياز "متياز"(1885م-1981م):

ولد الأديب في 10 ربيع الأول سنة 1316هـ/1895م في قصر بني يسجن، نشأ في أسرة معتدلة الحال محبة للعلم، لما بلغ الخمس سنوات أدخله والده محضرة الشيخ الحاج يوسف موريغ، فتعلم الكتابة وحفظ ربع القرآن الكريم[1].

كما أن الشيخ دخل المدرسة الفرنسية وزاول فيها الدراسة ما يقارب خمس سنوات وكان من نجبائها، ثم انتقل إلى حلقة الشيخ عيسى بن بكير ثم معهد الحاج داود بزملال وختم القرآن الكريم وعمره ست عشرة سنة[2].

بعدها انتقل الشيخ إبراهيم بن بانوح إلى حلقة الشيخ الحاج إسماعيل زرقون لتعلم الفقه والعلوم العربية ويقول أبو اليقظان في ملحق السير في حديث الشيخ عن أستاذه إسماعيل زرقون ما يلي: « وهو شيخي أخذت عنه المعقول والمنقول، ولولاه لما تعلمت شيئا من المعقول، جزاه الله عني خيرا كثيرا ورحمه رحمة واسعة، وهو ممن اشتغل مدة بالتعليم، كان يفتي لأكثر من ثلثي بلد يزقن في حياة شيخه أطفيش، لا لأنه أعلم منه، ولكن للجهر منه بالصوت، ولا يوجد بيزجن شيخ أكثر تلامذة منه، فغالب من يوجد بيزجن من علماء هم من تلامذته، منهم الشيخ إبراهيم أطفيش والشيخ محمد الثميني»[3].

كان يحضر كذلك دروس العامة التي يلقيها قطب الأئمة الشيخ أطفيش في المسجد بعد صلاة الصبح، ويعود إليه للاستفتاء، وكان مولعا بالتاريخ وتقييد الأحداث والوقائع[4].

---

[1]- محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية، تونس، 1926م، ط1، ص،177.

[2]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 314.

[3]- أبو اليقظان، المصدر السابق، ج2، ص، 253.

[4]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 12.

توجه الشيخ إبراهيم بانوج إلى القرارة وانضم إلى حلقة الشيخ بن أبي بكر بن بابا حفار بالقراراة ولازمها ثلاث سنوات كاملة، تعلم خلالها الكثير من العلوم من شيخه البراع، لما عاد قام بتأسيس أول مدرسة له في بنورة سنة 1342هـ/1924م[1].

وكان للشيخ الدور في تأسيس مدرسة في الجزائر العاصمة سنة 1343هـ/1925م تخرج منها الكثير من المصلحين والعلماء أمثال عبد الله الكنطابلي والشيخ بالحاج القشار[2].

كانت للشيخ علاقات وطيدة مع المستشرق سموغورفسكي وهو باحث بولوني، أمده إبراهيم بانوج بالكثير من المعلومات حول أعلام المنطقة، ومن خلال هذه العلاقة ألح عليه المستشرق بالتدريس في الجامعة البولونية، ولكن والده رفض أن يقوم بهذه المهمة والانضمام إلى هذه الجامعة[3].

ومن بين أعماله أنه كان من مساعدي أبي اليقظان في جهاده الصحفي، وكان عضوا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن أنصار نادي الترقي في الجزائر العاصمة، وقد ترأس جمعية التوفيق التي حصلت على تصريح التأسيس سنة 1366هـ/1947م، وكان حرص على التأليف فله الكثير من الكتب والمخطوطات سنتطرق لها في الفصول اللاحقة[4]. توفي الشيخ يوم الجمعة 03 ربيع الأول 1401هـ/ 09 جانفي 1981م بقصر بني يسجن رحمه الله[5].

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 315.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 12.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 315.

[4]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 12.

[5]- نفسه، ص، 12.

9. إبراهيم بن امحمّد بن إبراهيم بن يوسف اطفيش (أبو إسحاق)(1886م-1965م):

ولد بقصر بني يسجن يوم السبت 14 صفر 1306هـ/20 أكتوبر 1888م، حفظ القرآن الكريم وهو ابن العشر سنوات عند شيخه عمر بن أحمد الزروالي، وأتم تعليمه عند الشيخ إسماعيل بن الحاج إبراهيم زرقون[1].

وقد وجدنا نوعا من التضارب في تاريخ ميلاده، فقد ذكر معجم أعلام الإباضية ميلاده في 1305هـ/1886م وهذا ما نرجحه .

أصبح أبو إسحاق إبراهيم أطفيش شغوفا بطلب العلم منذ صغره، فلازم عمه قطب الأئمة في مسقط رأسه، ثم توجه إلى العاصمة، وتتلمذ عند المصلح الشيخ عبد القادر المجاوي[2] في المدرسة الثعالبية، ولا شك أن هذه الشخصية المتأثرة بفكر محمد عبده أثرت كثيرا في شخصية أبو إسحاق في عمر مبكرة خاصة بعدما توجه إلى جامع الزيتونة بتونس سنة 1336هـ/1917م، ولعل هذه الرحلة كان دافعها البحث عن تعليم عصري يلبي متطلبات الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر، فلهذا وجد الشيخ أبي إسحاق الجو العلمي المناسب الذي شجعه على التحصيل العلمي ومن بين الشيوخ البارزين الذين تلقى عليهم العلم الشيخ محمد بن يوسف الحنفي، والشيخ طاهر بن عاشور والشيخ محمد النخلي[3].

---

[1]- عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ط02، ص، 68.

[2]- عبد القادر المجاوي: ولد بمدينة تلمسان سنة 1267هـ/1848، تلقى تعليه بالمغرب الأقصى كان واسع المعارف ما مكنه من تقلد وظائف التعليم في قسنطينة والجزائر العاصمة، ترك العديد من المصنفات توفي سنة 1332هـ/1914م. ينظر: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر ..،ج01، المصدر السابق، ص، 82 ومابعدها.

[3]- محمد ناصر، الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاده الإسلامي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1991م، ط1، ص، 16.

وقد كان الشيخ أبو إسحاق مهتما بالبعثة العلمية إشرافا وتوجيها رفقة الشيخين أبي اليقظان ومحمد الثميني، فكان منشغلا بهذا المشروع وخصص له كل وقته وجهده[1].

انضم أبو إسحاق إلى الحزب الحر الدستوري التونسي، وكان عضوا في اللجنة المركزية، وضم صوته إلى زعيم الحزب عبد العزيز الثعالبي[2] في مناهضة الاستعمار الفرنسي وتوعية الطلبة والشباب، نتيجة هذا النشاط السياسي أصدرت فرنسا ضده حكما بالإبعاد عن تونس في جمادى الثانية1341ه الموافق فيفري 1923م، فاختار التوجه إلى مصر واستقر بالقاهرة[3]، وقد وجد في شخصية محب الدين الخطيب كل المساعدة والمساندة في تأسيس مجلة المنهاج سنة 1343ه/1925م، والتي كانت تطبع في المطبعة السلفية بالقاهرة.

وقد التحق بدار الكتب المصرية موظفا سنة 1359ه/1940م، فوجد ضالته خاصة مع تواجد مجموعة من العلماء، ورموز الفكر الذين مدوا له المساعدة، كما أن اتصالاته الخارجية بوادي مزاب وعمان وزنجبار وجربة ونفوسة، مكنته من جمع العديد من المخطوطات، فإنشغل بالتأليف وتحقيق العديد منها، وقد وجد الظروف مهيأة لما أشرف على قسم التحقيق والتصحيح للتراث، وسعت اطلاع أبي إسحاق بأدوات التحقيق ومنهجه، أضف إلى ذلك زاده العلمي ورصيده الفكري الواسع[4].

---

[1]- إبراهيم أبو اليقظان، تاريخ صحف أبي اليقظان، تق، تع: محمد ناصر، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2003م، د ر ط، ص، 12.

[2]- عبد العزيز الثعالبي: من أصول جزائرية، ولد سنة 1293ه/1876م بتونس، أحد زعماء الإصلاح، ناضل ضد الاحتلال، أسس الحزب الدستوري التونسي سنة 1920م، نفي على إثر هذا النشاط خارج مصر سنة 1923م، له العديد من المقالات الصحفية في الصحافة العربية، توفي سنة 1363ه/1944م. ينظر: صالح خرفي، عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره، خمسون صورة ووثيقة تاريخية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ط01، ص، 23 وما بعدها.

[3]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 24.

[4]- نفسه، ص، 24.

وقد شارك أبو إسحاق في تأسيس جمعية الهداية الإسلامية التي ترأسها صديقه الخضر حسين التونسي، كما أن الشيخ كان عضوا ناشطا في جمعية الشبان المسلمين وكان هناك علاقة وطيدة بينه وبين حسن البنا، ونشط في جمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا[1].

كان الشيخ إسحاق أطفيش صارما في دينه[2]، رجلا عالما موسوعيا من رواد الإصلاح في الوطن العربي، توفي بتاريخ 20 شعبان 1385هـ الموافق ليوم 13 ديسمبر 1965م، حضر جنازته عدد من الشخصيات، دفن في مقبرة "آل الشماخي" في مصر.

10. إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان(1888م-1973م):

ولد بقصر القرارة ليلة الاثنين 29 صفر 1306هـ/05 نوفمبر 1888م، فقد أباه في رجب 1307هـ، بدأ مشواره التعليمي عند شيخه الحاج عمر بن يحي "نور القلب"، واستظهر القرآن الكريم عند الإمام إبراهيم بن كاسي إمام المسجد عام 1323هـ/1905م، وبعدها قصد بني يزقن ليتعلم عند قطب الأئمة[3].

وبعد رحالات عديدة إلى بلاد المشرق عاد إلى قصر بني يزقن أين أكمل تعلميه على يد الشيخ امحمد أطفيش إلى غاية 1329هـ/1911م، وتعد مرحلة تعليمه في تونس ما بين 1330هـ-1344هـ/1912-1926م في إطار البعثات العلمية بين من بين أهم مراحل حياته، خاصة أنه جنا منها الكثير من العلوم والعلاقات، والاحتكاك بالقامات الإصلاحية، أما معهد نور القلب "الحاج عمر بن يحي" يعتبر الأكثر تأثيرا في حياة أبي اليقظان وهذا ما اعترف به قائلا: « فتطورت تطورا كبيرا، فازداد نشاطي في حفظ القرآن الكريم وشدة حبي للعلم، وتفاءلت خيرا وأيقنت ببلوغ غايتي في العلم ما دمت في هذا المعهد »[4].

---

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 299.

[2]- أحمد توفيق مدني، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977م، د ر ط، ص، 157.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 304. ينظر: عمار هلال، المرجع السابق، ص، ص، 69، 70.

[4]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح...، المصدر السابق، ج2، ص، 248.

درس في جامع الزيتونة[1] عند مشايخ أمثال عبد العزيز جعيط، الطاهر بن صالح، الشيخ النخلي، الصادق النيفر، محمد بن يوسف، والشيخ الطاهر بن عاشور، وكما أنه درس في المدرسة الخلدونية عند حسن حسني عبد الوهاب محمد العبيدي، محمد الأصرم، وعلى يد الشيخ عبد العزيز الثعالبي[2].

فكانت هذه الدروس الخلدونية مكملة لما تلقاه في الجامع الأعظم في الرياضيات والفرنسية والنثر والتاريخ، وبسبب أوزار الحرب العالمية الأولى عاد إلى أرض الوطن، وفي سنة 1333هـ/1915م أسس مدرسة تنتهج المناهج العصرية وتسير وفق منهاج متطور، أشرف عليها آملا أن تدوم، ولكن بسبب غياب الوعي الاجتماعي وعدم وجود الدعم المادي والمعنوي للمدرسة لم يكتب لها النجاح[3].

فبسبب هذا الفشل في إرساء دعائم التعليم العصري، عاد أبو اليقظان إلى تونس من جديد مصطحبا معه مجموعة من التلاميذ، فكان الشيخ رائد البعثات العلمية في وادي مزاب، فمن خلال هذه التجربة توالت البعثات العلمية إلى تونس فمنها بعثة الثميني وبعثة غرداية والبعثة البيوضية.

كان أبو اليقظان وتزامنا مع إشرافه على البعثة العلمية قد دخل المعترك السياسي حينما أصبح عضوا في المنظمة السرية الثعالبية سنة1335هـ/1917م، وفي سنة

---

[1]- جامع الزيتونة: المرجح في تأسيسه هو عبيد الله بن الحبحاب سنة 144هـ/762م وذكر ابن خلدون أن حسان بن النعمان هو من بناه سنة116هـ/734م على أن يكون موضعا للعبادة، ولما كان المسلمون يقومون بكل ما يهمهم من الشؤون فصار محلا للتعلم وتلقي الدروس فإبتدأ بتنظيمه سنة 603هـ/ 1207م أيام الدولة الحفصية. ينظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص، 241.

[2]- خير الرزقي، القضايا الوطنية في صحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان (1926-1938م)، أطروحة دكتوراه، التاريخ حديث ومعاصر، جامعة قسنطينة، 2018/2017م، ص، 12.

[3]- محمد حسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، مطبعة دار هومة، 2000م، د ر ط، ص، 90.

1338هـ/1920م أصبح عضوا بارزا في الحزب الدستوري التونسي بمشاركة صالح بن يحي وأبي إسحاق أطفيش[1].

وفي سنة 1343هـ/1925م عاد الشيخ إلى الجزائر نهائيا، وقد وجد بوادي مزاب معارضة شديدة من تيار المحافظين ضد فكرة البعثات العلمية إلى تونس، الأمر الذي أجبر الشيخ أبا اليقظان للوقوف في وجه هذا الجمود الفكري ومحاربته ومحاولة نشر الوعي بين طبقات الأمة، فكان السند للشيخ بيوض في إنشاء أول مدرسة عصرية سميت فيما بعد "معهد الحياة"[2].

كان الشيخ أبو اليقظان من الأعضاء الإداريين المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ تولى نيابة أمانة المال سنة1350هـ/1932م، وبقي في هذا المنصب حتى سنة 1357هـ/1939م حيث انسحب من الجمعية نهائيا في خضم الحرب العالمية الثانية وتداعياتها على الحركة الوطنية الجزائرية[3].

إن الشباب الذين عادوا من تونس قد تزودوا بزاد وفير من العلوم وبتجارب اجتماعية وسياسية لا يستهان بها، شاركوا بأقلامهم في جريدة "المنتقد"، و"الشهاب"، و"صدى الصحراء" يأتي على رأسهم الشيخ أبو اليقظان، والشيخ الطرابلسي، ورمضان حمود، والفرقد، وإبراهيم بانوج، متياز ومفدي زكرياء[4].

وبفضل هذه التجربة ظهرت صحف أبي اليقظان في الميدان بداية من سنة 1926م إلى غاية 1938م، فاعتبر الشيخ رائد الصحافة الجزائرية المجاهدة، وهي على التوالي "وادي

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج5، ص، 291.

[2]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر...، المصدر السابق، ج3، ص، 12.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 305.

[4]- محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ج2، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م، ط1، ص،21.

مزاب" و"ميزاب" و"المغرب" و"النور" و"البستان" و"النبراس" و"الأمة" و"الفرقان" أسقطتها فرنسا واحدة تلو الأخرى[1].

ظلت المضايقات المتكررة تلاحق صحف أبي اليقظان، لهذا عكف على الكتابة والتأليف وتدوين مذكراته، وينشد من خلال ذلك فكرة الإصلاح وواجبه اتجاه أمته المظلومة، حيث ترك لنا إرثا فكريا ضخما ومتنوعا جمع مختلف العلوم والمعارف من شعر، وتاريخ، وتراجم فاقت الستين مؤلفا[2].

ومن الجهود التي يجب الوقوف عندها للشيخ هو تأسيسه لأول مطبعة عصرية باللغة العربية سنة1349هـ/1931م في حي رفيقو سابقا، فقد قامت هذه المطبعة بطبع الكثير من الكتب والصحف الجزائرية[3].

كان الشيخ من رواد الإصلاح في الجزائر، يحمل وطنية صادقة، وله شخصية قوية صلبة المبادئ، أصيب بمرض الشلل النصفي في رمضان 1376هـ/ أفريل 1957م أقعده الفراش إلى أن وافته المنية يوم 25 صفر 1393هـ الموافق 30 مارس 1973م[4].

11. إبراهيم بن عمر، بيوض(1899م-1981م):

ولد الشيخ يوم 12 ذي الحجة 1316هـ22 أفريل 1899م بقصر القرارة، نشأ في أسرة عرفت بالأخلاق والاستقامة، لما بلغ إبراهيم السادسة من عمره أدخله والده مدرسة الشيخ محمد بن الحاج يوسف ولازمها عامين ونصف، حفظ جزءا من القرآن الكريم بلغ سورة القصص، ولما بلغ سن التاسعة من عمره انتقل إلى معهد الشيخ الحاج إبراهيم الإبريكي لاستكمال حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية، وفنونها كالنحو، والصرف، والبلاغة، بقي

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 27.

[2]- يمينة بن رحال، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم ابن الحاج عيسى وقضايا عصره، (1306هـ/1888م-1393هـ/1973م)، رسالة ماجستير، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر، 2005/2004م، ص، 49.

[3]- محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق، ص، 89.

[4]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 306.

في المدرسة ثلاث سنوات استظهر فيها القرآن الكريم، ويقول الشيخ بيوض عن هذه المرحلة: « إن هذه الفترة هي التي كونتني من حيث الضمير وغرست في الروح الدينية المتأصلة وتقدير النبي وحبه، وحب الصحابة رضي الله عنهم »[1].

ولما توفي الإبريكي انتقل إبراهيم بيوض سنة 1331هـ/1913م إلى معهد الشيخ الحاج عمر بن يحي[2]، وازداد معها إبراهيم رسوخا في العلم، كما أنه أثرى رصيده بالمطالعة وحفظ المتون حتى صار فصيح اللسان، فإستعان به شيخه في التدريس بالمعهد ودار الإروان القريبة من المسجد وهو ابن السادسة عشر من عمره لنبوغه وذكائه واقتداره على التعليم[3].

ولما رأى بن يحي تلميذه إبراهيم مخلصا ذكيا مجتهدا، جعله من خاصته وقربه إليه، وكان يدخل بيت شيخه في أي وقت حتى صار يحضر اجتماعات المصلحين، فانعكست شخصية الشيخ الاجتماعية على تلميذه، فكانت من نتائج هذه الملازمة التربية العملية لإبراهيم حيث يقول: "ولولا هذه الخدمة ما أمكنت ملازمتي له والاستفادة منه ومن مجالسه"[4].

بعد الحرب العالمية الأولى، أخذ بالقوة إلى الخدمة العسكرية الإجبارية، وبعد وساطة مضنية سرح منها، وبدأ في كتابة عرائض احتجاج على قضية إرغام الناس على التجنيد، وساهم في رفض هذه السياسة حتى أصدرت الإدارة الفرنسية قرارا يلغي حكم التجنيد الإجباري على وادي مزاب[5].

---

[1]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح...، المصدر السابق، ج2، ص ص، 119، 120.

[2]- إبراهيم بن ساسي، من أعلام الجنوب الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011م، د رط، ص ص، 22، 23.

[3]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج3، ص، 198.

[4]- نفسه، ص، 152.

[5]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 20.

وفي سنة 1339هـ/1921م انتشر وباء الطاعون ذهب بالكثير من الناس في البلدة منهم والده إبراهيم بن عمر بيوض، وشيخه الحاج عمر بن يحي، فخلفه في رئاسة وتبني الحركة العلمية والنهضة الإصلاحية بالمنطقة[1]، وبقي يدرس في معهد شيخه أربع سنوات، انتقل بعدها إلى دار أوقفها والده للتعليم، كانت نواة لمعهد الحياة الذي تأسس بافتتاح الدروس فيها يوم الجمعة 28 شوال 1343هـ الموافق 21 ماي 1925م[2].

دخل عضوا في مجلس العزابة وهو مازال شابا[3] سنة 1340هـ/1922م، وقد أظهر الشيخ إمكانات فائقة في الوعظ والإرشاد، وأنكر بيوض أن تكون مؤسسات الدولة بديلا عن الهيئات الإجتماعية في وادي مزاب[4].

فسر جزء عمّ ودرس صحيح ربيع بن الحبيب في ثلاث سنوات، وبدأ سنة 1349هـ/1931م في دروس فتح الباري لشرح صحيح البخاري وقد أتمه بحفل عظيم يوم 22 ربيع الأول 1365هـ الموافق 25 فيفري 1946م داخل المسجد، كما أن الشيخ افتتح تفسير القرآن الكريم في 10 محرم 1353هـ الموافق 06 أفريل 1935م، واختتمه يوم 25 ربيع الثاني 1400هـ الموافق 12 فيفري 1980م، وأقيم له مهرجان قرآني عظيم للختم يوم 09 رجب1400هـ الموافق 23 ماي 1980م[5]، وبفضل هذه الإسهامات العلمية والفكرية قرر المجتمع الإباضي انتخابه لرئاسة مجلس العزابة سنة 1359هـ/1940م[6].

---

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 20. ينظر كذلك: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 2016م، ط02، ص، 66.

[2]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 370.

[3] -Salah Bendrissou, Institut Al-Hay1925-1962 un Exemple D'école Réformiste Ibadite au M'zab, Institut Maghreb-Europe, 1994,p 22.

[4]- محمد سعيد كعباش، حديث الشيخ الإمام ردا على بعض الشبهات والأوهام، ج01، جمعية النهضة، غرداية، 1996م، ص، 62.

[5]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 370.

[6]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 20.

شارك الشيخ إبراهيم بيوض مشاركة فعالة سنة 1349هـ/1931م في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان أحد الذين صاغوا قانونها الأساسي، وقد انتخب عضوا في إدارتها وشغل منصب نائب أمين المال إلى غاية 09 محرم 1350هـ الموافق 26 ماي 1932م[1].

كان الشيخ بيوض قد أسس سنة 1356هـ/1937م جمعية "الحياة" بالقرارة التي ستصبح رائدة النهضة العلمية الإصلاحية بالجنوب الجزائري، أضف إلى ذلك مشاركته الفعالة في صياغة مقالات نارية في الصحافة الوطنية، ودعا إلى الوحدة، والتمسك بالمقومات، والشخصية الوطنية، وطالب باستنفار عام في إطار الشريعة الإسلامية، واللغة العربية، هذه المواقف جعلت الإدارة الاستعمارية تضعه في خانة الشخصية الخطيرة على المصالح الفرنسية مما دفعها إلى إصدار حكم الإقامة الجبرية على الشيخ بيوض سنة 1359هـ/1940م داخل القرارة لا يغادرها لأربع سنوات، خلال هذه المدة كون أجيالا من رجالات الأمة، ورواد الإصلاح[2].

انتخب الشيخ بيوض نائبا في المجلس الجزائري ما بين 1367هـ/ 1948م[3] و 1370هـ/1951م وقد لعب خلال هذه الفترة الدور الفعال في الدفاع عن قضايا الأمة المزابية، والوقوف في وجه شركة استغلال المياه الجوفية بالجنوب الجزائري، والعمل لإلغاء الحكم العسكري وربط الصحراء بالشمال[4]، وفي نفس السنة 1367هـ/1948م كان الشيخ

[1]- لخضر بوطبة، "الشيخ إبراهيم بيوض وجهوده في الإصلاح الاجتماعي في الجزائر"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج01، ع02، جامعة الوادي، 2015م، ص، 166.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 21.

[3]- بن رحال يمينة، "الشيخ بن عمر بيوض ونشاطه السياسي والثوري في الجزائر"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج06، ع11، جامعة المسيلة، 2016م، ص، 187.

[4]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 371.

بيوض من الأربعة الموقعين على برقيات ورسائل التأييد باسم اللجنة الجزائرية الفلسطينية لقضية فلسطين في الجامعة العربية، وكان عضوا فعالا في لجنة إغاثة فلسطين[1].

ومع انطلاق الثورة المباركة كان الشيخ بيوض محور النشاط الثوري بمنطقة وادي مزاب، وكان من بين أهم مواقفه معارضة فكرة فصل الصحراء عن الشمال، ترك إرثا فكريا كبيرا رغم انشغاله بتكوين الرجال على التأليف، وفي عمر يناهز 89 سنة وافته المنية وحياته حافلة بالجهاد والنضال ولإصلاح، شيع جثمانه في جنازة مهيبة وحشد خاشع حضره شخصيات عديدة من مسؤولي الدولة يوم 21 جمادى الأولى 1401هـ الموافق لـ27 مارس 1981م[2].

12. إبراهيم بن بكير القراري، حفّار(1890م-1954م):

من علماء قصر القرارة ولد سنة 1308هـ/1890م وتربى في أحضان أبيه وفي سنة 1314هـ/1896م دخل معهد الحاج عمر بن يحي فاستظهر القرآن الكريم في سنة 1324هـ/1905م، ثم توجه إلى معهد القطب امحمد أطفيش، ولنبوغه وذكائه وفطنته خصه القطب بدرس في غير أوقات الدوام للطلبة، كما أنه تعلم في حلقات الشيخ إسماعيل بن إبراهيم زرقون، وعبد الرحمن بن عمر نوح[3].

كان الشيخ إبراهيم بن بكير قد فقد إحدى عينيه في الطفولة، فتضررت الأخرى بسبب إجهادها في التحصيل، فسافر سنة 1330هـ/1912م إلى تونس لمداواتها ولكنه فقدها، ورغم ذلك واصل الالتزام بحلقات علماء جامع الزيتونة فازداد علما، رجع إلى القرارة سنة

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 21.

[2]- نفسه، ص 22.

[3]- نفسه، ص، 09.

1334هـ/1915م وأنشأ معهدا لتحفيظ القرآن الكريم وتلقين مبادئ اللغة العربية، عمر هذا المعهد خمس سنوات ثم أغلق لأسباب نجهلها[1].

تولى سنة 1339هـ/1920م إدارة مدرسة أنشئت في غرداية وسرعان ما أغلقها المستعمر فعاد إلى القرارة، وبعدها استدعاه السيد عبد الله بوكامل إلى بني يسجن لمزاولة التعليم في مدرسته، ولكن حتى هذا الأخير لم تفلح بسب خلاف بينها، فافترق، وفتح له الشيخ الحاج محمد بابانو دار للعلم كان ذلك سنة 1361هـ/1941م[2]، والتي أصبحت تسمى فيما بعد المعهد الجابري وكان من أبرز شيوخها إلى أن توفي، درس علم التجويد والقراءات وعلوم اللغة العربية، فأخذت عنه مجموعة من التلاميذ والطلبة أبرزهم إبراهيم بانوح متياز، وسليمان بن داود بن يوسف، ومحمد بن يوسف بابانو، وعبد الحميد أبو القاسم، ومحمد بن بنوح نوح مفنون، وبلحاج بن عدون قشار، وعمر بن يوسف عبد الرحمن، وإبراهيم بن محمد طلاي وغيرهم كثير، وأصبحوا فيما بعد علماء وادي مزاب ومشايخه[3].

كانت له دروس في الوعظ والإرشاد في جامع بكار بمدينة بسكرة، ونادي الترقي بالجزائر العاصمة بدعم من صديقه الشيخ الطيب العقبي، فضلا عن دروس في تفسير القرآن الكريم بمسجد القرارة.

ويذكر أن زوجته عائشة بنت الحاج الهزيل أخذت عن زوجها قسطا من العلم وحفظ القرآن الكريم، نفعت به أقرانها[4].

واشتغل كذلك بالتأليف، فكانت له مؤلفات وقصائد وفتاوى كثيرة سنتطرق لها في الفصول القادمة، توفي في شهر ذي القعدة 1373هـ/18 جويلية 1954م[5].

---

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 295.

[2]- المرجع نفسه، ص، 296.

[3]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 09.

[4]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 296.

[5]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 08.

13. محمد بن عيسى بن عبد الله آزباز(زبار)(حي:1883م):

ولد حوالي 1233هـ/1818م، تتلمذ في بداية حياته على يد الشيخ سليمان بن عيسى في بني يسجن، ليرحل بعدها إلى بلاد المشرق طالبا للعلم وقد استقر مدة طويلة بعمان، وأخذ علومه من كبار المشايخ هناك، رفقة الشيخ الحاج إبراهيم بن يوسف أطفيش أخي القطب والشيخ الحاج محمد بن يحي باحيو[1].

اشتغل لما عاد إلى وطنه مدرسا للأطفال، ثم صار إماما، وقدموه شيخا للمسجد رغم رفضه، كان مقتدرا في النصح والإرشاد والإصلاح، اشتهر بالفصاحة وفن الخطابة والإقدام والعزم، فقد كان ينكل ويعزر ويؤدب ويسجن، ويحكى على أنه آخر شيخ بالعمامة في مسجد بني يسجن، وصفه أبو اليقظان بقوله: « كان علامة جليلا وشيخا كبيرا في المنقول والمعقول وقد أخذ العلم والدين في عمان...خطيبا مصقعا ولسانا بليغا في ذكاء وقاد، جريئا، له تأثير بليغ في الوعظ والإرشاد والخطابة بنغمة تأخذ بمشاعر وقلوب العامة وتحرك إحساساتهم وتؤثر في نفوسهم تأثيرا بليغا»[2].

ومن شدة فصاحته وبلاغته يذكر أبو اليقظان نقلا عن بعض تلامذة الشيخ أنه في ليلة من ليالي المولد النبوي الشريف وقف في مسجد بني يزقن أمام محرابه وألقى محاضرة دامت أربع ساعات بدأها بمولده عليه السلام إلى يوم وفاته صلى الله عليه وسلم ولم يتقيد فيها بشيء مكتوب[3]. وقد عين في سنة 1300هـ/1883م قاضيا في بني يزقن، وهو أول قاض من قضاة المحكمة الشرعية، كان عالما وطبيبا بأمراض النفوس بارعا في علاجها[4].

---

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 161.

[2]- أبو اليقظان، المصدر السابق، ج1، ص، 95.

[3]- نفسه، ص 96.

[4]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 392.

كان محمد بن عيسى من مشايخ قطب الأيمة الشيخ امحمّد بن يوسف أطفيش، من تلاميذه أيضا الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي[1]، جلب معه من عمان كتب كثيرة أنفق عليها أموالا طائلة من حر ماله وهو الوحيد الذي امتلك موسوعة بيان الشرع من 72 مجلدا، وترك مكتبة عامرة بهذه المخطوطات والكتب، وقد عادت بعد وفاته إلى عشيرته "آل خالد"، وأنجزت جمعية التراث لها فهرسا شاملا في إطار مشروع دليل مخطوطات وادي مزاب[2].

وكان محمد بن عيسى واحدا من رواد النهضة والإصلاح بوادي مزاب من خلال تعليمه ووعظه وإرشاده الاجتماعي، توفي -رحمه الله- يوم 15 شوال 1307هـ/01 جوان 1890م[3].

14. محمد بن صالح بن يحي بن عيسى الثميني(1897م-1970م):

من رجال الإصلاح في وادي مزاب برز في مجالات كثيرة وساهم مساهمة فعالة في الحركة العلمية والاجتماعية والسياسية، ولد في قصر بني يزقن عام 1314هـ/1897م، أخذ العلم في بداية حياته عن الشيخ الحاج إسماعيل زرقون والشيخ الحاج إبراهيم بن إدريسو، وعن الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش[4].

ارتحل إلى تونس لإكمال دراسته، حيث واصل تعليمه بجامع الزيتونة وتخرج فيه، كان يحضر حلقات الأساتذة الطاهر بن عاشور، وأبي الحسن النجار، والشيخ محمد بن يوسف وغيرهم[5].

---

[1]- عمر بن إبراهيم بباعلي، "الشيخ الحاج صالح الترجمة والمصادر"، أعمال اليوم الدراسي حول شخصية الحاج صالح لعلي يوم 19 محرم 1432هـ/ 25 ديسمبر 2010م، جم، تح: مصطفى وينتن، نشر مكتبة الحاج صالح لعلي، مطبعة الأفاق، 2014م، ص، 26.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج02، ص، 393.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 161.

[4]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 383.

[5]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 297.

ساهم في الحركة العلمية والسياسية منذ أن حل بتونس، إذ انضم إلى البعثة العلمية المزابية بها، وكان مساعدا للشيخ أبي اليقظان، والشيخ أبي إسحاق أطفيش في تسيير شؤونها، ثم سنة 1341هـ/1923م تولى رئاستها بعد نفي الإدارة الفرنسية للشيخ أبي إسحاق إلى مصر، فقاد الثميني البعثة العلمية خير قيادة.

دخل الشيخ محمد بن صالح الثميني الساحة السياسية بعد أن ربطت بينه وبين عبد العزيز الثعالبي علاقات وطيدة، وهو أحد رواد الحركة الوطنية التونسية، وقف الشيخ الثميني بجانبه وكان عضوا بارزا في اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي[1]، ودعم الحزب ماديا من خلال التبرعات التي كان يجمعها من التجار التونسيين والجزائريين رغم ما كلفه ذلك من مضايقات شديدة من الإدارة الفرنسية[2].

أشرف على شؤون طباعة صحيفة "وادي ميزاب" في تونس بمساعدة قاسم بن الحاج عيسى من 01 أكتوبر 1926م إلى غاية 18 جانفي 1929م، وكان رئيس تحريرها[3]، قال عنه أبو اليقظان: « وكان من الأعضاء المفكرين النبهاء الذين وضعوا معي الخطط العريضة الأساسية لإنشاء الجريدة –وادي مزاب– ومعنا الأخ المرحوم الشيخ قاسم بن الحاج عيسى...»[4].

شارك الشيخ في إنشاء جمعية الاستقامة الخيرية بمدينة قالمة شرق الجزائر، وهو رئيسها سنة 1349هـ/1930م، وأشرف على إدارة مدرستها وتأسيس مكتبة الاستقامة بتونس[5].

---

[1]– بشير مديني، مساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية 1830م-1962م، رسالة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر02، 2014-2015م، ص، 321.

[2]– مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 383.

[3]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 297.

[4]– أبو اليقظان، المصدر السابق، ج3، ص، 402.

[5]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 297.

تولى الشيخ مسؤولية الأوقاف الإباضية بعاصمة تونس وقام بتحريرها من أيدي الاستغلاليين والانهازيين، حيث يذكر أبو اليقظان في هذا الصدد ما يلي: « وقد بذل مجهودا جبارا في هذا الباب لو أن الأمة في وادي مزاب قدرت جهوده وعرفت مبلغ عنايته في ذلك إذا لكانت حال تلك الأوقاف غير الحال والأمر لله»[1].

ومن أعمال الشيخ البارزة طبعه لكتاب "الورد البسام في رياض الأحكام" وهو كتاب من تأليف جده عبد العزيز الثميني صاحب كتاب "النيل"، ويصف أبو اليقظان هذا الطبع بأنه كان متقنا في شكل جميل، وطبع أيضا كتاب "التكميل لما أخل به كتاب النيل".

كان الشيخ عضوا في النادي الأدبي التونسي مع الشيخ العربي الكباوي والشيخ محمد بلحسين، واتخذ من مكتبة الاستقامة همزة وصل بين الجزائر وتونس وملتقى الوطنيين المخلصين، فلما انتخب الحبيب بورقيبة رئيسا لتونس لاحق خصومه حيثما حلوا إلا مكتبة الاستقامة التي كانت ملكا للشيخ محمد الثميني، فلم يسمح بدخولها لأنها كانت مأوى كل الأحرار[2].

حرر الكثير من المقالات بعنوان "حقائق عن وادي مزاب" في مجلة العرب لصاحبها زين العابدين بن السنوسي، تخرج على يد الشيخ الكثير من الأدباء والوطنيين أمثال مفدي زكرياء ورمضان حمود، والكاملي عبد الله بوراس[3].

توفي الشيخ بتونس يوم 13 شعبان 1390هـ الموافق 13 أكتوبر 1970م، ونقلت مكتبته إلى قصر بني يسجن سنة 1411هـ/1990م وتعرف باسم "مكتبة الاستقامة" من أهم نفائسها مؤلفات جده الشيخ عبد العزيز الثميني بخط يده[4].

---

[1]- أبو اليقظان، المصدر السابق، ج3، ص، 403.

[2]- الشيخ القرادي، المصدر السابق، ص، 190.

[3]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 384.

[4]- نفسه، ص، 384.

15. عبد الرحمن بن عمر بن عيسى بكلي(البكري) (1901م-1986م):

ولد الشيخ يوم الخميس 21 جمادى الثانية 1319هـ الموافق 03 أكتوبر 1901م بقصر العطف، دخل محضرة المسجد العتيق، حفظ القرآن وتعلم مبادئ التوحيد، وفي سنة 1330هـ/1912م دخل حلقة "إروان" ودرس العقيدة والفقه وعلوم اللسان على عم والده الشيخ عمر بن حمو بكلي في معهد العطف، والشيخ يوسف بن بكير حمو علي خريج جامع الزيتونة[1].

انتقل إلى الجزائر العاصمة لاستزادة من اللغة الفرنسية وأخذ عن الشيخ المولود الزريبي الأزهري شرح "لامية الأفعال" و"شذور الذهب"، وفي سنة 1341هـ/1922م انتقل إلى تونس، ودرس بجامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية على الشيخ محمد الطاهر بن عاشور التفسير، والأدب، وعلى الشيخ الطيب سيالة البلاغة، والأصول على الشيخ الزغواني، ودرس متن جمع الجوامع على الشيخ محمد بن القاضي كما درس " شرح الأشموني" على الشيخ الصادق النيفر[2].

كان الساعد الأيمن للشيخ أبي اليقظان في تسيير البعثة العلمية ما بين 1342هـ-1348 الموافق 1923-1929م، وقد أتاحت له هذه المهمة التقرب من زعيم الحركة الدستورية عبد العزيز الثعالبي، مما كون آرائه السياسية والوطنية، فأسهم لما عاد إلى الجزائر في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان ممن صاغوا قانونها الأساسي، كان -رحمه الله- ضمن الجماعة التي أسست أول مدرسة نظامية بالعطف سنة 1351هـ/1932م والتي أدارها الشيخ أحمد بن الحاج يحي بكلي[3].

---

[1]- عبد الرحمن بن عمر بكلي "البكري"، المصدر السابق، ص، 03.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 250.

[3]- عبد الرحمن بن عمر بكلي "البكري"، المصدر السابق، ص، 04.

شغل منصب القضاء بالعطف بترشيح من أعيان المدينة بعد امتناعه الشديد وتحرجه من تبعات هذه المهمة، وقد تخلص منها بعدما ألغت فرنسا هذه المحكمة، وفي شهر محرم 1353هـ الموافق ماي 1934م عين عضوا في حلقة العزابة بالعطف، وعند اشتداد الأزمة الاقتصادية عمل بالتجارة عدة سنوات ولم يمنعه هذا الانشغال من مواصلة جهوده الفكرية والسياسية بالعاصمة، فكان خير معين لأبي اليقظان في نضاله الصحفي، لاسيما ما ارتبط بترجمة النصوص الفرنسية في الصحف التي كانت تصدر بفرنسا، وقد نشر له العديد من المقالات وكانت ممضاة باسم البكري[1].

وفي سنة 1358هـ/1939م انتقل إلى بريان ليتفرغ للتعليم وأصبح رئيس حلقتها[2]. وفي سنة 1364هـ/1945م شارك رواد الإصلاح بالعطف في تأسيس جمعية النهضة وعين رئيسا شرفيا لها.

وفي سنة 1365هـ/1946م شارك إخوانه في بريان بتأسيس جمعية "الفتح" للإشراف على الحركة العلمية هناك، وقد واجه الشيخ الكثير من النكبات هو وأعضاء حلقة العزابة، فقد تمت محاكمته بالمحكمة الجنائية بالبليدة بتهمة ممارسة سلطة التأديب والتعزير في المسجد.

عند اندلاع الثورة المباركة شارك مشاركة فعالة في العمل السياسي والتنظيمي فألقي عليه القبض عام 1376هـ/1957م هو ورفيقه الشهيد باسليمان إبراهيم لمنور الذي قتل تحت سياط التعذيب، وأطلق سراحه بعد عدة شهور، تقلد العديد من المناصب بعد الاستقلال، له الكثير من الأعمال المطبوعة[3].

---

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 250.

[2]- عبد الرحمن بن عمر بكلي "البكري"، المصدر السابق، ص، 04.

[3]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 251.

يصفه أبو اليقظان بقوله: « كان خفيف الروح لطيف المعشر يميل إلى النكتة والدعابة ولطائف الأدب في سمت السلف الصالح ذا ورع، وزهد، وتقوى واسع الصدر ثاقب الذهن ذكي الفؤاد جيد الفهم سريع البديهة قوي الذاكرة متزن التفكير...» [1].

توفي –رحمه الله– في بريان مساء يوم الاثنين 09 جمادى الأولى 1406هـ الموافق ليوم 13 جانفي 1986م بعد مرض خفيف ألم به، وشيعت جنازته يوم الأربعاء 15 جانفي شهدها جمهور غفير قدم من مختلف أنحاء الوطن[2].

16. عمر بن عيسى بن إبراهيم الحاج امحمّد(1884م-1973م):

ولد بالعطف سنة 1302هـ/1884م، تلقى تعليمه الأول بها حيث استظهر القرآن الكريم وأخذ المبادئ الدينية، إلا أنّ عهده بالتعليم لم يطل وانشغل بالتجارة في مدينة الحراش، هذه المهنة جعلته يحتك بالشخصيات البارزة فأكسبته معرفة أدبية وثقافة اجتماعية وسياسية، فكان شخصا ذا وطنية صادقة ساهم في بها مساهمة فاعلة في حركة الأمير خالد[3].

لعل أول قضية شغلته هي قضية التجنيد الإجباري للجزائريين عامة والمزابيين بصفة خاصة، وذلك ابتداء من عام 1330هـ/1912م[4].

يقول عنه حمو محمد عيسى النوري: « كان شخصية معتبرة جزائرية ووكيلا مفوضا للأمة الميزابية يدافع عن حقوقهم وعما تعهدت به فرنسا نحو الميزابيين من احترام شؤونهم الداخلية وعوائدهم الدينية وله مواقف حاسمة إزاء التجنيد الإجباري سجلها في كتابه: "بيان الحقيقة المطبوع في الحراش في سنة 1931م»، وفي كتابه: "وثائق رسمية لوادي ميزاب" المطبوع في تونس بمطبعة النهضة سنة 1370هـ/1951م [5].

---

[1]– أبو اليقظان، المصدر السابق، ج2، ص، 424.

[2]– عبد الرحمن بن عمر بكلي "البكري"، المصدر السابق، ص، 08.

[3]– مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 310.

[4]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 367.

[5]– حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، مج2، ص، 114.

لقد عين عمر بن عيسى وكيلا للأمة المزابية سنة 1348هـ/1930م للدفاع عن المطالب المزابية لدى الحكومة الفرنسية، وقد ترأس الوفد المزابي في قضية مقابلة موريس فيوليت رئيس اللجنة البرلمانية يوم 10 ذو الحجة 1349هـ الموافق 28 أفريل 1931م، كما أن للشيخ مواقف حازمة من قضية نهب أراضي زلفانة التابعة للعطف[1].

سافر سنة 1358هـ/1939م إلى فرنسا رفقة الوفد الذي ترأسه عبد الحميد بن باديس، فقد ساهم في الجمعية ومدهم بالمال والعتاد حتى سنة 1377هـ/1958م[2]، وقد تواصل نشاطه خاصة فيما تعلق بالحياة النيابية، ومسألة مشاركة مزاب في الانتخابات سنة 1367هـ/1948م، فقد رفض الدخول في انتخابات المجلس الجزائري لأن هذه الخطوة معناها دخوله وادي مزاب تحت السلطة الفرنسية المباشرة، بينما معاهدة الحماية 1269هـ/1853م تصرح بالاستقلال الداخلي وحرية الشؤون الداخلية[3].

واصل نشاطه السياسي أثناء الثورة المباركة رغم المضايقات، وقد سانده أبناؤه سعيد ومحمد وبكلي وكانوا طلبة يزاولون تعلم الطب، وبعد إضراب الطلبة سنة1375هـ/1956م انقطعوا عن الدراسة وشاركوا والدهم في النضال، وكلفهم ذلك إلقاء القبض على أحد أولاده، وأغلق متجره سنة 1376هـ/1957م باعتباره مركزا للثورة[4].

وتم إلقاء القبض على عمر بن عيسى في نواحي البيض وقدم إلى المحكمة بتهمة حيازة الأسلحة وقضى أربعة أشهر في سجن الأغواط وعاما ونصفا في سجن البليدة وقد أخلي سراحه نظرا لتقدمه في السن[5].

---

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 367.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 310.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 367.

[4]- حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، مج2، ص، 114.

[5]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 368.

كان للشيخ بعض الإسهامات في المجال الثقافي تراوحت بين التأليف، ونشر بعض المقالات في جريدتي المغرب والنور لأبي اليقظان إبراهيم، وهو ممن ساهم في إنشاء أول مدرسة عصرية في قصر العطف سنة 1350هـ/1932م، وقد كانت نواة لجمعية النهضة التي تأسست سنة 1364هـ/1945م، وكان من الذين حرصوا على اتباع تعاليم الشريعة، وتوفي يوم 05 ذو الحجة 1393هـ الموافق 29 ديسمبر 1973م[1].

17. حمود بن سليمان بن قاسم رمضان(1906م-1929م):

ولد بغرداية يوم 10 رمضان 1324هـ الموافق 27 أكتوبر 1906، تلقى تعليمه الابتدائي بالمدرستين الفرنسية الرسمية والعربية الحرة بمدينة غليزان، ولما بلغ السادسة عشرة، من عمره بعثه والده إلى تونس لينضم إلى البعثة العلمية المزابية التي يشرف عليها الشيخ أبو اليقظان إبراهيم والشيخ الثميني والشيخ أبو إسحاق أطفيش، فتنقل بين عدة مدارس تونسية عصرية منها مدرسة السلام، والمدرسة القرآنية الأهلية، والمدرسة الخلدونية، ثم التحق بجامع الزيتونة حيث التقى مع مجموعة من العلماء[2].

استقبلت تونس شابا في السادسة عشر من عمره كله حيوية، فكونته أدبيا وفكريا واجتماعيا وسياسيا، وقد أبرزت المطالعة والأندية الأدبية مواهبه الشعرية، درس في الأول علم الخط العربي وتحصل على ملكة لا بأس بها في الإنشاء، وتلقى بعض الدروس في الجغرافيا والعلوم الطبيعية، والتاريخ والتشريع والهندسة والجبر.

ولم يقتصر حمود على ما تمده المدرسة من تعليم، بل عمر أوقات فراغه وعلى قلتها بالتعود على الكتابة والخطابة والشعر، فكون مع بعض طلبة البعثة جمعية أدبية وطنية كانوا يلقون فيها خطبا، ومحاضرات تدور كلها حول الوطنية، والدين، وألحقوا بها مكتبة تمدهم بما يحتاجونه، وصمموا لأنفسهم جريدة حائطية يكتبونها بأنفسهم، فشاركوا بها مشاركة فعالة في

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 311.

[2]- حمو محمد عيسى النوري، المصدر السابق، ص، 129.

الحياة الأدبية، واهتم منذ الصغر بمشاكل المجتمع وقضايا الوطن[1]، وقد قدم الشاعر إلى قرائه ثلاثين قصيدة، استطاع منذ الصغر أن يصبح من رواد الأدب الجزائري الحديث، فكانت الثورية تسم أفكاره وآرائه[2].

قال عنه أبو اليقظان: «...من أدباء وشعراء غرداية كان أديبا لامعا وشاعرا نبيلا ذا خلق كريم وطبع حاد ذكي الفؤاد لين العريكة متواضعا طموحا إلى المعالي والكمالات وهو من أقدم تلامذة الشيخ أبي إسحاق أطفيش والشيخ الثميني، من قدماء البعثة التونسية وهو ذو شاعرية حية...» [3].

ويقول في شأنه محمد ناصر: « أول ما يلفت النظر في شخصية حمود، هو هذه الثورة التي عرف بها في كل أفكاره...ثورة على الجمود الفكري...ثورة على التقليد الغربي...ثورة على العمود الشعري...ثورة على الاستعمار الفرنسي...إلى آخر هذه الثورات التي كانت جزءا من حياته على قصرها...» [4].

ترك حمود رمضان آثارا أدبية راقية، فلو نشر ديوانه لأحدث له دويا يرد صداه بين أندية الأدباء في الجزائر، ولكن أصيب بمرض عضال من السل أنهك قواه وهدم شبابه وقطع آماله ومطامحه، فكانت حياته قصيرة مليئة بالإنجازات، توفي سنة 1348هـ/1929م[5]، وقد ذكر أبو اليقظان في مصدره ملحق السير وفاته بتاريخ 1350هـ/1931م[6].

18. زكرياء بن سليمان بن يحي بن الشيخ سليمان آل الشيخ الشهير بـ"مفدي زكرياء"(1908م-1977م):

---

[1]- محمد ناصر، رمضان حمو الشاعر الثائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1978م، ط1، ص ص، 16-17.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 128.

[3]- أبو اليقظان، المصدر السابق، ج3، ص، 499.

[4]- محمد ناصر، رمضان حمود، المرجع السابق، ص، 18.

[5]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 128.

[6]- أبو اليقظان، المصدر السابق، ج3، ص، 501.

شاعر الثورة الجزائرية ومن ألمع أقطاب الأدب الجزائري والعربي في العصر الحديث، ولد في قصر بني يسجن بمزاب، في جمادى الأولى 1326هـ/ جويلية 1908م بدأ مشواره العلمي في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى مدينة عنابة حيث أتم تعليمه وحفظ القرآن الكريم[1].

في شوال 1338هـ الموافق جويلية 1920م انتقل إلى تونس ليكمل دراسته تحت رعاية عمه صالح بن يحي أحد مؤسسي حزب الدستور التونسي[2]، فدخل مدرسة السلام، والمدرسة الأهلية، والخلدونية، ومدرسة الآداب والترجمة بالعطارين، وأخيرا دخل جامع الزيتونة[3].

هذه السنوات التي قضاها بتونس هي التي كونته هذا التكوين الأصيل ووجهت حياته هذا التوجيه الأدبي والسياسي، فالنشأة العربية الإسلامية الأصلية التي نشأها قد تركت في نفسه حب الإسلام والعربية والوطن، لاسيما وأن أولئك المشايخ كانوا يقدمون النموذج العلمي لتلامذتهم، فقد كانوا جميعهم أعضاء مناضلين في صفوف الحزب الدستوري تحت رعاية الشيخ عبد العزيز الثعالبي[4].

وفي تونس توثقت صلته بعمه صالح بن يحي أحد مؤسسي حزب الدستور التونسي وبتأثير منه اتجه مفدي مبكرا إلى العمل السياسي، مما زاد فيه الشعور بالوطنية، فانخرط في صفوف الحزب مع طلبة آخرين من الأتباع المخلصين للزعيم الثعالبي[5].

---

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 159.

[2]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 308.

[3]- مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي إلى قيام الحرب العالمية الأولى، مفدي زكرياء 1908-1931م، مطبعة الآفاق، الجزائر، 2012م، ط01، ص، 59.

[4]- محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة "دراسة ونصوص"، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1984م، د ر ط، ص،11.

[5]- صالح ابن إدريسو، مفدي زكرياء من خلال تقارير الإدارة الفرنسية، تصد: جيلبير منبيه، تر: مصطفى حمودة، مطبعة الوفاق، غرداية، الجزائر، 2012م، د ر ط، ص، 38.

في سنة 1345هـ/1926م عاد إلى الجزائر وشارك بدور فعال في الحركة الوطنية الجزائرية، إذ عمل في حزب نجم شمال إفريقيا الذي نظم له نشيده الرسمي عام 1355هـ/1936م، فكان "فداء الجزائر"سببا في إقبال الشباب على الحزب وتكوين قاعدة جماهيرية له، ولعل أول مسؤولية أسندت له في الحزب هي "مراقب ومفوض الدعاية" ولقد تميز مفدي زكرياء في هذه المسؤولية بثقافته الإسلامية الواسعة وإتقانه للغة العربية فهو القائل:

شعبنا على العروبة والاس لام قد شبّ أن يستحيل خيالا[1]

وهذه الخاصية هي التي مكنته من القيام بدور بالغ الأهمية في الحزب في تلك الفترة بالذات، وهو الدعاية للحزب وتوظيف اللغة العربية في ذلك، فمنح الحزب اللغة العربية مكانتها في مناشيره في الجزائر، على خلاف ما كان عليه الأمر لما كان الحزب ينشط في فرنسا.

وفي سنة 1936/1355م أصبح مفدي زكرياء رئيسا للجنة التنفيذية العليا بالجزائر العاصمة، ثم بعد أن عمدت السلطة الاستعمارية على حل حزب نجم شمال إفريقيا في 26 جانفي 1355هـ/1937م فتأسس بدلا عنه حزب الشعب يوم 28 ذو الحجة 1355هـ الموافق 11 مارس 1937م بقي في نضاله وعين رئيس تحرير جريدة الشعب لسان حال الحزب[2].

جريدة الشعب كانت تمثل أفكارا أكثر مما تمثل الواقع لأنه لم يصدر منها إلا عددان أو ثلاثة، ذلك أن الإدارة الفرنسية كانت لها بالمرصاد، كما ترصدت وسجنت رئيس تحريرها، ولكن القمع لم يمنع الشاعر من أن يرسخ عقيدته الوطنية والولاء للحزب، ففي هذه الفترة نظم مفدي زكرياء أناشيد ظهر عليها روح التحزب الواضح منها نشيد "اعصفي ياريا ح" الذي سماه

[1]- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، الشّعر والهوية القومية، منشورات التبيين، الجزائر،1999م، د ر ط، ص،44.
[2]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 309.

نشيد "الشهداء" 1355هـ/1937م، كما نشر مقالات وهو سجين في مجلات وجرائد تونسية وجزائرية، فهي مقالات نقدية تصف واقع الجزائر المريض وتشتت الجهود الوطنية وتنقد الطرقية والحركة الإصلاحية[1].

وفي إطار النشاط الجمعوي شارك مفدي زكرياء في بعث جمعية الوفاق من جديد سنة 1356هـ/1938م بالاشتراك مع عدون باسعيد، والشيخ أبو اليقظان، وسليمان بوجناح، وإبراهيم غرافة[2]، فكان من بين أهداف الجمعية المعلنة تحقيق الوفاق بين المزابيين والدفاع عن حقوقهم، وأما أهدافها الخفية فقد تمثلت في نشر أفكار الوطنية، والدفاع عنها، وقد كانت جريدة "الحياة" لسان حال جمعية الوفاق بتاريخ 18 محرم 1352هـ الموافق 12 ماي 1933م، فكانت هذه الجريدة محاولة فريدة من نوعها في مجال الصحافة الناطقة باللغتين الفرنسية والعربية، وقد تكفل مدير الجريدة باسعيد عدون بالقسم الفرنسي منها، وكان مفدي زكرياء رئيس تحريرها وتولى فيها القسم العربي[3].

واصل مفدي زكرياء نضاله السياسية في حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ترشح عن قصور وادي مزاب للنيابة في المجلس الجزائري في انتخابات 1367هـ/1948م، كلفه نضاله المتواصل وإيمانه بالقضية الوطنية، الإعتقال العديد من المرات، وفي سنة

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، "تفاعل مفدي زكرياء مع التيارات الوطنية"، أعمال الملتقى الدولي، مفدي زكرياء شاعر الوحدة، أيام 15 و16 مارس 2006، الجزائ، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2007م، ص ص، 65، 66.

[2]- إبراهيم غرافة: من رجالات غرداية، كان مزدوج الثقافة، مارس التجارة بالعاصمة في العشرينات من عمره، وكان دكانه ناديا للجزائريين الثائرين ومقصدا للصحفيين الأوروبيين اليساريين، يطلعهم على أعمال الإدارة الفرنسية لتنشر في صحفهم ، كان من دعاة التعليم العربي والصحافة ، وبسبب نشر مقالات التحريض ضد فرنسا ألقي عليه القبض ورفاقه المناضلين في 13 رجب 1356هـ الموافق 17 سبتمبر 1937م، قتل سنة 1363هـ/ 1944م بمؤامرة إستعمارية. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 30.

[3]- صالح بن إدريسو، المرجع السابق، ص ص، 41، 42.

1375هـ/1956م التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني وألف نشيد "قسما" وهو النشيد الرسمي للدولة الجزائرية[1].

بعد الاستقلال اختار تونس والمغرب مسرحا لنشاطاته الأدبية، فترك تراثا أدبيا ضخما منه ما لم ير النور بعد، توفي بتونس في شهر رمضان المعظم سنة 1397هـ/1977م، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه في قصر بني يزقن بمزاب[2].

19. سليمان بن يحي، بوجناح "الفرقد"(1905م-1988م):

أديب وصحفي من المثقفين بمدينة غرداية، ولد سنة 1323هـ/1905م[3]، بدأ مشواره التعليمي في مدارس وكتاتيب بلدته، ثم انتقل إلى تونس، وعاد بعد ذلك ليتم دراسته في ثانوية "بوجو" بالجزائر العاصمة، عرف بحماسه الوطني وقلمه الناري منذ الصغر، وقد حرم بسبب كتاباته ضد التبشير في الجزائر من الدخول في امتحان البكالوريا[4]، في سنة 1345هـ/1927م شارك الفرقد في "المؤتمر المعادي للاستعمار" في بروكسل وكان من منظمي إحدى خليتي العاصمة أثناء تأسيس نجم شمال إفريقيا[5].

كان الشيخ الفرقد من بين الأعضاء المؤسسين لجمعية الوفاق وكاتبها العام، ولما نفا الاستعمار الفرقد يوم 08 صفر 1350هـ الموافق 24 جوان 1931م إلى بني عباس جنوب بشار لنزعته الوطنية وأفكاره الثائرة، توقفت الجمعية مدة سنتين، ولما أُفرج عنه من المنفي عاد إلى نشاطه الوطني فأوقف مرة أخرى في رجب 1352هـ الموافق سبتمبر 1933م

---

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 311.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 160.

[3]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 214. ينظر كذلك: Salah Ben Drrissou, Implantation des Mozabites dans l'Algéris entre les deux-guerres,T1, Thése de doctorat, T3, université de paris VIII, Vincennes saintdenis, Janvier 2000, p235.

[4]- علي بن أحمد أوجانه، الوطني الثائر سليمان بن يحي بوجناح الفرقد، نشر جمعية التراث، 2017، د ر ط، ص،28.

[5]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 316.

وأودع سجن بربروس، ثم نفي إلى أدرار لمدة سنتين ابتداء من يوم 10 شعبان 1352هـ الموافق 27 نوفمبر 1933م لإقدامه على ترجمة مقالات تدعو للاستقلال، لما أُفرج عنه من المنفي عاد إلى نشاطه الوطني فأوقف مرة أخرى في رجب 1352هـ الموافق سبتمبر 1933م وأودع سجن بربروس، ثم نفي إلى أدرار لمدة سنتين ابتداء من يوم 10 شعبان 1352هـ الموافق 27 نوفمبر 1933م لإقدامه على ترجمة مقالات تدعو للاستقلال[1].

لما أُفرج عنه من المنفي عاد إلى نشاطه الوطني فأوقف مرة أخرى في رجب 1352هـ الموافق سبتمبر 1933م وأودع سجن بربروس، ثم نفي إلى أدرار لمدة سنتين ابتداء من يوم 10 شعبان 1352هـ الموافق 27 نوفمبر 1933م لإقدامه على ترجمة مقالات تدعو للاستقلال.

شارك الشيخ في صحافة الشيخ ابن باديس وهو من الكتاب البارزين في صحافة الشيخ أبي اليقظان وأحيانا يكتب المقال الافتتاحي، فكان واسع الثقافة متقنا للعربية والفرنسية مما ساعده على الاطلاع على الصحف الأجنبية وتحليل القضايا السياسية تحليلا دقيقا، حتى وصف ب"الصحفي القدير"[2].

بعد وفاة والده استقر بغرداية، واشتغل بمصلحة الحالة المدنية ليعين فيما بعد عدلا في محكمة غرداية بداية من 15 صفر 1363هـ الموافق 09 فيفري 1944م، إنضم سنة 1370هـ/1951م إلى جماعة المحافظين وأنشأ حزب الوحدة الشعبية لوادي مزاب شعاره "ما ضاع حق ورائه مطالب" يحمل رمز هلال وسبعة نجوم، من بين آثاره الفكرية " كتاب الفرقد " وهو عبارة عن مجموعة من المقالات الصحفية، وتوفي يوم 22 ذو الحجة 1408هـ الموافق 04 أوت 1988م[3].

---

[1]- نفسه، ص، 316.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص ص، 214، 215.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 317.

20. سعيد بن الحاج شريفي "الشيخ عدون"(1902م-2004م):

من مواليد القرارة بولاية غرداية سنة 1319هـ/1902م، دخل الكتاب عند إسماعيل بن يعقوب في مسقط رأسه، ولكن سرعان ما غادر هذا الكتاب للعمل في التجارة لسداد ديون تركها له والده وعمره لا يتجاوز عشرة سنوات، وكان شغفه بالعلم كبيرا، فالتحق بالمدرسة الرسمية "سريانة"[1]، غير أن ظروف العمل لم تساعده فغادرها، وفي سنة 1333هـ/1915م عاد إلى مسقط رأسه والتحق بمدرسة محمد بن إبراهيم الطرابلسي، حيث حفظ جزءا من القرآن الكريم ثم عاد إلى سريانة للتجارة، وفي سنة 1337هـ/1919م عاد مرة ثانية إلى القرارة للزواج وعاد معها إلى مدرسة شيخه الطرابلسي، حيث استظهر القرآن الكريم، وفي سنة 1338هـ/1920م التحق بحلقة "إروان"[2].

في سنة 1920/1338م توفي خاله وهو الذي كان يكفله، فاشتد به الأمر وضاقت أحواله المادية وهو رب عائلة، في نفس الظروف التحق بمعهد الشيخ عمر بن يحي "نور القلب"، ولعل هذا الشيخ قام ببعض أمور تلميذه ليتفرغ للعلم وهناك ازدادت معرفته بالشيخ بيوض[3].

بعد وفاة شيخه "نور القلب" التحق بمدرسة الشباب التي يديرها الشيخ بيوض، فكان الشيخ عدون من أقدم تلامذة الشيخ بيوض ومن بين أهم الملازمين لهذا المعهد طوال حياته[4].

---

[1]- سعيد شريفي، بأقلام أصدقائه وأبنائه، جم، تق، تع: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، نشر جمعية التراث، د ط، غرداية، 2009م، ط01، ص، 20.

[2]- محمد ناصر، مشايخي كما عرفتهم، ط1، تنسيق وإخراج محمد أحمد جهلان، دار الريام، الجزائر، 2008م، ط01، ص، 298.

[3]- عيسى بن محمد الشيخ بالحاج، "الشيخ عدون في سطور"، مجلة الحياة، ع10، جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية 2006م، ص، 184.

[4]- أبو اليقظان، المصدر السابق، ج3، ص، 446.

يعد الشيخ عدون شريفي من الذين آزروا الشيخ بيوض في فكرة إنشاء معهد الشباب واقتنعوا بخطته، وأعادوا النظر فيما كان عليه معهد الشيخ الحاج عمر بن يحي، فراجعوا برامج ومقررات المعهد، تولى بعض الدروس للطبقة المتوسطة والصغيرة[1]، فشكل الشيخ عدون المجموعة الأولى لإدارة معهد الحياة، وكان من الذين اتفقوا على تطوير المعهد وفق مراحل تراعى فيها الأوضاع العامة للمجتمع المزابي، وقدرات الطلبة ومدى استيعابهم[2].

شغل الشيخ عدون شريفي منصب مدير معهد الحياة بعد شيخه بيوض، وكان يعتبر من أساتذة المعهد البارزين، ومن رواد النهضة والعضد الأيمن للشيخ بيوض امتاز عدون بالرصانة والخلق، والمرونة في حل المسائل الاجتماعية، استطاع بحكمته أن يسير المعهد والمؤسسات التابعة له، وكانت له إسهامات مع جيش التحرير الوطني الوافد إلى القرارة من جمع التبرعات والعتاد الحربي[3].

يقول عنه محمد علي دبوز: « والشيخ عدون محبوب لدى الجمهور، يحب للناس إصفاء طويته فأحبه الناس، وكل النبغاء قد منوا بالحسدة يكيدونهم ويعكرون صفوهم إلا الشيخ عدون، فما رأيت له حاسدا يكيده، ويتمنى زواله، وذلك لزهده في الرئاسة والظهور، إنه يقدم بجهاده العظيم في عدة ميادين في سكون وتواضع، لا يقصد بعمله إلا الله، والبر بشيخه لتخف أحماله وتعظم نتائجه للأمة»[4].

كان أبو اليقظان يجد الشيخ عدون بجنبه دائما مستعدا لمؤازرته ورفع معنوياته، ومن السباقين والمداومين على الكتابة في صحفه، وقد تجاوزت مقالاته في هذه الصحف المائة

---

[1] -Salah Bendrissou, Institut..., Op cit, p,33.

[2]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 526.

[3]- حمو محمد عيسى النوري، المصد السابق، ج1، ص ص، 99-100.

[4]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، المصدر السابق، ج2، ص، 203.

مقالة في مواضيع مختلفة واتجاهات متعددة تصب جميعها في بوتقة إصلاح المجتمع وبعثه من رقدته الطويلة[1].

في سنة 1356هـ/1937م شارك في تأسيس جمعية الحياة التي تعتبر نواة الحركة الثقافية والأدبية والتعليمية في القرارة، كما أن الشيخ استقدم الكثير من الكتب إلى مكتبة الحياة، وكان المشرف على مجلة معهد "الشباب" التي نبغ فيها الأدباء والشعراء وأصبحت تسمى فيما بعد مجلة الحياة، كما أن الشيخ عدون كان له الدور الفاعل في تأسيس جمعية قدماء التلاميذ، وعمل مفتشا بداية من سنة 1363هـ/1944م، التحق سنة 1362هـ/1943م بحلقة العزابة وأصبح رئيسها بعد وفاة الشيخ بيوض سنة1401هـ/1981م، كما ترأس مجلس عمي سعيد بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن بكلي سنة 1409هـ/1989م، انتقل إلى رحمة الله صبيحة يوم الثلاثاء 19 رمضان 1425هـ الموافق ل02 نوفمبر 2004م وشيعت جنازته في احتفال مهيب حضره العلماء والزعماء من كل أنحاء القطر الجزائري وذلك يوم 20 رمضان 1425هـ الموافق ل03 نوفمبر 2004م[2].

يقول محمد صالح الناصر في شأنه: « إن الناس داخل وخارج وادي مزاب منبهرون فقط بشخصية الزعيم والقائد الإمام بيوض، ولكن القليل منهم فقط هم الذين يعرفون الجندي المجهول الشيخ عدون، الذي رابط طوال حياته في الصف الأمامي يجود بدمه وبأنفاسه،

ويعلي من مهجته وحشاشة قلبه من أجل بناء هذه المؤسسة السامية، ويصل ليله بنهاره في سبيل متطلباتها المادية والمعنوية.» [3].

21. محمد بن علي دبوز(1919م-1981م):

---

[1]- محمد بن أحمد جهلان، "الشيخ عدون والكتابة الصحفية"، مجلة الحياة، ع07، جمعية التراث، المطبعة العربية، 2005م، غرداية، ص، 149.

[2]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص، 300.

[3]- محمد صالح ناصر، أعلام وأقلام، جمعية التراث، دار ناصر للنشر والتوزيع، غرداية، 2017م، ط1، ص،513.

ولد الشيخ في قصر بريان عام 1337هـ/1919م وتلقى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه على يد الأستاذ المقرئ الشيخ صالح بن يوسف لبسيس[1]، في حين قد وجدنا اختلافا في مولده عند الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي، حيث ذكر بأنه ولد سنة 1336هـ/1918م أبوه الدبوز حاج علي بن عيسى وأمه الدبوز عائشة بنت يحي[2].

انتقل سنة 1353هـ/1934م إلى قصر القرارة ليلتحق بالبعثة العلمية، لم يسعفه الحظ في هذه الوجهة، ولكن أسعفه من جهة أخرى لما انضم إلى معهد الحياة فزاول دراسته الثانوية، فكان فيها من التلاميذ الذين اشتهروا بالجد والانكباب على التحصيل العلمي وظل هناك إلى غاية إتمام دراسته الثانوية[3]، وفي سنة 1361هـ/1942م سافر إلى تونس والتحق بجامع الزيتونة ولم يبق هناك طويلا، حيث قام بمغامرة السفر إلى مصر والحرب العالمية الثانية على أشدها سيرا على الأقدام وتردد على جامع الأزهر والمدارس هناك مدة خمسة سنوات[4].

تردد الشيخ محمد بن علي دبوز على دار الكتب المصرية قارئا، وكان له كرسي خاص به في هذه الدار يدعى كرسي محمد علي دبوز، وقد فتحت أمامه القاهرة آفاقا علمية واسعة وتخصص في دراسة علم النفس والتربية والتاريخ والأدب، واحتك بالكثير من أدباء مصر وصادقهم وأصبحت له معرفة بهم أمثال محمد عطية الإبراشي، وأنور الجندي، والدكتورة عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" وكان كثير حضور الندوات والمحاضرات هناك[5].

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 387.

[2]- عبد الرحمن بن عمر بكلي، المصدر السابق، ص، 902.

[3]- محمد صالح الناصر، مشايخي كما عرفتهم، المرجع السابق، ص، 159.

[4]- عبد الرحمن بن عمر، المصدر السابق، ص، 903.

[5]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص، 159.

لما عاد إلى الجزائر حاملا معه شهادة الليسانس، اختاره معهد الحياة ليكون مدرسا لمادتي التاريخ والأدب، وكان له الإسهام في إدخال مادة التربية وعلم النفس في مقررات المعهد[1].

كان للشيخ دبوز دور فعال في التعريف بمعهد الحياة داخل الوطن وخارجه، وبعد محاولات مضنية اعترفت الجامعة المصرية بشهادة المعهد في جانفي 1383هـ/1963م، وقد تخرج على يده الكثير من طلبة العلم من لهم رسوخ القدم في الفكر والسياسة أمثال محمد ناصر، ومحمد ناصر بوحجام وبابهون بكير[2].

شارك الشيخ بقلمه الأصيل في نشر عدة مقالات في جريدة البصائر بين سنتي 1367هـ- 1374هـ/1948-1955م تراوح أسلوبه بين السلاسة وخيال الإبداع وقدرته الكبيرة على النشر، وقد ترك الشيخ مكتبة غنية بنفائس الكتب في مسقط رأسه تدعى اليوم مكتبة الصفاء[3].

عكف سنة 1369هـ/1950م على كتابة تاريخ المغرب الكبير بأسلوب جديد، ويذكر أنور الجندي على أن موسوعة تاريخ المغرب الكبير من الأعمال الدالة على قدرة الجزائريين في ميدان الفكر كقدرتهم في ميدان الحرب، رغم أن هذا العمل صعبا كل الصعوبة وطريق مطموس غير معبد، وله مؤلفات أخرى سنذكرها في فصول أخرى[4].

انتقل إلى رحمة الله بعد مرض عضال يوم الجمعة 16 محرم 1402هـ/ 13 نوفمبر 1981م في مسقط رأسه[5].

---

[1]- سعيد بن بكير، المرجع السابق، ص، 374.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 388.

[3]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص 160.

[4]- أنور الجندي، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1967م، ط1، ص 248.

[5]- محمد صالح ناصر، المصدر السابق، ص، 160.

22. إبراهيم بن يحي - الحاج أيوب الشهير ب"القرادي"(1923م-1989م):

من علماء العطف ولد يوم 28 رمضان 1345هـ الموافق 31 مارس 1927م، انتقل في سن مبكرة إلى الجزائر العاصمة رفقة خاله، وهناك بدأ مشواره الدراسي[1]، فأخذ يتردد على مدرسة قرآنية يقوم عليها كل من الشيخ صالح النفوسي، والشيخ إبراهيم متياز، فتعلم المبادئ العربية وسورا من القرآن الكريم، كما دخل في القسم التحضيري لمدرسة فرنسية حيث تعلم مبادئها مع أولاد المعمرين[2].

أصيب بمرض جسماني اضطر والده لإرساله إلى تونس للمداواة سنة 1349هـ/1931م، فمكث هناك ثلاث سنوات في المستشفى، فكانت فرصة لهذا الشاب في تنمية شخصيته العصامية وتعلُم مبادئ اللغة الأجنبية[3].

في سنة 1356هـ/1937م التحق بمعهد الحياة بالقرارة حيث تضلع في علوم الشريعة والأدب على يد شيخه الكبير الإمام الشيخ بيوض -رحمه الله- ثم عمل مدرسا، وكان الفضل في تأسيس فوج "الحياة" للكشافة الإسلامية الجزائرية بالقرارة سنة 1362هـ/1943م[4].

وفي سنة 1366هـ/1947م استقر بالعطف ليصبح مديرا لمدرسة النهضة مع مساعديه المرحوم الحاج إبراهيم محمد بن بهون ثم السيد الحاج صالح لبسيس القراري، إلى جانب دور التعليم كان عضوا فعالا في جمعية النهضة إلى آخر عمره، فكان لسان صدق لها في كل المجامع[5].

---

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 34.

[2]- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، جيل النهضة والإصلاح في العطفاء بلد النضال والكفاح، نشر جمعية النهضة، المطبعة العربية، الجزائر، 2010م، د ر ط، ص ص، 122-123.

[3]- الشيخ القرادي، حياته وآثاره، المصدر السابق، ص، 13.

[4]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص، 273.

[5]- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، المرجع السابق، ص ص، 126، 127.

في سنة 1380هـ/1961م انضم إلى حلقة العزابة فكان مخلصا في أداء مهمته يقوم بالوعظ والإرشاد لكافة طبقات الأمة، وقد خصص جانب مهما للعنصر النسوي لما له من أثر فعال في إعداد الأجيال للمستقبل، فهذا الاهتمام جعله رائد تعليم المرأة في وادي مزاب، فاستمرت مجهوداته في التوجيه بتأسيس مركز التكوين المهني للبنات[1].

سنة 1382هـ/1963م انتدب لإدارة المطبعة العربية والمساهمة في تحرير مجلة "الفكر الإسلامي" لما يتمتع به من مقدرة، وكان عضوا فعالا في جمعية القيم الإسلامية بنادي الترقي[2]، ورغم صغر سنه فقد أسندت إليه رئاسة عشيرته وهو في سن الخامسة والعشرين لتمتعه برزانة وحصانة ورأي سديد، فكان نعم الرئيس، فقد ساهم في إرساء دعائم الأخوة بين أبناء البلدة، في سنة 1961م اسس الشيخ القرادي مع معاونيه المجلس البلدي الثوري بالعطف، فكان المرحوم من العاملين في صمت ووفاء فقد ساهم في العمل الثوري مساهمة معتبرة[3].

كان للشيخ آثار علمية قيمة منها العديد من المقالات ، وأشعار قيمة قد نشر بعضها في كتاب "الشيخ القرادي حياته وآثاره"، كما أنه اشتهر باطلاعه الواسع في مجال التاريخ والأعراف مما جعله قبلة للعديد من الباحثين، ولعل هذا الاهتمام جعله يفكر في إنشاء جمعية التراث، فكان بحق من أبرز المؤسسين والمشجعين لهذا الصرح[4].

قال عنه الشيخ أبو اليقظان: «هو أديب أريب، ذكي الفؤاد كريم الخلق راجح العقل متزن الفكر واسع الصدر متواضع لم تستنزفه زهرة الحياة عن الانشغال بالمفيد المثمر منها

[1]- الشيخ القرادي، المصدر السابق، ص، 14.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 35.

[3]- الشيخ القرادي، المصدر السابق، ص، 14، 15.

[4]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 35.

من أدباء العطف خصه الله من بين شباب العطف في وقته بمميزات ومواهب نادرة قلما تحظى به شباب عصره من عفة ورصانة ونزاهة وثبات على مبدأ الحق»[1].

إن أكثر ما ميز القرنين التاسع عشر والعشرين في منطقة وادي مزاب هو كثرة الأعلام، والمفكرين، والمبدعين الذين جعلوا من طلب العلم، وتربية وتثقيف الأجيال الصاعدة غاية لهم عبر ما خلفوه من كنوز أدبية منقولة ومعقولة، لازالت شاهدة حتى الآن على نبوغ أعلام هذه العهد، وهذا كلّه مردّه في الأساس إلى عوامل متعددة في مقدمتها استقدام العالم الكبير عمي سعيد الجربي والدور الكبير الذي ساهم به بعدما كان وادي مزاب يعرف نوعا من الركود الأدبي والجمود الفكري، فكان قدوم هذا العالم وغيره كثير، بداية انطلاق بوادر النهضة الفكرية في منطقة وادي مزاب، في ظل الأدوار التي قام بها مجلس العزابة منها التربوية التعليمية التي زادت من إقبال المجتمع المزابي وخاصة الشباب على دور التعليم وزيادة شغفهم بطلب العلم.

بالإضافة إلى المعالم الإصلاحية والصروح الفكرية التي أسسها مجموعة من الأعلام قد آتت أكلها، فكانت بمثابة النهضة الحقيقية والفاعلة في مطلع القرن 13هـ/18م، أمثال صالح الأفضلي، وعبد العزيز الثميني، وامحمّد بن يوسف اطفيش وغيرهم ممن أنشؤوا مدارس ومعاهد ومراكز تعليمية وظيفتها نشر العلم والفكر العربي الإسلامي، فهؤلاء عملوا من أجل تغيير وإصلاح أحوال المجتمع المزابي بصفة خاصة والجزائري بصفة عامة، وتحسين أحوالهم الفكرية المزرية التي ارتسمت على المنطقة في القرون الماضية، فأفهموا العقيدة الإسلامية الصحيحة وأبقوا على الهوية العربية المثلى.

ج - إسهامات أعلام وادي مزاب في حركة التأليف:

[1]- أبو اليقظان، ملحق لسير...، المصدر السابق، ج3، ص، 519.

عرفت منطقة وادي مزاب العديد من الأعلام المشهورين على اختلاف مشاربهم ساهموا في الحراك الفكري في المنطقة، ولعل من بواعث تلك الحركة هو طبيعة المجتمع الإباضي في منطقة وادي مزاب والظروف التي أحاطت به خلال فترة الاستعمار، فقد سعى المزابيون بكل ما أوتوا من قوة للحفاظ على تشكيلاتهم الاجتماعية وتنظيماتهم العرفية، والتي أوجدت نخبة من الأعلام والشخصيات كل ساهم بفكره وفي مجال تخصصه، وعليه فإن مظاهر تلك المساهمة تعددت فعقدوا الحلق العلمية في المساجد، وأنشأوا المدارس والمعاهد، فشهدت الفترة حركة تأليف ونسخ في شتى العلوم قلّ نظيرها، أُنشئ على إثرها مكتبات وخزائن إحتوت مؤلفات ومصنفات ونوادر المخطوطات، زاد معها نشاط الحركة الفكرية.

✓ **التأليف في المنقول والمعقول:**

عرفت منطقة وادي مزاب حركة دؤوبا في مجال التأليف ، بحيث صنف العلماء والفقهاء العديد من المصنفات في مختلف أنواع العلوم والمعرفة، لها مستوى علميا راقيا وقيمة فكرية عالية، مما جعلنا نتساءل عن إنتاجهم الفكري والميادين التي برزت فيها تآليفهم.

لقد وجدنا الكثير من المصنفات، والتآليف في مجال العلوم النقلية وفي العلوم الشرعية خاصة وجلها كانت على المذهب الإباضي.

1/ الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش:

- **علوم الفقه:**

إن الحديث عن مساهمة العلماء في التأليف لهذا العلم في منطقة وادي مزاب يجعلنا نركز أساسا على الفقه الإباضي لكونه الأكثر انتشارا بين سكان المنطقة وعلمائها، فأسهم علماؤها مساهمة فاعلة في هذا التخصيص غرضهم في ذلك تثبيت المذهب الإباضي في ظل السياسة الاستعمارية الرامية إلى محاربة الفقه وعلومه، خاصة ما تعلق بالجهاد، وأهم من كتب في هذا المجال امحمّد بن يوسف اطفيش -فالتأليف والكتابة يعتبر الفضاء الثاني بعد التدريس لهذا الشيخ الجليل، فانشغل به كثيرا- ولم يستطع العيش من دونه، فقد شرع فيه منذ شبابه وتوفاه الموت وهو على هذا الحال[1]، وهذا ما جعل جل المؤرخين يستكثرون ما كتبه.

يقول محمد على دبوز في هذا الصدد: « فألف في التفسير والحديث وفي التوحيد والفقه، فالعبادات والمعاملات، وفي أصول التشريع وفي النحو والصرف والبلاغة وفي التاريخ والديانات القديمة، في الأنساب والمذاهب وفي العروض، وألف في التوحيد وفي المنطق والحساب وفي الميراث وفي الفلك وفي الفلاحة وفي الطب القديم وفي الأخلاق» [2].

فقد كثر إنتاجه حتى صعب حصره، ولعل كثرة المؤلفات ودواعي التأليف لدى الشيخ هو الاستجابة لرغبة الناس، فكثيرا ما كانت مؤلفاته عبارة عن رسائل أو جوابا لسائل أو راغب في علم لأن الشيخ كان يرى أن أمر التأليف فرض كفاية ينشغل به شخص واحد، في حين بقية المجتمع يجب أن يولوا اهتمامهم بالبناء الحضاري والعمل[3].

---

[1]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، المصدر السابق، ج1، ص ص، 308،309.

[2]- نفسه، ج3، ص، 322.

[3]- مصطفي بن الناصر وينتن، آراء الشيخ امحمد بن يوسف أطفيش العقدية (1238-1338هـ/1821-1914م)، نشر جمعية التراث، مطبعة العربية، الجزائر، 1996م، د ر ط، ص ص، 61،62.

فالفقه كما عرفه ابن خلدون في قوله: « معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهية والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفته من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه»[1]،

كان المجتمع المزابي في أمس الحاجة إلى تثبيت المذهب الإباضي خاصة في ظل الحقد الاستعماري الهادف إلى التوغل في هذا المجتمع وتشتيته، فكان لزاما على أعلام مزاب سد ذلك الفراغ، رغم ما عانوه من ضغوطات في هذا المجال من طرف المحتل، فكانت بعض الأبواب والفروع العلمية محرمة في التدريس والخطب والفتوى، خوفا من الإدارة الاستعمارية أن تستعمل بعض المفاهيم في المعارضة والثورة عليهم خاصة ما تعلق بباب الجهاد[2]، وقد استطاع أعلام مزاب ملء تلك الثغرات التي سادت في فترات سابقة منهم الشيخ القطب من خلال ما ألفه في هذا التخصص ومنها:

- **كتاب فتح الرحمن الأجل والغطاء الجزيل الأكمل**[3]: لصاحبه امحمد بن يوسف أطفيش تكون المؤلف من 218 ورقة وهو في أصول الفقه وقد وجدت فيه قضايا عقدية خاصة في الوحي والرسل وأفعال العباد[4]، ويعتبر الكتاب شرح ميسر لشرح مختصر العدل والإنصاف لصاحبه "أحمد بن سعيد الشماخي أبو العباس"[5].
- **شرح كتاب النيل وشفاء العليل**[6]: هو كتاب "النيل" لصاحبه عبد العزيز الثميني شرحه الشيخ أطفيش، نسخا مطولا في عشرة أجزاء وقد طبعت أجزاؤه السبعة الأولى طبعة

---

[1]- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص، 563.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص، 76.

[3]- نسخة مخطوطة في خزانة "القطب" رقم (17) رمز: أ-د2، ف م خ القطب أطفيش، بني يزقن، غرداية، 2013م، ص، 142.

[4]- مصطفي بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص، 73.

[5]- إبراهيم ازدك، الحركة العلمية...، المرجع السابق، ص ص، 307،308.

[6]- نسخة مخطوطة في خزانة "القطب"، رقم من 70 إلى غاية 85، المصدر السابق، ص ص، 189، 202.

بارونية سنة 1306هـ/1889م وأكمل طبعه أبو إسحاق أطفيش سنة 1343هـ/1925م طبعة سلفية في القاهرة[1].

يذكر أبو القاسم سعد الله نقلا عن محمد علي دبوز إلى أن الشيخ أطفيش قد ألف هذا الشرح عندما سمع بأن الفرنسيين عزموا على إنشاء مجلة الأحكام الإسلامية وتدوين الفقه الإسلامي حتى يصبح شرح النيل مرجعا لهذه المجلة، وقد انتهى منه سنة 1300هـ/1883م، فوجد أبو القاسم سعد الله أن ما نقله محمد علي دبوز غير ممكن لأن عملا ضخما كهذا لا يمكن في أي حال من الأحوال أن ينهيه الشيخ أطفيش في وقت قصير، ومهما يكون فإن الشيخ وضع جلّ جهده في هذا الكتاب وأخرجه للعامة وأصبح شرح النيل مرجعا في المحاكم الإباضية من جهة، ومحاكم الاستئناف الفرنسية من جهة أخرى[2].

- **ترتيب تحفة الأديب وتخصيب القلب الجديب**[3]: هو تقريبا في 303 ورقة قام الشيخ بترتيب كتاب "نزهة الأديب وريحانه اللبيب" للشيخ "عمرو التلاشي"[4].

الذهب الخالص[5]: اختصر منه أطفيش ما جاء في كتاب "قواعد الإسلام" للجيطالي وحاشيته لأبي عبد الله محمد بن أبي سنه، وقد اتبع ترتيبه الأصلي، فكان أوله حول العقيدة، وتوسع بعدها في الولاية، والبراءة، وترك بحث الإمامة ولم يذكرها إلا عرضا.

- **جامع للوضع والحاشية**[6]: هذا الكتاب هو في 156 ورقة يشبه كتاب "الذهب الخالص" في منهجيته، لكنه أكثر اختصارا ، جمع فيه المؤلف اطفيش كتاب "الوضع" لصاحبه

---

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 218.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص، 87.

[3]- نسخة مخطوطة من خزانة "القطب أطفيش"، رقم: (44)، رمز أ-و8، المصدر السابق، ص، 169.

[4]- ازدك إبراهيم، المرجع السابق، ص، 315.

[5]- نسخة مخطوطة في خزانة "القطب" رقم (66) رمز أ-و4، المصدر السابق، ص ص، 182،183.

[6]- نسخة مخطوطة في خزانة "القطب أطفيش". رقم (58) رمز أ-و14، ينظر نفسه، ص، 177.(ملحق01)

أبي زكرياء يحي بن الخير الجناوني[1] وحاشيه "محمد بن عمر أبي سنة المحشي"[2] أسماه "الجامع" لكنه عرف واشتهر ب"جامع الوضع والحاشية"[3].

- **حاشية القناطر**[4]: توجد في 382 ورقة وهي مهمة لأنها احتوت نظرة الشيخ اطفيش في موضوع الإيمان، وتعتبر حاشية لكتاب "قناطر الخيرات" للشيخ إسماعيل الجيطالي.
- **حي على الفلاح:** تم نسخ هذا الكتاب في الفترة الممتدة بين 1292هـ-1299هـ/1875م-1881م وهي في جزأين من حوالي 710 ورقة، فهذا الكتاب عبارة عن حواشي لإيضاح كتاب عامر بن علي الشماخي "الإيضاح في باب الصلاة"[5]، وله مؤلفات كثيرة في الفقه الإباضي سنعرض بعضها في الجدول الموالي.

وقد تعددت مجالات التأليف عند اطفيش، حيث ألف في علم الحديث، وعلوم القرآن، والعقيدة واللغة وعلومها، ونظم الشعر واهتم بكتابة التاريخ، وقد تعدى اهتمامهم إلى التأليف في المجالات العلمية بالطب والفلك واهتم كذلك بكتابة الرسائل ومن المآثر التي خلفها الشيخ أطفيش خلال فترة الاحتلال نجد نماذج عديدة نذكر منها:

- **التفسير:**

يُعدُّ الشيخ امحمّد بن يوسف أطفيش واحدا من القلائل الذين أتموا تفسير القرآن الكريم كاملا كتابة وشرحا، طبع تحت عنوان "التيسير التفسير"[6] سنة 1325هـ/1907م، وقد تفرد بمنهج وبطريقة فريدة في تدوين هذا الكتاب بحيث كان يشرح الآية بالمعاني الراجحة عنده،

---

[1]- ازدك إبراهيم، المرجع السابق، ص، 317.

[2]- مصطفى بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص، 71.

[3]- ازدك إبراهيم، المرجع السابق، ص، 317.

[4]- نسخة مخطوطة في خزائن "القطب أطفيش"، رقم (60)، رمز أ-و5ج1، المصدر السابق، ص،179.

[5]- مصطفى بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص، 74، وينظر إبراهيم ازدك، المرجع السابق، ص، 317.

[6]- نسخة مخطوطة في خزانة القطب، رقم02 رمز أ-ب2-3ح1، المصدر السابق، ص، 129.

ثم يقوم بربطها بالآيات السابقة محققا الوحدة في الموضوع، وأضفى على هذا التفسير نوعا من النحوية عندما كان يذكر وجوه الإعراب للآيات[1].

كما أن للشيخ تفسيرين آخرين تمثلا في **داعي العمل ليوم الأمل**[2] وضع في أربعة أجزاء وهو من سورة الرحمن إلى سورة النّاس، والتفسير الثاني "**هيمان الزاد إلى دار المعاذ**"[3] الذي طبع سنة 1305هـ/1888م في 14 جزءا وشمل القرآن كلّه[4].

- **علم الحديث والسير:**

ما يلاحظ أن علم الحديث لم يلق عناية كبيرة من قبل الإباضية، ومردّ ذلك هو اعتمادهم على مسند الإمام ربيع بن حبيب[5]، ثم استعانتهم بباقي كتب الصحاح وهذا بشهادة الشيخ أطفيش في رحلته إلى الحجاز، حيث يذكر « وكانت كتب الحديث غير موجودة في مضاب، ورأي مالكي عالم من أهل مكة مضابيا ينسخ شرح النيل في مكة، ولم يجد فيه الحديث كثيرا، فأعطاني البخاري ومسلما، والترمذي وابن ماجة والنسائي وأبا داود، وغير ذلك، وأنا حاضر في مكة، فانتفعت بتلك الكتب، كما انتفعت بصحيح الربيع بن حبيب، فجمعت منها وفاء الضمانة، وجامع الشمل، في حديث خير الرسل وما خالفونا في الأصول»[6]. ومن تآليفه في الحديث والسيرة:

---

[1]- يحي بوتردين، "الشيخ أطفيش بن يوسف اطفيش ومذهبه في تفسير القرآن الكريم مقارنة إلى أهل السنة، بحث ماجستر، جامعة عين شمس، القاهرة، 1989م، مرقون، ص، 213.

[2]- نسخة مخطوطة في خزانة "القطب أطفيش" رقم (01) رمز: أ-ب1-1ج2، المصدر السابق، ص، 129.

[3]- نسخة مخطوطة في خزانة "القطب أطفيش" رقم (09) رمز: أ-ب6، نفسه، ص، 134.

[4]- عبد الحميد عومري، "الحياة لثقافية والفكرية في الجزائر 1880م-1919م"، رسالة دكتوراه، تاريخ الحركة الوطنية، جامعة سيدي بلعباس، 2017م، ص، 273.

[5]- انظر: ازدك، المرجع السابق، ص، 290.

[6]- الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، تيسير التفسير، تح، وإخ، ابراهيم بن محمد طلاي، ج4، سورة الأحزاب، الآية 04، المطبعة العربية، الجزائر، 1996م، د ر ط، ص، 163.

- **ترتيب ترتيب جامع الصحيح**[1]: طبعت في الجزائر سنة 1326هـ/1908م.
- **وفاء الضمانة بأداء الأمانة**[2]: طبعت في مصرطبعة بارونية سنة 1326هـ/1908م.
- **جامع الشمل في حديث خاتم الرسل**[3]: طبعت طبعة مجربة بارونية سنة 1304هـ/1887م.
- **السيرة الجامعة في المعجزات اللامعة:** طبعت في القاهرة سنة 1344هـ/1926م[4].

- **اللغة وعلومها:**

يذكر أبو القاسم سعد الله أنّ الشيخ أطفيش له إمكانات لغوية وأدبية قلّ نظيرها، حيث يذكر: «...وكانت له من الإمكانات الأدبية واللغوية والمواهب العقلية ما أهّله لخوض هذا البحر، فقد كان ولوعا بالأدب واللغة والتاريخ والبلاغة والحديث، وله اطلاع واسع على الحضارات ومساهمات الشعوب»[5].

فقد كان متحكما في اللُّغة العربية وآدابها، فخلف لنا قصائد شعرية رائعة وألف في النحو والصرف والعروض وله كتاب في هذا أسماه "**إيضاح الدليل في علم الخليل**" و"**الكافي في التصريف**" و"**حاشية على الأجرومية**" و"**الشواهد**" للقزويني و"**شرح لامية الأفعال**" لابن مالك وله في البلاغة "**ربيع البديع علم البديع**" و"**بيان البيان في علم البيان**" و"**شرح المرونق في شرح المنطق**" لعبد الرحمن الأخضري[6].

---

[1]- نسخة مخطوطة في خزانة "القطب أطفيش" رقم(16)، رمز "أ.د8 ، مصدر السابق، ص، 141.

[2]- نسخة مخطوطة في خزانة "القطب أطفيش" رقم (24) رمز: أ.د2-1ج1، نفسه، ص، 147.

[3]- نسخة مخطوطة في خزانة "القطب أطفيش" رقم (17) رمز: أ. د2، نفسه، ص، 142.

[4]- عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال أراء امحمد بن يوسف أطفيش 1236-1332هـ/1818-1819م، مكتبة الصابري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2010م، ط3، ص، 112.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص، 16.

[6]- عمار طالبي، "كلمة الأستاذ عمار طالبي"، يوم دراسي: قطب الأئمة أطفيش، العلم والعمل لصالح الجماعة والوحدة، نشر المجلس الأعلى للغة العربية، 2011م، ص، 27.

- **التاريخ:**

في أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر ألف امحمّد بن يوسف اطفيش تاريخا لبني مزاب سمّاه **الرسالة الشافية** وقد طبعت في وقتها، وهذا بطلب من المستشرق الفرنسي إيميل ماسكري الذي اهتم بمدن مزاب ولهجتها وتاريخها[1].

لاحظ أبو القاسم سعد الله حول طريقة كتابة الرسالة الشافية إنها لم ترق إلى العمل التاريخي، وإنما كان سردا لأخبارا عامة، ويرجع ذلك ربما إلى خوف الشيخ امحمّد اطفيش من أن تستخدم الإدارة الفرنسية عمله ذريعة للإساءة إلى بني وطنه، فلم يكتب إلا ما رآه نافعا، ورغم ذلك يرى الكثير من المؤرخين والباحثين أن الرسالة الشافية تبقى مصدرا هاما في كتابة تاريخ المنطقة لقلة ما كتب حولها.

وقد كتب الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش تاريخا آخر لبني مزاب توسع فيه أكثر من الرسالة الشافية ولكنه لم يطبع، كانت نسخة منه بحوزة إبراهيم بن نوح امتياز في قصر بني يزقن، ولعل هذه النسخة الجدية تكون أحق بالطبع مادام أن القطب قد كتبها بدوافع دينية وموضوعية[2]، والجداول الموالية يرصد ما تمكنا الحصول عليه من بعد المكتبات:

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج7، ص، 388.

[2]- نفسه، ص، 389.

جامع حرف ورش	رقم 05 رمز أ- ب2-3ح1 ص:131
جامع الشمل في حديث خير الرسل	رقم 17 رمز أ-د2 ص:142
مختصر في علم الخط	رقم 08 رمز أ- ب5 ص: 133
الغسول من أسماء الرسول	رقم 21 رمز أ-هـ5 ص:145
شرح نونية المديح لابن وثان المغربي	رقم 32 رمز أ- هـ8 ص: 155
شرح عقيدة التوحيد لأبي حفص عمرو بن جميع	طبع سنة 1326هـ والمطبعة غير مذكورة ص: 475
القول المتين شرح مقدمة تيبغوربين	رقم34 رمز أ-هـ 1\4 ص:157
شرح أصول تبغورين	رقم33 رمز أ- هـ4 ص: 156
فتح الباب للطلاب بإذن الملك الوهاب	رقم 38 رمز أ- هـ12 ص: 159
الحجة في بيان المحجة في توحيد بلا تقليد	رقم 40 رمز أ-هـ 13 ص: 160
رد الشرود في الحوض المورود	رقم 28 رمز أ- و9 ص: 153
إزهاق الباطل بالعلم الهاطل	رقم 123 رمز أ- هـ15 ص: 249
الجُنة في وصف الجُنة	طبع سنة 1345هـ المطبعة السلفية
إزالة الاعتراض عن محقي آل إباض	طبع سنة 1314هـ والمطبعة غير مذكورة ص: 574
الذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى	رقم 25 رمز أ- هـ5 ص 151
تقريرات على حاشية الديانات	رقم 126 رمز أ- هـ17 ص: 151
الرد على الصفرية والأزارقة	رقم 149 رمز أ- هـ18 ص 261
إن لم تعرف الإباضية يا عقبي	رقم 151 رمز أ- هـ14 ص262
فتح الله	رقم 41 رمز أ- هـ 1 ح1 ص: 163
شرح الدعائم الموسع	رقم 69 رمز أو2ج2 ص: 185
شرح الدعائم المختصر	رقم 68 رمز أو 2 ج1 ص: 183
شامل الأصل والفرع	طبع سنة 1348 المطبعة السلفية
ترتيب المدونة الكبرى	رقم 49 رمز أ- و15 ص: 172
حاشية أبي مسألة	رقم 59 رمز أ- و6 ص: 177
حاشية شرح الرائية في الصلاة	رقم 60 رمز أ- هـ7 ص: 178
القنوان الدانية في مسألة الديوان العانية	طبع سنة 1314هـ والمطبعة غير مذكورة ص: 474
التوأم	طبع سنة 1344هـ مطبعة العرب تونس
حكم الدخان والسعوط	رقم 133 رمز أ- و23 ص: 254

البرهان الجلي في الرد على الجربي علي	رقم 124 رمز أ- ز2 ص: 249
جواب أهل زوارة	طبع سنة 1325هـ والمطبعة غير مذكورة ص: 474
تقريرات على كتاب المعلقات	رقم 55 رمز أ- و18 ص: 175
ترتيب كتاب اللقط	رقم 45 رمز أ- و4\12 ص: 170
ترتيب المعلقات	رقم 50 رمز أو12 ص: 173
قصيدة الغريب	رقم 93 رمز أ- م6 ص: 209
من شواهد قواعد الإعراب	رقم 106 رمز أ- ع3 ص: 226
حاشية أولى على شرح أبي القاسم الداوي على الأجرومية	رقم 88 رمز أ- م3 ص: 206
حاشية ثانية على شرح أبي القاسم الداوي على الأجرومية	رقم 89 رمز أ- م1 ص: 207
تخليص العاني من ربقة جهل المثاني	رقم 99 رمز أ- س4 ص: 216
بيان البيان	رقم 97 رمز أ- س1-2 ص: 215
ربيع البديع	رقم 101 رمز أ- س3 ص: 217
إيضاح الدليل في علم الخليل	رقم 103 رمز أ- س5 ص: 221
الرسم في تعليم الخط	رقم 08 رمز أ- ب5 ص: 133
شرح شرح أبي سليمان داود التلاتي على الأجرومية	رقم 90 رمز أ- م2 ص207
تسهيل الاجتهاد في تفسير أشعار الاستشهاد	رقم 105 رمز أ- ع2 ص: 225
حاشية على شرح المرادي على الألفية	رقم 86 رمز أ- م4 ص: 205
المسائل التحقيقية في بيان التحفة الأجرومية	رقم 95 رمز أم1\5 ص: 210
الانشراح في بيان شواهد التخليص والمفتاح	رقم 104 رمز أ-ع1 ص: 225
الكافي في التصريف	رقم 94 رمز أ- م7 ص: 210
شرح على العيني	الكتاب مفقود ولا دليل على أنه قام بتأليفه ص: 19
شرح شواهد الوضع	رقم 35 رمز أه6 ص: 157
الإمكان فيما جار أن يكون أو كان	رقم 111 رمز أ- ث5 ص: 233
شرح رسالة الوضع	رقم 35 رمز أه6 ص: 157
تحفة الحب في أصل الطب	رقم 119 رمز أ- د2 ص: 243
النحلة في غرس النخلة	رقم 120 رمز أ- ض3 ص: 243

شرح مخمسة أبي نصر	رقم 36 رمز أه11 ص: 158
خطبتا العيدين	رقم 146 رمز أ- د20 ص: 260
أجور الشهور على مرور الدهور	رقم 19 رمز أ – و13 ص: 144
إطالة الأجور وإزالة الفحور	رقم 15 رمز أ- و 2\13 ص: 141
العمارة أو مختصر في عمارة الأرض	رقم 121 رمز أ- ز4 ص: 244
شرح لغز الماء	طبع سنة 1301هـ والمطبعة غير مذكورة ص: 473
مجموع قصائد في المدح والوعظ	طبعت سنة 1314هـ والمطبعة غير مذكورة ص: 474
تفسير اللغز	رقم 87 رمز أ- م11 ص: 205
جواب مشايخ مكة	طبع سنة 1301هـ المطبعة غير مذكورة ص: 473
خطبة لأهل نفوسة	رقم 148 رمز أ- ظ 5 ص: 261

المصدر: رصد مؤلفات القطب من خلال فهرس مخطوطات مكتبة القطب (*).

تقريرات عن كتاب التكميل لبعض ماأخل به كتاب النيل	رقم 39 رمز 03 ص: 16
رد على نقض فرنسا لمعاهدة 1853م	رقم 105 رمز 12 ص: 44
عدم الرؤية وإدحاض مذهب أهل الفرية	رقم 12 رمز 12 ص: 05
قذي العين على أهل الغين	رقم 15 رمز 12 ص: 17
مرشد المستنكح ومرصاد المستفتح	رقم 64 رمز 12 ص: 26

المصدر: رصد مؤلفات القطب من خلال فهرس مخطوطات (لخبورات) (**)

حاشية على جواب ابن خلفان العماني	رقم 113 رمز مع \ د غ09ص: 42
إباحة معاملة الكارطة بلا ربا ولا فارطة	رقم 63 رمز مع \ د غ36 ص: 24
الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل وادي مزاب	رقم 256 رمز مع \ د غ125 ص:93

المصدر: رصد مؤلفات القطب من خلال فهرس مخطوطات خزانة دار التعليم (***)

* – فهرس مخطوطات خزانة الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش، بني يزجن، غرداية، الجزائر، جويلية 2013م.

** – فهرس مخطوطات خزانة محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)، جمعية عمي سعيد، قسم التراث والمكتبة، غرداية، الجزائر، 2005م.

*** – فهرس مخطوطات خزانة دار التعليم، نفسه، 2007م.

شرح لامية الأفعال	رقم 286 رمز 38 ص: 149
نكت على شرح التلاتي للنونية	رقم 96 رمز أ- هـ7 ص: 211

المصدر: رصد مؤلفات القطب من خلال فهرس مخطوطات خزانة البكري[1]

الجامع الصغير	رقم 103 رمز حم 09 ص: 42
تحفة أهل بريان	رقم 088 رمز حدغ 86 ص: 36

المصدر: رصد مؤلفات القطب من خلال فهرس مخطوطات خزانة حمو بابا وموسى[2]

مختصر ثان في تعليم الخط	رقم 015 رمز خ.د.غ 079\ق1 ص: 6
القصيدة الحجازية	رقم 328 رمز ح.م 004\شح5 ص:93

المصدر: رصد مؤلفات القطب من خلال فهرس مخطوطات خزانة آل الفضل[3]

كان لقطب الأئمة امحمّد اطفيش دورا هاما في الحركة الفكرية في الفترة المعاصرة من خلال المجهودات التي قدمها، في التأليف، والتدريس، والإصلاح، والإرشاد، جعله يرتقي إلى مصاف المشايخ بالمنطقة، بل أصبح خطيبا[4]، فيذكر حفيده محمد بن محمد أن المطلع على ما تركه الشيخ من تأليف يلتمس غزارة فكره وموضوعيته العلمية، فلقد خلف ما يربو عن 135 عملا من مختلف الأحجام منها حوالي 70 عملا في العلوم الدينية و20عملا في العلوم اللغوية و15 عملا في العلوم الإنسانية والطبيعية[5]، وهذه الطريقة كان معمولا بها عند العلماء من جيله وممن سبقه، بحيث كانوا يؤلفون في ميادين مختلفة، منحهم طابع الموسوعية.

---

[1]- فهرس مخطوطات خزانة البكري، نفسه، 2015م.

[2]- فهرس مخطوطات خزانة الشيخ حمو بابا وموسى، جمعية عمي سعيد، نفسه، غرداية، الجزائر، 2003م.

[3]- فهرس مخطوطات خزانة آل الفضل، بني يزجن، نحو دليل مخطوطات وادي ميزاب05، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1996م.

[4]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، المصدر السابق، ج1، ص، 322.

[5]- محمد بن محمد بن امحمد أطفيش، "قطب الأئمة العالم الماهر ومكتبته المعلم الزاخر"، يوم دراسي، المرجع السابق، ص، 14.

2/ محمد بن سليمان بن صاح اليسقني ابن إدريسو(تو:1313هـ/1895م):

وهو من أشهر تلاميذ الشيخ القطب، كان له دار للتدريس، وما يحكى عنه أنه يتمتع بأسلوب عجيب في التعليم اشتهر بالنسخ والتأليف، ترك العديد من المؤلفات في العقيدة والفقه والتفسير واللغة العربية[1]، فقد إقتدر على التأليف على غرار رفيق دربه الشيخ القطب نتناول هذه التآليف في الجدول الموالي:

المؤلفات	الملاحظة
اليمن والبركة في تفسير الهدى والرحمة	رقم (9)و(10) رمز (ب)3و 6 ص:07
حمدا لمن أكرم بالقرآن	رقم 273 رمز (أ)10 ص:130
شرح القصيدة النونية للموشائي	رقم (35) رمز (ب)8 ص ص: 19-20
نظم عقيدة التوحيد	رقم (276) رمز (ب)8 ص: 131
نحمد من فقهنا في الدين	رقم 285 رمز (أ) 10 ص: 136
الحمد لله علي الإسلام	رقم (278) رمز (أ)10 ص: 132
الذهب الخالص	رقم(112) رمز (أ)120 ص: 54
شرح مختصر "الرائية في الصلاة"	رقم (118) رمز (ب)9 ص: 57
الفرات في إيضاح هديتي على الميراث	رقم (122) رمز (أ)7 ص: 59
مسلك الذهب في الجوهر والدرر المهذب	رقم (300) رمز (ب)7 ص: 144
"الحمد لله الذي قد أنزلا"	رقم (295) رمز (أ)10 ص: 141
هداية الإخوان	رقم (303) رمز (أ)10 ص: 145

المصدر: رصد مؤلفات الشيخ محمد بن سليمان ابن إدريسو من خلال خزانته[2]

[1]- يوسف بن بكر، المرجع السابق، ص، 164.

[2]- فهرس مخطوطات خزانة الشيخ محمد بن سليمان بن إدريسو اليسجني ونجليه صالح وسليمان، جمعية عمي السعيد، المصدر السابق.

3/ يوسف بن حمو بن عدون(أبو يعقوب): (1158هـ/1745م-1252هـ/1836م)

هو من أعلام المنطقة، ينقل محمد علي دبوز شهادة أبو إسحاق أطفيش أن لابن عدون مؤلفات مخطوطة هي غاية في النفاسة، وحسن النسخ والترتيب[1]، ومن مؤلفاته:

1. "مختصر كتاب الطهارات"[2].
2. ترتيب لقط أبي عزيز[3].
3. بيان الشرك من كبائر النفاق[4]
4. كتاب المعجزات[5].
5. شرح على بعض الدعائم[6].
6. قصيدة في رثاء الشيخ عدون[7].
7. نظم في فقه المعاملات[8].
8. نظم اللقط[9].
9. الجواهر الثمينة على المنظومة الميمية[10].
10. معجزات الرسول[11].

---

[1]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص، 282.

[2]- نسخة مخطوطة في خزانة دار التلاميذ،رقم 488 رمز إ.تا90، جمعية عمي سعيد، المصدر السابق، ص،234.

[3]- نسخة مخطوطة في خزانة البكري ،رقم 123 رمز 66، جمعية عمي سعيد، نفسه، ص، 68.

[4]- نسخة مخطوطة في خزانة البكري ،رقم 32 رمز د.غ43، جمعية عمي سعيد، المصدر السابق، ص، 21.

[5]- نسخة مخطوطة في خزانة محمد بن يوسف ببانو ،رقم 693 رمز ب393،ج1، المصدر السابق، ص، 265.

[6]- نسخة مخطوطة في خزانة محمد بن يوسف ببانو ،رقم 362 رمز ب94،ج1، نفسه، ص، 141.

[7]- نسخة مخطوطة في خزانة صالح لعلي، رقم 217 رمز م 063 ،مج 01، قسم القصائد، نفسه،2000م، ص،234.

[8]- نسخة مخطوطة في خزانة صالح لعلي ، رقم 094 رمز م 021، مج01، قسم الفقه، نفسه، ص، 31.

[9]- نسخة مخطوطة في خزانة صالح لعلي ، رقم 089 رمز م 081، مج01، قسم الغة العربية، نفسه، ص، 234.

[10]- نسخة مخطوطة في خزانة صالح لعلي ، رقم 0633 رمز م 140، مج01، قسم التاريخ والجغرافيا، نفسه، ص،234.

[11]- نسخة مخطوطة في خزانة الشيخ القاضي ابي بكر بن مسعود الغرداوي، رقم 208 رمز بابكرادغ01، جمعية عمي سعيد، المصدر السابق، ص، 97.

4/ الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي: (1287هـ/1870م-1347هـ/1928م)

إن المطلع على مؤلفات الشيخ لا يكاد يصدق أنّه فاقد لبصره، ولعلّ هذا النقص عوّضته تلك الملكة في حفظ كتاب الله وذاكرته القوية، واختياره لامرأة مثقفة للزواج ساعده على التأليف والكتابة، كما وجد العون في كاتبه السيد بكير قضي[1].

ومن شرهه وحبه للكتاب، فقد جمع مكتبة مازالت قائمة في قصر بني يزقن، عُرف بالحفظ وجودة الذاكرة وتوقد القريحة مولعا بالإصلاح وجمع الشمل، ترك لنا تراثا زاخرا ، شاهدا على مدى إهتمامه بالعلم ومؤسساته، له جهود كبيرة في سبيل إثراء الخزانة الجزائرية خاصة في مجال العلوم الشرعية واللغة العربية، وقد زرت مكتبة الشيخ الكائنة في بني يزقن، احتوت على ألفي كتاب بين مطبوع ومخطوط منها ما ألفه، لا يزال غضا ينتظر الباحثين، نذكر ما تحصلنا عليه في الجدول التالي:

المؤلف	الملاحظة
القول الوجيز في كلام الله العزيز	رقم 15 رمز ع17(2)
خلاصة المراقي إلى مبادئ طاعة الخلاق	رقم 347 رمز 150\اشه01(3)
رسالة الوصايا الثمانية للعزابة	رقم 121 رمز 23(4)
البراهين القاصفة لتمويهات متبعي الفلاسفة	رقم 14 رمز ع19(5)
رسالة الانتقادات الثلاثة والعشرين	ؤقم 393 رمز ع5(6)
مجموعة أجوبة وفتاوى	رقم 260 رمز دصور17(7)

[1]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، المصدر السابق، ج1، ص، 285.

[2]- نسخة مخطوطة في خزانة دار العلم، مؤسسة عمي سعيد، المصدر السابق، 2020م، ص، 09

[3]- نسخة مخطوطة في خزانة آل يدر،جمعية التراث، المصدر السابق، غرداية، 1994م، ص، 114.

[4]- نسخة مخطوطة في مكتبة محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)، مؤسسة عمي سعيد، المصدر السابق، ص، 50.

[5]- نسخة مخطوطة في خزانة دار العلم، مؤسسة عمي سعيد، المصدر السابق، ص، 44.

[6]- نفسه، ص184.

[7]- نسخة مخطوطة في خزانة دار التلاميذ، مؤسسة عمي سعيد، المصدر السابق، ص، 168.

رسالة في التزهيد عن الدنيا	رقم 494 رمز 80ك 41(1)
حاشية السؤالات	رقم 90 رمز ب36 (2)
الحجج الدامغة للشبيبة الزائغة	رقم 178 رمز ع29 (3)
تنبهات بشأن رؤية هلال شوال	رقم 280 رمز ب58(4)
حاشية تبين أفعال العباد	رقم 314 رمز ب44(5)
حاشية كتاب الألواح	رقم 309 رمز ب44(6)
الخلاصة	رقم 324 رمز ب451(7)
حاشية على المقصد النافع لبقية الناشيء	رقم0026 رمز م044(8)

5/ الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش: (1305هـ/1888م-1385هـ/1965م):

عُرف الشيخ أبو إسحاق في بداية مشواره بالصحافة من خلال مجلة المنهاج وفي سنة 1931م تخلى عنها لصالح محي الدين الخطيب، ملتحقا سنة 1959هـ الموافق 1940م بدار الكتب المصرية كموظف سمح له ذلك بالاطلاع على كتب عديدة وفي جميع التخصصات واحتكاكه بجمع غفير من العلماء ومجالستهم، هذا التحول أدى به إلى بدء مرحلة جديدة في التأليف والتحقيق[9].

[1]- نسخة مخطوطة في خزانة آل يدر، جمعية التراث، المصدر السابق، ص، 161.

[2]- نسخة مخطوطة في خزانة محمد بن يوسف ببانو،ج1، مؤسسة عمي سعيد، المصدر السابق، ص، 34.

[3]- نسخة مخطوطة في خزانة دار العلم، نفسه، ص، 85.(الملحق02)

[4]- نسخة مخطوطة في خزانة محمد بن يوسف ببانو ، ج1، نفسه، ص، 107.

[5]- نفسه، ص، 121.

[6]- نفسه، ص، 119.

[7]- نفسه، ص، 125.

[8]- نفسه، ص، 09.

[9]- محمد شعشوع، "الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش وقضايا المشرق العربي من مجلة المنهاج (1925/1931م)"، شهادة ماجستير، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر، 2012م، ص، 26.

كان إنتاجه الشيخ الفكري غزيرا وترك لنا الكثير من المؤلفات سنوردها في الجدول التالي[1]:

المؤلف	الملاحظة
الدعاية إلى سبيل المؤمنين	طبع في تونس سنة 1342هـ/1922م
شرح كتاب الملاحن	محقق طبع سنة1347هـ/1927م
النقد الجليل للعتب الجميل على أهل الحرج والتعديل	طبع في القاهرة سنة 1342هـ/1922م
الفرق بين الإباضية والخوارج	مطبوع
رسالة التوحيد	محقق طبع سنة1376هـ/1956م
مقدمة التوحيد	محقق طبع سنة 1353هـ/1933م
عصمة الأنبياء والرسل	مفقود
الأقوال السنية في أحوال قطب الأئمة	مفقود
الجامع لأحكام القرآن	محقق طبع سنة 1376هـ/1956م
صلاة السفر وأحكامها	مفقود
منهاج السلامة فيما عليه أهل الاستقامة	مفقود
تقديم لكتاب حياة الباروني	طبع سنة 1360هـ/1940م
جمع أركان الإسلام	محقق طبع سنة 1346هـ/1926م
مختصر الأصول والفقه	مفقود
الصوم بالتلفون والتلغراف	طبع سنة 1355هـ/1935م
تحفة الأعيان بتاريخ أهل عمان	محقق طبع سنة1350هـ/1930م
شرح النيل وشفاء العليل	محقق طبع سنة1343هـ/1923م
جامع أركان الإسلام	محقق طبع سنة 1346هـ/1926م
شامل الأصل والفرع	محقق طبع سنة 1348هـ/1928م
"الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب"	محقق طبع سنة 1349هـ/1929م
الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص	محقق طبع سنة1343هـ/1923م
كتاب الرسم	محقق طبع سنة 1349هـ/1929م

[1]- الحاج أحمد بن حمو كروم، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد اطفيش العالم العامل، جمعية أبي إسحاق إبراهيم لخدمة التراث، المطبعة العالمية، 2010م، ط1، ص، ص، 23، 32.

كتاب الوضع	محقق طبع سنة 1381هـ/1956م
الصحافة	طبع سنة 1350هـ/1930م
عمان الإمامية	طبع سنة 1375هـ/1955م

6/ الشيخ أبو اليقظان بن عيسى حمدي: (1306هـ/1888م-1393/1973م)

إنّ الشيخ أبو اليقظان ذاع صيته واشتهر بالصحافة، فكانت وسيلته في المقاومة آنذاك، وبسبب القمع وسياسة التضيق من الإدارة الفرنسية صُودرت كل صحفه وأرهق بالغرامات، وفي ظل هذا الخناق المسلط اختار الشيخ التأليف وقد تفرغ لهذا العمل النبيل، خاصة بعد شلله النصفي، فكانت نقمته نعمة، وفي هذا الصدد يقول: "بعد أن رأيت الجو مكفرا، بعد تعطيل جرائدنا، وبعد أن يئست من الرجوع إلى ميدان الصحافة..... وفي الأجل بقية -والحمد لله- حولت وجهتي للتأليف"[1]، ومن هذا المنطلق استطاع الشيخ ترك تراث فكري فاق الستين مؤلفا في علوم الدين واللغة، والشعر، والتاريخ، والتراجم[2]، سنوردها في الجدول التالي[3]:

المؤلف	الهيئة	الملاحظة
فتح نوافذ القرآن		منشور
أضواء على بعض أمثال القرآن	مخطوط	
أطوار التكوين والفناء في القرآن الكريم	مخطوط	
أشعة النور في سورة النور		
أقمار من سورة القمر	مخطوط	
صبر يوسف يتجلى في محنته	مخطوط	
سورة من الكتاب المجيد بشائره للمؤمنين		

[1]- يوسف حسين، "أسلوب الدعوة ووسائلها عند أبي اليقظان"، مجلة الموافقات، عدد05، منشورات المعهد العربي لأصول الدين، الجزائر، 1996م، ص، 427.

[2]- سعيد بن بكر، المرجع السابق، ص 306.

[3]- أحمد محمد فرصوص، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، دار البعث، قسنطينة، د س ن، ص، 35 وما بعدها. ينظر كذلك: خيري الرزقي، المرجع السابق، ص، ص، 20، 23.

ونذره للكافرين		
سلم الاستقامة		مطبوع
تحفة أبي اليقظان للصبيان	مخطوط	
كلمتي في اللحية	مخطوط	
إجابتي عن أسئلة الأخ عبد الرحمن بكلي	مخطوط	
ملحق السير	مخطوط	بحوزتي أنظر الملحق رقم: 03
الإباضية في شمال إفريقيا	مخطوط	
تاريخ الصحافة العربية في الجزائر		حققه الأستاذ محمد ناصر وهو مطبوع
الجزائر بين عهدي الاستقلال والاستغلال	مخطوط	
مأساة فلسطين		مطبوع
هل للإباضية وجود في سوف في الزمن القديم	مخطوط	أنظر الملحق رقم: 04
صور جديد في الجزائر	مخطوط	
وادي مزاب		
بيان الحقيقة في مسألة العسكرية بوادي مزاب على لسان وكيل الأمة المزابية	مخطوط	
مجموعة المهمات علمية تاريخية	مخطوط	
خلاصة التاريخ الإسلامي في الجزائر		
عنوان الحضارة فيما يتعلق ببلدة القرارة	مخطوط	
تاريخ القرارة		
الإسلام ونظام المساجد في وادي مزاب	مخطوط	
أهدافي العليا بالعمل في هذه الحياة	مخطوط	
نظام "أمستردان" في غرداية	مخطوط	
مشاهد الزيارة في القرارة	مخطوط	
رسالة العزابة	مخطوط	
بيانات واضحة عن الإباضية بوادي مزاب	مخطوط	
دفع شبه الباطل عن الإباضية الوهبية المحقة	مخطوط	أنظر الملحق رقم: 05

رد على جريدة "إيكو دالجي" في شأن الخوامس السبكة	مخطوط	
"العميد" مدينة العد	مخطوط	
كيف النظام الديني والاجتماعي بالقرارة	مخطوط	
دليل السواح للقرارة	مخطوط	
جماعة الملاكين في العميد	مخطوط	
كراس المؤسسات	مخطوط	
مشروع تحديد الميضاءة بالقرارة	مخطوط	
الإمام أبو يعقوب يوسف الورجلاني	مخطوط	
الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر القرسطاني	مخطوط	
الإمام أبو إسحاق أطفيش	مخطوط	أنظر الملحق رقم: 06
نشأتي	مخطوط	
أفذاذ علماء الإباضية عبر العصور	مخطوط	أنظر الملحق رقم: 07
فذات النساء في وادي مزاب في العهد الأخير	مخطوط	
بابا عمي الحاج كما أعرفه	مخطوط	أنظر الملحق رقم: 08
الإمام عبد الله أباض الفهري	مخطوط	
من هو الشيخ إبراهيم بن بكير	مخطوط	
الشيخ أبو زكريا يحي بن صالح	مخطوط	
عبد المؤمن بن علي	مخطوط	
أين الواقعيون	مخطوط	
سبل المؤمن البصير إلى الله		مطبوع
مجموع الشذرات الحكيمة	مخطوط	
مكامن الآلام الوجعية	مخطوط	
اقتحام في صحافة وادي مزاب	مخطوط	
لوامع الاجتماع في مزالق النزاع	مخطوط	
نعيم المرأة الميزابية في وادي مزاب	مخطوط	
رحلتي إلى بيت الله الحرام	مخطوط	

خطبتي عيد الأضحى وعيد الفطر	مخطوط	
فتاوى ومتفرقات	مخطوط	
الديوان		طبع سنة1931م
إرشاد الحائرين		طبع سنة1923م
الإمام ابو عمار عبد الكافي	مخطوط	أنظر الملحق رقم: 09
الإمام عبد الله بن إباض المري التميمي	مخطوط	أنظر الملحق رقم: 10
الشيخ الثميني كما أعرفه	مخطوط	أنظر الملحق رقم: 11

7/ الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض: (1315هـ/1839م-1401/1981م)

يذكر أبو القاسم سعد الله أنّ حياة الشيخ بيوض مبسوطة في عدد من المصنفات العامة وأهمها ما كتبه الدكتور محمد بن ناصر، حيث يقول: « فقد كان للشيخ باع في التأليف هنا"[1]، ومن جملة خصال الشيخ بيوض يضيف عبد الرحمن البكري قائلا: "خلق كريم، وعلم واسع وعقل متزن، وفكر وقّاد، وحافظة قوية، إلى لسان فصيح معبر، وقلم بليغ مقرر، إلى ألمعية قوية العواقب في أثناء فكرته»[2]، وهذه سمات شخصية بيوض إبراهيم الذي ترك لنا تراثا غزيرا على اختلاف أوعيته ومجالاته رغم انشغاله بالإصلاح الاجتماعي ومن جملة التآليف الواردة في الجدول[3]:

المؤلف	الهيئة	الملاحظة
في رحاب القرآن	مطبوع	طبع سنة 1412هـ/1992م
تفسير سورة الكهف	مطبوع	طبع سنة 1414هـ/1994م
تفسير سورتي مريم وطه	مطبوع	طبع سنة 1416هـ/1995م
تفسير سورتي الأنبياء والحج	مطبوع	طبع سنة 1417هـ/1996م

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج9، ص، 622.

[2]- إبراهيم بيوض، في رحاب القرآن، تح: محمد الناصر، القسم 02، نشر جمعية التراث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، غرداية، 1989م، د ر ط، ص، 110.

[3]- محمد بن بابا موسى، الإمام الشيخ بيوض 1316-1401هـ/1899-1981م، نشر الكشافة الإسلامية، القيادة العامة والمحافظة الولائية غرداية، المطبعة العربية، الجزائر1996م، ص ص 23،26.

في رحاب القرآن (تفسير سورة النور)	مطبوع	طبع سنة1400هـ/1980م
فتاوى الإمام الشيخ بيوض	مطبوع	طبع سنة1408هـ/1988م
أجوبة وفتاوى	مطبوع	طبع سنة1971م
مسلم لكنه يحلق ويدخن	مطبوع	طبع سنة 1400هـ/1980م
أعمالي في الثورة	مطبوع	طبع سنة 1410هـ/1990م
حديث الشيخ الإمام	مطبوع	طبع سنة 1992م
المجتمع المسجدي	مطبوع	طبع سنة 1411هـ/1990م
ثبوت الهلال بين الرؤية البصرية وحساب المراصد الفلكية	مطبوع	طبع سنة 1413هـ/1992م
مقالات في صحف أبي اليقظان إبراهيم		حوالي 30 مقالا نشرت فب صحف ابي اليقظان مابين 1926م و1938م
مقالات وفتاوى متفرقة في مجلة الشباب	مخطوط	توجد في مجلة الشباب التابعة لمعهد الحياة
نظام حلقة العزابة بميزاب	مخطوط	فهرس مكتبته رقم18 رمز م1
بلاد ميزاب "بحث مختصر في تاريخ ميزاب"	مخطوط	فهرس مكتبته رقم 62 رمز م2
نبذة في حرمة المساجد وبيوت العبادة في الإسلام	مخطوط	فهرس مكتبته رقم 161 رمز م3
روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي	مطبوع	نشر في أعمال ملتقى الفكر الإسلامي سنة 1393هـ/1973
دروس ومحاضرات في مختلف المواضيع		أشرطة مسجلة
البدعة عند الإباضية من خلال آراء الشيخ بيوض	مخطوط	تم تحقيقه من طرف الطالب بولرواح إبراهيم في معهد الحياة سنة 1417هـ/1996م
الصحابة: فضلهم والرضا عنهم من خلال آراء الشيخ بيوض	مطبوع	تم تحقيقه من طرف الطالب بهون إبراهيم من معهد الحياة سنة 1417هـ/1996م

نماذج أخرى من المؤلفين:

المؤلف	التآليف
إبراهيم بن بكير حفار	منظومة الصيام منظومة الحيض والنفاس. حاشية على كتاب الفرائض للحيطاني. شرح المخمسة. شرح تحريض الطلبة. شرح خلاصة المراقي. السلاسل الذهبية بالشمائل الطفشية. رسالة مطولة في شروط التفسير(1).
إبراهيم بن بانوح مطياز	مثال في الخير يحتذى. تاريخ رجال الإباضية في الأيام الماضية. مخطوطات في تاريخ واد مزاب. نظام حلقة العزابة. نظام العشائر في وادي مزاب(2).
محمد علي دبوز	تاريخ المغرب الكبير من ثلاثة أجزاء. أعلام الإصلاح في الجزائر من خمسة أجزاء. نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة(3).
الحاج سليمان بن إبراهيم باعامر(4) وصديقه إيتين ديني(5)	الحج إلى بيت الله الحرام. حياة النبي محمد. الصحراء. ربيع القلوب.

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص296.

[2]- نفسه، ص315.

[3]-نفسه، ص374.

[4]- سليمان بن براهيم باعامر: ولد في بوسعادة سنة 1286هـ/1870م، رجل من رجال الادب والشّعر، ألف الكثير من المصنفات باللغة الفرنسية ينظر، نفسه، ص، 295.

[5]- إيتين ديني: رسام فرنسي أسلم وعاش في بوسعادة. ينظر: نفسه، ص،295.

	سراب. خضراء راقصة أولاد نايل. عنتر. لوحات الحياة العربية. الشرق في نظر العرب(1).

د - أقلام شّعرية في منطقة وادي مزاب:

إنّ محاربة الاحتلال الفرنسي للُّغة العربية في الجزائر وتضّييق الخناق على التعليم العربّي الحرّ كانت له تداعيات على الأدب والشّعر بشكل عام خلال هذه الحقبة، وتقلص معها الشّعر الفصيح خاصة بعد الانتكاسة الثقافية التي حدثت بفشل المقاومة المسلحة في ظلّ ما حدث من تحريف وتشويه للُّغة.

ولعل ما جعل اللغة العربية حيّة في ضمائر الشّباب هي عقيدتهم الإسلامية التي جعلته يقدر لغته على أنّها شيءٌ مرادفُ للدين نفسِه، هذا الأمر دفع الشّباب إلى الزوايا والمساجد والكتاتيب ومراكز الإشعاع العلمي للحفاظ على لغة القرآن الكريم، فنشأ في أحضان تلك المراكز التعليمية ناظمو الشعر الذين عبروا عن تلك الفترة أفضل تعبير، كما يذكر أبو القاسم سعد الله « بأن الشعر مهما كان يبدو حالكا ضعيفا فإنه يمثل تلك الفترة أصدق تمثيل...»[2].

قد حمل هؤلاء الشّعراء الجزائريون قبسا خافتا من الأدب العربي كان كفيلا من أن يحرك الضمائر والأذهان وفعلوا فعلتهم في نفوس الناشئة، فكان لهم دورٌ فعالٌ في نشر الوعي الوطني، وقد نوّه محمد الهادي السنوسي عن دور الشّعراء قائلا: « إنه ذلك الفذ القادر الذي أوقف نفسه على بني جلدته أو بني الإنسان أجمعين .... يجاهد بفكره في

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 295.

[2]- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الأدب، بيروت، 1966م، ط1، ص، 30.

سبيلهم ليهدي الضال، ويعلم الجاهل، ويضرب لأبناء البشر المثل العالية في السعادة وكمال الإنسان»[1]، وقد برز نخبة من الشعراء الأفذاذ في الجزائر عامة ومنطقة وادي مزاب خاصة.

1. الشّاعر زكرياء بن سليمان بن يحيي بن الشيخ سليمان آل الشيخ "مفدي زكرياء" (1908م-1977م):

قد يعتقد الكثير أن الشّاعر مفدي زكرياء لم يترك من الإنتاج الشّعري غير ما تحتوي عليه دواوينه المطبوعة مثل "اللهب المقدس"، "تحت ظلال الزيتون"، "إلياذة الجزائر"، ويجهل الكثيرون أنّ للشّاعر قصائد وطنية رائعة لا تقل في وطنيتها وروعة شّاعريتها عن دواوينه، وحتى ندرك ذلك لابد من العودة إلى أصول هذا الشعر، منذ سنة 1925م، حينما كان في عمره سبع عشرة سنة، ففضله لا يتجسد في صوته المتميز الذي صاحب ثورة الجزائر المباركة فقط، بل إن فضله يكمن أيضا في إلهام شعبه بالثورة ودعوته إلى الجهاد ومجابهة الاستبداد[2].

المعروف أن الشاعر مفدي زكرياء ولد في قصر بني يزقن في أحضان أسرة محافظة، وبدأ هناك حفظ القرآن الكريم وأنهاه في مدينة عنابة، حيث كان أبوه تاجرا، وتلقى مبادئ اللغة العربية والشريعة الإسلامية، ولكن يبدو أن نشأته الفكرية والوطنية الحقيقية كانت في حاضرة تونس، حيث ترعرع في بيئة وطنية عند نعومة أظفاره، في حضن عمه صالح بن يحي أحد مؤسسي الحزب الدستوري التونسي، فكان يرى فيه نموذجا للغيرة الإسلامية والوطنية المتدفقة، كما أنه فتح عينيه على شخصية الزعيم الوطني عبد العزيز الثعالبي الذي تردد على بيتهم باستمرار بحكم الصداقة مع عمه، فكان يتشبع بما يجري في

[1]- محمد الهادي السنوسي، شّعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج2، مطبعة النهضة، تونس، 1927م، ص،16.

[2]- محمد ناصر، مفدي زكرياء شّاعر النضال والثورة، المرجع السابق، ص ص، 1-2.

تلك اللقاءات، أما البعثات العلمية المزابية بتونس تلقى فيها دروس الوطنية والدين، فتربى على حب الوطن والحرية والاعتزاز بالمقومات السامية، أضف إلى ذلك جو المجابهة بين القوى الوطنية وسلطات الاحتلال الفرنسي، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، من مظاهرات وكتابات صحفية للمطالبة بالحقوق صقل مواهبه[1].

هذا الجو قد أثر في الكثير من الجزائريين وألهمهم فكرا وطنيا كان صوتا يصل إلى العالم العربي شرقا وغربا، وهذا ما قام به الشعراء، حيث قال محمد صالح الجابري: « نجد جوقا متكاملا وخليطا متساجما من الأصوات الجليلة التي تفوق أصحابها ثقافة ونبوغا وفاجأوا بقصائدهم الثورية...العالم العربي، فاستمع من خلالهم إلى أناشيد الثورة...ليعد في هذه القافلة...أبو اليقظان، مفدي زكرياء، رمضان حمود... صالح الخرفي...»[2].

إنّ تونس ببيئتها الثقافية الوطنية، وفي ظلّ الأحداث السياسية ما بين الحربين العالميتين تعدُّ عاملا مهما في تحديد اتجاه شّعر مفدي زكرياء الوطني العارم، إذ نجد أن الكثير من الشّعراء الشباب كانت بدايتهم تغزلا وحنينا إلى الجنس الآخر، فقد تغزّل مفدي زكرياء بالجزائر منذ شبابه، وكأنّه استجاب في هذا الاتجاه إلى زميله الشّاعر رمضان حمود، حينما قال: «من أراد منكم التغزل فليتغزل بوطنه الجميل»[3].

لقد كان لتونس والجو النضالي بها والتجارب المعرفية والاحتكاك المباشر بالأساتذة والمناضلين الذين التقى بهم عند عمّه صالح بن يحي، واختلاطه اليومي بزملاء الدراسة أمثال أبي القاسم الشابي ومحمد الحليوي ومحمد العيد الجباري ومحمد العربي الشيهري ومصطفى

[1]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص ص 7، 8.

[2]- محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962م، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م، د ر ط، ص، 50.

[3]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص ص، 10-11.

خريف، تأثيرا بالغا على تكوين مفدي زكرياء الذي انطلق يقول الشّعر الحماسي والوطني في سن جدّ مبكرة، فبمجرد أن بلغ السابعة عشر من عمره حتى نشر قصيدة فيها:

رفقا بلادي، فأنت الكون أجمعه لولاك كنت، بلادي، هالكا فانٍ

لك الفؤاد وما في الجسم من رمق ومن دماء ومن روح وجثمان[1]

وما يمكن التنويه به هو محاولات الباحث محمد ناصر الكشف عن أدب شّاعر ثورتنا، فقد وسع ما ضاق من معرفتنا حول أدبه، وأنجز بحوثا رائدة كاشفا عن عدد وفير من نصوصه المغمورة وكثير منها يرجع إلى فترة ما قبل الثورة لأن معظم الدراسات الأكاديمية كانت حول دواوينه الموجودة "كاللهب المقدس" من دون الكشف عن عمله الأدبي قبل سنة 1954م، ولهذا كان عمل محمد ناصر استثناءً في هذا المجال.

وقد أشار الباحث مصطفى بن الحاج بكير حمودة في أطروحته أن فترة الأربعينيات وبداية الخمسينيات كان فيها إنتاج الشّاعر نادرا، وربما السبب في ذلك انشغاله بالعمل السياسي، ومن جهة أخرى دخوله السجن سنة 1937م ووفاة والده وهو في سجنه، وانغماسه في العمل التجاري خوفا من كساده، حسب الصحفي على الجندوبي في جريدة الأسبوع الصادرة يوم 1953/01/26م، أضف إلى هذه العوامل فإن مفدي زكرياء نشر الكثير من أعماله الأدبية بأسماء مستعارة خوفا من تعقب الاحتلال الفرنسي له وحساسية المرحلة، مما جعل الكثير من شّعره مجهولا، وحتى أرشيف ما وراء البحار تحفظ على أعماله وأصبح غير متداول[2].

[1]- محمد العربي الزبيري، "عقيدة التوحيد: الجذور والموضوع"، أعمال الملتقى الدولي مفدي زكرياء شاعر الوحدة، 15 و16 مارس 2006م، نشر مؤسسة مفدي زكرياء، 2007م، ص ص، 50،51.

[2]- مصطفى بن الحاج بكير حمودة، "ملخص أطروحة دكتوراه مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي في مرحلة ما قبل الثورة"، مجلة الحياة، ع15، 2011م، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، 2011م، ص ص، 306،307.

لقد اختار مفدي زكرياء أن يكون من أولئك الشّعراء والأدباء الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية الدفاع عن كرامة شعوبهم، والمترجمين لأحاسيسها وآلامها ومعاناتها كلما تعرض المجتمع لفاجعة أو أصابته داهية من الدواهي، فالشّعر عنده هو ما كان يعالج الآفات في حياة الشعوب[1]، فبدأ بنشر أعماله الإصلاحية الفكرية في "الشهاب" و"وادي ميزاب" ودعا إلى اكتساب المعرفة والعلم لكونها مفتاح الازدهار والتقدم والخروج من دائرة التخلف، فكتب يقول وعمره لم يتجاوز الثامنة عشرة ما يلي:

كذا فليجل الخطب ولتفدح العقبى ويرفض دمع العين فوق الثرى سكبا

مضت حجج تبلى بها الدهر باسم رشفنا بها كأس الهنا باردا عذبا

رتعنا زمانا في أرائك عزة نعب نعيم الدهر من كأسه عيا

ونمرح في ظل السعادة وارفا نشاوى كأن الدهر واعدنا حبا

تخذنا من الأيام جلبات راحة ومن يرتد الأيام أعرته لا ريبا[2]

أسس نخبة من الطلبة في تونس والجزائر والمغرب "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين" سنة 1927م، واتخذوا من باريس مقرا لها، وكانت هذه الجمعية تعقد مؤتمرا سنويا لها في حاضرة من حواضر المغرب العربي، فبانعقاد المؤتمر الثاني سنة 1932م في الجزائر أتيحت الفرصة لظهور الشّاعر مفدي زكرياء لأول مرة على منصة مفتوحة للشعر فأسهم بقصيدته التي مطلعها[3]:

---

[1]- زكي مبارك، "تكريم مفدي زكرياء بمناسبة صدور ديوانه من وحي الأطلس"، أعمال الملتقى الدولي، المرجع السابق، ص، 201.

[2]- زكرياء بن سليمان، "دموع وآلم وخواطر"، مجلة الشهاب، ع57، المطبعة الإسلامية الجزائرية، 1345هـ، ص ص، 11-12.

[3]- أبو القاسم سعد الله، "تفاعل مفدي زكرياء مع التيارات الوطنية"، أعمال الملتقى الدولي، المرجع السابق، ص64.

إلى منبر الناي أحيي بني النادي لتستمع الدنيا روائع إنشـــــــادي

وأملأ أكواب النجوم سلافـــــة من الشعر، جبريل بها رائع غادي

ويتلو فم الأجيال فرقان حكمتـي وإعجاز آياتي على فتية الضـــاد

وتلقيه أملاك السماء رسالـــــة لإفريقيا من زنجبار إلى الـــوادي[1]

من هذا المنطلق كانت قصائد زكرياء في مؤتمرات شمال إفريقيا تؤكد على أن لا نهضة إلا بالعلم، ورفض قاطع لكل مظاهر المسالمة والمصالحة مع المحتل. وقد تجلى ذلك من خلال مؤتمر تلمسان سنة 1935م عن قصيدته "أهلا بنسل الفاتحين ومرحبا!!"

لح في الجزائر كالهلال ضياء وانزل كريما كالنسيم صفـاء

قف أيها الشعب الكريم موفـــا ركب الشباب تحية وثنـــاء

وانثر على أقدامه زهر الثنـــا واملأ الفضاء قصائدا وغناء

وافتح له تلك العيون نواديـــا وافرش له تلك القلوب وطلاء

وانصب له تلك الضلوع منابـرا يلقى بها للعالمين نـــــداء[2]

حرص مفدي زكرياء في هذه القصيدة على الاهتمام بطلب العلم وتقوية نفوس النشء لأنه سبب النهضة والتقدم، فاستفزهم بالتركيز على العلم.

لما سعى نجم شمال إفريقيا سنة 1932م إلى تكوين خلايا له في الجزائر، كان مفدي زكرياء أول الملتحقين، وأصبح بعد فترة قصيرة أحد مسؤوليه معلنا بذلك عن أفكاره الوطنية التي صادفت انعقاد مؤتمر الطلبة المسلمين بالجزائر، ومشاركته في المؤتمر المزابي الذي عقدته جمعية "التعاون العام" يوم 02 جويلية 1936م وكان أحد أهم المزابيين المهتمين

[1]- زكرياء بن سليمان، "نهوضا بنو إفريقيا من سباتكم"، جريدة النور، ع48، 1932/08/30م، ص 14.

[2]- مفدي زكرياء، "أهلا بنسل الفاتحين ومرحبا!!"، جريدة الأمة، ع49، 1925/09/24م، ص 04.

بنشاطات الوادي[1]، ففي فترة غياب الزعيم مصالي الحاج وانتقاله إلى باريس للإقامة، صمم مفدي زكرياء على مواصلة النضال السياسي من خلال نظم نشيد الحزب يوم 17 نوفمبر 1936م وكان تحت عنوان "تحية الحزب الوطني الجزائري" وجاء مطلعها:

فداء الجزائر، روحي ومالـــي ألا في سبيل الحريـــــة

فليحيا (حزب الاستقـــــلال ونجم شمال إفريقيـــــة)

وليحيا زعيم الشعب مصالي مثال الفداء والوطنيـــة

ولتحيا الجزائر مثل الهــلال ولتحيا فيها العربيـــــة[2]

قد راج سنة 1356هـ/1937م أنّ الجزائر تخلّت عن عروبتها أو سلبت منها بسبب القمع والاضطهاد وأعمال التعسف والظلم التي قام بها المحتل الغاشم، لينظم مفدي زكرياء قصيدة استعمل فيها مصطلحات كالدين والعروبة واللُّغة الفصحى والضّاد والشرق والمشرق كاشفا الحقيقة وأن المحتل لم يفلح والجزائر تبقى عربية إسلامية مطلعها:

نحن روح، مزاجه الضـــاد والـ دين، فلن يستطيع فظ انحلالا

قوم على الوفـــاء خلقنـــــــا يشهد الدهر ذكرنا والفعـــالا

نحن شعب، على الزمان عزيز عربي، كالبنزين اشتعـــــالا

عشتم للشمال والشرق والفصـــ حى، وقضيتم الحياة نضــالا[3]

[1]- صالح ابن إدريسو، مفدي زكرياء من خلال تقارير الإدارة الاستعمارية الفرنسية، ...المرجع السابق، ص ص، 46-47.

[2]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص، 168.

[3]- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، دراسات عن مفدي زكرياء شاعر الثورة الجزائرية، منشورات ألفا، الجزائر، 2018م، ط1، ص ص، 26-27.

في سنة 1356هـ/1937م لما تأسس حزب الشعب الجزائري، اتخذت الإدارة الفرنسية ذريعة تأسيس حزب محظور وألقي القبض على مصّالي الحاج ومفدي زكرياء وبن عمّار وغرّافة ولحول ومسطول يوم 21 جمادى الثانية 1356هـ الموافق 27 أوت 1937م[1]، وفي شعبان 1356هـ الموافق أكتوبر 1937م أدرج اسم الشّاعر في الدفتر (ب) (B) الخاص بالمشبوهين في مناطق الشمال، وبعد عامين خرج من سجنه وقلّ معه الإنتاج الأدبي، ويبدو أن تبرير ذلك مرده إلى أن مفدي زكرياء كان مراقبا من طرف الشرطة الفرنسية ،فلم نجد له شّعرا أثناء الحرب العالمية الثانية، ولم يظهر أدبه إلا سنة1373هـ/1953م في دار الطلبة بقسنطينة وزلزال الأصنام 1374هـ/1954م، وقد رجح أبو القاسم سعد الله العودة إلى دواوين الشّعر، إلى أنّ مفدي نقل فؤاده من حزب الشعب إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذا ما صرح به في قصيدته حينما قال:

قاموا وفي الشعب كذابون وليس لهم غير المناصب والألقـــاب مقصود

وفي الجزائر مصابـــون همهـــم على الدراهم مقصود ومحـــــدود

وللزعامة دجالون لـــيس لهـــم من الزعامة إلا الخمر والفـــــيد[2]

إنّ من أهم جوانب مسيرة الشّاعر مفدي زكرياء النّضال من أجل تحرير المغرب الكبير وتوحيد أقطاره، فهو الذي تغنى بحرب الريفيين بقيادة عبد الكريم الخطابي، ودعا لهم بالنّصر في قصيدة عنوانها "إلى الريفيين" نشرها في جريدتي "لسان الشعب" و"الصواب" التونسيتين وجريدتي "اللواء" و"الأخبار" المصريتين مطلعها:

[1]- صالح بن إدريسو، المرجع السابق، ص 61.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 70-71.

أجبريل نهلل بآي الظفـــر وكبّر وخطُّ جليل الخبـــــــر

ورفّ بأجنحة النصر فـــوق بني الريف حول القنا المشتجر[1]

وفي هذا الصدد يقول الباحث علي الإدريسي من جامعة الرباط: «... ويبقى شعره الوحدوي ونضاله في سبيل تحقيق الوحدة المغاربية نبراسا للأجيال التي ستكشف ذات يوم أن بناء مغرب عربي متكامل ومتعاضد ومتآزر سيكفل الخير للجميع، وسينقلنا من الوعي الشقي إلى الوعي التاريخي...» [2].

يقول الدكتور موسى بن إبراهيم الحريزي في شأن تقديس مفدي للوطنية من خلال دراسة قام بها معتمدا على التحليل والمقارنة بينه وبين الشّاعر محمد العيد آل خليفة في حربهما النفسية ضد المحتل قائلا: «... أنّ عملية التحليل هذه لا تخرجنا عن نطاق الوطنية المقدسة عند الشّاعر، وعن ثورته ضد الاستعمار البغيض، وحنقه على ظلمه واحتقاره للمواطن الجزائري، وهو يتحرك بذلك في إطار إيمانه بالله، وإسلامه القويّ، وحماسه للوحدة العربية بصورة فياضة، ويتجه بذلك إلى التحرير والاستقلال، والانفكاك من أغلال العدوّ المستبد، ومن العار والظلم الغاشم، ومن أيّ قيد داخلي أو خارجي، مادي أو فكري»[3]، ولعلّ هذه الوجهة الوطنية كان مردُّها إلى البيئة التي أثرت فيه وجعلته ينظر إلى الآفاق المستقبلية للجزائر، والتخلص من المحتل.

التاريخ يشهد أنّ مفدي زكرياء لسان شّاعر وفؤاد وطني ثائر على الظلم والاستبداد متعلق بالوحدة المغاربية، فقد عبر عن حبّه هذا في أشّعار كثيرة له وفي عدة مناسبات سواء

---

[1]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص، 131.

[2]- علي الإدريسي، "جوانب من مسيرة مفدي زكرياء في سبيل الوحدة المغاربية"، أعمال الملتقى الدولي، المرجع نفسه، ص، 197.

[3]- موسى بن إبراهيم حريزي، الحرب النفيسة ضد الاستعمار في شّعر الشاعرين محمد العيد آل خليفة ومفدي زكرياء، مطبعة جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2013م، ط1، ص ص، 126-127.

في الجزائر أو خارجها، كما أن العروبة والإسلام قد احتلت منزلة مرموقة في شّعره وأصبحت من مواده وخصائصه التي أوصلته إلى مراميه، فكان يؤمن أنّ الشّعر رسالة إنسانية سامية، مفدي زكرياء كان شّاعرا من طراز خاص ومتميز، تمتع بنبوغ وثراء في شخصيته العلمية والفكرية والسياسية، حملت معها ذلك الرجل الشّاعر الأديب والسياسي، قلما تجتمع في شخصية ما، إنه المثقف المتعدد المواهب.

2. الشّاعر حمود بن سليمان بن قاسم رمضان(1906م-1929م):

عندما يعود الباحث إلى تاريخ نهضة الجزائر الحديثة مقلبا عن صفحات المفكرين الدواهي الذين استطاعوا أن ينحتوا أسماءهم من ذهب، يشدّ انتباهك رمضان حمود، فرغم قصر عمره استطاع بمواهبه أن يمدّ جذوره في أرض الجزائر الطاهرة، إلا أننا نجد هذا الأديب الشّاعر قد عانى الإجحاف على غرار الكثير من المفكرين المنسيين، فحياة رمضان حمود لا تختلف عن حياة مفدي زكرياء من حيث التكوين، إذ أن العوامل التي أثرت في تكوينهما واحدة، فهما خريجي مدرسة الجزائر وتونس، إلا أنّ تونس كانت خطا فاصلا في حياة حمود، حينما استقبلته شابا في السادسة عشرة من عمره بنبض بحب المعرفة، فبنت عقله فكريا واجتماعيا وسياسيا وكونته في المطالعة والأندية الأدبية وأبرزت مواهبه الشّعرية[1].

إنّ رمضان حمود وهو لايزال تلميذا مبتدئا لم يقتصر على ما تمده المدرسة من زاد، فقد كان يشغل نفسه في أوقات فراغه على الكتابة والخطابة والشّعر، وكوّن مع بعض إخوانه الطلبة في البعثة جمعية أدبية وطنية كانوا يلقون فيها خطبا ومحاضرات تدور كلها حول الدين والوطنية[2].

[1]- محمد ناصر، رمضان حمود الشّاعر الثائر، المطبعة العربية، الجزائر. 1978م، ط1، ص، 16.

[2]- نفسه، ص، 17.

ولعلّ أهمّ انتصار حققه حمود لنفسه ولثقافته القومية والوطنية حينما مارس الفعل النقدي، وأبرز مواطن السكوت عنها وأعطاها حجمها الحقيقي، فقد حاور حمود الماضي ولم يستسلم له ولسّحره، ولم يعاديه لأنّه ماضٍ تم وانقضى، بل رأى منه سلاحا يجب التسلح به حتى يكون بذور الحياة[1].

فكانت نظرة رمضان حمود للشّعر نظرة الغيور على وطنه الداعي إلى الشعر الذي يساند البلاد والعباد وقت الحاجة، أما الشّعر الذي يسعى الشعراء لإبراز ذواتهم من خلاله فهو ينفيه، فكان متوازنا في آرائه لا متعصبا للقديم ولا ميالا للجديد، واعتبر حمود الحرية هي القيمة العليا التي ينشدها الأحرار في كل زمان ومكان[2].

ما يحسب لرمضان حمود أنّه كان من بين المتصدين لأحمد شوقي رغم أن الكثير من الشّعراء اعترفوا للأخير بأحقية المكانة التي احتلها في عالم التجديد وجدارته في لواء القوافي، وكان رمضان من بينهم، حينما اعترف بأن أحمد شوقي أحيا الشّعر العربي بعد موته، ويبدو أن المآخذ كانت في تحفظ حمود حول الجديد الذي أتى به شوقي، ونفى أن يكون قد جدد في الشّعر وابتكر من عنده ما لم يكن موجودا من قبل، أو اخترع أسلوبا يلائم الوقت الحاضر، وأكد أن الشّاعر أحمد شوقي شّاعراً فحلاً حكيماً له غيرة كبيرة على الأدب القديم متمسكا به إلى حد التقليد[3].

يقول رمضان حمود في شوقي معترفا له ببعض الفضل في إحياء الشّعر العربي: « نعم إن شوقي أحيا الشعر العربي بعد موته، وكان في طليعة من أحياه، وفتح الباب الذي

---

[1]- أحمد يوسف، "هل كان رمضان حمود ثورة يتيمة؟!! 1906-1929م"، مجلة الآداب، مج 09، ع01، جامعة قسنطينة، 2008م، ص، 107.

[2]- عبد الحميد معيفي، "جماليات الشّعرية بين نازك الملائكة ورمضان حمود"، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، مج3، ع9، جامعة الطارف، 2020م، ص ص، 196-197.

[3]- صالح خرفي، حمود رمضان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، د ر ط، ص ص، 58-59.

أغلقته السنون الطوال، ولكنه مع ذلك كله لم يأت بشيء جديد لم يعرف من قبل، أو سن طريقة ابتكرها من عنده خاصة به دون غيره، أو اخترع أسلوبا يلائم العصر الحاضر، وأن غاية ما هنالك أنه جاء بهيكل الشعر القديم الموضوع من قرون بلى عهدها ودرس رسمها...» [1].

فالخاصية التي آثارها رمضان حول شّعر شوقي تمثلت في أن هذا الأخير تغنى بالماضي في ظرف كان يحتاج إلى شّعر وطني قوي سياسي حماسي، يجلب المنفعة ويحي الضمائر، وقد نوه رمضان إلى أن شّعر المدح والرثاء والقصور إن لم يكن لعظة تاريخية فنحن في غنى عنه مادام اسم العربية يئن تحت نير الغرب، رغم أنّ أحمد شوقي له ما له في الشّعر السياسي والاجتماعي خاصة بعد الحرب العالمية الأولى كالقصيدة التي بكى فيها دمشق، وقد اعترف رمضان بمقدرة شوقي على ذلك، بل رأى أن الاعتزاز بالماضي هو الدافع إلى بعث الحاضر والمستقبل، فالتجديد في نظر رمضان حمود قوة لا متناهية يرمم بها الماضي ويمهد بها للمستقبل، وقد صرح بأنّ نقده هذا لم يقصد به الإنقاص من سمعة شّاعر كبير فقدره أعلى منزلة من أن تتناوله يد التطاول[2].

ويبدو أن هذه التجربة النقدية اتسمت بنوع من الجرأة والصرامة في مجال التعامل مع النص الشّعري التراثي، فكان رمضان أحد دعاة التجديد المبني على أسس تكاد تلتقي مع فرضية ما كان يدعو إليه النقاد والرابطة القلمية بقيادة مخائيل نعيمة، وجبران خليل جبران، وقد قدم رمضان حمود في هذا المجال آراءً تعكس مستوى فهمه لطبيعة الشّعر العربي الحديث من حيث قيمته ووظائفه رغم صغر سنه، ورأى أن الشّعر العربي التراثي لم يصبح قادرا على أن يخوض في عصر يتطلب قيما تعبيرية جديدة وصيغا وتراكيب تعبر عن تلك

[1]- رمضان حمود، "حقيقة الشّعر وفوائده نظرة عامة وبحث لطيف"، جريدة الشهاب، ع93، 1395هـ-1927م، ص، 04.

[2]- صالح خرفي، المرجع السابق، ص ص، 57، 61.

القيم، وقد ينظر إلى رمضان على أنه بالغ في مجال ثورته، في ظرف لم يخل من المزالق والعثرات إن لم توضع البدائل، إلا أن هذه المآخذ لا تنزع عنه صفة الناقد العربي[1].

أضحى الشّعر لدى شّاعرنا رمضان حمود وسيلة من وسائل التجديد، ينبع من واقع مرير، فدعا إلى تحرير الأدب من سلاسل الجمود وقوالب التقليد، فكان أحد أنصار المدرسة الحديثة التي آمنت بأنّه لا سبيل إلى بعث الشعر إلا بخلق شعر مشدود إلى الشّعر العربي القديم وليس حتما أن يكون صورة منه، ورفض أن يكون الشعر ذلك الكلام الموزون المقفى الخالي من المعاني البليغة[2]، فلم تكن كتابات حمود للتسلية، أو ليقال عنه كاتب، بل كتب الشّعر والنثر ليقال عنه صاحب ضمير[3].

التجديد الشّعري عند رمضان حمود هو خلق أسلوب جديد يساير العصر، وأفكار تعبر عن شخصية الشاعر ومذهبه وحياته، فالتجديد الذي أراده هو التجديد في الروح والمضمون، مدعما رأيه الفني بدليل تاريخي هو أن الشّعر في بداياته وفي أقدم عصوره لم يعرف هذا النوع من الموسيقى الشعرية المتمثلة في الوزن والقافية[4].

فقد وصف رمضان حمود القافية أغلالا حديدية كبلت الشّعر وتطوره، رغم أن الشّاعرية المقتدرة في نظر الكثير تبرهن على طواعية القافية الموحدة مهما طال نفسها مبررا فكرته أن الشعر تيار كهربائي مركزه الروح لا دخل للوزن والقافية في ماهيته، وقد برهن في الكثير من قصائده على صدق ما يقول منها قصيدة مطلعها:

---

[1]- بوجمعة بوبعيو، "إسهامات رمضان حمود في نقد الشّعر العربي الحديث"، الملتقى الوطني الأول حول النقد الأدبي الجزائري، 21 و22 ماي 2006م، ص جامعة باجي مختار، عنابة، ص، 121.

[2]- رمضان حمود، بذور الحياة، مكتبة الإستقامة، تونس، 1928، ص، 103.

[3]- محمد ناصر، رمضان حمود، المرجع السابق، ص ص، 68-70.

[4]- محمد الهادي بوطارن، "الرؤية الشّعرية عند رمضان حمود بين التقليد والتجديد"، مجلة المعارف، مج02، ع02، جامعة البويرة، 2002م، ص ص، 82-85.

بكيت ومثلي لا يحق له البكـــا على أمة مخلوقة للنـــــــوازل

بكيت عليها رحمة وصبابـــــة وإني على ذلك البكا غير نادم

ذرفت عليها أدمعا من نواظـــــر تساهر طول الليل من نواطـــر[1]

فكانت إرهاصات الانتقال إلى شّعر التفعيلة أو الشعر الحر من عشرينيات القرن الماضي مع رمضان حمود، وكانت بذرة التجديد في قصيدته "يا قلبي" التي نشرها في جريدة وادي مزاب يقول فيها:

أنت يا قلبي فريد في الألم والأحزان ونصيبك في الدنيا الخيبة والحرمان

أنت يا قلبي تشكو هموما كبارا، وغير كبار

أنت يا قلبي مكلوم، ودمك الطاهر يعبث به الدهر الجبار

ارفع صوتك للسماء مرة بعد مرة

وقل اللهم إنّ الحياة مرة

أعنّي اللهم على اجتراعها[2]

إنّ رمضان حمود شّاعر وناقد لم يحمل أكثر من الشهادة الابتدائية، ولم يزد عمره الإنتاجي في عالم الفكر عن ثلاث سنوات، ترك بين أيدينا كتاب بذور الحياة وما يقارب عن ثلاثين قصيدة ثار فيها على الظلم والقهر والاستبداد ونادى بالحرية[3]، ورأى أنّ الوطن العربي مادام تحت نير الاحتلال بحاجة دوما إلى شّعراء يمجدون الحرية، وهذا ما فعله لما كتب قصيدة عن الحرية يعتقد للوهلة الأولى أنه يتغزل بإمرأة مطلعها:

---

[1]- محمد ناصر، المرجع السابق، ص ص، 53-54.

[2]- رمضان حمود، "يا قلبي"، جريدة وادي مزاب، ع95، 1928م، ص، 08.

[3]- صالح خرفي، المرجع السابق، ص ص، 33-34.

لا تلمني في حبها وهواهـــــا لست أختار ما حييت سواهـــا

هي عيني ومهجتي وضميـري إن روحي وما إليه فـــــداها

إن عمري ضحية لأراهـــا كوكبا ساطعا ببرج علاهـــا

فهنائي موكل برضاهـــــا وشقائي مسلم بشقاهـــــا

إن قلبي في عشقها لا يبالـــي تنطوي الأرض أمر يخر سماها[1]

3. الشّاعر إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان(1888م-1973م):

كان أبو اليقظان شّاعرا قلّ نظيره خاصة لما كان في مقتبل العمر في كامل قواه الجسدية، ترك لنا ديوان شعر من جزأين، يفيض بأحاسيس الود والإخاء وتتنزل أبياته قطعا نارية تتوثب حماسة ووطنية، فكان جريئا في طرحه، لما دعا إلى الثورة ضد المحتل الفرنسي، نشر سنة 1345هـ/1926م في مجلة المنهاج لصاحبها أبو إسحاق اطفيش بالقاهرة قصيدة تستنهض الهمم للجهاد وطلب الحرية تحت عنوان "في الجهاد الوطني" مطلعها:

ابن صرح المجد عن أس الصحاي وأشد عرش العلا رغم البلايـــا

خض غمار الهول خوضا إنّمـــا لؤلؤ التيجان في البحر المنايا

أي شعـــــــب نال ما نال إذا فمرحبا بالخطب يبلونـــــا إذا

لم يقدم سلفا تلك الهدايـــــــــا ما غدا التآخي تسلمـــــــا[2]

---

[1]- رمضان حمود، "الحرية"، جريدة وادي ميزاب، ع93، 28/09/14، ص، 03.

[2]- موسى بن إبراهيم حريزي، "الحاسة السادسة في شّعر الشيخ أبي اليقظان، تحليل على مضمون قصيدة "العميد مدينة الغد"، كنموذج لبعض تنبؤاته بالحاسة السادسة"، مجلة الحياة، ع6، نشر جمعية التراث، غرداية، 2002م، ص ص، 250، 251.

وبالفعل، قد تحققت نبوءة الشّاعر أبي اليقظان بعد مرور 28 سنة من نظم هذه القصيدة حينما بدأ الجزائريون بعزيمة ثورتهم المباركة.

إنّ ما ورد في شّعر أبي اليقظان احتوى على أغراض وخصائص كثيرة، حيث أن جزأه الأول من ديوانه اشتمل على ثمانية أقسام مختلفة كالمدح والتهاني والفخر والحماسة والاستعطاف والحكم والوصف والتأنيب والرثاء تعدت 72 قصيدة، نشره بنفسه في مطبعته العربية في 03 محرم 1350هـ الموافق 1931م، فكان أول ديوان يطبع طباعة حديثة في الجزائر[1]، فقال فيه مفدي زكرياء قصيدة سنة 1932م مهنئا الشيخ بهذا الإصدار فيها:

أبا اليقظان أحببت الـــ قريض الحر فلتحيـــا

أثرت الجن في نضـــو غدا في الشعر جنيـــا[2]

أما الجزء الثاني من الديوان لم ينشر إلا بعد 31 سنة من نظمه أي سنة 1410هـ/1989م، وما يلاحظ على هذا الجزء أنّه لم يُبوب إلى أقسام كسابقه، واشتمل على 76 قصيدة ما بين طويلة وقصيرة، ويبدو أن شّعره من مدرسة الإحياء كما يسميها النقاد[3].

إنّ شّعر أبى اليقظان خاصة في جزئه الأول وطني ينادي به ويذود عنه، ومن تلك القصائد "ألا من نهضة" و"ما ضاع حق وراءه مطالب" و"في الجهاد الوطني" و"صحيفة ميزاب الخالدة" و"وادي ميزاب المقيد يتكلم" و"السجن مجمرة تفوح بها قيم الرجال" وغيرها فهي قصائد تمثل الإرهاصات لأولى للجهاد والإعداد له، محاولا الرفع من معنويات الشعب

[1]- محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ج2، المرجع السابق، ص، 134.

[2]- محمد ناصر، مفدي زكرياء .....، المرجع السابق، ص، 154.

[3]- موسى بن إبراهيم حريزي، المرجع السابق، ص، 271.

وإزالة العراقيل من أمامه وإيجاد سبل توحيده، فكان شعره في مرحلة ما قبل الثورة شعرا حماسيا[1]، ومن ذلك هذه الأبيات:

إذا كادت تلك الأعداء كيدا ورموا الازدراء والابتلاعـــا

بذلنا ما لدينا، واتخذنا النف وس لك المعاقل والقلاعـــا

فنعلمه بأن لنا حقوقـــــا ويأبى الله إلا أن تراعـــــا

وإن رامت لك الأوغاد موتـا هززنا له ذاك اليراعـــــا[2]

لقد آزر أبو اليقظان مآسي الشعوب العربية ومعاناتها وآلامها بشّعره، فتغنى بأفراحها وبكى لأقراحها، دعا إلى الوحدة القومية وتعلق بها، فلم تخلُ قصائده الوطنية والحماسية والإسلامية من الإشادة بالشرق العربي، فكان صوتا من أصوات الجزائر صادق المعاني والانتماء.

خلاصة:

كان لدور المشايخ وحلق العلم الفضل في تجاوز مرحلة صعبة من تاريخ منطقة وادي مزاب حينما إنتابها حالة من الركود والجمود الفكري والتراجع، فكانت هذه المراكز العلمية السد المنيع لما قادت حركة التأليف والنسخ، وخلفوا تراثا زاخرا بالمصنفات في شت العلوم، وحافظوا على تعاليم المذهب الإباضي، فكانت في الطليعة، فيقول ابو القاسم سعد الله بمناسبة حفل أقيم في العطف سنة 1990/05/30م: « عندما تتبارى المدن والنواحي الجزائرية في ميدان العلم والأدب وحلبة العروبة والإسلام ومضمار الوفاء لسدنة هذه الثوابت، ستقف ميزاب في الطليعة بدون منازع...».

---

[1]- امحمد زعينة، "الشّعر الوطني القومي عند أبي اليقظان إبراهيم (1888-1973م)"، مجلة الحياة، ع02، نشر جمعية التراث، غرداية، 1999م، ص ص، 56، 57.

[2]- أبو اليقظان، الديوان، ج1، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص ص 66-67.

الفصل الثاني

إسهامات أعلام مزاب في ميدان التربية والتعليم

1830-1954م

تمهيد:

لقد برهن التاريخ أن المرامي الصليبية الحاقدة على الجزائر، مثلتها فرنسا أحسن تمثيل على الواقع منذ أن وطأت أقدامها أرض الجزائر الطاهرة سنة1246هـ/1830م، فسخرت لأجل أهدافها الدنيئة كل ما أوتيت من قوة، فدنست المساجد، وأحرقت المكتبات ونهبتها، وأغلقت مدارس العلم ولاحقت طالبيه، وعملت في المقابل على تكريس العادات والتقاليد والأعراف الهدامة في أوساط المجتمعات التقليدية، فكان غايتها ضرب البنية الحضارية للمجتمع، واستهداف التربية والتعليم حتى لا يصبح الفرد الجزائري قادرا على فهم واقعه.

ففي المجتمع المزابي عمدت الإدارة الفرنسية على محاربة الدين الإسلامي واللغة العربية على غرار ما قامت به في القطر الجزائري، لطمس معالم الهوية الوطنية وضرب الشخصية التاريخية، فانتهجت سياسة "فرق تسد" وقد استغلت في ذلك خصوصية مزاب اللغوية والعرقية.

فكان على المجتمع مواجهة هذا الوضع الهدام، حتى يتمكن من فهم أوضاعه الاجتماعية بشكل صحيح، فاهتدى أعلام مزاب إلى ميدان التربية والتعليم الذي احتضن كل الفئات، فساهموا في إحياء المكتبات وإنشاء وتشيد المدارس وتطوير مناهجها وشد الرحال لطلب العلم .

1. المكتبات وخزائن المخطوطات في وادي مزاب وإسهامها في الحركة الفكرية:

لقد اشتهر وادي مزاب بحركة تأليف، ونسخ، واقتناء للكتب ليس لها نظير، فظهرت المكتبات والخزائن الخاصة، والعامة رغم بُعد المنطقة عن الأقطار الثقافية واعتبارها نائية، فهذه الظاهرة كان سببها التأثر بالمراكز الإباضية التي اتسمت بحبها للعلم، وطلبه على ما كانت عليه الدولة الرستمية في تيهرت، وجبل نفوسة في ليبيا، وجزيرة جربة في تونس،

فأصبحت لمنطقة وادي مزاب مكانة ثقافية مرموقة بسبب النشاط العلمي والفكري عبر الأزمنة منذ ظهور قصوره.

وفي خضم هذا الحركة الفكرية انتشرت المكتبات، وخزائن المخطوطات، فلا نجد قصرا من قصور مزاب يخلو من مكتبة تضم أنفس المخطوطات العربية، والإسلامية في شتى المجالات والمذاهب والعلوم، إذ يُعدُّ إجمالي المخطوطات في الوادي بحوالي 8000 مخطوط يتوزعون على 144 مكتبة عامة وخاصة، وهذا عدد كبير إذا ما قورن بالمجتمع الإباضي الصغير، وإنّ كان العدد مرشح للزيادة، لأن بعض المكتبات، والخزائن مازالت طي الكتمان والخفاء عند بعض العائلات والأفراد العلمية[1].

لا نجد إختلافا بين المؤرخين حول مصدر المخطوطات في وادي مزاب ، فالمؤرخ والباحث سيجد ثلاثة مصادر جوهرية لا جدال فيها، فهذه النفائس تنتج عن طريق التأليف، أوالنسخ، أو يجلبها أصحابها من رحلاتهم شرقا وغربا ، وقد انتشرت هذه الرحلات في القرون الماضية، بل بذلوا فيها النفس والنفيس، فيقول أبو القاسم سعد الله من خلال تاريخ الجزائر الثقافي ما يلي: «... وكانت الكتب في الجزائر تنتج محليا عن طريق التأليف، والنسخ، أو تجلب من الخارج من الأندلس، ومصر، وأسطنبول، والحجاز، وكان هناك رصيد كبير من المكتبات قبل مجيء العثمانيين...» [2].

والملفت للانتباه أن هذه المخطوطات في وادي مزاب لا تخرج عن اختصاص العلوم الدينية وعلوم اللغة، فهي تتميز بالكثرة التي تجعلك في حالة اندهاش حين زيارة خزائنها.

[1]- زهير بابا واسماعيل، "فهارس مخطوطات وادي ميزاب وقراءة وصفية لمحتوياتها"، مجلة التراث، مج05، ع04، جامعة الجلفة، 2015م، ص،27.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 286.

أ- عوامل انتشار المكتبات في وادي مزاب:

ولو عدنا قليلا بالزمن إلى الوراء لوجدنا مبررا مقنعا لانتشار المكتبات في منطقة وادي مزاب، ولعله الأمن والاستقرار، فقد اعتبرت المنطقة ملاذا آمنا للإباضيين الفارين من بطش العبيديين[1] وهذا الوضع كان له دور في بروز نخبة من العلماء، والأعلام ساهموا مساهمة فعالة في الحياة الفكرية، وخدموا التراث الإباضي خير خدمة.

من خلال التأليف والنسخ، صنع هؤلاء العلماء صرحا ثقافيا في قطر صحراوي صعب ليس من السهل التغلب عليه، أو التكيف معه، قد ازدهر هذا الصرح بقدوم "عمي السعيد" من جزيرة جربة التونسية[2] والذي تفاعلت معه جموع المزابية عهودا طويلة نتج عنه علماء رفعوا مشعل العلم والتنوير في المنطقة، وقد سطع نور هذا المشعل خارج وادي مزاب، في مصر ونفوسة، وتونس وعمان، وزنجبار، وغيرها من الأقطار.

لا خلاف إذا قلنا أنّ محرك هذا الجيل من العلماء هو ما قدمه مجلس العزابة في خدمة التربية والعلم، فكان لهذه العوامل الدور في ظهور المكتبات وخزائن المخطوطات النفيسة التي صنعها أعلام المنطقة تأليفا، ونسخا، واقتناء[3]، أضف إلى ذلك الرحلات العلمية التي قام بها علماء المنطقة استزادة في التحصيل العلمي والفكري، وبالتالي أصبح المجتمع المزابي يعتمد على ما جاء به هؤلاء من الكتب[4].

---

[1]- مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط من سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، 1996م، ص ص، 59-60.

[2]- إبراهيم بحاز، "أوضاع وادي مزاب في القرن التاسع هجري" الأيام الدراسية العلمية، من الشيخ عمي سعيد...، المرجع السابق، الجلسة العلمية الأولى، ص، 07.

[3]- يحيى بن بهون حاج امحمّد، "المكتبات وخزانات المخطوطات ببلدة تجنينت بوادي مزاب"، المرجع السابق، ص، 513.

[4]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 113.

ب- أهمية المخطوطات:

إنّ تنوع المخطوطات وكثرتها دليل قاطع على حضارة الأمة، فالمخطوط هو ما كتب باليد لا بالطابعة، وتتحدد قيمته العلمية والحضارية من خلال معرفة تاريخ نسخه وصاحبه، فهو تراث ثقافي يعكس جهود السلف في نشر العلم والفكر والثقافة، ويعطي تصورا شاملا عن الحياة السياسية، والدينية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، وهو في نظر الكثير من المختصين كتلة التاريخ، فالمخطوط سجّل حافل يحفظ الأحداث ويرصد مجرياتها[1].

الإباضية من المذاهب التي عمّرت المغرب الأوسط ، ويُعد تراثهم إرثا حضاريا يستحق كلّ العناية والتقدير، ومن بين هذه التركة خزائن المخطوطات "المكتبات" التي تتوزع على كامل منطقة وادي مزاب، وقد قدرها أهل الاختصاص بربع التركة الحضارية مشرقا ومغربا، ولعلّ ما يزيد من أهمية هذا التراث أنّه مكتوب بلغة الضاد، رغم أن أصولهم بربرية، كما أنّهم اهتموا اهتماما بالغا بعلوم الدين وفروعه، ومن هذا المنطلق كان لزاما على كل باحث نزيه أن يولي عناية خاصة بهذه المخطوطات من تحقيق، ودراسة، وإخراج هذا التراث من التهميش والظلمات ورفوف المكتبات إلى أيادي الباحثين والمختصين[2].

وهنا يجب أن ننوه بجهود ثلاث جمعيات متخصصة وهي: جمعية التراث وجمعية أبي إسحاق اطفيش[3]، وجمعية عمي سعيد وكلها في غرداية، والتي أثمرت عملا يشكر في مجال فهرست بعض الخزائن في الوادي.

---

[1]- يحيى بن بهون حاج امحمّد، المرجع السابق، ص، 511.

[2]- نفسه، ص ص، 511-510.

[3]- يحي بن صالح بوتردين، "من أجل استراتيجية وطنية لحماية المخطوط"، مجلة الحياة، ع04، المطبعة العربية، غرداية، ص، 138.

ج- أهم المكتبات وخزائن المخطوطات في وادي مزاب:

وادي مزاب يزخر بكثرة المكتبات، وخزائن المخطوطات، وهي تتنوع بين الخاصة والعامة، وكلها احتوت على أصناف العلوم سواء العقلية، أو النقلية، فأظهرت معالم الحركة الفكرية في المنطقة وساهمت في نشر الثقافة في الجزائر عامة، وجعلت من وادي مزاب حاضرة تقارن بالحواضر العلمية المنتشرة في أنحاء الجزائر، وقد حاولت أن أذكر بعض المكتبات والخزائن يتناسب مع الفترة المدروسة وهذا لكثرتها.

✓ **مكتبة القطب:**

تعود المكتبة إلى العالم الجليل الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش، وبفضل علمه الغزير، ومؤلفاته في شتى المجالات قد خلف أزيد من 968 مخطوطا سواء من إنتاجه، أوما اقتناه من بعض المشايخ داخل الوطن وخارجه، وتعد هذه الخزانة أغنى مكتبة في المنطقة، وتعود أهميتها إلى المصادر التي استقت منها، وإلى تنوع فنونها وعلومها ولكون صاحبها عالما جليلا، تنوع إنتاجه بين المطول والمختصر وكان أكثرها بخط يده – رحمه الله – فقد كان حريصا على أنّ الذي يستفيد من هذه الكتب يلزمه تقدير العلم، وإعطاؤه حقه، ورغم ذلك الحرص فقد ضاع الكثير من الكتب ولم يبق سوى عناوينها[1].

✓ **مكتبة دار التعليم:**

تقع هذه المكتبة بإحدى شوارع قصر غرداية، وهي قريبة من المسجد الكبير، وقد شهدت هذه الدار نشاطا علميا كبيرا بهدف محو الأمية ونشر تعاليم الدين الإسلامي، تشكلت كتبها ومخطوطاتها من وقف أصحاب الخير والعلم أمثال مامة تسليمان ببار (تو: 1349هـ/1932م)، ونجلها الشيخ بكير بن عمر موسى وعلي (تو: 1405هـ/1957م)،

[1]- زهير بابا وإسماعيل، "حماية خزائن مخطوطات وادي مزاب بغرداية وفهرستها"، مجلة الذاكرة، مج02، ع02، جامعة ورقلة، 2014م، ص، 115.

وأثراها بعدهم الشيخ بكير بن علي موسى وعلي(تو: 1405هـ/1985م) بالكثير من عناوين الكتب، وهي تحتوي اليوم على 509 مخطوط، ونجد أقدم نسخة مؤرخة هي "شرح عبد الله بن عمر بن زياد العماني على رائية الصلاة للموشائي" والتي نسخت سنة 1034هـ[1].

✓ **مكتبة البكري:**

هي وقف لعشيرة "آل عبد الله بن أحمد" بالعطف، أودعوا فيها كتب الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي (تو: 1406هـ/1986م)، وقد حبسها حبسا مؤيدا لخدمة العلم، وقد أورد في وصيته نقلا عن الباحث يحي بن بهون: « أمّا مكتبتي ومصيرها فقد استقر رأيي أن تبقى كلها وقفا لله تعالى، لا يباع ولا يوهب شيء منها أبدا، سواء في ذلك مكتبتي الموجودة ببريان أو الموجودة في العطف، تبقى تحت تصرف وكيلي الوصية، إن لم يتحقق الركن الرابع، ومحفوظة ريثما يتحقق مشروع المكتبة العامة التي أزمعت عائلتنا إقامته بالعطف فتنتقل إليها»[2].

يصل عدد كتب مكتبة البكري ومخطوطاتها إلى نحو 2400 عنوانا، وقد ضمت إليها مكتبة الشيخ سليمان بن حاجو بكلي القاضي (تو: 1351هـ/1939م)، ومكتبة باحمد بن الحاج يحي بكلي (تو: 1400هـ/1960م)، وقد فتحت أمام الجمهور حوالي سنة 1989م[3].

✓ **مكتبة الاستقامة:**

تعود ملكية هذه المكتبة إلى عشيرة "آل باحمد" تقع في أزقة ساحة سوق الخضر ببني يزقن، وقد زرتها، فتحت أبوابها أمام الجمهور سنة 1411هـ/1990م، تتكون هذه المكتبة

[1]- زهير بابا واسماعيل، المرجع السابق، ص، 117.

[2]- يحي بن بهون حاج أحمد، المرجع السابق، ص، 517.

[3]- نفسه، ص، 517.

من مجموعة خزائن، فيها خزانة عائلة محمد الثميني التي بدورها ألحقت فيها بعض المكتبات الخاصة على غرار مكتبة الشيخ زكري بن سعيد زكرياء، ومكتبة الأستاذ تزقعين محمد بن صالح، ومكتبة الشيخ بن الحاج عيسى بزملال، ويوجد بها ما يقارب 588 مخطوطا، وأقدمها فيما هو مؤرخ كتاب "الكشاف" للزمخشري والذي يعود تاريخه إلى سنة 776هـ[1].

- ✓ **مكتبة الشيخ محمد بن عيسى أزبار "مكتبة آل خالد":**

تعتبر أكبر مكتبة احتوت على المخطوطات العمانية في منطقة المغرب العربي، وهي ملك عشيرة "آل خالد ببني يزقن"كان تحت تصرف أحفاد الشيخ محمد بن عيسى أزبار، ثم وضعت تحت تصرف العشيرة، وأقدم مخطوط بها يرجع إلى سنة 900هـ/1495م، وهو "سبوغ النعم"[2].

- ✓ **مكتبة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي:**

يعرف بالشيخ "الحاجب إبكر"[3]، اشتهر الشيخ بالتدريس، والفتوى، وتكوين طلبة العلم، وإصلاح الفرد، والمجتمع، ساهم في تكوين خزانة ثرية وغنية بالكتب النفيسة، وقد ساهمت وضعيته المادية في إثراء هذه الخزانة من خلال رحلاته العلمية وجمع الكتب، وصل عدد مخطوطات الخزانة إلى حوالي 334 مخطوط أقدمها فيما هو مؤرخ "المستصغي في أصول الفقه لأبي حامد الغزالي" تم نسخه سنة 552هـ الموالفق 1857م من طرف الشيخ بن أبي القاسم نصر ابن محمد بن أحمد العنتري[4].

---

[1]- زهير بابا وإسماعيل، المرجع السابق، ص، 112.

[2]- أزدك إبراهيم، المرجع السابق، ص، 210.

[3]- الحاجب أبكر: قاضي بالمحكمة الإباضية توفي سنة 1905/1325م. ينظر، مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 68.

[4]- نفسه، ص، 215.

✓ **مكتبة الشيخ إبراهيم بن يوسف أطفيش:** (تو: 1303هـ/1886م)

يعد الشيخ إبراهيم بن يوسف أطفيش الأخ الأكبر للقطب وأساتذته، وكان إبراهيم ممن حاز مكانة علمية كبيرة في وادي مزاب، وخلف ورائه خزانة ثمينة، وقد حبسها في سبيل الله، ويظهر أن معظم هذه الكتب رجعت إلى أخيه القطب، وبعضها كان في يد ابنه "محمد" وحفيده "أبي إسحاق إبراهيم"، وما كان يميز هذه الخزانة هو ثراؤها بكتب النحو واللغة[1].

✓ **مكتبة الشيخ بابه بن يوسف:**

تعتبر هذه المكتبة ضمن مجموعة الخزائن الشهيرة في قصر غرداية، قد نقلت مجموعة منها إلى خزانة القطب ومن بين المصنفات التي نقلت "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" وكتاب "شرح شواهد أدب الكاتب" وغيرها من العناوين، وجاء في معجم أعلام الإباضية بخصوص خزائنه ما يلي: « ترك مكتبة ثرية بنفيس المخطوطات لا تزال محفوظة ضمن مكتبة الشيخ بابكر بن الحاج مسعود الغرداوي»[2].

✓ **مكتبة الشيخ محمد ابن إدريسو:**

قد تكونت هذه المكتبة بما قد تم نسخه من طرف نجليه الفقيهين: "صالح وسليمان" عندما كانا على قيد الحياة، أو من خلال حيازة الشيخ محمد بن إدريسو للكتب عن طريق الشراء، أو النسخ، أو الهبة من أصحاب الخير والعلم، وقد أوصى الشيخ بحبس الخزانة في سبيل الله، لكل من يريد الاستفادة منها، شريطة الحفاظ على ما فيها[3].

---

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 213.

[2]- نفسه، ص، 71. ينظر كذلك: أزدك إبراهيم، المرجع السابق، ص، 213.

[3]- نفسه، ص، 214.

- ✓ **مكتبة سليمان بن الشيخ عمر المليكي:**

لقد أشار الشيخ امحمّد اطفيش بقوله في المقدمة التي وضعها في "مختصر علم الخط" أنه اتصل بيده من فضل الله تعالى كتاب "النحوي" للسيوطي، فأحببت شرح ما فيه من علم الخط وكان هذا الكتاب من خزانة الشيخ سليمان بن الشيخ عمر من أهل "مليكة"[1].

- ✓ **مكتبة معهد الحياة:**

تعتبر مكتبة معهد الحياة من المكتبات الضخمة في قصر القرارة، فهي تضم آلافا من العناوين والمواضيع ومن الموسوعات والدوريات والمجلات والكتب المتعددة الأحجام والأشكال في مختلف المعارف، والمبادئ العلمية، ويبدو أن تأسيسها كان مع إنشاء معهد الحياة سنة 1344هـ/1925م، نواتها الأولى كانت بضعة عشرات من كتب الشيخ بيوض التي كانت بحوزته في داره المسماة "دار العلم"، وقد انتقلت المكتبة مع تنقل المعهد، فلما انتقلت حلقات التدريس من دار الشيخ بيوض إلى المسجد نقل البعض منها إلى "دار إروان" و"المعهد"[2].

وقد شرعت جمعية الحياة منذ الخمسينيات في تنظيمها وإثرائها وضبط فهارسها حسب الفنون[3] لأن الكتب الموجودة في المكتبة قد تضاعفت بفضل حبس شيوخ العلم من كتبهم في المكتبة أمثال "إبراهيم بن بكير حفار" ومكتبة الشيخ "أبي اليقظان" "بن عيسى"، ومكتبة

---

[1]– مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، ص، 195،196، وينظر كذلك أزدك إبراهيم، المرجع السابق، ص،213.

[2]– شريفي عدون، المصدر السابق، ص، 73.

[3] - Salah Bendrissou, Op cit, pp 45-46 .

"ابن الناصر الحاج محمد بن حمو المؤذن"، ومكتبة "الدكتور صالح بن صالح الخرفي" وغيرهم[1].

لقد حاولنا استعراض بعض خزائن المخطوطات في وادي مزاب، ولا يمكن استيفاء المكتبات كلّها وذلك لكثرتها، فقد بلغ عددها ما يقارب 118 خزانة حسب إحصائيات سنة 2009م، فقصور المنطقة لا تكاد تخلو من هذه المكتبات سواء العامة أو الخاصة، وتوجد مكتبات حتى على مستوى المساجد، وما زاد من أهميتها مؤخرا مبادرة جمعيات خيرية وعلمية وكذا شخصيات فكرية إلى وضع فهارس لبعض الخزانات الهامة، والتي تشهد تردد الباحثين عليها قصد حماية هذه المخطوطات النادرة، وكانت الغاية من هذه العملية هو تسهيل عملية الاستفادة من هذه المكتبات لما لها من أدوار في الحياة الفكرية للمنطقة خاصة أنها انتشرت بكثرة من فترة الاستعمار[2].

فلا يمكن حصر دور المكتبات وخزائن المخطوطات التي ساهم أعلام مزاب بتكوينها، في كونها مصدر الكتب والعلوم، فالمكتبة المزابية كانت مصدرا مهما من مصادر التكوين الثقافي، واكتساب المعرفة، في وقت عرفت فيه الجزائر مرحلة تضييق على التعليم، فتحولت المكتبات إلى مراكز تعليم ذاتي، فأصبح الفرد المزابي بفضل المكتبات فردا مطلعا على أحوال مجتمعه وقضايا عصره.

2. الرحلات والبعثات العلمية في وادي مزاب أثناء فترة الاحتلال 1830م-1954م:

إنّ المؤسسات التعليمية بالجزائر خلال فترة الاستعمار تعرضت لمحاربة شديدة بمختلف الوسائل والأساليب الهمجية، لأنها كانت تمثل عائقا كبيرا أمام سياسة التجهيل، والتنصير

[1]- ابن صالح مصطفى بن داود، معلم الفكر الإسلامي عند الشيخ إبراهيم بيوض وتطبيقه في المجتمع، رسالة ماجستير، علوم إسلامية، جامعة ابن يوسف بن خدة، الجزائر 2011-2012م، ص، 217.

[2]- زهير بابا وإسماعيل، المرجع السابق، ص، 116.

الفرنسية، فقد حورب رجال العلم، والأئمة، وشيوخ الزوايا، وحدد نشاطهم الديني، والثقافي[1]، وفرضت عليهم الإقامة الجبرية ، وعلى أتباعهم ومؤيدهم مراقبة مشددة، ولم يكتف العدو بهذا بل راح يستهدف المؤسسات العلمية بالتحطيم والمسخ، وعلى رأسها المساجد، والكتاتيب، والمعمرات مقصده في ذلك ضرب مقومات الهوية الوطنية من عروبة وإسلام، فأصبح حال التعليم في الجزائر مزريا إلى أبعد الحدود،

إلا أن هناك استثناء في منطقة وادي مزاب إذ أن الإدارة الفرنسية تحاشت المساجد لكونها مراكز حساسة تثير التوتر وحساسية العوام، خاصة وأن التعليم في المنطقة أشرفت عليه حلقة العزابة في المساجد، وأنها في بداية فترة الاستعمار كانت تحت الحماية ما يجعلها أقل وطأة من باقي المناطق الجزائرية، فازدهرت حلقات العلم التي أشرف عليها نخبة من العلماء، على رأسهم السيد امحمّد بن يوسف اطفيش، ويوسف بن حاج يوسف، ومحمد بن صالح بن حمو، وبكير بن داود، وأبو زكريا يحي بن صالح، وعمر بن يحي وغيرهم كثير، هؤلاء الذين تخرج على أيديهم فئة من طلبة العلم مثقفين ثقافة محلية أصيلة، أرادوا الاستزادة في طلب العلم، فاختاروا الرحلة العلمية لكسر الحصار المضروب، والعمل على إيجاد أساليب حديثة في عملية التحصيل العلمي، فكان الحل الأكثر ملائمة الرحلات والبعثات العلمية[2].

قد عرف العالم ابن خلدون الرحلة العلمية في قوله: « أن الرحلة في طلب ولقاء المشيخة تزيد في اكتمال التعليم، فعلى قدر كثرة الشيوخ واختلافهم يكون حصول ملكات التعليم ورسوخها في ذهن طالب العلم، ولهذا السبب نجد أن العلماء المسلمين اهتموا بها كثيرا»[3].

---

[1]– المهدي البوعبد اللي، "الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي"، مجلة الأصالة، ع08، الجزائر، 1972م، ص، 315 (PDF)

[2]– محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص، 33.

[3]– ابن خلدون: المقدمة، تح: عبد السليم الشدادي، ج03، خزانة بن خلدون، بيت الفنون والعلوم والآداب، المغرب، 2005م، ط1، ص، 226.

ومن هنا نفهم أنّ الرحلة العلمية هو سفر طالب العلم قصد الإستزادة من العلم[1] وتحسين قدراته العلمية، متحملا فيها مشاق التغرب عن الأوطان، يلتقي من خلالها بالمشايخ، والعلماء القادرين على تطوير مكتسباته العلمية والفكرية.

وقدم الإمام الغزالي تعريفا للرحلة على أنها: « نوع حركة ومخالطة، أو نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة، وأوضح بأن الفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب، وأن الإنسان لا يسافر إلا في غرض، والغرض هو المحرك سواء تعلق بأمور دنيوية، أو دينية لطلب العلم أو العبادة مثل الحج ونحوه»[2].

إن أهم ما ميز الرحلات، والبعثات العلمية في منطقة وادي مزاب أنها كانت من مبادرات فردية، مدعمة من بعض الشخصيات العلمية في المنطقة، وكان غالبها يتجه إلى جامع الزيتونة لما له من مكانة لدى الجزائريين، وعن أهميته بالنسبة لطالبي العلم في الجزائر يقول الأستاذ علي مغربي: « وكانت الزيتونة المباركة لأبناء الجزائر الأم الرؤوم، يوم ابتلوا بعدو لا يرحم، هدم المساجد وأغلق المدارس والمعاهد وحارب دين الأمة ولغتها » [3].

وقد وصف اندري جوليان جامع الزيتونة بأنه إحدى القلاع الحامية للدين، والتقاليد، والسنة بإفريقيا الشمالية بأسرها[4].

1- نوفل عبد العزيز، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس هجري والثامن هجري (12م-14م)، دار الأهلي للنشر والتوزيع، بيروت، 2008م، ط02، ص، 09.

2- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج6، دار الشعب، القاهرة، (د.ت)، ص، 1080.

3- عزالدين شترة، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة 1900م-1962م، ج3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م، ط خ، ص ، 252.

4- شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تع، منجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976م، ط03، ص، 87.

ورغم هذه الأهمية لجامع الزيتونة، إلا أنّ هذا لا يعني أن جلّ الجزائريين كان مقصدهم تونس فقط، بل هناك من توجه إلى المغرب ومنهم من قصد المشرق، وهذا ينطبق على إقليم وادي مزاب وقد نخص منها:

- ✓ **الرحلات المزابية لبعض أعلام وادي مزاب:**

- **رحلة الحاج السعيد بن يوسف اليسقني إلى تونس:**

من الأوائل الذين سافروا إلى تونس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ليأخذ العلوم العقلية، وإلى جربة لينهل من العلوم النقلية رجع إلى مزاب بعد أكثر من ثلاثة أعوام قضاها في التعلم، حوالي سنة 1287هـ/1870م، فتولى التدريس والوعظ والإرشاد وكان ممن أنعش النهضة الفكرية الحديثة في منطقة وادي مزاب، إذ فتح في داره معهدا تخرج على يده تلاميذ كبار نذكر منهم الشيخ صالح بن عمر لعلي، عمر بن حمو بكلي، عبد الله بليدي بوكامل[1].

ولعل الجزائريين قد وجدوا ضالتهم وموردهم في جامع الزيتونة في حين كانت الجزائر تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، رغم قلة الرحلات إلى هذا القطب الثقافي، كما يشير أبو القاسم سعد الله أن أعداد طلبة العلم القاصدين للجامع محدودة قبل سنة 1900م[2].

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 188.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج5، ص، 595.

- **رحلة محمد آزبار:**

اسمه الكامل محمد بن عيسى بن عبد الله آزبار، من علماء قصر بني يزقن، رحل إلى سلطنة عمان، واستقر بها مدة طويلة طالبا العلم، ثم عاد إلى مسقط رأسه وعقد حلقات علمية بالمسجد ليفيد إخوانه المزابيين بما استزاد به من العلوم العقلية والنقلية هناك بعمان، وقد أثرى مكتبته بما اصطحبه من كتب مختلفة، فكانت نواة لخزانته الثرية[1].

- **رحلات الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش:**

قد إتفق المؤرخون أمثال أبو القاسم سعد الله أن أسفار ورحلات الشيخ القطب كانت قليلة، ولم يخرج من قصر بني يزقن إلا مضطرا، وكانت أغلبها إلى قصور وادي مزاب[2]، وهاته القلة كان سببها انشغاله بالتدريس منذ صغره، ولكن يرى الباحث مصطفى بن الناصر وينتن أن السبب الرئيسي في هذا يعود بالدرجة الأولى إلى التضييق الذي سلطه الاحتلال الفرنسي عليه وتقييد حركته وأعماله، فأصبح لا يتنقل إلا بالترخيص الذي يتلقاه من القائد العسكري[3].

إنّ أهم رحلات الشيخ القطب كانت الرحلتان الحجازيتان، وقد ذكرهما في الكثير من مؤلفاته، فكانت الأولى في العقد الأخير من القرن الثالث عشر هجري حوالي 1290هـ الموافق لـ 1873م، أما الثانية ففي 1303هـ الموافق لـ 1886م، والتي وصفها في قصيدته الحجازية، حيث قال:

هجرنا مساقط رؤوس وما نرى سوى الحج إن الحج قد حان أن يرى

وغير اعتمار والزيارة للنبـــــي عليه الصلاة والسلام زها الثـــــرى

---

[1]- محمد بوسعدة، " دور المجتمع المزابي في الحراك الثقافي بالجنوب الجزائري "، المرجع السابق، ص، 08.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 267.

[3]- مصطفى بن الناصر وينتن، المرجع السابق، ص، 28.

فلله حمد حمد فان الذي البقـا وحمد فقير للغني عن الـــــورى[1]

التقي القطب خلال رحلتيه الحجازيتين الكثير من العلماء أمثال الشيخ الزيني دحلان وتعرف على أحوال العالم الإسلامي واقتنى الكثير من الكتب[2]، ويبدو أن هذه الزيارة أفادت الشيخ القطب كثيرا، فعرف ما يدور في العالم الإسلامي، وأحواله، وأمراضه الاجتماعية، وعلل تفككه وضعفه وجهله، فهذه المعرفة المطلقة جعلت من الشيخ امحمّد بن يوسف أطفيش داعية من دعاة الإصلاح الاجتماعي في العالم الإسلامي[3].

يقول المؤرخ محمد علي دبوز: « كان القطب ذا شخصية اجتماعية قوية تجعله يهتم بحالة المسلمين أينما حل، غيورا على الدين، والعالم الإسلامي، شجاعا، يعتقد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض من الله على العالم أينما حل»[4].

- **رحلات أبو إسحاق إبراهيم بن محمد اطفيش:**

الشيخ أبو إسحاق رجل حيوي واسع الأفق ، بل إنه كان لا ينتهي من رحلة إلا وهو يعد لرحلة أخرى[5]، ففي سنة 1336هـ/1917م توجه إلى تونس طالبا العلم قاصدا جامع الزيتونة والمدارس العصرية هناك، ولقد بقي هناك وربط الكثير من العلاقات إلى غاية 1342هـ/1923م، حينما قررت الإدارة الفرنسية نفيه اختياريا فغادر تونس مضطرا إلى مصر على ظهر سفينة "شيلي"، وقد أشار الباحث أحمد مهني مصلح أن أبو إسحاق كتب

---

[1]- يحي بن بهون حاج امحمد، الشيخ امحمد بن يوسف أطفيش، حياته ورحلاته الحجازية، مجلة الذاكرة، ع3، جامعة ورقلة، 2019م، ص، ص، 59-60.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 267.

[3]- بكير بن سعيد أعوشت، العلامة محمد بن يوسف أطفيش 1236-1332هـ/1820-1914م، حياته. آثاره الفكرية. جهاده، المطبعة العربية، غرداية، 1989م، د ر ط، ص، 115.

[4]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص، 352.

[5]- الحاج أحمد بن حمو كروم، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم محمد أطفيش، العالم العامل، ط1، جمعية أبي إسحاق أطفيش لخدمة التراث، غرداية، 2010م، ط01، ص، 19.

حول رحلته من على ظهر الباخرة ما عنوانه « هكذا لعمري تكون الرحلات»[1]، ويبدو أن ما كتب كان من الشعر، فالإحساس بالراحة والهدوء في مصر جعل منها قاعدة لرحلاته وتحركاته الشتى، فيما بعد، فسافر إلى فلسطين للمشاركة في مؤتمر القدس الشريف المنعقد بتاريخ 26 رجب 1350هـ الموافق لـ 06 ديسمبر 1931م، وهذا حرصا منه على جمع شمل الأمة الإسلامية، وتطبيقا لما جاء في مبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2].

أدى الشيخ أبي إسحاق الحج مرتين، فكانت الأولى سنة 1359هـ الموافق لـ1939م، والأخرى كانت سنة 1382هـ الموافق لـ 1963م[3]،كما قام برحلتين إلى زنجبار، الأولى كانت سنة 1367هـ الموافق لـ 1948م وهذه الرحلة لغرض ومقصد علمي، أما الرحلة الثانية كانت سنة 1379هـ الموافق لـ 1960م، ويبدو أن الشيخ كان من الذين يحبون زيارة مواطن الإباضية، فلهذا سنة 1378هـ/1959م زار جبل نفوسة في ليبيا، إلا أن زيارته لم تدوم طويلا، وزار جزيرة زنجبار في الأربعينيات وألقى دروسا في مساجدها[4].

ويبدو أنّ ما ميز الشيخ أبي إسحاق عن غيره من الرحالة المزابيين هو أنه رحل إلى العالم الغربي سنة 1379هـ/ 1960م من أجل تمثيل سلطنة عمان في مجلس الأمم المتحدة بأمريكا[5].

---

[1]- أحمد مهني مصلح، "رحلات الشيخ أبي إسحاق أطفيش"، مجلة المنهاج، المرجع السابق، ص، 437.

[2]- نفسه، ص، 443.

[3]- الحاج أحمد بن حمو كروم، المرجع السابق، ص، 21.

[4]- قاسم بن أحمد بالحاج، مذكرات من أعماق جزيرة زنجبار، منشورات الجاحظية، الجزائر، 2010م، ط01، ص، 104. ينظر كذلك: قاسم بن أحمد، "حول رحلتي الشيخ أبي إبراهيم اطفيش إلى جزيرة زنجبار" مجلة الحياة، ع04، المطبعة العربية، غرداية، 2000م، ص ص، 149، 150.

[5]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص، 19. ينظر كذلك: علال الفاسي، "أبو إسحاق إبراهيم اطفيش بقلم علال الفاسي"، مجلة الحياة، المرجع السابق، ص، 157.

✓ البعثات العلمية المزابية خلال فترة الإحتلال الفرنسي 1830م-1954م:

لقد ألقت حاضرة تونس العلمية بظلالها على أجيال المتعلمين في فترة ساءت فيها الاوضاع الإجتماعية والتعلمية في الجزائر عامة، فأصبح الشباب يحلمون بحياة علمية أفضل والهروب من هذه الأحوال المزرية، لمواصلة نشاطهم العلمي في مدارس تونس[1].

كان وادي مزاب أسبق النواحي في إرسال البعثات العلمية المنظمة إلى تونس، حيث بلغ عدد الطلبة المئات بعد الحرب العالمية الأولى، والكثير منهم كان يزاول دراسته في جامع الزيتونة[2].

فقد ذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله على أن أول بعثة مزابية إلى تونس كانت في جمادى الثانية 1332ه الموافق ماي 1914م[3]، إلا أنّ سعيد شريفي عدون يقول أنّ تاريخ أول بعثة كان في سنة 1331ه/1913م[4]، وإن كان هذا الاختلاف في التاريخ، فقد اتفقوا حول طموح وشغف أبي اليقظان في نشر العلم بين الناشئة.

سار أبو اليقظان على رأس بعثة تضم عشرة تلاميذ، هذا بعد أن أغلقت في وجههم مدرسة الصديقية بتبسة عام 1331ه/1913م من طرف الإدارة الفرنسية[5]، فتوجهوا إلى تونس، وقد جعل المشرفون على البعثة نظاما داخليا دقيقا لها، يشمل الانضباط في الأكل، والطبخ، والدراسة، والحياة الاجتماعية، وكان معظمهم يزاولون تعليمهم في مدرسة السلام

---

[1]- قاسم بن أحمد، "آثار النهضة العلمية التونسية في فكر الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب خلال القرن العشرين"، مجلة الحياة، ع11، المطبعة العربية، غرداية، 2007م، ص،212.

[2]- محمد بوسعدة، المرجع السابق، ص، 163.

[3]- خير الدين شترة، المرجع السابق، ج2، ص، 322.

[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص ص 273-274.

[5]- محمد لعساكر، دور الشيخ أبي اليقظان في الدوريات العربية، المطبعة العربية، غرداية، 1985، د ر ط، ص،87.

لمؤسسها الشاذلي المورالي، غير أنّ انعكاسات الساحة السياسية والحرب العالمية الأولى لم تطل مدة إقامة البعثة، فعادوا سنة 1333هـ/1915م إلى الوطن[1]،

حاول أبو اليقظان أن يعوض تلك الخيبة بفتح دار للتعليم بنسق عصري فكان له ذلك، ولكنها لم تصمد إلا سنتين فعاد إلى تونس على رأس بعثة أخرى، وقد ضمت إليها محمد علي دبوز، وأبو إسحاق اطفيش، ومفدي زكريا ورمضان حمودة، ومحمد الثميني، ولعّل هذه الكوكبة من الطلبة ستصبح من أعلام الفكر، والثقافة والإصلاح في الجزائر وتونس[2].

وقد ذكر أبو القاسم سعد الله أن هناك بعثة قد سافرت إلى تونس سنة 1337هـ/1919م برئاسة محمد الثميني، وأخرى برئاسة الحاج صالح بن باعلي، فأصبحت في تونس ثلاث بعثات علمية مزابية في آن واحد، غير أن سنة 1343هـ/1925م كانت آخر سنة لرئاسة أبو اليقظان للبعثة العلمية، فقد استخلف عليها قاسم بن الحاج عيسى، وعاد إلى الجزائر حيث شرع في إنشاء مشروعه الصحفي العربي الحر[3].

يقول الدكتور محمد صالح ناصر: « وكان الجو الثقافي المتفتح الذي يطبع طلاب البعثة بطابع الحماسة للحركة الإصلاحية من أهم مكتسبات البعثة، ولذا عرفت البعثة هجوما شرسا من المعارضين للحركة الإصلاحية، وكانت المعركة من أشد المعارك التي طبعت تاريخ الصراع الفكري بين الإصلاح، ومعارضيه ولعّل المطلع على بعض ما تركته هذه

[1]- سعيد شريفي عدون، المصدر السابق، ص، ص، 21،22. ينظر كذلك: محمد الصالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990، ط01، ص، 3.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 274.

[3]- نفسه، ص، 274.

المعارك من رسائل ومقالات ومؤلفات يدرك بعمق كيف كانت الثقافة من أهم العوامل في توحيد الفكر، وضم الجهود بعضها إلى بعض لتعمل في سبيل النهوض بهذه الأمة»[1].

وقد وصف أبو اليقظان هذا الحال بقوله: « فالجهل أفقدها الشعور بوجودها، وكيف تذب عليه والفقر أقعدها عن العمل، وأشل أعضائها في الحركة، والافتراق أذاب قوتها وذهب بريحها، فبقيت والحالة هذه عرضة للقلق والهلاك والاضمحلال»[2].

ومن هنا راح أبو اليقظان يكرس كل جهده لمقاومة الجهل محذرا منفرا داعيا بكل إلحاح وتركيز إلى الاهتمام البالغ بالعلم، والتعليم محرضا بكل حماس وتفتح على الأخذ بأسباب الحياة المعاصرة، منطلقا دائما من أن النهضة الحقيقية يجب أن تبدأ من الشعور بالذات، والمحافظة على أصالتها، وهذا لا يتحقق إلا بفتح المدارس الحرة في كل أنحاء القطر، على أن تكون مدارس حديثة في مناهجها الدراسية وفي نظمها التعليمية[3].

هكذا وجد رواد البعثة اليقظانية أنفسهم في الواجهة، فدافعوا عن الحركة الإصلاحية بكل ما أوتوا من قوة وحماس، فاستخدموا في سبيل ذلك كل وسائل الإعلام والدعاية، إلى جانب مقالاتهم في الصحف الجزائرية والتونسية والمصرية، وقد تركوا لنا مؤلفين في صدد هذه القضية وهما "الدعاية إلى سبيل المؤمنين"[4] لأبي إسحاق و"إرشاد الحائرين" لأبي اليقظان، صدر الكتابان سنة1341هـ/1923م أولهما في القاهرة والثاني في تونس[5].

---

[1]- محمد صالح ناصر، الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاده الإسلامي، المرجع السابق، ص ص 23-24.

[2]- مجهول، "شعور الأمة نائم فماذا ينبهه؟"، جريدة وادي ميزاب، ع42، 1927م، ص، 2، كذلك انظر ملحق رقم12.

[3]- محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المرجع السابق، ج1، ص، 53.

[4]- ر م ع ح، ملف رقم 2074، Rapport de Mozabites, Ibrahim Belhadj Aissa, n° 908/4. (الملحق12)

[5]- محمد صالح ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش...، المرجع السابق، ص، 24.

فكان الجمود الفكري من أهم القضايا التي سخّر أبو إسحاق نفسه من أجل القضاء عليه، فلم يكتف بمقاومة هذه الآفة بمقالاته وخطبه ورسائله ومؤلفاته، وإنما نزل إلى الميدان ليصارع أصحاب هذا الاتجاه بالحجة والبرهان من أجل تكوين جيل متعلم منفتح على الحداثة وتطوراتها، ومن هنا جاء جهاده في سبيل البعثة العلمية بتونس، تلك البعثة التي تفتحت على المدارس النظامية، واستفادت من المناهج والعلوم المعاصرة، لأن الشيخ أدرك بكل وعي بأن آفة الجمود الفكري أكثر فتكا من الجهل والانغلاق، واعتبر هذا الصراع بين الجهل والعلم والحق والباطل والثبات والتطور، دلالة قاطعة على نهضة الأمم[1].

والمتتبع لمجريات هذا الصراع حول قضية السفر إلى تونس من أجل طلب العلم، يستنتج لماذا كان له صدى في وادي مزاب، لكون الصراع لم يكن بين العوام من الناس بل كان بين فئة متعلمة ذات مستوى، ففي صيف 1341هـ/1922م زار العالم الحاج صالح بن عمر لعلى قصر القرارة ونزل في دار عمر بن الحاج مسعود، واستقبلوه بحفاوة تليق بمقامه، فكان يلقي دروسا عامة في دار نزوله، والمآدب التي تقام له، يدعو فيها إلى الاهتمام بالعلوم الشرعية.

وفي هذه الأثناء صدرت مقالة في جريدة الإقدام التي نشرها أبو اليقظان يرد فيها على درس ألقاه الشيخ الحاج صالح في مسجد قصر بني يزقن ليلة 15شعبان في تلك السنة، والتي رفض فيها تعليم الأولاد الصغار في تونس، رافضا البعثات العلمية المتواردة عليها وعلى القائمين عليها، خوفا على انحراف الصبيان في بيئة لم يعهدوها[2]، من هنا كان الصدى عاليا في وادي مزاب لأن بوادر رفض البعثة إلى تونس إنطلقت من المساجد بأفواه العلماء، فكان الصراع على أوجّه.

---

[1]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص، ص، 119-120.

[2]- سعيد شريفي، المصدر السابق، ص، 28.

ورغم كل هذا النزاع الذي دام سنوات، إلا أنّ ذلك لم يثن مسؤولي معهد الحياة وعلى رأسهم إبراهيم عمر بيوض من إرسال هيئة علمية إلى تونس لمواصلة الدراسة الثانوية سنة 1361هـ/1942م، وكان على رأسهم محمد علي دبوز، بالرغم أن تلك المرحلة كان السفر فيها إلى تونس يعد مغامرة بسبب أحداث الحرب العالمية الثانية، ففي منظور المؤرخ أبو القاسم سعد الله أن معهد الحياة قد واصل النشاط التعليمي لمعهد بني يزقن في مزاب فكان بحق رمزا لنهضة فكرية جادة[1].

وفي قصر بريان نجد الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي لم يقتصر جهده على التدريس ونشر العلم، ومحاربة الجهل ، بل تعداها إلى السعي مع بعض زملائه في جمعية الفتح ومن بينهم رئيس إدارتها الشيخ الحاج أحمد بن عمر أوراغ لإعداد بعثة علمية في معهد الحياة سنة1363هـ/1944م، ولعل هذا الحدث يعد الأول من نوعه في بريان خاصة أن العدد كان أكثر من عشرة طلاب، ولم تتوقف مساعيه في تذليل الصعوبات لإرسال بعثة علمية ثانية إلى تونس في سنة 1368هـ/1949م، وقد تحصل أغلبهم على شهادات عليا[2].

كذلك كان لجمعية الإصلاح ببلدة غرداية مساعي ناجحة لإرسال بعثة سنة 1355هـ/1936م إلى تونس برئاسة بنوح مصباح، وقد نشطت مدة أربع سنوات فكونت ونصحت وأطرت الشباب[3].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 275.

[2]- يوسف بن مدني مرابط، "لمحة عن بعض خطوات الشيخ البكري في التعليم الديني لمدرسة الفتح"، فعاليات الأيام للدراسية العلمية الوطنية حول فكر الإمام الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي-البكري، بريان، 2002م، نشر مكتبة الصفاء، ومكتبة البكري، 2006م، ص، 170.

[3]- قاسم الشيخ بالحاج، البعثات العلمية الجزائرية، تاريخها ودورها الحضاري-وادي مزاب أنموذجا، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر 2016م، د ر ط، ص، 35.

✓ **مآثر من الرحلات والبعثات المزابية:**

إن تواصل البعثات والرحلات نحو الأقطار الثقافية كان له آثار عديدة في ظهور النتائج العلمية على طلبة البعثة، ومشاركة بعضهم في الحياة السياسية على غرار ما حدث في تونس، حينما شارك أبو اليقظان وأبو إسحاق، ومحمد الثميني مشاركة فعالة في الحزب الدستوري بقيادة الثعالبي، وهذا ما كان له بالغ الأثر على التجربة السياسية الوطنية في الجزائر، وكما أن هؤلاء الطلبة ساهموا مساهمة بالغة في الحياة الأدبية التي أتت أكلها[1]، مما دفع بالكثير من أن يسلكوا هذا الطريق وهو طريق البعثة العلمية.

الرحلات والبعثات العلمية كانت في الكثير من الأحيان تدون وتنظم في قصائد، فكانت فرصة لكشف أجواء من التواصل الإنساني بين المجتمعات، والتأريخ للتراث الجزائري الحضاري، ومعرفة أحوال المسلمين في الأقطار والأهواز الأخرى، ولعل هذه الرحلات والبعثات كانت ملتقى الأعلام والعلماء، وبالتالي التعريف بمؤلفاتهم ومصنفاتهم، وإيجاد نوع من التواصل الإخواني خاصة ما تعلق بالرسائل الإخوانية وتبادل الكتب[2].

إن الرحلات والبعثات العلمية تسمح لروادها من أن يطلعوا على كل ما هو جديد في المواطن المقصودة، ومد جسور التواصل مع البلدان والشعوب، والرقي بالفكر الحضاري، وفتح الأفاق، وتطوير المعارف، وربما التخلص من العادات والتقاليد السلبية من المجتمعات المحلية، وتصحيح الأخطاء[3].

ولعّل من بين بواعث رحلة القطب الثانية إلى الحجاز هو تصحيح المفهوم الخاطئ الذي ساد مزاب ردحا من الزمن والذي كان يقضي بعدم السماح للمرأة بالسفر خارج مزاب إلا لضرورة حتمية كالعلاج مثلا، ولهذا المنع إسقاط للركن الخامس في الإسلام، وهو الحج

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص، 274.

[2]- يحي بن بهون، "الشيخ اطفيش..."، المرجع السابق، ص، 63.

[3]- أحمد مهني مصلح، المرجع السابق، ص، 431.

وهذا لا يجوز، فالتقاؤه بالعلماء في المدينة ومكة مكنه من فهم القضية فهما صحيحا، وتخلص من الخرافات والأفكار الخاطئة البعيدة عن الإسلام والشرع، والتي سيطرت على مزاب مدة طويلة.

إن الحركة الإصلاحية في الجزائر عامة قد انبثقت عن الذين تخرجوا من جامع الزيتونة وجامع القرويين والأزهر، فقد كان لهذا الصرح دورا هاما، فهذه الرحلات ساهمت في الحفاظ على التراث الحضاري للجزائر، وصهرت جميع الخلافات التي أراد الاحتلال زرعها بين فئات المجتمع الجزائري[1].

قد ساهم هؤلاء الطلبة والرحالة بالنهوض بالحياة الفكرية، وهذا بما أحيوه من تراث وبنوه من مدارس، ولعل من مآثر ونتائج أبو اليقظان في رحلاته العلمية، هو تأسيس مدرسة قرآنية سنة 1333هـ/1915م على غرار ما لاحظه في مدرسة السلام بتونس، وقد أدخل فيها العلوم العصرية والدينية والرياضة [2].

يرى الكثير من الباحثين أن حركة الإصلاح في الجزائر اعتمدت أساسا على خريجي البعثات العلمية[3]، فهؤلاء قد فهموا الكثير من الأفكار التحريرية والوطنية والتي كانت إيديولوجيات للحركة الوطنية الجزائرية فيما بعد، ولعل الاحتكاك بالعالم الخارجي والخروج من العزلة والجمود الفكري الذي طبقته فرنسا، وأساليب التعليم التقليدي أحدث نوعا من التفاعل بين الجزائريين والحراك السياسي والوطني في تونس على سبيل المثال.

هذه التجربة كانت دافعا لرسوخ القدم في الإصلاح والتجديد والنهوض بالأمة، كما أن هذه التجربة العلمية مكنت الكثير من أن يكون على مقربة من الطاقات الوطنية أمثال

---

[1]- الأحمر قادة، عطلاوي عبد الرزاق، "التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في أدبيات الرحلة العلمية الجزائرية 1913م-1954م"، مجلة آفاق فكرية، مج03، ع07، جامعة سيدي بلعباس، 2017م، ص، 245.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 274.

[3]- محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص، 33.

عبد الحميد بن باديس، عبد العزيز الثعالبي، وسليمان الباروني، وغيرهم كثير زادوا من الحماس الوطني لهؤلاء الشباب الطامح في التجديد، والإصلاح، والحياة الأفضل وفق ضوابط صحيحة.

- ✓ **إسهامات أعلام مزاب في المشروع التعليمي أثناء الإحتلال الفرنسي 1830م-1954م:**

1. المراكز التعليمية في وادي مزاب أثناء الاحتلال الفرنسي 1830م-1954م:

لقد عرفت منطقة وادي مزاب المدارس، وإن كانت هذه المؤسسات ليست بالهياكل التي نعرفها اليوم، إلا أنها أعطت الاستمرارية العلمية، و شهدت تلك المحاضر إقبالا كبيرا من طالبي العلم[1].

يقول الدكتور محمد صالح الناصر حول دور تلك المحاضر: « إن المدارس كتاريخ الحركة العلمية بوادي مزاب لا يمكنه بأي حال من الأحوال، أن يتجاهل الدور الرائد الذي كانت تقوم به الكتاتيب، أما ما يطلق عليه (المحاضر) هذه المحاضر التي كانت في حمى المساجد تكمل رسالتها التربوية رغم ضعف الوسائل والإمكانات، إذ يكفي أن ينحصر فضلها في أنها كانت تعنى عناية خاصة بتربية النشء الصاعد التربية الإسلامية..." [2].

يُعد التعليم في المحاضر التابعة للمسجد نمطا تعليميا قديما يعود إلى المراحل الأولى لتأسيس قرى مزاب، ولعل هذه النمط استمر على ما كانت عليه حلقة الشيخ أبو عبد الله

---

[1]- ازدك إبراهيم، المرجع السابق، ص، 185.

[2]- محمد صالح ناصر، "القيم الإسلامية في نظام التعليم بوادي مزاب (معهد الحياة أنموذجا)"، مجلة الحياة، ع01، المطبعة العربية، جمعية التراث، غرداية، 1997م، ص، 72.

محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، حيث كان قد أسس حلقة تعليم، وتربية تطوف بين التجمعات السكانية لتعليم الناس[1].

هذا النظام الذي يعتمد على محاضر تابعة للمسجد يشبه إلى حد بعيد نظام الكتاتيب والمعمرات الذي انتشر في الجزائر، وهو يُعنى بتحفيظ القرآن الكريم ومبادئ اللغة فكان له دور كبير في الحفاظ على مقومات الأمة الإسلامية[2].

فكانت لهذه المحاضر أو المدارس التابعة للمسجد والتي يشرف عليها العزابة الفضل في نشر الثقافة، ومحو الأمية، ومحاربة الجهل، حتى أصبح من النادر أن نجد أميا في القصر وهذا كله إنما حصل لما كان التعليم يقوم به فقهاء العزابة مجانا وبدون مقابل وبإخلاص وتفان[3]. يقول الشيخ إبراهيم طلاي: « لعل أكبر جهد قامت به حلقات العزابة وكان له أقوى الأثر في المجتمع هو تنشئة الناشئة على التربية الدينية، وتعليمها، وتلقينها القرآن الكريم»، ويضيف الشيخ: « فلكل مسجد في مزاب محضرتان أو ثلاث محاضر يتلقى فيها أطفال القرية تعليمهم ومبادئ الكتابة واللغة، وتحفظهم القرآن الكريم، والمهمة لا تترك لمن لا يحسن القيام بها من الجهلة، أو الذين يتخذون التعليم مدرا للربح، ففقهاء العزابة هم الذين يتولون التدريس فيها مجانا»[4].

وكانت غالبا ما تبنى هذه المحاضر بجوار المسجد وتضم في صفوفها تلاميذ من مختلف الأعمار، وتجمع أكثر من طبقة، لا تقدم دروسا منتظمة، ولا يخضع تلاميذها إلى امتحانات أو تقييمات[5].

---

[1]- قاسم بن أحمد الشيخ الحاج، المرجع السابق، ص، 104.

[2]- نفسه، ص، 105.

[3]- إبراهيم محمد طلاي، مزاب بلد الكفاح، المصدر السابق، ص، 88.

[4]- نفسه، ص ص، 87،88.

[5]- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص، 106.

وقد عرف الشيخ إبراهيم عمر بيوض هذا التعليم بقوله: « أما التعليم الابتدائي فيزاول فيما يسمى بالمحاضر جمع محضرة، وهي كتاتيب ملحقة بالمساجد مجاورة لها يتولي التعليم فيها –وهي عادة ما تكون ثلاثة– ثلاثة من أعضاء حلقة العزابة، الهيئة المشرفة على المساجد والمحاضر والشؤون الاجتماعية بالبلدة– يكونون حافظين لكتاب الله عالمين بفرائضهم الدينية، يُعلمون فيها الكتابة والرسم وحفظ القرآن الكريم ومبادئ الفرائض الدينية...»[1].

استمرت هذه المحاضر التابعة للمساجد في مزاب تؤدي رسالتها، وتلقن الصبيان القرآن ومبادئ الكتابة والقراءة وعلوم التوحيد والفقه، ولا يشترط السن لمن يريد قصد المحضرة، وقد اتبعت نمطا في التعليم من الفجر إلى طلوع الشمس، وبين صلاتي الظهر والعصر وبعد صلاة المغرب إلى العشاء[2].

يأتي في المستوى الثاني من التعليم المسجدي حلقة "إروان" ونقصد بها كل الطلبة الذين استظهروا القرآن الكريم في المحاضر على يد شيخ العزابة، فهؤلاء الطلبة يواصلون تعليمهم في مقر خاص تابع للمسجد وتحت إشراف العزابة يسمى دار إروان أو دار التلاميذ[3].

قد لخص أبو القاسم سعد الله هذا النوع من التعليم بقوله: « وفي مزاب حيث المساجد هي أساس التعليم الثانوي، ولا وجود للزوايا، نجد التلميذ ينتقل من التعليم الابتدائي إلى المتوسط فالثانوي، وعادة كان التعليم يعطى في دار العلم أو دار التلاميذ تحت إشراف العزابة، وبرنامج هذه المرحلة غني بالنسبة إلى غيره في أنحاء القطر، فهو يشمل العلوم

[1]– إبراهيم بيوض، مقتطف من تقرير حول التعليم العربي الحر بوادي مزاب، منشور ضمن كتاب معالم النهضة الإصلاحية، المرجع نفسه، ص ص، 106-107.

[2]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 188.

[3]– قاسم بن أحمد الشيخ الحاج، المرجع السابق، ص ص، 108-109.

الدينية من فقه، وتوحيد، وأصول الفقه، والتفسير، والحديث، والفرائض، ثم العلوم العربية، والعقلية كالنحو، والبلاغة، والعروض، والمنطق، والحساب، وكانوا يُعنون بالحساب لعلاقته بالفرائض، وكذلك التجارة والمحاسبات، فالتلاميذ يواظبون على الدروس في المساجد التي كانت مجانية لهم وكذلك بالنسبة للمعلمين...» [1].

ويبدو أن التعليم في الحواضر والكتاتيب كان ضعيفا، ويرجح أبو اليقظان أن سبب الضعف يرجع أساسا إلى ضعف المعلمين أنفسهم لكونهم فئة متطوعة، فتكون طرقهم تقليدية في إلقاء الدروس و منهجهم خاطئ لما حدوا من حرية طلاب العلم، كما أنهم يجهلون المواد التي يدرسونها[2].

أ. دور المشايخ:

إنّ العلماء في وادي مزاب منذ القرون الأولى لعمارتها اتخذوا من دورهم مدارس يؤمها الراغبون في التفقه في دينهم، وتلقي بعض العلوم العربية من نحو ولغة وصرف[3].

يقول إبراهيم طلاي في هذا الصدد: « كثيرا ما تساعد الظروف، ويهيىء الله الأسباب، فيوجد في مسجد العزابة شيخ جليل، وعالم يجمع إلى التحقيق العلمي، النشاط الإجتماعي، والرغبة في فعل الخير، فيجعل من داره أو من المسجد دار علم، أو معهدا عاليا –إن صح التعبير– للتعليم الديني، ونشر رسالة المصطفى –عليه السلام...»[4].

كانت ولاتزال في المنطقة دور للتعليم تابعة للعلماء والمشايخ، بعدما بدأت جهود علماء النهضة والإصلاح أمثال الشيخ أبي زكرياء يحي الأفضلي، والشيخ عبد العزيز

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 62.

[2]– محمد صالح ناصر، أبو اليقظان، المرجع السابق، ج1، ص، 55.

[3]– قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 112.

[4]– إبراهيم طلاي، المصدر السابق، ص، 89.

الثميني تأتي أُكلها في الميدان، وأبرزت للوجود مشاريع وعلماء وأعلام أخذوا على عاتقهم مهمة نشر العلم[1].

فكان هذا التعليم من اختصاص نخبة من العلماء درسوا في وادي مزاب، أو ارتحلوا إلى الأقطار العربية من أجل الاستزادة بالعلم ثم رجعوا إلى المنطقة، وفتحوا دورا للعلم، وقد بين الدكتور قاسم بن أحمد خصائص هؤلاء العلماء في نمط تعليمهم بقوله: « إنه ذلك التعليم التابع لأحد العلماء أو المشايخ الذين تلقوا قدرا من العلم داخل وادي مزاب، أو خارجه بالسفر إلى الحواضر العلمية المجاورة، من تونس، وليبيا، ومصر ثم عادوا، وفتحوا دورا خاصة بهم لتعليم الناس، وتكوين الطلبة، وقاموا بتنظيم حلقاتهم ومعاهدهم، وضبط مناهج الدراسة فيها وفق اجتهادهم ،وتجربتهم، وما عاينوه من أنماط التعليم، وما سطروه من أهداف، واقتنعوا به من أفكار"[2].

- **معهد القطب:**

قد أدرك الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش منذ شبابه أنه من الضروري مواصلة جهود مشايخه السابقين في مجال التعليم، كما أدرك الشيخ أن الوصول إلى الإصلاح الحقيقي والشامل للمجتمع يتأتى بتربية الأجيال ونشئتها على الخلق القويم، وتزويدها بالعلم النافع، فلما أحس بالنبوغ والمقدرة على أداء مهمة التعليم حتى انشغل به سنة 1253هـ/1837م[3]، ونزل إلى حلقات العلم يعلم ويدرس ويربي ويهذب، كما أنه لم ينقطع عن هذه المهمة إلى آخر حياته رغم عجزه وكبره سنه.

---

[1]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 112.

[2]- نفسه، ص، 114. ينظر كذلك: قاسم الشيخ بلحاج، "التعليم القرآني في الجزائر خلال القرن العشرين وأدواره الحضارية، منطقة وادي ميزاب أنموذجا" مجلة الصراط، ع29، جامعة يوسف بن خدة الجزائر، 2014م، ص ص، 186-187.

[3]- أمحمّد بن يوسف اطفيش اليسجني، شرح لغز الماء، إخراج، محمد بن الحاج محمد بن الشيخ أمحمّد اطفيش، 2007، ط02، ص، 80.

أطلق على معهد الشيخ القطب اسم معهد بني يزقن الذي أسسه منذ حوالي 1266هـ الموافق 1850م[1]، وظل يسيره إلى وفاته، وقد جاوز التسعين سنة، فكان الشيخ يعلم في منزله، فلم يبن معهدا خاصا، فقد خصص أحد منازله لتأسيس معهده، وقد ورد عليه التلاميذ من كل قصور وادي مزاب، ومن غيرها وحتى من خارج الوطن، حيث الإباضية[2]، وقد ذكر يوسف بن بكير في مرجعه تاريخ بني مزاب أن تأسيس المعهد كان سنة 1252هـ الموافق 1837م[3]، ويبدو بعد المقارنة أن هذه السنة هي بداية مهمة التعليم بالنسبة للشيخ، ومستبعد أن يفتح فيها المعهد لأن فتحه كان في أحد منازله، فلا يعقل أن يمتلك الشيخ ثلاثة منازل وهو في سن السادسة عشر، ولذا فإن سنة 1266هـ/1850م هي الأقرب للواقع في تاريخ فتحه للمعهد.

قد ورد إلى المعهد طلاب العلم من مختلف قصور وادي مزاب ومن غيرها خارج الجزائر، مثل جربة ونفوسة وعمان وزنجبار، وكان من شروط قبول التلميذ في هذا المعهد حفظ القرآن الكريم، وقد جعله شرطا لا محيد عنه، فالقرآن الكريم هو أساس كل العلوم الدينية، واللغوية، يضاف إلى ذلك حفظ المتون الضرورية، والاستقامة في السيرة والسلوك، وقسم التلاميذ إلى طبقات حسب المستوى العلمي، وهذا التقليد اتبعه القدماء، وحتى المعاصرين في الزوايا، فكان يدرس تلاميذ المستوى الأول كتب العقيدة، والفقه، والنحو على الأجرومية، والحديث، والشعر، والأدبيات، والأخلاق والتربية، وفي العقائد عقيدة التوحيد للجيطالي أو عقيدة العزابة للشيخ عمر بن جميع، وفي الفقه رائية الشيخ ابن النظر، أما المستوى الثاني فيدرسون القطر لابن هشام، والحديث، والأشعار، والأدب ونحو ذلك، إضافة إلى نونية أبي النصر بن نوح في التوحيد، أما المستوى الثالث وهم كبار التلاميذ الذي كان

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3، ص، 264.

[2]- نفسه، ص، 271.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص 209.

عليهم أن يحفظوا ألفية ابن مالك، والسمرقندية في البلاغة، وأجوزة في العروض وفي الأصول ألفية السالمي[1].

يقول قاسم بن أحمد تعبيرا عن كثرة تلاميذ القطب وانتشارهم في عالم الإصلاح والنهضة ما يلي: « إنتشر طلبة قطب الأيمة الكثيرون في كل قرى وادي مزاب وفي أرجاء الجزائر وخارجها؛ في بعض البلدان الإسلامية وفي التجمعات الإباضية في المغرب والمشرق، وكان لهؤلاء الطلبة الفضل في مواصلة مسيرة شيخهم بعد وفاته حيث حملوا لواء نشر العلم وإشاعة الوعي وبث الإصلاح الاجتماعي والنهوض بالنضال السياسي. حيث تفرقوا في كل مجالات الحياة وملؤوها بالأعمال والنشاط والحيوية»[2].

أفنى الشيخ اطفيش عمره في التلقين والتدريس وهذا ما أكده محمد علي دبوز قائلا: «فأقبل القطب على التربية والتعليم منذ شبابه الباكر، واستمر فيهما إلى أن انتقل إلى جوار ربه، فكان ما أمضاه من عمره مجاهدا في ميدان التربية والتعليم إحدى وثمانين سنة، وقد نجح كل النجاح في هذا الميدان، فثقف جماعات كبيرة من الشباب، ونبغ على يده علماء كبار، وانتشر العلم بفضله في كل المدن المزابية»[3]. وهذا ما لمسناه من خلال بحثنا في الحياة الفكرية خلال فترة الاحتلال، فأي اتجاه فكري طرقناه إلا وقد وجدنا أحد طلبته رائدا من روادها – رحمه الله.

[1]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص ص، 271-272.

[2]– قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 166.

[3]– محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، المصدر السابق، ج1، ص، 358.

- **معهد الشيخ الحاج إبراهيم الأبريكي[1]:**

إن الشيخ الحاج إبراهيم الإبريكي من الذين اقتفوا أثر شيخه القطب، ففتح معهدا للدراسات الابتدائية والثانوية في قصر القرارة[2] في العقد الثاني من القرن الرابع عشر، اختص في تحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم العربية والشرعية، وقد تولى فيها التربية والتعليم بنفسه، فنجح نجاحا عظيما في جهاده التربوي، كان لا يقبل المبتدئين، بل الذين يعرفون القراءة وتقدموا في حفظ القرآن الكريم.

يفتتح الشيخ دروسه في فصل الشتاء من طلوع الشمس إلى الضحوة الكبرى أي حوالي العاشرة والنصف، وفي فصل الصيف من الضحى إلى الزوال، وفي المساء من بعد صلاة العصر إلى المغرب لحفظ الألواح والمتون ومطالعة دروس الغد ومراجعة ما مضى، وكان رأيه بعد صلاة المغرب العودة إلى معهده فيستقبل طلبته الذين ختموا القرآن الكريم فيكررون سوره تحت نظر شيخهم[3].

يقول الشيخ شريفي عدون عن المعهد الشيخ: «...ولهذا المعهد أثر كبير في انتشار العلم والإصلاح العام في القرارة كما كان لدروسه في الوعظ والإرشاد في المسجد مثل هذا الأثر في عامة الناس وخاصتهم»[4].

وقد تخرج من معهده الجيل الأول للإصلاح في قصر القرارة، أمثال إبراهيم عمر بيوض وقاسم بن الحاج عيسى، الشيخ بلحاج، والحاج عمر بن الحاج محمد بوحجام،

---

[1]- الشيخ الحاج إبراهيم الإبريكي: من مواليد 1273هـ/1857م في قصر لقرارة، أخذ العلم واستظهر القرآن الكريم في مدينة الجلفة، إلتحق بمعهد الحاج قاسم الشيخ بلحاج في القرارة، ثم إلى معهد القطب، فتح معهدا حرصا على التربية والتعليم، توفي سنة 1329هـ/1911م. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص ص، 26-27.

[2]- نفسه، ج2، ص، 26.

[3]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، المصدر السابق، ج2، ص ص، 96-98.

[4]- شريفي عدون، المصدر السابق، ص، 18.

وإبراهيم أبو اليقظان وقد عرف الشيخ بشدة حبه للتعليم والتربية فكان لا يقبل كل ما يلهيه عن مهمته النبيلة[1].

يقول الشيخ محمد علي دبوز في شخصه الإبريكي: « وكان حازما صارما شجاعا شديد الحب للنظام، قد أعطى نفسه للعلم والتربية والتعليم، لا يرضى أن يشغله عن عمله شاغل ولا يقبل دعوات الناس للولائم والأعراس، أبى أن يدخل إلى حلقة العزابة خوفا أن يُشغل عن معهده، لقد كان يعرف واجبه وهو إنشاء جيل من الرجال المثقفين الصالحين يسدون ثغور الأمة بكفاءتهم، وهذا لا يكون إلا بإعطاء نفسه لمعهده، فلو اشتغل بغيره لضاع معهده، أو تنغص نتيجته، ثم لا يستطيع أن يسد الثغور كما يسدها من يبنيهم من الرجال!» [2].

يعتبر الشيخ الإبريكي هو من ربى الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض رائد الإصلاح في القرارة خاصة في فترة طفولته، فرآه الشيخ بيوض من أكبر أساتذته، يعترف بجميله العظيم[3].

فإلى جانب التعليم والتربية في المعهد، كان شيخا للمسجد وواعظا فيه، تولى هذه المهمة إلا لما اغتيل أستاذه الشيخ الحاج محمد بن الحاج قاسم سنة 1319هـ الموافق 1901م، فحارب الفساد والعصبية القبلية والجهل وتصدى للعواصف، ثم إنه تحمل

[1]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص، 96. ينظر كذلك: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 26.

[2]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج02، ص 103. ينظر كذلك: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص 26.

[3]- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج2، ص 96.

مسؤوليات الأيتام وأمانات الوصايا من أبناء عشيرة "البلات" بالقرارة فتحملها بإخلاص وتفان[1].

- **معهد الشيخ الحاج عمر بن حمو باحمد بن عيسى بن بكلي:**

فتح الشيخ بكلي معهدا في داره حينما استقر به الحال في العطف، ولم تكن حينئذ الظروف تسمح بفتح مدرسة مستقلة للتعليم بسبب التسلط الفرنسي، فكان الشيوخ اصحاب دور العلم يتحايلون إيمانا منهم حتى لا تغلق هذه الدور أمام طالبي العلم من طرف الإدارة الحاكمة فيقول الشيخ القرادي في هذا الصدد: « ولذلك في كل قرى الوادي دور العلم كلها ملكا للمشايخ الذين يدرسون فيها وهم دوما يجيبون إذا سئلوا من طرف السلطة أننا لا نستطيع أن نكتم علمنا على من جاءنا يطلب العلم ولا يجوز لنا في ديننا أن نكتم علمنا" [2].

فتح الشيخ بكلي معهده أمام الجميع بدون استثناء فليس هناك طبقات على حسب درجاتهم العلمية أو أعمارهم، وكان الشيخ هو المدرس الوحيد في المعهد، فإذا غاب انشغل الطلبة في حفظ المتون والمراجعة بأنفسهم.

تعاقب على معهد الشيخ بكلي أفواج من الطلبة، وإن لم تنته دراسة بعضهم، فقد كون منهم جيشا من جيوش محمد –صلى الله عليه وسلم– في عقيدتهم وأخلاقهم وسمتهم، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، الشيخ بكلي بكير بن مسعود الذي كان قد أشرف على طبع تفسير التيسير وشرح الدعائم وشرح العقيدة، وهذه الكتب كلها للشيخ القطب، والشيخ قباض الحاج امحمد بن إبراهيم، و بابعمي الحاج محمد بن مسعود، سماوي الطالب عمر بن الحاج

[1]– مجموعة من الباحثين، معجم الأعلام، المرجع السابق، ج2، ص، 27.

[2]– الشيخ القرادي، حياته وآثاره، المصدر السابق، ص، 144.

أحمد، باسة يحي بن باحريز والشيخ علي يحي امعمر، الشيخ بكلي عبد الرحمن بن عمر وغيرهم كثير [1].

وقد خصص لطلبته نصيبهم من التفسير لتمكنه من هذا العلم حتى وصفه الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش بالعالم الكامل[2].

- **معهد الشيخ الحاج عمر بن يحي (نور القلب):**

فتح الشيخ عمر بن يحي معهده في القرارة حوالي منتصف العقد الأول من القرن العشرين، فالتف حوله تلاميذ من مختلف المستويات، فبعث فيهم حب العلم والأخلاق ومبادئ الإصلاح ولازمه أعيان البلدة وأعلامها البارزون وتعاونوا على الإرتقاء بالمجتمع وإصلاحه، وكان الشيخ عمر من الملازمين للمسجد واعظا ومرشدا، فكان له من المتحرجين عددا لا يستهان به، انتشروا في ميادين الإصلاح والتعليم، فالشيخ عمر بن يحي له الأثر في تطور القرارة وانتشار دور العلم والتربية[3].

كان نظام الشيخ الحاج عمر بن يحي يبدأ من طلوع الشمس إلى الضحى، يحفّظ فيها الطلبة المتون للذين حفظوا القرآن الكريم واستظهروه، وحفظ الألواح وكتابتها للذين لم يستظهروه، وحوالي الساعة التاسعة يبدأ الشيخ دروسه في العلوم للذين استظهروا القرآن، أما البقية فيجلسون وراء الحلقة أو في الطابق الثاني تحت إشراف أحدهم ويواصلون حفظهم، ودأب الشيخ بدأ دروسه بدرس الأخلاق وهي مفتوحة لكل التلاميذ بدون استثناء بل يدعوهم إلى هذا الدرس لما فيه من خير [4].

---

[1]- القرادي، المصدر السابق، ص ص، 144-146.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 303.

[3]- شريفي عدون، المصدر السابق، ص، 20.

[4]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، المصدر السابق، ج1، ص، 297.

يقول محمد علي دبوز حول درس الأخلاق: « إن معاني الشيخ في درس الأخلاق يراها الطلبة في عينيه وسجنته وكل حركاته، ويحسون بها في وجدانه القوى قبل أن يتفوه بها، إنه ينبع من أعماقه حارا بحماسة فيستقر في أعماق نفوسهم...» [1].

إلتف حول الشيخ تلاميذ من مختلف الطبقات تداولوا عليه طبقة بعد أخرى، فبث فيهم معارفه وأخلاقه ومبادئه الإصلاحية، ولم يفارق هذا المنبر حتى دعاه داعي الحق، فكان له تلاميذ جيشا عتيدا توزعوا على ميادين الإصلاح والنهضة[2].

وقد تخرج من معهد نور القلب طبقات ثلاثة، فالأولى تفرقوا وانتشروا في ميادين الحياة متشبعين بالمبادئ والأخلاق، أما الطبقة الثانية فقد تحصلوا على نصيب من العلم لا بأس به وجلهم التحقوا بمعهد القطب أو اتجهوا إلى جامع الزيتونة وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الشيخ أبو اليقظان والشيخ إبراهيم بن بكير حفار، أما الطبقة الثالثة، فهي الطبقة التي توفى عنهم شيخهم الحاج عمر بن يحي وهم لا يزالون طلبة كبارا يزاولون ويتلقون عنه الدروس في المستوى العالي، ويبدو أن على يدهم ازدهر معهد الشباب فيما بعد، وعلى رأسهم الشيخ بيوض رائد الإصلاح في قصر القرارة[3].

وقد رسخ الشيخ عمر بن يحي في طلبته حب المطالعة والقراءة من خلال تخصيص أوقات بعد صلاة العشاء لهذا المقصد يتدارسون فيها أمهات الكتب فيذكر لنا الشيخ محمد علي دبوز نقلا عن أستاذه أبو اليقظان أن الشيخ عمر بن يحي دأب على أنه بعد انتهاء دروس الليل ينزل إلى مكتبته ومعه أصدقاؤه زعماء الإصلاح وكبار طلبته فيقرأ كتابا وهم يستمعون، ويتولى القراءة أحد تلاميذه الكبار البارعين في القراءة. فيستمر مجلس القراءة إلى منتصف الليل دون الإحساس بالتعب أو الملل.

---

[1]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص، 297.

[2]- شريفي عدون، المصدر السابق، ص، 20.

[3]- نفسه، ص ص، 21-25.

وقد ذكر على لسان أبو اليقظان أنهم قرؤوا في هذه المجالس كتاب "تاريخ الشيخ محمد عبده" لصاحبه رشيد رضا، وكتاب "نهضة الأمة وحياتها" لصاحبه الشيخ طنطاوي جوهري، وكتاب "العروة الوثقى" للشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وكتاب "أم القرى" و"طبائع الاستبداد" للشيخ عبد الرحمن الكواكبي وكتاب "أريج الزهر" للغلايني[1]، فكان لهذه القراءة الأثر البالغ في ترسيخ الأخلاق ونشر الوعي لديهم بعد اطلاعهم على أحوال المجتمعات الإسلامية.

تتلمذ على يد الشيخ عمر بن يحي نخبة من رجال الإصلاح والنهضة منهم الشيخ الحاج إبراهيم بن إسماعيل حاجي، والحاج محمد بن محمد بن الناصر، وبالحاج بن محمد بن الشيخ، والحاج عمر بن الحاج محمد بوحجام، وقاسم بن إبراهيم الشيخ بالحاج، وصالح بن يوسف بسيس، وعلى رأسهم الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض والذي كان محط أنظار شيوخه لذكائه واجتهاده، هؤلاء جميعا على يدهم ازدهر المعهد بعد وفاته[2].

أسهم الشيخ عمر بن يحي في إصلاح المجتمع وقيادة نهضته بكل ما أوتي من قوة، فكان معلما ناجحا ومربيا ماهرا، وفقه الله في غرس الأخلاق الحميدة في طلبته، وأكسبهم عقولا تحسن التصرف في مناحي الحياة، وقد لخص الشيخ محمد علي دبوز محاسن وصفات شخصية عمر بن يحي بقوله: « وكان الشيخ الحاج عمر أشد ظهورا في ميدان الإصلاح وقيادة الكفاح لطول أمده فيه وحسن آثاره وبلائه، وكثرة تلاميذه العلماء الذين أنجبهم، لقد آتاه الله شخصية معلم ممتازة فكان مربيا ماهرا يعرف كيف يبني الشخصية الإسلامية ويربي تلاميذه من نواحيهم، ويكسبهم أحسن العادات في كل جهاتهم، وكيف تكون أخلاقهم العظيمة وعقولهم النيرة...» [3].

---

[1]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج1، ص، 319.

[2]- شريفي عدون، المصدر السابق، ص، 25.

[3]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج1، ص، 312.

- **معهد الشيخ إبراهيم بن بكير حفار:**

من الأعلام المزابية التي تعلمت في المنطقة، وقد استغل فرصة طلب العلاج في تونس بسبب مرض أصاب بصره، وأخذ علم القراءات عن الشيخ محمد النورقي في جامع الزيتونة وختم القرآن الكريم عنده على القراءات السبع، وللأسف في هذه الأثناء كان علاجه غير مكتمل وفقد بصره وعاد إلى الجزائر سنة 1334هـ/1915م، وفتح معهدا في السنة الموالية لتعليم القرآن الكريم وعلومه في قصر القرارة[1].

التف حوله الكثير من التلاميذ لمكانته العلمية وبراعته في التدريس بالفصحى، ورغم فقدانه لبصره، فقد وفدت إليه بعثات من مزاب ووارجلان، فازدهر معهده سنوات، وقد ذكر الشيخ شريفي عدون أن هذا النشاط ضعف لأسباب نجهلها، فتفرق عنه التلاميذ فاضطر الشيخ حفار إلى غلق هذا الصرح العلمي، وانتقل إلى قصر بني يزقن بعد وفاة الشيخ الحاج صالح بن عمر -رحمه الله- سنة 1346هـ/1928م وناب عنه في مجال التعليم لما احتضنه أهلها فقام يلقي الدروس كما كان في قصر القرارة إلى أن توفي سنة 1374هـ/1954م[2].

قام الشيخ حفار بتدريس علم التجويد والقراءات وعلوم اللغة العربية، فأخذت عنه جموع من الطلبة والعامة، وفي سنة 1361هـ/1943م ساهم في إنشاء المعهد الجابري، وكان من أبرز الشيوخ به[3].

من تلاميذه إبراهيم بن بنوح متياز، وسليمان بن داود بن يوسف، ومحمد بن يوسف ببانو، وعبد الحميد أبو القاسم، ومحمد بن بنوح نوح مفنون، وبلحاج بن عدون قشار، وعمر

---

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج02، ص، 09.

[2]- شريفي عدون، المصدر السابق، ص، 23. ينظر كذلك: يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص،295.

[3]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 09.

بن يوسف عبد الرحمن، وإبراهيم بن محمد طلاي، وكلهم علماء أجلاء في منطقة وادي مزاب[1].

إن دور العلماء والمشايخ نسق جرت عليه الحياة الثقافية في منطقة وادي مزاب منذ القرون الأولى لتأسيس قراه، وما يلاحظه الباحث في هذا المجال هو كثرة هذه الدور وانتشارها في المنطقة، فلا يخل حي من أحياء القصر من هذه المعاهد، وقد اشتهر شيخها وكثر مريدوه، فقد تخرج من هذه الدور عشرات المؤلفين وآلاف المخطوطات، وجعلت المجتمع المزابي متعلما يعرف القراءة والكتابة في فترة مارس فيها الاحتلال كل أنواع القمع والاضطهاد نحو هذا النوع من التعليم.

وفيما يلي جدول يبين بعض دور العلم في قصر بني يزقن لوحده خلال فترة الاحتلال ولك أن تتخيل عدد هذه المراكز في وادي مزاب[2]:

إسم الشيخ	الحي والجهة	عدد التلاميذ
أمحمّد بن يوسف اطفيش	صالح أُوعلي	10
الحاج إسماعيل زرقون	صالح أُوعلي	05
الحاج إسماعيل زرقون	صالح أُوعلي	32
الحاج إبراهيم ابن إدريس	بلدوعات	05
الحاج صالح لعلي	آنو قبلي البلد	36
الحاج سليمان ابن إدريس	باعبد العزيز	04
حمو بن محمد الزغبة	غربي البلد	44
الحاج إبراهيم ابن أدريس	آنو شرقي البلد	36

من مآخذ التي نستخلصها من التعليم في دور العلماء والمشايخ هو عدم فهم الأساليب ووسائل الإصلاح في النهضة والمرحلية والتدرج فيها، فتسببوا في شق صف

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 09.

[2]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 240.

المجتمع وتهديد وحدة البلدة واستقرارها، خاصة بعدما استشعر بعض المشايخ قوتهم وذلك لكثرة طلبتهم ومريدهم، فدخلوا مع المجتمع في معارك إصلاحية لم يحن وقتها، فتسبب ذلك في فتن وخصومات مع أعضاء حلقة العزابة، فاستغل المستعمر الفرنسي لهذه الأوضاع وهذا الصراع بين الجناحين لبسط نفوذه أكثر وضرب طرف بالطرف الثاني، كما أن هذا النوع من التعليم أغفل تعليم المرأة والعناية بها، فلم نعرف عن العلماء والمشايخ تخصيص حلقات خاصة بالنساء أو تحديد أوقات خاصة لتدريسهم إلا القليل[1].

ب/ المدارس الإصلاحية العصرية المزابية أثناء الاحتلال 1830م-1954م:

رغم كل المضايقات والقوانين الجائرة الصادرة من الإدارة الفرنسية، إلا أن التعليم على مستوى المحاضر ودور التلاميذ والمشايخ قد استمر وشق طريقه في صمت وصبر، بل الأكثر من ذلك بدأت بوادر إصلاح التعليم الابتدائي في الظهور مع قانون أكتوبر 1892م الذي نص على إمكانية فتح مدارس حرة بموافقة الإدارة الفرنسية[2]، وتأثرا بما حصل من تجارب في البلدان المجاورة خاصة تونس، لما شهدته من تقدم في هذا المجال، فدعا المزابيون الذين عاشوا الأجواء التعليمية هناك إلى إنشاء المدارس العربية العصرية وإدخال الوسائل والأساليب الحديثة، وطالبوا بالتجديد في المناهج والطرق[3].

لم تكن في منطقة وادي مزاب مدارس على النمط الحديث كما هو موجود في تونس، لهذا ابتكر أعلام الإصلاح فكرة إنشاء المدارس النظامية التي تعمل تحت وصاية المسجد، وقد تقبل المزابيون هذا النمط لما لاحظوه من نتائج حسنة لتجربة عباس بن حمانة[4] بتبسة

---

[1]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 118.

[2]- أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954م، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص، 75.

[3]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 494،495.

[4]- عباس بن حمانة: أحد أعلام مدينة تبسة كان له شأن عظيم، يحسن العربية والفرنسية، كان ضمن الوفد الجزائري سنة 1912م للمطالبة بإلغاء التجنيد الإجباري في باريس، بسبب نشاطه الكبير خاصة في المدرسة

سنة 1913م رغم أنها لم تدم طويلا، وما ساعد هذا التعليم في التطور هو تلك المجهودات التي بذلها خريجو معهد الحياة والبعثات العلمية نحو تونس، لأنهم تأثروا بأسلوب التدريس هناك فاجتهدوا في نقله إلى الوادي[1].

فبالإضافة لهذه التجربة فإنّ طلبة البعثات العلمية قد تأثروا بالنهضة العلمية في تونس حينما نجحوا في إنشاء مدرسة السلام وقبلها مدرسة الشيخ بشير صفر سنة 1907م، وكلاهما عصرية أضيف إليها مختلف العلوم[2].

فأسهم أعلام الإصلاح خلال سنوات العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين لإقناع الناس بجدوى التعليم العصري وعدم انغماسهم في الحياة المادية على حساب حياة العلم، فاتصلوا بأرباب العائلات ورؤساء العشائر ليقنعوا الأولياء بترك الأبناء النجباء لمواصلة دراستهم، فوصل بهم الأمر إلى حد الإنفاق عليهم وتحمل نفقات دراستهم، ومن جهة أخرى وجه أعلام الإصلاح حملتهم لتوعية الجماهير المزابية بضرروة تمويل هذه المدارس، فكانت دروس الشيخ بيوض المسجدية تدعو للإنفاق بسخاء على بناء هياكلها وتجهيز أقسامها واستكمال مرافقها، وفي خضم هذه الدعوة كان دعاة تيار المحافظة يعملون على عرقلتها وتشويهها لدى الجماهير[3].

إنّ تشييد المدارس في منطقة وادي مزاب يرجع الفضل فيه إلى دور الأوقاف الإسلامية ومساهمتها الفعالة، فمنذ أن وطأت أقدام الاحتلال أرض الوطن، بدأت في بسط سيطرتها على الأوقاف الجزائرية بطريقة مرحلية، وفي هذه الأثناء ظل المزابيون محافظين

الصديقية إغتاله أعوان الاحتلال يوم 16 جويلية 1914م. ينظر: عبد القادر عزام عوادي، المرجع السابق، ص،122.

[1]- لخضر الدهمة، المرجع السابق، ص، 50.

[2]- الحاج موسى بن عمر، المرجع السابق، ص، 121.

[3]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 506.

عليها، فكانت دعما لحركة التعليم والمجتمع ككل، فالأوروبيون قد اندهشوا من الطاعة الكبيرة التي تميز بها الفرد المزابي اتجاه الهيئات الدينية الخيرية، فقد عرف عن المزابي مدى قدرته على التحكم في التجارة وأنه لا يستطيع منح حبة قمح واحدة، إلا أنه لا يتوانى في التضحية بقسط هام من فوائده بل من رأسماله من أجل ترميم مسجد أو بناء مدرسة[1].

ومع بداية إنشاء الجمعيات والنوادي الخيرية في منطقة وادي مزاب، ظهر ذلك التنافس الشريف على فتح المدارس العصرية لنشر الثقافة الدينية، وهذا ما ذكره محمد على دبوز بقوله: « وقد تطور التعليم في وادي مزاب...فنشأت في كل مدينة جمعية خيرية قامت بفتح المدارس العصرية الجميلة الفسيحة الابتدائية للتربية الإسلامية والتعليم العربي العصري»[2].

وقد اختصت المدارس العصرية في بداياتها الأولى على الطور الابتدائي، فاعتنت بالعلوم الدينية وعلوم اللغة وبعض المناهج الحياتية، إذ أن قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج قدم لنا مفهوم المدرسة العصرية في مرجعه معالم النهضة الإصلاحية بقوله: « مؤسسة تربوية تعليمية اجتماعية للمستوى الابتدائي، تعنى بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم العربية والشرعية والجنائية، تسعى لتحقيق أهداف دينية وتربوية واجتماعية وعلمية، وهي تابعة في إدارتها وتمويلها للهيئات العرفية بوادي مزاب، تشرف عليها جمعية خيرية وهي مستقلة عن التعليم الرسمي من حيث برامجها ومقرراتها وموادها الدراسية وسياستها التعليمية»[3]، فالمدارس العصرية التي ظهرت في وادي مزاب في فترة الاحتلال كانت تحت إشراف جمعيات خيرية ومصاريفها تكون من تبرعات الأعضاء المحسنين، تعتني بمواد خاصة لا علاقة لها بالتعليم الرسمي.

---

[1]- ازدك إبراهيم، المرجع السابق، ص، 191.

[2]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، ج1، ص، 215.

[3]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 502.

لعل الانطلاقة الفعلية للمدارس الحرة قد بدأها الشيخ اطفيش "القطب" من خلال معهده في بني يزقن وتقمصها مدرسة تبسة على عهد عباس بن حمانة[1].

1. المدرسة الصديقية بتبسة 1913م:

كانت المدرسة الصديقية أول تجربة في مجال إصلاح التعليم الابتدائي يخوضها المزابيون، وبالذات مجموعة من التجار الذين اقتنعوا بالفكر الإصلاحي، وصاروا من أعيانها، وعلى رأسهم الرجل البطل الحاج بكير العنق، حيث تبنوا فكرة إنشاء المدرسة الصديقية في مدينة تبسة سنة 1331هـ الموافق 1913م برعاية وإشراف الشيخ عباس بن حمانة، الرجل المصلح والعالم الفحل، حيث ناصروه ودعموه وأيدوا فكرته وصاروا معه إلى أن تحققت في الميدان[2].

يقول أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن: « فقد اجتمعت إرادة المحسنين ورواد الأفكار النيرة على تأسيس جمعية خيرية أولا باسم الجمعية الصديقية الخيرية للتربية الإسلامية والتعليم العربي والإصلاح الاجتماعي برئاسة ابن حمانة، وكان أمين المال هو الحاج عمر العنق، ومن أعضائها الحاج بكير العنق وأخوه السابق»[3]، وقد نقل شيخ المؤرخين أبو القاسم عن الأستاذ محمد علي دبوز بأن المدرسة الصديقية كانت تقع في بناء من أربع طوابق تبرع به للجمعية الحاج بكير بن عمر المرموري[4]، فكانت هذه الشخصية عضد الشيخ عباس بن حمانة في جهاده الإسلامي والعلمي بمواقفه وماله، والدليل على ذلك تبرعه

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 169.

[2]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 495-496.

[3]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص، 242.

[4]- نفسه، ص، 242.

هو وإخوته عيسى وبكير بدارهم الكائنة في "ساحة الجمارك" في تبسة للمدرسة، وكانت مقرا للجمعية[1].

كان الشيخ عباس بن حمانة رئيسا لجمعية الصديقية لإحياء اللغة العربية[2] ورائدا لهذا الصرح التربوي، قال عنه مالك بن نبي: « إن ابن حمانة لابد أن يذكر على أنه أول جزائري عمل على بعث اللغة العربية في البلاد وبفضله ارتفعت ضمن أسوار تبسة جدران أول مدرسة»[3].

بن حمانة كان شخصا جديرا بأن يكون رجل دولة ونظيرا للشيخ الثعالبي في تونس لو واتته الظروف، وقد وجد عباس بن حمانة المساندة في مشروعه من أبناء مزاب في تبسة[4].

فتحت المدرسة الصديقية أبوابها وكانت مسايرة للعصر من حيث الوسائل والأساليب والبرامج والمناهج، وقد استقدمت أستاذين من تونس، ولما رأت الإدارة الفرنسية هذا التطور النوعي، وشعرت بخطورة المشروع بادرت وبسرعة فائقة إلى غلق المدرسة وتوقيفها عن النشاط بعد سنة دراسية واحدة ودبرت مقتل رئيسها عباس بن حمانة[5].

وفي تلك السنة الدراسية قد وفر القائمون على المدرسة مقر إقامة للطلبة البعيدين مقابل اشتراك رمزي، على أساس أن سنوات التمدرس قد حددت في قانونها الأساسي بحوالي

---

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج02، ص، 19.

[2]- حسب ما جاء في رسالة من الجمعية إلى السيد يحيى بن عمر يحيى مؤرخة في 22 جانفي 1914م. ر م ع ح، ملف Enseignement رقم 1342/1.

[3]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، القسم الأول (الطفل)، دار الفكر للطباعة والنشر، سوريا، 1984م، ط2، ص، 27.

[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 245.

[5]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 496.

ثمانية سنوات يدرس فيها الطالب القرآن الكريم والتربية الإسلامية والتاريخ الإسلامي وتاريخ الجزائر والرياضيات واللغة الفرنسية والتربية البدنية والجغرافيا[1].

المدرسة الصديقية كانت أول تجربة يعيشها المزابيون، ومن أهم المشاريع التربوية التي استشعروا نتائجها على أبنائهم، مما دفعهم للمضي في فتح مدارس على غرارها في منطقة وادي مزاب.

2. مدرسة أبو اليقظان العصرية:

بعد عودة الشاب أبو اليقظان من تونس سنة 1333هـ الموافق 1915م مضطرا على رأس أول بعثة علمية بسبب الحرب العالمية الأولى، استقر به الأمر في قصر القرارة، فكان يحدث أبناءها على التطور الحاصل في مجال التعليم للجارة تونس ويظهر جوانبه الإيجابية[2]، فكان ذلك دافعا لأن يطلب منهم مساندته لتأسيس مدرسته العصرية.

في هذه الأثناء كان أستاذه الحاج عمر بن يحي على قيد الحياة، فاستشاره حول موضوع المدرسة، فوافق وبارك الفكرة فكانت الخطوات الفعلية لفتحها في شهر رجب 1333هـ الموافق جوان 1915م، وقد التحق به خمسة وثلاثون تلميذا، وقد اختلفت هذه المدرسة عن الحواضر ودور التلاميذ والعلماء في كونها تدرس بالمقابل، ومزاولة الدروس يكون في سائر أوقات اليوم[3].

اختصت مدرسة أبو اليقظان في تدريس العلوم العربية والشرعية والحياتية وبحفظ الأناشيد الوطنية وتاريخ الجزائر والجغرافيا والحساب، وخصص حصة أسبوعية للرياضة

---

[1]- عبد القادر عزام عوادي، "المدرسة الصديقية ودورها في النهضة العلمية والحركة الإصلاحية بمنطقة وادي مزاب"، مجلة السياق، ع02، كلية الآداب واللغات، جامعة غرداية، 2016م، ص، 107.

[2]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 497.

[3]- نفسه، ص، 497. ينظر كذلك، قاسم الشيخ بلحاج، "التعليم القرآني في الجزائر.."، المرجع السابق، ص ص، 194-195.

البدنية، فجعلها على غرار مدرسة السلام، ولعل ذلك كان من نتائج تجربته وآثار رحلته إلى تونس[1].

ظهرت مدرسة أبو اليقظان في وقت كان فيه الحكم العسكري الفرنسي يراقب ويمنع أي تعليم يظهر خلاف تعليمه، ويمنع فتح المدارس العربية غير المرخص لها، وقد استثني من ذلك الكتاتيب التقليدية التابعة للمساجد، لذا فإن مدرسة أبي اليقظان كانت تعد مدرسة خارج القانون ومخالفة للتوجيهات الاستعمارية، فاتخذ الشيخ احتياطاته حتى لا يلحق بها الأذى، ومن بين ما اتخذه أبو اليقظان أنه لم يجهز المدرسة بالطاولات والكراسي واكتفى بالحصير، فإن داهمه المستعمر وجدهم على شكل الكّتاب كسائر الكتاتيب[2].

استمرت المدرسة في نشاطها نحو سنتين، ثم تخلى عنها إذ قرر العودة إلى تونس لمواصلة مشواره الدراسي وبعث فكرة البعثات العلمية من جديد[3]، فكان من بين التلاميذ الذين أسهم أبو اليقظان في تكوينهم وتثقيفهم في المدرسة حمو بن عيسى المرموري، ودحمان بن الحاج بكير المرموري، والحاج داود بن الحاج أحمد احجوجة، وحمو بن عمر لقمان، وعيسى بن يحي تاعموت، هؤلاء سيكون لهم دور كبير في مجال الإصلاح مستقبلا[4].

إن مدرسة أبى اليقظان تعتبر أول تجربة للمدراس العصرية عاشها وادي مزاب، حيث كان له السبق في هذا المجال حينما جلب هذا التعليم العربي العصري إلى المنطقة، بعدما عاينه في الجارة تونس وهو على رأس البعثة العلمية، فيقول محمد علي دبوز في هذا

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 274. وينظر كذلك قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص 498. ينظر كذلك: عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920م و1954م، مذكرة الماجستير، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر، 2008م، ص،107.

[2]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 499.

[3]- شريفي عدون، المصدر السابق، ص، 22. ينظر كذلك قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 499.

[4]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، المصدر السابق، ج3، ص ص، 203-204.

الصدد: «إنها أول مدرسة عربية عصرية تنشأ في جنوب الجزائر، لتذيق الناس حلاوة التعليم العربي العصري، وتريهم النتائج الباهرة لهذه المدارس التي تعنى بالتربية والتعليم فينهضون لإنشائها في كل أنحاء الجزائر، لأنها متعطشة إلى التربية الإسلامية والتعليم الصحيح.»[1].

فبالرغم من قصر تجربة أبي اليقظان التي لم تدم طويلا، إلا أنها كانت كفيلة برفع ذلك الفتور من نفوس العامة اتجاه هذا النمط من التعليم، وإشعارهم بضرورة المدارس العربية العصرية، فيذكر محمد علي دبوز في فوائد التجربة القصيرة لمدرسة أبي اليقظان ما يلي: « نال الشيخ أبو اليقظان مبتغاه بمدرسته القرآنية العصرية، لقد أضاقت القرارة وميزاب حلاوة وجدوى التعليم العربي العصري مقرونا بالتربية الإسلامية القوية، وأشعرهم بضرورة المدارس القرآنية العصرية لهم، هذه المدارس التي تحفظ القرآن ومعه ما يجب من العلوم الدينية والعربية وعلوم الحياة وتنشئ نفوسا مهذبة قوية وعقولا مثقفة مدركة، وكون أبو اليقظان للقرارة وميزاب وجنوب الجزائر النظرة الصحيحة إلى هذا النوع من التعليم الذي كان ينفر منه الكثيرون»[2].

3. معهد الحياة "القرارة" 1925م:

يبدو أن الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض له بصمة واضحة في إنشاء المدارس الإصلاحية عبر القطر الجزائري خاصة في مناطق تواجد المزابيين، وكانت هذه المدارس تفتح للجميع وهو ما يؤكده الدكتور محمد لعساكر بقوله: « فقد أسس مع مساعديه عدة مدارس في أهم مدن الجزائر، جنوبا وشمالا، شرقا وغربا، أبرزها في مدن توقرت وبسكرة وباتنة وقسنطينة والعلمة... وكانت تخضع لنفس النظام المقرر لمدارس ميزاب، وليست

[1]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص، 188.

[2]- نفسه، ص، 205.

مقصورة -كما قد يظن- على أبناء المنطقة المقيمين في هذه المدن، بل كانت مفتوحة لكل راغب من الجزائريين، وبين هذه المدارس ومدارس جمعية العلماء إتصال وتبادل»[1].

إلا أن التعليم في المدارس الحرة التي ظهرت قبل 1344هـ/1925م كان مقصورا على التعليم الابتدائي، مع وجود ما يشبه التعليم الثانوي الحر أيضا، الذي تمثل بمعهد الحياة في المنطقة [2].

يرى الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض أن النهوض بالأمم يرتكز على التربية والتعليم وتطوير المناهج وتحديث الوسائل، فلهذا نجده قد سعى إلى نشر المعرفة عموما والتركيز على الإصلاح الديني خصوصا بين مختلف فئات المجتمع، وفي هذا الصدد يقول الشيخ: « يجب أن نقضي على الجهل والأمية ونسرع السير في طريق العلم، لنصل الغاية البعيدة التي توجبها علينا عصرنا»[3]، فنجده بعد وفاة شيخه عمر بن يحي قد خلفه في رئاسة الحركة العلمية والنهضة الإصلاحية في منطقة القرارة، فتولى تسيير المعهد أربع سنوات في دار شيخه، ثم حول هذا القطب الثقافي إلى داره إلى غاية إنشاء معهد الشباب في 28 شوال 1343هـ الموافق 21 ماي 1925م الذي يعتبر امتدادا للمعهد السابق الذكر[4].

فالتعليم في نظر الشيح بيوض هو المنطلق الأساسي لتحقيق النهضة، لأنه الحقل الذي يتم فيه إعداد الأجيال فكرا وسلوكا، فأراد من هذا الحقل أنّ يكون متطور المناهج،

---

[1]- محمد لعساكر، "جهاد الإمام الشيخ بيوض بين الإنصاف والإجحاف"، الملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، القرارة، 8-9 محرم 1421هـ الموافق لـ13-14 أفريل 2000م، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 2002م، ص، 56.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص، 59.

[3]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، المصدر السابق، ج01، ص، 18.

[4]- إبراهيم بن عمر بيوض، أعمالي في الثورة، نشر جمعية التراث، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 1990م، ص، 13.

حديث الوسائل والأساليب، حيث يقول: « أننا حريصون في معاهدنا ومدارسنا على الدين وتعليمه كاملا، كما أنزله الله تعالى، ولكننا نريد الأساليب الحسنة في تعليمه»[1].

قامت منهجية التعليم في معهد الشيخ بيوض على أسس متينة، فالمواد التي تدرس تخدم اللغة العربية، وتهدف كلها إلى تكوين وتقوية طلاب العلم حتى يتسنى لهم فهم كتاب الله والتعمق في معانيه، فكانت هناك عناية فائقة بالأدب العربي وعلومه، فنجد أن معهد الحياة كما أصبح يسمى سنة 1373هـ/1954م[2] قد اشترط حفظ القرآن الكريم على كل طالب يريد الالتحاق بعد استظهاره على إمام المسجد قبل البدء في العلوم المختلفة في الفقه وأصوله والبلاغة والنحو والصرف وعلم التوحيد، ودروس عمومية أُخرى[3].

وهذا يدل أن منهج الشيخ في التعليم والتربية ارتكز على محورين أساسيين هما اللغة العربية والإسلام، شعاره "الدين والخلق قبل الثقافة، ومصلحة الوطن قبل مصلحة الفرد"[4]، وقد أوكل ذلك إلى نخبة من الأساتذة الأكفاء أبرزهم محمد علي دبوز، وسعيد الشريفي[5]، الذي كان من رواد الحركة العليمة بالقرارة. وعين فيما بعد مديرا للمعهد، وقد تخرج منه رجال شغلوا مناصب بارزة، فكان منهم القاضي والوزير والإمام تحملوا المسؤولية كل في موقعه وفق التربية التي نشؤوا عليها في رحاب القرآن[6].

فالبحث في الحقل الاجتماعي الإداري والسياسي في مزاب، إلا ويجد نفسه قد ذكر شخصية مرت بمعهد الحياة، فبالرغم من الظروف الصعبة التي نشأ فيها المعهد إلا أنه

---

[1]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص، 143.

[2]- محمد صالح باجو، "طلبة العلم بالجزائر في الحركة الإصلاحية-(الشيخ بيوض أنموذجا)"، الشهاب الجديد، ع02، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2003م، ص، 147.

[3]- شريفي عدون، المصدر السابق، ص ص، 63-67.

[4]- محمد صالح ناصر، مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق، ص، 115.

[5]- Salah Bendrissou, Op.cit,p,33.

[6]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص، 22.

كان حصنا منيعا، وقد وصفه الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني بقوله: « معهد الحياة أحد حصون العربية في مغرب الوطن العربي، حمل لواء العربية لغة القرآن الكريم، ونازل المستعمرين الذين حاولوا القضاء على هوية الشعب»[1].

قام الشيخ بيوض بجهد كبير من أجل تطوير التعليم وإيجاد مواد ومقررات إضافية وصل عددها إلى ثلاثين مادة، فتولى التدريس بنفسه في بعض المواد، ولم يكن تلامذته من بلدة القرارة وحسب، بل توافدوا من كل قصور مزاب وأحوازها والقطر الجزائري عامة، وحتى من الخارج، وعلى سبيل المثال لا الحصر تنزانيا وعمان، فكان للشيخ الدور الفعال في إرسال البعثات العلمية إلى مختلف أمصار الثقافة ومراكز الإشعاع العلمي أهمها جامع الزيتونة، غايته في ذلك الانفتاح على المدارس العصرية، فكانت بكورة جهده البعثة البيوضية إلى تونس.

4. مدرسة الإصلاح "غرداية" 1928م:

إن البدايات الأولى لنشاط مدرسة الإصلاح في غرداية كان سنة 1346هـ/1928م، ولكنها منعت من السلطة الحاكمة لكون الرخصة المقدمة لهم كانت خاصة بالجمعية فقط لا للتدريس، وفي هذه الأثناء استغل أعضاء الجمعية فرصة تولي "بابة بن حمودة" وظيفة الترجمة لدى الحاكم موريس "Morius" وقد قطع معهم وعدا بالسعي في إقناع الحاكم لقبول الرخصة، وهذا ما كان سنة 1350هـ/1932م، حينما قدمت من طرف الحاكم العام العسكري فيقورس "Vigourous"، وقد ذكر مديرها صالح بابكر[2]أن برقية الرخصة فاجأته

---

[1]- عيسى بن محمد، "معهد الحياة ثمانون عاما من العطاء (1343هـ-1925م/1426هـ-2005م)"، مجلة الحياة، ع09، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 2005م، ص، 261.

[2]- الشيخ صالح بابكر: ولد سنة1322هـ/1904م بغرداية من عشيرة أولاد الحاج مسعود تعلم مبادئ اللغة والقرآن الكريم في عين البيضاء، تمكن من إنشاء جمعية الإصلاح مع رفاقه، وكان له تكوين مدرستها، توفي سنة 21 ربيع الأول 1396هـ الموافق 21 مارس 1976م ودفن بمقبرة عمي سعيد. ينظر، نفسه، ص ص، 169، 172.

وهو في دكانه فترك كل شيء وزفّ الخبر إلى أعضاء حلقة العزابة في غرداية، وشرح لهم ما هم عازمون عليه فأيدوه، وبهذا الدعم المعنوي انطلق موعد التدريس وكان في شهر نوفمبر من نفس السنة، وافتتحت المدرسة[1].

وبعد شهور من انطلاقها عرفت أول تبرع وكان من طرف السيد الحاج أحمد إتبيرن، ومن ثم أخذ نطاق الاشتراك يتسع وزاد معه عدد التلاميذ، مما دفعهم إلى بناء أقسام إضافية في أحد أجنة غرداية المسماة "حمودين"، إلا أن المكان لم يكف فتبرع السيد الحاج صالح فخار بدارين صغيرين ناحية "سالم وعيسى"، وبسبب ضيق المكان يقول صالح بابكر أنهم انتقلوا إلى "باب حواشة" وهي منطقة تتواجد في الجهة الشرقية من وسط مدينة غرداية، أين تتواجد المدرسة الكبيرة حاليا[2].

إنّ إنشاء مدرسة الإصلاح كان بفضل مجموعة من الطلبة خريجي البعثات العلمية نحو تونس متأثرين بما عاشوه هناك، يتقدمهم صالح بابكر، أحمد بن عيسى قرزيط، حمود بن سليمان رمضان، باية بن إبراهيم بوعروة، سليمان بن بنوح، وسليمان بن بكير أدباش[3] وأحمد بغباغة[4]، هؤلاء عانوا ما عانته مدرسة الصديقية ومدرسة أبي اليقظان قبلهم من تضيق وتعنيف من الإدارة الفرنسية.

ولنا أن نذكر لكم بعض ما عانوه وضحوا من أجله في سبيل هذا الصرح، ففي البدايات الأولى لانطلاق المدرسة أقدم أعضاء الجمعية على شراء أرض من أجل توسع

---

[1]- حمو بن عمر فخار، الشيخ صالح بابكر على درب الأنبياء، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 2002،د ر ط، ص، 40.

[2]- نفسه، ص ص، 43-44.

[3]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، المصدر السابق، ج3، ص، 251.

[4]- أحمد بن حمو بن عبد الله بغباغة: هو رئيس عشيرة أولاد أحمادة، ومستشار بلدي، درس مدة من الزمن في مدرسة الإصلاح الابتدائية، له اهتمام بالفكر والأدب، وكان نائب رئيس جمعية الإصلاح. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج02، ص، 42.

مشروعهم، وهذا ما دفع الحاكم الفرنسي بيراتشو "Bertscho" إلى استدعاء صالح بابكر وأحمد بغباغة وطلب منهما تعطيل المشروع وأدخلا السجن، وظلا هناك أربعة أيام مع الأشغال الشاقة والجوع والعطش، فضجت المدينة بسبب هذا التعنيف وكثرت الاحتجاجات، وبعد خمسة عشر يوما أفرج عن المسجونين، وبعد عدة وساطات أذن للأعضاء بمواصلة المشروع[1].

وحسب البرقية المرسلة من الحاكم العسكري بغرداية إلى الحاكم العام بالجزائر بتاريخ 18 جمادى الثانية 1356هـ الموافق 24 أوت 1937م، فإنهم اعتقلوا مرة ثانية بسبب مخالفة اجتماعية تحت رقم 326 يوم 09 ربيع الأول 1356هـ الموافق 19 ماي 1937م، وقد أخلي سبيلهما يوم 03 ربيع الثاني 1356هـ الموافق 11 جوان 1937م لسوء حالتهما الصحية[2].

وكم هي التضحيات كثيرة التي سجلت ضد مدرسة الإصلاح، فبتاريخ 21 ربيع الأول 1396هـ الموافق 12 نوفمبر 1952م أرسل مجموعة من المعارضين لفكرة المدرسة شكوى تقدموا بها إلى المحافظ العام الفرنسي بالجزائر فحواها أن جمعية الإصلاح قد خرجت عن مسارها، وأصبحت تنتقد سلطات الإدارة الفرنسية، مطالبين فرنسا بالتدخل في أقرب الآجال من أجل وضع حد لهذه التجاوزات[3].

الشيخ صالح بابكر أحد زعماء الحركة الإصلاحية والعلمية بالوادي، وواحد من المفكرين السياسيين الذين لهم قسط كبير في الحركة الإصلاحية والوطنية وله دور كبير في

---

[1]– محمد بوسعدة، دور مزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1930–1962م، شهادة دكتوراه، تاريخ المغرب العربي الحديث المعاصر، جامعة الوادي، 2019–2020م، ص، 199.

[2]– رصيد م ع ح ملف رقم 1312، Territoire Militaire de Ghardaia N°464 à titre de compte rendu et suite à votre télégramme chiffrée n°13. (الملحق13)

[3]– مصطفي رمضان إبراهيم، رمضان رجل العلم والنضال، درا نزهة الألباب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م، ط01، ص ص، 150، 151.

إذكاء الحماس الوطني في جموع الشباب، وكان إلى يوم وفاته مديرا بمدرسة الإصلاح، لبث فيها خمسين سنة يقارع هو وزملاؤه الإدارة الفرنسية[1].

5. مدرسة الفتح بريان 1928م:

تأسست مدرسة الفتح ببريان يوم 28 محرم 1347هـ الموافق 15 جويلية 1928م، وأشرف على تدشينها الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وجماعة من كبار الأساتذة والأعضاء يتقدمهم السيد سليمان عبد الناصر حسن، وقد كان أول رئيس للجمعية انتخب بالإجماع، والسيد إبراهيم بن سليمان المنور وهو من الدعاة المتحمسين إلى العلم والتعليم العصري، والسيد الحاج سليمان فخار، وقد تبرع بدار سكناه للمدرسة إلى أن وجد المحل اللائق وانتقلت إليه[2].

تطورت مدرسة الفتح مع مرور الوقت، وقد بلغ عدد تلاميذها 40 تلميذا سنة 1349هـ/1930م، واستمرت في مهمتها، وكان أول معلم بها الشيخ صالح بن يوسف أبسيس، ودرس بها كذلك محمد علي دبوز، فازدهرت بهم المدرسة رغم المضايقات الاستعمارية، ووفقت في إرسال أول بعثاتها العلمية نحو تونس سنة 1356هـ/1947م[3].

---

[1]- حمو محمد عيسى النوري، المصدر السابق، م2، ص 98. وينظر كذلك محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص253.

[2]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص ص 252-254.

[3]- محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائعة للتعليم العربي الحر بالجزائر، دار الأمة، ج2، 1999م، ط01، ص،192.

6. مدرسة غليزان 1929م:

إنّ ما ميز الجماعة المزابية في مدينة غليزان حرصهم الشديد على تعليم أبنائهم تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية، كما اهتموا بالتعليم العربي الحر، فأثمر هذا الحرص على تأسيس مدرسة قرآنية سنة 1346هـ/1927م تحت إشراف بابا عمي الحاج أحمد بن الحاج موسى[1]، وقد زار هذه المدرسة العديد من الشخصيات أمثال أبو اليقظان وبكلي عبد الرحمن ومفدي زكرياء وإبراهيم بيوض، وقد كانت تستقبل الشيخ عبد الحميد بن باديس في طريقه متوجها إلي تلمسان[2].

7. مدرسة النهضة (العطف) 1932م:

تأسست مدرسة النهضة بالعطف بتاريخ 1351هـ/1932م، وقد اختصت في بداياتها بتدريس العلوم الشرعية والقرآن الكريم، واستمرت على هذه الحال إلى غاية 1356هـ/1937م، فأضيف إليها قسمان بسبب تزايد تلاميذها، وقد انتفعت المدرسة بسبب وصول السيد إبراهيم بن يحي حاج أيوب إلى إدارتها فأحدث تجديدا في المناهج، وعرفت نشاطا علميا ونوعا من التنظيم[3].

فإبراهيم بن يحي أيوب وغيره واصلوا في مدينة العطف جهاد تلاميذ الشيخ القطب، فازدهرت المدينة بهم وصارت من قلاع الإصلاح، وقد وصفهم محمد علي بدوز بقوله: « وهؤلاء هم الذين أنشأوا أول مدرسة عربية عصرية حرة للتربية الإسلامية والتعليم في الجنوب في سنة 1351هـ-1932م، فنجحت نجاحا كبيرا، ووقع إقبال عظيم عليها فغصت جنباتها

---

[1]- محمد مفلاح، مراكز التعليم العربي الحر في مدينة غليزان من الاحتلال الفرنسي على غاية الاستقلال 1962م، منشورات دار قرطبة، الجزائر، 2011م، ط1، ص، 107.

[2]- محمد بوسعدة، المرجع السابق، ص، 211، ينظر كذلك، Salah Ben Drrissou, Implantation des Mozabites dans… Op cit, p,280.

[3]- محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق، ج2، ص، 192.

بالتلاميذ، وجنت منها العطفاء نتائج عظيمة ورأى المصلحون في ميزاب ثمارها ونتائج الأساليب الحديثة في التعليم فسارعوا إلى إنشاء مثلها في مدنهم، وللعطفاء فضل السبق إلى هذا وأجر المقتدي به...» [1].

وقد تخرج من هذه المدرسة نخبة من الأعلام والأبطال صنعوا تاريخ المنطقة وساهموا في نشر الوعي الوطني، فنجد يحي طالب أحمد وإبراهيم حاج عيسى وهم من شهداء الثورة التحريرية[2].

8. مدرسة بونورة (قصر بونورة) 1924م:

من أهم المدارس الإصلاحية التي تأسست في بنورة حملت اسم القصر نفسه بتاريخ 1343هـ-1924م، وكان يديرها السيد عيسى بن الحاج صالح إدريس اليسجني، وقد اهتمت بتدريس العلوم الشرعية والأدبية، منها القرآن الكريم وعلوم التوحيد والحديث والقراءة والكتابة والأمثال والحكم والشعر والأناشيد الدينية والوطنية ومبادئ الحساب[3].

وكذلك كان لجمعية النور الفضل في تأسيس مدرسة أخرى سنة 1381هـ-1962م في نفس المدينة، وكانت من أجمل المدارس العربية الحرة في مزاب، وقد أشرفت على أعمال عظيمة في إصلاح المجتمع، وكان المتخرجون منها يكملون تعليمهم في معهد الحياة في القرارة[4].

---

[1]- محمد علي دبوز، نهضة...، ج02، ص، 243.

[2]- محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق، ص، 192.

[3]- محمد بوسعدة، المرجع السابق، ص، 206.

[4]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج02، ص، 239.

9. مدرسة الإخاء (بسكرة) 1931م:

تأسست مدرسة الإخاء في مدينة بسكرة سنة 1350هـ/1931م، وكان هذا التأسيس عملا مشتركا بين جماعة مزاب والبسكريين، فجمعت في صفوفها الإباضية والمالكية على حد سواء، دامت في نشاطها خمس سنوات قبل حلها من طرف الإدارة الفرنسية لما لاحظت نتائجها المبهرة، اعتمدت على اشتراكات وتبرعات المحسنين أمثال التاجر خبزي عيسى بن اعمارة، وإبراهيم بن سليمان بربرسة، والحاج يحي حدبون، وبكوش سليمان، وخطارة الحاج عمر، درس فيها نخبة من الطلبة أمثال الشيخ محمد خير الدين، ومحمد الحاج إبراهيم الطرابلسي المزابي، لاقت إشادة كبيرة من الشيخ عبد الحميد بن باديس لما لاحظ ذلك التقارب بين أعلام مزاب وبسكرة[1].

10. المعهد الجابري (بني يزقن) 1942م:

نشأ المعهد الجابري في قصر بني يزقن سنة 1361هـ/1942م، وكان المسؤول عنه الشيخ محمد بن الحاج يوسف بابانو، كان هدفه تحفيظ القرآن الكريم وتلقين علومه، وقد تزايد عدد طلاب العلم الوافدين من قصور وادي مزاب ومن وارجلان إليه مما دفع القائمين من فتح إقامة للطلبة البعيدين مقابل اشتراكات رمزية، وأدخلت عليه أساليب عصرية وأصلحت مناهجه[2].

إنّ معهد الجابري تعرض إلى مضايقات كثيرة على غرار المدارس التي فتحت في الوادي، وتم إغلاقه مرتين بحجة أن المشرفين عليه يعملون على تحريض الطلبة ضد الإدارة الفرنسية وتوعيتهم بالقضايا الوطنية[3].

---

[1]- إبراهيم أولاد الطاهر، شاهد من بريان، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، 2003م، ب ر ط، ص40.

[2]- محمد بوسعدة، المرجع السابق، ص، 212.

[3]- الدهمة بكار، المرجع السابق، ص، 54.

إن المدارس الإصلاحية عرفت انتشارا كبيرا خاصة مع بداية الخمسينيات من القرن الماضي، والجدول الموالي يبين لنا إحصائيات عنها[1]:

اسم المدرسة	عدد المعلمين	عدد التلاميذ
مدرسة غرداية	07	355
مدرسة بريان	03	253
مدرسة القرارة	16	614
مدرسة العطف	06	100
مدرسة بنورة	03	34
مدرسة مليكة	03	40
مدرسة بني يزقن	04	120
مدرسة قسنطينة	02	80
مدرسة بسكرة	02	54
مدرسة سطيف	02	32
مدرسة العلمة	01	35
مدرسة عنابة	02	40
مدرسة تبسة	01	19
مدرسة بوسعادة	01	19
مدرسة مستغانم	01	29
مدرسة تيارت	01	41
مدرسة سوق أهراس	01	30
مدرسة الجزائر	02	31
مدرسة بلكور	01	28
مدرسة البليدة	02	43
مدرسة غليزان	01	23

[1]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 510.

ما يمكن استنتاجه عن هذا الجدول النتائج التي أثمرتها هذه المدارس في كل أرجاء الجزائر ووادي مزاب، فاستطاعت أن تضم إلى مقاعدها المئات من التلاميذ والكثير من المعلمين والأساتذة، ويبدو أن للتجار الدور الكبير في ظهور هذه المدارس بتبرعاتهم واشتراكاتهم السخية وحرصهم على تعليم أبنائهم مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية، فهذا التوسع والانتشار دفع أعلام مزاب لتطوير وتحسين ومتابعة المشروع التربوي ليواكب التغير الحضاري الحاصل خارج الجزائر.

✓أعلام مزاب والمشروع التعليمي الفرنسي:

رغم ضعف الوسائل والأساليب المنتهجة في مراكز التعليم في وادي مزاب، فقد استمر التعليم تحت إشراف المحاضر ودُور التلاميذ إلى ما بعد احتلال فرنسا للمنطقة سنة 1300هـ/1882م، ففرضت إدارة الاحتلال تعليمها عليه، كسائر مدن الجزائر، حيث أصدرت في تاريخ 27 ربيع الأول 1310هـ/18 أكتوبر 1892م القانون المنظم للتعليم، ومن أهم ما جاء فيه هو منع التلاميذ الذين تتراوح أعمارهم بين ست سنوات وثلاثة عشر سنة من الالتحاق بالتعليم العربي وتشجيع النخبة الجزائرية للإقبال على التعليم الفرنسي تكريسا للجهل والتخلف[1]، وإجبارية تسجيلهم وإلحاقهم بالمدارس الفرنسية[2].

أقرت الإدارة الحاكمة التعليم الفرنسي في المنطقة لمجرد أن وطأت أقدامها قصور الوادي، فسارعت إلى فتح مكاتب تعليمية في كل القرى، ورخص للآباء والأخوات البيض بفتح مدارس خاصة بهم، كما فتح مراكز للتكوين المهني في الحرف والمهن، فكان هذا التعليم بعيد الأهداف لما انتهج فيه الفرنسة والإنجيل، إلا أن المزابيين قاطعوا هذه المدارس،

[1]– ابن عمر الحاج موسى،" الحركة الإصلاحية في ميزاب تحت مجهر الإدارة الاستعمارية"، مجلة الحياة، ع10، جمعية التراث، المطبعة العربية 2006م، ص، 73.

[2]– قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 494.

وشن العزابة والمشايخ حملة دعائية شديدة حتى لا يفكر أحد في إلحاق أبنائه، إذ أن الإحتلال أوجد هذا النوع من التعليم بغرض مسخ شخصية المسلم العربي[1].

ظل موقف رفض الالتحاق بالمدارس الفرنسية سائدا فترة طويلة حتى فترة الثلاثينيات من القرن العشرين، ولعّل هذا الاستمرار في الرفض كان نابعا من عدم الثقة في كل ما له علاقة بالاحتلال الفرنسي وبالحضارة المسيحية، وإن كانت الأربعينات من نفس القرن قد عرفت نوعا من الإقبال المحتشم خاصة في قصر بني يزقن[2].

وأمام هذه المقاطعة، اجتمع قادة الإصلاح وعلى رأسهم الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، للمداولة ونقاش الموضوع، وقد خلصوا في الأخير إلى أن المجتمع هو الخاسر الأكبر من هذه المقاطعة، وأنها ليست في صالحهم، ولا في صالح الأجيال الصاعدة، فكان لابد من اتخاذ خطوات عملية جريئة تغير الوضع، وتصحح المفاهيم، لما أدركوا أن هذه المدارس أصبحت أمرا واقعا لا يمكن تجاوزه، والأمة أصبحت في حاجة لتعلم اللغة الفرنسية والعلوم العصرية لكون الإدارات كلها تتعامل باللغة الفرنسية، فمن غير المعقول أن تبقى الأجيال جاهلة وعاجزة عن قضاء مصالحها[3].

ويبدو أن جهود المصلحين أتت أكلها، واتسعت معها دائرة الملتحقين بالمدارس الفرنسية، لما أعلن الشيخ بيوض حملة دعائية شديدة من على منابر المساجد، وفي المحافل الاجتماعية داعيا فيها إلى ضرورة إلحاق التلاميذ بالمدارس الفرنسية، وضرورة حرص الأولياء على متابعة أبنائهم في دراستهم حتى حصولهم على شهادة التعليم الابتدائي الفرنسي، وكان الشيخ يحضر بنفسه يوم فتح مكاتب التعليم لتسجيل التلاميذ الجدد، فيطمئن

---

[1]– قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 514.

[2]– ر م ع ح، Enseignement رقم 1324.

Le tableau suivant indique le nombre des enfants scolarisés chaque année de 1946 a 1951 dans les écoles Francaises-Musulmanes de l'Annexe.

[3]– قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 513.

على قبولهم كلهم، وفي حقيقة الأمر أن هذا الموقف الجريء شكل حرجا كبيرا على الحركة الإصلاحية وأعلامها، تحرك معه تيار المحافظين لما استغرب هذه الرغبة في التغيير، وأعلن حربا هائجة على هذه الأفكار المنحرفة الخطيرة في نظره[1].

لا يمكن الجزم أن جميع أعلام الإصلاح قد اتفقوا على وجوب الالتحاق بالتعليم الفرنسي سواء النظامي أو التبشيري أو المهني، ففي طليعة المصلحين أبو اليقظان الذي نبه من خلال كتاباته الصحفية إلى خطر المدارس الاستعمارية الفرنسية، وما تبثه من سموم وما ينجر عنه من آثار فكرية وسلوكية، فقد فضح الشيخ النتائج الخطيرة المترتبة عن تعليم لا يذكر العربية، ولا الإسلام، ولا حتى جغرافيا الجزائر في مناهجه، وبرامجه[2]، ولخص سلبيات المدارس الفرنسية أنها تكمن بالمناهج التي تهدم الروحيات في نفوس المتعلمين، وتجردهم من الدين والأخلاق الوطنية"[3].

ورغم كل هذا التجاذب حول المشروع، فقد شرعت الإدارة الفرنسية منذ البداية في بناء مدرسة غرداية سنة 1886 إلى غاية 1889م، وطبقا لأمر 1892م فقد فتحت مدرسة العطف ودرس فيها أول معلم مزابي باللغة الفرنسية، وهو عمر بن باحمد باللو، وفتحت المدرسة الرسمية في قصر بني يزقن يوم 15 أكتوبر 1892م، وانتشر معها التعليم الفرنسي بالمنطقة[4].

السؤال المطروح في ظل هذه المضايقات والقرارات الفرنسية، وفي جو الصراع والتوتر الحاصل بين أعلام التجديد أنفسهم، ورواد المحافظة والتقليد حول قضية المدارس الفرنسية، هل كان لهذا النوع من التعليم الأثر الإيجابي على فئة المسجلين في مدارسه النظامية؟

---

[1]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص ص 516-518.

[2]- موسى الحاج عمر، المرجع السابق، ص، 182.

[3]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص، 55.

[4]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 191.

وحتى نصل إلى الحقيقة يمكن أن نقدم بعض الإحصائيات حول قصر العطف، إذ نجد أن سنة 1906م كان عدد التلاميذ 45 تلميذا ليصل سنة 1956م إلى حوالي 166 تلميذا[1]،

في المقابل لدينا شهادة الشيخ القرادي يقول فيها: « وقد دام هذا التعليم في العطف من سنة 1885م إلى سنة 1947م في قسم واحد، ولم يتحصل من أبناء العطف في هذه المدة إلا على شهادة ابتدائية واحدة، ولم تعرف العطف إلا معلما واحدا...» [2]، ويضيف الشيخ القرادي بأنه قد عرف أحد أقاربه يزوال تعليمه في هذه المدارس ما يقارب سبع سنوات وهو لا يعرف حرفا واحدا بالفرنسية، مما دفع الشيخ بأن يصف هذا التعليم بأنه تجهيل، وإرهاب في آن واحد، وهناك تفسير واحد لتدني المستوى، وهو غياب الرغبة لدى التلاميذ اتجاه هذه المؤسسات.

- ✓ **المرأة في المجتمع المزابي وإسهاماتها الفكرية:**

نشرت الكاتبة "أليس لامازيير" في جريدة "المرأة" في العددين الصادرين بتاريخ 31 أوت و7 سبتمبر1935م مقالا بعنوان "في البلاد التي لا تخرج فيها المرأة أبدا" وقد صورت خلالها الكاتبة المرأة المزابية على أنها حالة مزرية، وقد استغرب أبو اليقظان هذا الوصف، وبرر ذلك لكون الكاتبة قد استعانت بإحدى البدويات مقابل دريهمات على حد قوله، هذه الاستعانة حالت دون الوقوف على حالة الحياة الحقيقية للمرأة المزابية[3].

وقد رد الشيخ أبو اليقظان على الكاتبة "أليس لامازيير" في مقال عنونه "محمومة تهذي حول بساطة المرأة المزابية" في العدد 44 من جريدة الأمة بتاريخ 1935/10/01م واصفا إياها بأنها قد تجردت من الأدب والأخلاق حينما وصفت زواج المرأة المزابية بأنه

---

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص ص، 191،192.

[2]- الشيخ القرادي، المصدر السابق، ص، 78.

[3]- أبو اليقظان، مختارات من مقالات الشيخ أبي اليقظان في جريدة الأمة، تق تح: محمد بن القاسم ناصر بوحجام، مؤسسة الشيخ أبو اليقظان الثقافية، نشر جمعية التراث، غرداية، 2013م، د ر ط، ص، 94.

سجن لها، فرأى أبو اليقظان ذلك حضورا مخجلا في مهنة البحث العلمي، فالكاتبة في نظر الشيخ قدمت شيئا ليس في المرأة المزابية في شيء ولا يوجد إلا في مخيلتها[1].

إلا أن التحقيق فيما كتبته الكاتبة "أليس لامازيير" في قضية خروج المرأة المزابية له جانب من الصحة، حينما يتعلق الأمر بالخروج من البلدة والهجرة، حيث نجد أن الجماعة المزابية قد أصدرت اتفاقا في أفريل من سنة1317هـ/1899م ينص على عدم إخراج الزوج زوجته من أهل البلد إلى مدن التل مطلقا، وذلك يرجع إلى طبائع مزاب وأعرافهم، وإلى خصوصيات المجتمع المزابي في التشديد حول مسألة سفر المرأة وخروجها خارج منطقة الوادي[2]، وأحسن ما يمكن الاستشهاد به هو ما اكتشفناه من خلال بحثنا في مسألة البعثات العلمية نحو تونس التي طغى عليها العنصر الرجالي ،وكانت المرأة غائبة عن هذه البعثات.

السؤال الذي يطرح نفسه، هل هذا التشدد في قضية خروج المرأة المزابية أثر على تعلمها وحد من مساهماتها الفكرية؟ وحتى نتمكن من الوصول إلى الحقيقة لابد من تتبع الجانب الفكري للمرأة المزابية تاريخيا لدحض فكرة أن النساء في وادي مزاب منغلقات على أنفسهن ولا تخرجن من بيوتهن، فالباحث النزيه لا يجد بدا من الرجوع إلى المصادر التاريخية التي أشارت إلى النساء في المجتمع الرستمي ومدى مساهمتهن في الحالة الفكرية لما قاموا به من تدريس وتأليف وفتح بيوتهن لطالبات العلم، فكانت المرأة الحامي الحقيقي للإباضية حينما حملت هذا المذهب بأمانة، فربت أبنائها عليه.

إنّ الحركة الفكرية التي عرفتها الدولة الرستمية وجعلت منها حاضرة إسلامية ومركزا للإشعاع الثقافي قد شاركت المرأة الإباضية فيه وساهمت بدور هام في تطوره، وقد سجلت بصماتها في التاريخ، وتركت لنا رصيدا معتبرا في الفكر والثقافة، ويعود السبب في ذلك

---

[1]- أبو اليقظان، المصدر السابق، ص، 95.

[2]- مختار هواري، "وضعية الجالية المزابية بتونس خلال فترة الحماية الفرنسية عليها"، ملتقى دولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، جامعة الوادي، يومي 10-11 نوفمبر 2013م، ص، 7.

الإزدهار إلى حرص المجتمع الرستمي على نشر العلم بين الرجال والنساء على يد مجموعة من الأعلام، وعن طريق النساء اللواتي اشتهرن بعلمهن، فكانت المرأة الرستمية كثيرة الاعتناء بالشعائر الدينية[1].

لقد حظيت المرأة الإباضية في الدولة الرستمية بقسط لا يستهان به في مجال التعليم وبرز منهن الكثير اللاتي اشتهرن بالعلم، نذكر منهن على سبيل المثال الغاية زوجة أبي القاسم يزيد ابن المخلد التي كانت من أهل الصلاح والتفقه في العلم[2]، وأم يحي النفوسية التي عاشت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، فكانت أول امرأة تفتح مدرسة لتعليم البنات في قرية "أمسين" بجبل نفوسة [3].

ونجد أخت عمروس بن فتح المساكني فهي تنتسب إلى أسرة علم وجهاد بجبل نفوسة، فكان أخوها عالما وحكيما قال عنه الدرجيني في كتاب السير: «ولما وفد أبو غانم بشر بن غانم على الإمام عبد الوهاب ومعه مدونته المشهورة في الفقه التي رواها على تلامذة أبي عبيدة، وجاز على جبل نفوسة، واستودع عمروسا نسخة منها، وأخذ في نسخها وأخته تملي عليه، ويلازم الموضع حتى تدركه الشمس، فينقل حرصا على إحياء العلم فما رجع بشر إلا وقد استكمل نسخها، وهي في اثنى عشر جزءا»[4]، ويؤكد الشماخي على أنه لولا حرص هذا

---

[1]- تالية سعدو، "الحركة الفكرية بالدولة الرستمية وإسهام المرأة الإباضية فيها"، مجلة العصور الجديدة، ع1، جامعة وهران، 2012م، ص، 69.

[2]- أبو زكرياء يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح وتع: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م، ص، 35.

[3]- كروم أحمد وأعوشت بكير، مسلمات صالحات في روضة الإيمان، مؤسسة الشيخ الناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، 2016م، ط منقحة، ص 64.

[4]- الشماخي أبو العباس أحمد بن سعد، كتاب السير، ج1، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ط1، 1992، ص، 192.

العالم وأخته على نسخ مدونة أبي غانم الخراساني لما بقي لأهل المذهب الإباضي مدونة يعتمدون عليها لما لحق بتيهرت[1].

تحول وادي مزاب بفضل حركة الفرسطائي وغيره من الأعلام إلى مركز علمي وثقافي، حيث انتشرت فيه المدارس ودورالمشايخ وحلق المساجد، فعمت الثقافة جميع المستويات والشرائح الاجتماعية ونبغ فيه عدد كبير من العلماء أمثال قطب الأئمة الشيخ الحاج أمحمد بن يوسف أطفيش، والشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، هؤلاء وغيرهم سيكون لهم دور فعال في تعليم النساء المزابيات[2].

- **جهود أعلام الإصلاح بوادي مزاب في مجال تعليم المرأة:**

إن الفلسفة الصارمة التي ضبط بها المجتمع في وادي مزاب دور المرأة وتحركاتها جعل من الصعب أن تظهر مسيرة تعليمية أو علمية لها، ويضاف إلى ذلك أن التعليم في وادي مزاب ومنذ تأسيس حلقة العزابة كان تقليديا في عمومه، يعتمد على المحاضر التي يعمها الذكور مع عدم مبالاة المجتمع بكل ما هو جديد، والتفافهم بالحياة المادية لفاقة الناس وحاجتهم[3].

فالمجتمع المزابي قد ضرب بجدار من حديد بين النساء والرجال، فالمرأة تقضي جل وقتها في بيتها بين أفراد عائلتها، كما يقضي الرجل سائر أوقاته في الأسواق أو في بساتين

---

[1]– الشماخي، المصدر السابق، ص، 195.

[2]– بشير بن عمر مرموري، الفتاه في مزاب، نشأتها وتعليمها بين الثابت والمتغير، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، ط01، 2003م، ص، 160.

[3]– قاسم الشيخ بالحاج، تعليم المرأة في وادي مزاب نشأته وتطوره، نشر جمعية التراث، العالمية للطباعة والخدمات العربية، غرداية، 2017م د ر ط، ص، 16.

النخيل، ولا يعود إلى بيته وأفراد أسرته وأبنائه إلا بعد نهاية يومه، فلا يكون له أي اتصال مع المجتمع النسوي[1]، ولا شك أن هذا الجدار مستمد من الشريعة الإسلامية.

وإن حاولنا ضبط مكانة المرأة في المجتمع المزابي ووضع تصور له، فإن المجتمع المزابي حفها بسياج معنوي متين استمده من أحكام الشرعية والقيم والأخلاق الإسلامية والأعراف الاجتماعية، خوفا من أي انزلاق، فتعمل هذه المنظومة على حفظ كيان المرأة وصون كرامتها، لأن في صون المرأة صون للمجتمع[2].

إن هذا الاتجاه المتشدد اتجاه تحركات المرأة جعل من الصعب أن نتعرف بدقة على وضع وحال التعليم لدى النساء في منطقة وادي مزاب، ولكن ما يمكن التأكد منه أنها متعلمة غير جاهلة، على الأقل تعرف تعاليم دينها ودنياها من خلال استفادتها من نشاط بعض الهيئات الدينية التابعة لحلقة العزابة، فقد كان لهذه الهيئات الدينية على غرار ملتقى لا إله إلا الله وهيئة الغسالات الدور الكبير في تفقيه المرأة في العقيدة والفقه والتفسير.

فنجد أن المجتمع في الوادي كان يرفض قضية سفر المرأة وخروجها من مزاب، والأكثر من ذلك أن هذا الأمر سهر على تطبيقه مجالس لها شأن في الوادي، وأصدروا قرارات تنص على أن المزابي لا يرضى أن تخرج زوجته أو ابنته من مزاب إلى بلدة من سائر البلدان مطلقا، بل وقد جعلوه حدا من حدود الله[3]، وقد أسقط بسبب ذلك الركن الخامس في الإسلام وهو الحج.

إن لرحلة القطب الحجازية الثانية بواعث تمثلت في تصحيح هذا المفهوم الخاطئ الذي ساد مزاب ردها من الزمن، والذي يقضي بمنع المرأة من السفر خارج الوادي إلا لضرورة قصوى ملحة كالعلاج مثلا، أما ما سوى ذلك فلا، وأسقط بذلك ركن الحج عقودا من

[1]- يوسف الواهج، المرأة في المجتمع المزابي، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1982م، ط01، ص، 54.

[2]- قاسم الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص، 06.

[3]- يوسف بن بكير ، المرجع السابق، ص، 80.

الزمن، وللإشارة فإن هذا المفهوم الخاطئ لم يكن بعيدا عن عهد القطب، فقد ذكر الشيخ إبراهيم بن بحمان[1] قبله مرجعا ذلك إلى تساهل النّاس في أمور الدين ونقص الوازع الديني متحججين بانعدام الأمن وقطاع الطرق[2].

وبسبب هذا الاستخفاف ترسخ في اعتقادات الناس إلى عهد قطب الأئمة أطفيش هذا الأمر، فأراد أن يبطل هذا الاعتقاد من خلال اصطحابه لزوجته مريامة فرطاس رغم ما تلقاه من معارضة وصلت إلى حد التفكير في استعمال السلاح لمنعه، ولكن القطب أراد وبكل ما أوتي من إيمان أن يقف في وجه هذا التيار الذي يمنع المرأة المزابية عن أداء واجباتها الدينية[3].

فإذا منعت المرأة من أداء فريضة الحج وعدم سفرها في سبيل ذلك يعطي للباحث فكرة أن المجتمع المزابي كذلك لم يتسامح مع قضية خروج المرأة لطلب العلم، لكون الأولى أقوى تأثيرا في حياة المسلم من الثاني، ورأي المزابي أن البنت منذ ولادتها تُعد لتكون سندا لزوجها فيقول محمد علي دبوز في هذا الصدد: « إن أمها تعدها منذ ولادتها لتكون أساسا لحياة زوجها، وركنا للمجتمع بالإيحاء والقدوة الحسنة من سلوكها في الدار وبالتدريب على العمل وعلى كل الأخلاق الإسلامية الراقية في كل أدوار طفولتها وفي شبابها»[4].

---

[1]- إبراهيم بن بحمان ابن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني اليسقني (تو: 1332هـ/1817م) من أعلام وادي مزاب أخذ العلم عن خاله عبد العزيز الثميني، وابي زكرياء يحي بن صالح الأفضلي، ترك العديد من المصنفات والقصائد كانت له خزانة ثرية بالمخطوطات. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص،13.

[2]- إبراهيم بن بجمان الثميني، مختصر المناسك ومهذب المسالك، مخ، خزانة الشيخ عمي السعيد، رقم 192، رمز د غ 138، ص ص، 4، 5.

[3]- يحي بن بهون حاج امحمّد، المرجع السابق، ص، 52.

[4]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، المصدر السابق، ج1، ص، 109.

فالمجتمع المزابي يُربي البنت منذ ولادتها لتكون دعامة لحياة زوجها وركنا للمجتمع من خلال تكوينها، فما إن تتزوج حتى تمنح لها مسؤولية البيت ويساعدها في ذلك النساء اللواتي يسكن معها من أم الزوج وأخواته وغيرهن[1]، فمعنى ذلك أنها كانت تقيم مع زوجها شراكة حقيقية تعود بموارد إقتصادية على العائلة[2]، هذا العقد مبني على أساس التعاون والتضامن المشترك من أجل بناء أسرة صالحة، وهذا يعتبر ردا على من يهين المرأة في الوادي، ويجعلها إنسانا من الدرجة الثانية[3].

المرأة في المجتمع المزابي ليست جاهلة، فقد حظيت بتكوين ديني وفهم قوي لقيم المجتمع، ليس له نظير في المجتمع الإسلامي، ولعل هذا التكوين أصبح من الأعراف في الوادي، فيحصل ذلك من خلال تعليم الفتاة المبادئ السامية في الآداب الحسنة من خلال القدوة والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4].

الدارس لتاريخ وادي مزاب الثقافي والفكري في عهد الاحتلال الفرنسي يجد نفسه مندهشا من عدد العلماء والأعلام والمثقفين في المنطقة، فهذه الظاهرة لها مدلولها، لكون هذه المرأة الأمية المتكونة على أسس إسلامية، استطاعت بكل قوة إسعاد زوجها وتنشئة أبنائها، وعيش حياة كريمة سعيدة بفضل معرفتها المطلقة بتعاليم دينها، وحسن قيامها بشؤون أسرتها.

وفي حديث الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض عن تزاحم الناس على المساجد وتعلق قلوبهم به، قدم لنا مثالا على تعلق النساء بالدين الإسلامي حينما رأى امرأة كبيرة في السن تقارب المائة، وقد تعجب منها لكونها لم تترك المسجد يوما واحدا في جميع الصلوات، وهذه

---

[1] – Goichon, A-M, La vie f éminine au M'ZAB, T01, Librairie orientale paule Geunthner, parie, France, 1927, p, 104.

[2] - lbid, p,110.

[3] – بشير بن عمر المرموري، المرجع السابق، ص ص، 146،147.

[4] – نفسه، ص، 196.

الشهادة تفند مقولة أن النساء في وادي مزاب يتساهلن في أداء فرائضهن، كما أنها تفند ما نقلته الكاتبة أليس لامزيير، حينما نقلت فكرة أن مزاب بلد لا تخرج النساء فيه[1].

يقول إبراهيم طلاي: « ولا نغفل، ونحن نتحدث عن النشاط الثقافي أن نشير إلى ما بذلته العزابات (جمعية النساء) في هذا الميدان أيضا، فلمجلس العزابات، علاوة على مهمة الوعظ والتوجيه الديني، مدارس أو دور تثقيف للبنات، غير أن غالب هذه الدور مسيرة على الطريقة العتيقة التي تعتمد على التلقي، نسجل هذه مع الأسف الشديد»[2].

إن مؤتمر "لا إله إلا الله" يعد أروع مثال اهتدي إليها وادي مزاب لحفظ البنت المزابية من التفسخ والانحلال، فكان لهذا المؤتمر النسوي الذي يعقد سنويا في كل مدن مزاب قوة روحية دينية في التأثير والتوجيه لمقاومة الانحرافات الزوجية والعائلية، واتخاذ الحلول للمشاكل الطارئة والمتعددة في الحياة العامة والوسط الأسري[3].

وكانت هيئة الغسالات "تيمسيردين" هي الرباط المتين لحفظ الأسر وصيانتها وضبط نظامها في جميع مناحي الحياة الدينية والأخلاقية والعلاقات الزوجية، ولهذه الهيئة اتصال وثيق بحلقة العزابة، فكانت هي التي تختار الصالحات من الأمر، حيث أنهن يقمن بواجبات دينية في العائلات لا يمكن للرجل القيام بها، من غسل للأموات منهن، والقيام بشؤون الولادة والحمل وبيان أحكام الحيض والنفاس، وفض الخصومات، وقد خصصت لهذه الهيئات بيوت خاصة خلف المساجد، فيها مصلى لهن[4].

ومما سبق نستخلص أن تعليم المرأة المزابية اقتصر على طرق تقليدية يمنع فيها الاختلاط، تتولاه إحدى النساء الصالحات ممن أوتين نصيبا من العلم وحظا من التعليم على

---

[1]- إبراهيم بيوض، المجتمع المسجدي، المصدر السابق، ص، 62.

[2]- إبراهيم طلاي، مزاب بلد الكفاح، المصدر السابق، ص، 30.

[3]- حمو مجمد عيسى النوري، دور المزابيين، المصدر السابق، ج01، ص، 179.

[4]- نفسه، ص، 178.

يد والدها أو زوجها أو أحد محارمها وممن عرفنا بالتقوى والصلاح والاستقامة، فتلقن الفتيات شيئا من القرآن الكريم وتُحفظهن ما تيسر من السور القصار والأحاديث النبوية والأدعية المأثورة[1]، أما ما يتعلق بالقراءة والكتابة فإن المجتمع لا يتسامح مع الأمر وإكتفى بما هو شفهي تلقيني.

إن إحساس المجتمع المزابي بالهوة تتسع بين فئة الذكور والإناث من خلال تلك الوضعية التي آل إليها المجتمع النسوي بسبب الأمية وتدني المستوى التعليمي، مما جعل هذه الفئة المهمة في المجتمع تنشغل بأمور لاعلاقة لها بالدين كالسحر وعالم الجن والشياطين وما يتبع ذلك من زيارات للقبور والأضرحة، وتفشي المعتقدات الفاسدة حولها، فكانت هذه الظواهر من أهم الدوافع للتفكير الجدي بتعليم المرأة.

ومن العوامل الأخرى التي ساعدت على إعادة النظر في قضية تعليم المرأة هو تنامي الوعي العام لدى المجتمع المزابي خاصة على إثر تخرج الدفعات الأولى من طلبة المدارس والمعاهد والجامعات بعد تجربة البعثات العلمية نحو تونس، ورحلات الأعلام شرقا وغربا، ومعاينتهم للتطور الحاصل في تلك المجتمعات وتأثرهم بهذه المظاهر، فكان الملاذ لكثير من الأسر التقدمية هو تسجيل بناتهم في المدارس الفرنسية ورأت الحاجة إلى ذلك دون المبالاة بسخط المجتمع[2]، فأصبح هذا الصرح متنفسا للكثير وفرصة لتغيير طرق الجمود حول فكرة تعليم المرأة.

أمام هذا الوضع قد تحرج أعلام منطقة وادي مزاب للخوض في موضوع تعليم المرأة وبقي الوضع على حاله إلى منتصف القرن العشرين، بسبب خوفهم من حصول انزلاقات

[1]- قاسم الشيخ بالحاج، تعليم المرأة....، المرجع السابق، ص، 17.

[2]- نفسه، ص ص، 28،29.

اجتماعية مع العامة نظرا لقداسة العادات والتقاليد المورثة والتي يتشبع بها المجتمع حول قضية المرأة، مما جعل التفكير في التغير مجازفة لا تحمد عقباها[1].

فكانت الدواعي والجهود الأولى لتعليم المرأة في بدايته فرديا لم تتبناه المؤسسات العرفية ولا الحركات الإصلاحية، وإنما كان وراءه أعلام أحسوا بالوضع واقتنعوا بالفكرة، فقد دعا عدون شريفي إلى إلحاق البنات بالتعليم العربي القرآني وفتح أقسام لها رغم معرفته بمعارضة الشيخ بيوض له، إلا أن الأريحية التي تجمع الشيخين وعلاقات الأخوة والإخلاص والثقة بينهم لم تمنع عدون من العمل والتحرك، ولم تسمح للشيخ بيوض للوقوف حجر عثرة أمامه[2].

فكانت أول مبادرة لتعليم المرأة قد انطلقت من قصر غرداية، لما تأثر السيد باسعيد أعوشت بنظرة السياح الأجانب الاستهزائية بالبنت المزابية، فكانت دافعا لإباحة الفكرة، إذ قامت جمعية الإصلاح سنة 1369هـ/1948م بخطوة عملية جريئة كان ورائها أعلام الجمعية، فصرحوا بضرورة فتح مدرسة حرة للبنات، وتم قبول الفكرة بشروط وأسندت المهمة إلى رأس النعامة وشرع في تنفيذها في بيته، فكان أول معلم للبنات في منطقة وادي مزاب، فتخيلوا حجم المعارضة التي سيتلقاها، ورغم ذلك ابتدأت التجربة بصفة محتشمة سنة 1370هـ/1950م وضمت 50 تلميذة من بنات الأسر الإصلاحية تتراوح أعمارهن بين السن السابعة والسن الثامنة عشر[3]، إلا أنها تعتبر تجربة رائدة لكونها كانت موازية للتعليم الفرنسي باعتباره أخطر من قضية تعليم المرأة في حد ذاته.

---

[1]- قاسم بن أحمد بالحاج، معالم النهضة، المرجع السابق، ص، 557.

[2]- نفسه، ص ص، 563-564.

[3]- بشير بن عمر مرموري، المرجع السابق، ص، 187. وينظر كذلك: قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 559 وينظر كذلك: قاسم بن أحمد، تعليم المرأة...، المرجع السابق، ص، 32.

وقد تأثر قصر العطف كذلك بما حدث في غرداية، فبعد انتقال الذكور التابعين للمسجد العتيق إلى أقسام مدرسة النهضة الحالية سنة 1370هـ/1955م، فبقيت أقسام المسجد خاصة بالبنات حتى سنة 1374هـ/1959م لما قرر العزابة إعادة بناء المسجد، تحولت البنات إلى مدرسة النهضة ليبدأ عصر جديد لتعليم البنات النظامي[1]، ليتمكن هذا النوع من التعليم في وقت قصير من محاصرة الأمية والارتقاء بالبنت المزابية وإيقاظها من الجهل والجمود الفكري، وعملت هذه التجربة على توجيه المجتمع نحو الأصلح والأحسن[2].

إنّ هذه التجربة الرائدة لتعليم المرأة اعتبرها البعض كسرا لبعض المحظورات الاجتماعية ومخالفة لبعض الأعراف والعادات الراسخة في الأذهان، ولم يكن للمجتمع أن يتسامح معها بسهولة، فمنهم من عارض هذا المنحى مطلقا ورأى فيه مخالفة لتعاليم الدين، وسببا للانحراف الأخلاقي وانفلات المرأة من قبضة الرجل ومن ضوابط المجتمع، وقد اتخذت المعارضة شكلا من التهديد والاعتداء وإطلاق الإشاعات حول القائمين على هذا المشروع، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل مسّ حتى البنات اللواتي التحقن بهذا التعليم، مما دفع الكثير إلى منع بناته من الالتحاق، ومنهم من بقي يترقب التطورات، وفئة أخرى قبلت بالفكرة دون أن تنتظر مواقف الأعلام منها[3].

ومن الآراء البارزة التي يجب الوقوف عندها هو رأي الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض الذي كان متحفظا إلى أبعد الحدود وتقليديا في تصوراته رغم ما يشهد له من مجهودات في حقل تطوير التعليم، إلا أنّ ذلك كلّه يجب أن يبقى في إطار فئة الذكور دون الإناث، فكان الشيخ بيوض يرى أن المرأة ينبغي أن يبقى تعليمها تلقينيا شفهيا فقط، وما يحسب للشيخ أنّه لم يقف في وجه أصحابه وطلبته رواد فكرة تعليم المرأة، ولم يفرض رأيا انفراديا وترك الأمور

---

[1]- يوسف بن بكير، تاريخ بني مزاب، المرجع السابق، ص، 324.

[2]- قاسم بن أحمد، معالم النهضة، المرجع السابق، ص، 560.

[3]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص ص، 36،37.

تأخذ مجراها الطبيعي، وخاصة أن الفكرة في القرارة تبناها رفيق دربه وعضده الأيمن الشيخ شريفي عدون، فكانت مقولته وهو يتابع جهود صاحبه: "لم أمر بها ولم تسؤني"[1].

رغم الظروف والمعتقدات التي سيطرت على وادي مزاب ردحا من الزمن إلا أنّ الهيئات الدينية ومجهودات أعلام مزاب كان لها الدور في نبوغ بعض النساء في الحياة الفكرية، وكان لهن دور في تثقيف المجتمع وأسهمن مساهمة فعالة في الحياة العلمية ولهم الأجر مصداقا لقوله:: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ» سورة النحل الآية 97.

- وسنعرض بعض النساء في الوادي اللائي كان لهن هذا الدور:

1. مامة بنت عبد العزيز بن بكير عبد الله (و1270هـ-1850م/ت1340هـ-1922م):

اشتهرت بـ"مامة نعزيزي" ترعرعت في عائلة ذات علم ودين لازمت دور العلم والقرآن فحفظته عن ظهر قلب، وأخذت العلوم الشرعية عن الشيخ عمر بن الحاج عيسى باعمارة كعقيدة التوحيد وحفظت بعض المتون والحديث والسيرة، وقد اختارها شيخها زوجة لابنه سليمان القاضي بالمحكمة الشرعية بغرداية، مارست التدريس في سن مبكرة، وأصبحت عضوا في الهيئة الدينية لتوجيه المجتمع النسوي، تم ترقيتها لتصبح رئيسة لها، اشتهرت بمحافظتها والتزامها بصلاة الجماعة، وشهود مجالس الذكر، وكان لها دور فعال وأثر يشهد له في ملتقى "لا إله إلا الله" من بين الطالبات اللاتي تخرجن على يديها: السيدة ابن سيدي عيسى مسعودة بنت صالح بن الحاج صالح[2].

---

[1]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 44.

[2]- عائشة بنت امحمد أطفيش خرازي، إسهامات المرأة المزابية علميا، اقتصاديا، سياسيا، دار المنارة للنشر والتوزيع، المطبعة العربية، غرداية، د ر ط 2018م، ص ص، 38،39، ينظر كذلك: بكير بن سعيد أعوشت، مسلمات صالحات، المرجع السابق، ص88-84، ينظر كذلك: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 354.

2. مامة بنت عمر الحاج مسعود (ت1334هـ/1915م):

عالمة من قصر القرارة، تلقت مبادئ العلوم بمسقط رأسها وكانت تحب مجالس العلم وتعشقها، كمجلس الشيخ قاسم بن بلحاج ومجلس القاضي الحاج أحمد إلى مجلس الحاج بكير بن قاسم إلى حلقة الحاج إبراهيم بن عيسى وأخيرا مجلس القطب عندما كان يزور القرارة اشتهرت بالدفاع عن البلدة وقت الفتن، وقد توفيت سنة 1334هـ الموافق لـ1915م[1].

3. مامة بنت الحاج:

عالمة من قصر غرداية كانت على قيد الحياة سنة 1323هـ الموافق لـ1905م تولت رئاسة العزابيات مدة ثلاثين سنة من 1875م إلى غاية 1905م وذلك قبل رئاسة مامة بنت سليمان، ينسب إليها العديد من الإصلاحات خاصة فيما يتعلق بالأعراف، ولعل مامة بنت سليمان باباز أخذت عنها مبادئ الرئاسة والعلم والدين، عرف عنها التفتح والتسامح[2].

4. مامة بنت سليمان باباز:

ولدت سنة 1280هـ/1863م في قصر غرداية درست لمدة ثلاث سنوات على يد الشيخ بوهون أوموسى علوم الشريعة الإسلامية، واستظهرت نصف القرآن الكريم، تولت رئاسة هيئة تمسيردين سنة 1906م خلفا للسيدة مامة بنت بلحاج، ومن بين مواقفها أنها حاربت بدعة استقبال النساء لجريان الوادي بالزغاريد، وكذلك ظاهرة بوغنجة لطلب المطر، والهدايا بمناسبة شهر رمضان وألغت الزيارة التي كانت تقع بمناسبة ملتقى "لا إله إلا الله" في

---

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص ص، 354،355، ينظر كذلك: أبو اليقظان، ملحق السير، المصدر السابق، ج2، ص، 342.

[2]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص، 353.

الواحة، وقد اعتبرها الصحفي الإيطالي جوردون بيرون واحدة من اثنتي عشرة امرأة اللائي اشتهرن بموافق بطولية في العالم[1].

5. بابا عمر تيازيط ميرة بنت يحي (1312هـ-1387هـ/1894م-1967م):

ولدت السيدة المحترمة في قصر العطف، رعتها أمها هنية مسعود بنت عمر وربتها تربية صالحة للدين والوطن، كانت عصامية حيث اعتمدت على نفسها وتعلمت الكتابة والقراءة وحفظت شيئا من القرآن الكريم عن طريق السمع، تنوعت وظائفها الاجتماعية من فلاحة وبناء وتجارة وصناعة، فهي امرأة بألف رجل إلا أن شهرتها كانت بطب الأسنان والعيون وجبر العظام داخل بلدة العطف، فتح لها الشيخ إبراهيم بن بانوح متياز منزله في بني يزقن للقيام بهذه المهمة لحاجة الناس لامرأة تقوم بهذا الدور، فكانت ميرة بنت يحي عظيمة القدر سديدة الرأي وجادة في عملها، وافتها المنية سنة 1387هـ/1967م بعد عملية جراحية غير ناجحة[2].

6. عائشة بنت عمر فخار (1320-1413هـ/1902-1993م):

ولدت السيدة عائشة في قصر بريان في عائلة كرم وإيمان فأبوها هو السيد بن الحاج إسماعيل من عشيرة آل فخار وأمها نانة أبو الصديق، ولم تدخل الكتاتيب في صغرها كبقية النساء لحفظ القرآن الكريم، إلا أنّ الله قد عوضها ذلك بذاكرة قوية وإرادة صلبة ساعدتها لصقل مواهبها، وجعلها تحب العلم، وقد ذكر لنا الأستاذان بكير بن سعيد أعوشت وأحمد بن كروم نقلا عن الشيخ عمر فخار أنها أحبت مطالعة أمهات الكتب في الفقه والتفسير وتركت خزانة من الكتب لها مدلولها في حب العلم والمطالعة، تعلمت القراءة والكتابة من زوجها الأول رغم أنه كان ضريرا، فكان يكتب لها الحروف في الرمل حتى وعتها، والغريب في

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص ص، 353-354، ينظر كذلك: يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 284.

[2]- بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص ص، 169-172.

الأمر أنها لم تملك إلا عينا واحدة، استطاعت بها أن تكون معلمة ومربية ترشد النشء النسوي إلى طريق القرآن الكريم وتعلم لهن الكتابة[1].

إنّ ما قدمه الأعلام المصلحون من مجهودات في سبيل تطوير تعليم المرأة في وادي مزاب يعد عملا كبيرا وإنجازا لا يستهان به، خاصة إذا ما قورن بالأوضاع الاجتماعية السائدة هناك، من تشدد اتجاه المرأة، وظروف الحرب مع المستعمر، فهذه الجهود ارتقت بالبنت المزابية إلى مكانة مرموقة في مجتمعها، فحافظت على التراث الشعبي للمنطقة، واعتبرت خزانا للموروث الثقافي فتحدت الحاجة والجهل والمستعمر بجهد عظيم يوازي ما قام به الرجل[2].

قد نشر مفدي زكرياء نشيدا عنوانه "بنت الجزائر" وهو في تمجيد دور المرأة واستنهاض همتها وهمة الشباب الجزائري للتضحية من أجل الجزائر وربطهم بماضيهم العربي والجهادي فيقول:

أنا بنت الجزائـــــر أنا بنت العرب

يوم نادى المنادي ودعا للكفاح

قد هجرت سهادي وتركت المزاح

وبدأت جهادي وعنوت الجناح

أنبري ولأعادي وأداوي الجراح

أنا بنت الجزائــر نا بنت العرب[3]

---

[1]- بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص ص، 208-209.

[2]- بن رمضان فيروز، "دور المرأة في الحفاظ على الموروث الثقافي لوادي مزاب"، مجلة التواصلية، مج4، ع01، جامعة المدية، 2018م، ص، 190.

[3]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج9، ص، 500.

- **عبر ومآثر من المشروع التعليمي في وادي مزاب خلال فترة الاحتلال:**

كان العزابة والمعلمون في وادي مزاب ولا يزالون، يرون عملهم الصعب في المساجد والكتاتيب والحواضر والمعاهد الحرة عبادة عظيمة، أجرهم على الله يجازيهم عليها في الدنيا بكل أنواع النعم، وفي الآخرة بالنعيم الخالد، فكان عملهم الخالص لوجه الله، لا يأخذون أجرا من أي أحد، فكان من طبائع نفوسهم رسوخ العمل الخيري والعمل لله، فالعزابة والمعلمون والشيوخ كلهم يعتمدون على أنفسهم في المعاش، كل حسب اختصاصه من فلاحة وتجارة وأعمال حرة، فيعطونها ما يستطيعون من وقتهم[1].

فأصبح التعليم في نظرهم عملا كبيرا في سبيل الله، وترسخت لديهم هذه القاعدة، فالتعليم شأن من شؤونهم لا يريدون الربح من ورائه.

إذا كان التعليم في محاضر المساجد القاعدة في نشر الحد الأدنى من العلم بين أفراد المجتمع المزابي، فإن التعليم في دور العلماء يعتبر التربية الحصينة التي ظهرت فيها المواهب، وتكونت في صفوفها الإطارات والكفاءات والأعلام، هؤلاء قد أخذوا على عاتقهم مهمة الإصلاح، واختاروا فكرة المدارس العصرية واعتبروه المكان الأكثر ملاءمة لبلورة نظريات التجديد والحداثة في الفكر[2].

قد ابتعد الشيخ القطب كل البعد عن أسلوب التعليم التقليدي المتبع في زمانه، وقد وصف الأستاذ بكير بن سعيد أعوشت طريقته في التعليم نقلا عن الشيخ أبو اليقظان بقوله: «بعد الشرح والتحليل والتعليق حسب مدراك التلميذ، يرجع لاختبار وعي التلميذ وفهمه،

[1]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح، المصدر السابق، ج2، ص، 106.

[2]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 116.

فيكلفه بإعادة ذلك وتكراره، فإذا تلعثم أعانه وإذا لم يجد الفهم والهضم أعاد ما تعسر عنه، ولا يمر عن المشكل إلا إذا فهم التلميذ جيدا، ورسخ في ذهنه»[1].

من خلال هذا الوصف ندرك أن المشروع التعليمي الذي مهد له القطب كان له أهداف وغايات بعيدة المدى أساسها الفهم الصحيح للدين الإسلامي.

من أهم أهداف ونتائج التعليم في دور العلماء والمشايخ ظهور المدارس الثانوية والمعاهد العليا المتخصصة في الشريعة الإسلامية واللغة العربية التي تخرج منها إطارات تطور على أيدهم التعليم من حلقات قاعدية إلى تعليم عصري يحمل مواصفات بيداغوجية وتربوية وعلمية.

استطاع رواد التعليم والإصلاح أن يرتقوا بفكر العامة، الذي اعتبر ولزمن طويل أن الحياة تقوم على المال والجاه والنسب، واقتنعوا في الأخير من جدوى طلب العلم، وسلكوا فيه طريق العصرنة والتجديد، وإن الوصول إلى هذه المرحلة لم يكن بالأمر الهين لأنصار المدارس العصرية الحرة، حينما واجهوا معارضة شديدة من فئة ترى السعادة والحياة لا تتوقف على العلم والتعليم، وفئة أخرى أعلنوا الحرب على كل ما هو جديد، يشير إليها أبو اليقظان في جريدة ميزاب بقوله: « إن أغلبية أبناء الأمة يرون أن الشهادة والحياة لا تتوقف على العلم والتعليم وإنما تتوقف على المال ووفرة الجاه»[2].

ويضيف عبد الرحمن البكلي قائلا: « أما التعليم في وقتنا فقد كاد ضوءه ينطفئ إن لم نقل انطفأ تماما، كيف يزدهر وغالب من يزعم أنه المتعاطي له يسلك طريقة عقيما لا

[1]– بكير بن سعيد أعوشت، المرجع السابق، ص، 80.

[2]– أبو اليقظان، "الأمية في الأمم شلل"، جريدة ميزاب، ع105، 1928/10/19م، ص، 02.

تنتج نتيجة ولو استمرت عمر نوح؟ أم كيف يزدهر والأفراد الذين وفقوا إلى طريقة من طرقه المنتجة تشن عليهم الغارات ليل نهار، ويرشقون بنبال التخطئة؟»[1].

إن المدارس الإصلاحية قد تربص بها الحكام العسكريين، فمنعوا أي نشاط للمدارس العربية وأغلقوا أبوابها إلا برخص تسلمها مصالحهم، فكانت الإدارة العسكرية الفرنسية تشدد المراقبة وتلاحق وتغرم وتسجن كل ما له علاقة بهذا النوع من التعليم، وأصدرت قرارات وتعليمات صارمة في هذا الصدد.

اضطر القائمون على هذه المدارس إلى التحايل تارة بأنها مجرد كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، وتارة بفتحها بجوار المساجد لكي تظهر على أنها محسوبة على مرافقه فينجوا من المراقبة، ومن هنا يتضح لنا مدى التضحيات والصبر والمعاناة التي لاقاها أعلام المدارس وتحملوها في سبيل مشاريعهم[2].

إن من أهم ما توصلت إليه المدارس العصرية في وادي مزاب وخارجها هو انتشار التعليم الإسلامي العربي، مما جعل المنطقة بمنأى عن الانحلال الخلقي والانحراف الاجتماعي الذي هدد الجزائر[3]، فلم تقف هذه المدارس موقف المشاهد إزاء مرامي الإدارة الفرنسية في طمس معالم الهوية الوطنية، بل حاربوها بالقرآن الكريم والعربية وتعاليم الدين الإسلامي، فهذه العناصر كفيلة بمقاومة العدو[4].

---

[1]- عبد الرحمن بكلي، "حالتنا التعليمية"، جريدة ميزاب، ع02، 1926/10/08م، ص،01.

[2]- محمد قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص ص، 508، 509.

[3]- تركي رابح، المرجع السابق، ص، 253،254.

[4]- موسى بن عمر، المرجع السابق، ص، 120.

لهذا نجد أن المدارس العصرية الحرة في منطقة وادي مزاب وخارجها قد اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم وعلومه، وعلوم الفقه، وعنايتها باللغة العربية وكان لها نصيب الاهتمام بالعلوم العقلية كالحساب والهندسة والفلك وغيرها[1].

وفقت المدارس التي أنشاها المزابيون إلى تحقيق التواصل والتقارب بين جميع الجزائريين لكونها تخضع لقانون واحد ومفتوحة أمام الجميع، فكانت لها صلة بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مثلما حدث بين مدرسة غليزان وتلمسان ومدرسة بسكرة التي التحق طلابها مع معلميهم أمثال محمد الطرابلسي والسيد عيسى خبزي بمدرسة الإخاء التي تأسست سنة 1931م.

هذا التقارب لقي إشادة وثناء عبد الحميد بن باديس سنة 1932م قائلا: « ومن أعظم ما يدخل السرور في قلب المسلم أن يرى إخوانه المسلمين يمثلون معنى الأخوة تمثيلا عمليا، مثلما شاهدته بسكرة من مالكيتها وإباضيتها فجماعتهم واحدة ورأيهم واحد وشوراهم في المصالح واحدة...واهتداء البسكريين مالكيتهم وإباضيتهم إلى تسمية مدرستهم بمدرسة "الإخاء" هو أثر لما تنطوي عليه قلوبهم من معنى الأخوة الصحيح التي ربطها بها الإسلام»[2].

إن مشروع التعليم والمدارس العصرية قد كبر وتوسع وأصبح بحاجة مستمرة إلى المتابعة والتطوير للتحكم به والسير به نحو الأفضل، وإن كان الفكر والروح الذي يحمله المدرسون والمعلمون واحد، إذ أنّ جلهم كان من خريجي البعثات العلمية ومعهد الحياة، فهو فكر منسجم ومتقارب ينهل من منبع واحد.

---

[1]- محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق، ج2، ص، 225.

[2]- محمد لعساكر، المرجع السابق، ص ص، 56، 57. ينظر كذلك موسى بن عمر، المرجع السابق، ص، 139.

إلا أنّ هؤلاء المعلمين كانوا يزاولون مهمتهم بنوع من الحرية في تقرير البرامج والمقررات مع بقاء الإطار العام المشترك وهو تدريس العلوم الشرعية واللغة العربية، أضف إلى ذلك شعور أعلام الإصلاح بعقم التعليم وركود مناهجه التقليدية[1].

ومن بين من اعتلج في صدره ضرورة تطوير التعليم وضبطه أكثر الشيخ شريفي عدون وطالب بإنشاء رابطة تربوية تجمع بين كل المعلمين ومديرها، وتنظم لها اجتماعات دورية تعقد كل صائفة في إحدى قرى وادي مزاب[2]، يخرجون من خلالها باقتراحات وتوصيات عملية يلتزم الجميع بتطبيقها، وقد توجت هذه النشاطات في أواخر الأربعينيات باستحداث قانون وحدة التعليم، الذي عمل على توحيد البرامج والمناهج، وعينت لتطبيق تلك المستجدات مفتشا عاما هو الشيخ شريفي عدون، يزور كلّ هذه المدارس عبر التراب الوطني، ويقدم تقريرا مفصلا إلى الهيئات العرفية في وادي مزاب[3].

إن التعليم في المدارس العربية العصرية ساعد في مطلع القرن العشرين على بروز نهضة فكرية قوية في منطقة وادي مزاب، وحصل نوع من التواصل بين الشمال والجنوب في حقل الفكر والإصلاح، فهذه المدارس ساهمت في تعميق الوعي الوطني ومحاربة البدع والانحرافات الاجتماعية.

---

[1]- شريفي عدون، المصدر السابق، ص، 35. ينظر كذلك قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 512.

[2]- نورالدين سكحال، الشيخ إبراهيم بيوض ومنهجه في الإصلاح 1899/1980، رسالة الماجستير، معهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1994/1995م، ص، 102.

[3]- ر م ع ح، Enseignement رقم 1342/13، تقرير التفتيش.(الملحق14)

خلاصة:

قد إهتدى أبناء مزاب إلى الرحلات والبعثات العلمية التي أتاحت لهم الإطلاع على التطورات الحاصلة في ميدان التربية والتعليم، فعمدوا إلى نقلها إلى الجزائر ووادي مزاب بالخصوص، فأسسوا مراكز للتعليم وطبقوا معها أساليب حديثة تتماشى مع التطورات الحاصلة في الخارج.

ولم يكن تأسيس هذه المؤسسات بالأمر السهل في ظل الأفكار السائدة في وادي مزاب والجمود الفكري، هؤلاء الأعلام قد ساهموا مساهمة فعالة في التربية والتعليم في فترة كانت صعبة طبق فيها المحتل كل الإجراءات لضرب مقومات الأمة الجزائرية، فوقف رواد الإصلاح في وجه هذه المشاريع الهدامة الرامية إلى فرنسة كل ما هو جزائري مسلم، فكان لهم الفضل في إحياء اللغة العربية والحفاظ على الهوية الوطنية.

الفصل الثالث

إسهامات أعلام مزاب في الحركة السياسية

1830-1954م

تمهيد:

لاريب أنّ الجزائر لم تتأخر في مقاومة المحتل لما تعرض لها، ويبدو أن المقاومة الشعبية قد فشلت، وأتاحت فرصة أمام الإدارة الفرنسية لإحكام السيطرة على أرجاء الوطن، مما دفع بالجزائريين إلى تغيير إستراتيجية المقاومة، وكان منهم المزابيين الذين لجؤوا إلى عقد معاهدة الحماية، التي تعتبر بداية نشاطهم في الحركة السياسية، ومع تعاقب الأحداث فقد سايروا هذا النشاط بإسهاماتهم المتعددة من خلال مشروع الصحافة الوطنية الذي كان ميدانا لنشر الوعي وإسماع صوتهم في العديد من القضايا كالتجنيد الإجباري وقضية التنصر والإنتخابات، وقد برز جماعة منهم في الجمعيات والنوادي والأحزاب السياسية وشكلوا خطرا على الإدارة الفرنسية.

✓ **بنو مزاب ومقاومة العدوان الفرنسي:**

قد استجاب بنو مزاب لنداء الدولة العثمانية لصد الحملة الفرنسية سنة 1830م وأرسلوا أربعة آلاف مجاهد، وإن كانت المصادر لا تتفق حول هذا العدد، إذ يرى بعض المؤرخين أن هذا العدد فيه نوع من المبالغة إذ ما قورنت بعدد سكان قصور وادي مزاب آنذاك الذي لم يتعد بعض العشرات من الآلاف[1]، وإن كان العدد أمر ثانوي فالأكيد أن بنى مزاب قد قاوموا الحملة الفرنسية ودافعوا باستماتة عن العاصمة[2]، بصفتهم جزائريين دافعهم في ذلك الجهاد في سبيل الله – عز وجل.

منذ الساعات الأولى من الحملة الفرنسية أبان بني مزاب على مقاومة كبيرة، وقد سقط في ساحة المعركة عدد كبير من الشهداء، ويأتي في مقدمتهم الشيخ "أطفيش داود بن

[1]– قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 35.

[2]– سيمون بفايفر، المرجع السابق، ص، 77.

يوسف" وهو شقيق الشيخ الإمام القطب، ويذكر حمو عيسى النوري أن هؤلاء الشهداء لهم مقبرة خاصة في اسطوالي طمست معالمها[1].

ومن شهداء هذه المعركة الحاسمة من تاريخ الجزائر نذكر محمد بن الحاج يحي جد الشيخ القرادي الحاج إبراهيم، وشارك فيها جد الشيخ مطياز إبراهيم من الأم "عيسى بن موسى الأمين" الذي جرح في المعركة ونقل إلى مزاب، واستشهد أخوه محمد بن موسى وجد الشيخ مطياز من الأب[2].

عند فشل كل محاولات القوات الجزائرية في رد قوات "دي برمون"[3] عن مدينة الجزائر، إضطر حسين داي على إثر هذا العجز والفشل إلى توقيع معاهدة الاستسلام، فبني مزاب لم يستسيغوا ما حدث وما أقبل عليه الداي ورفضوا الرضوخ للعدو الفرنسي، واعتبروا ذلك نكبة كبيرة ستكون نتائجها وخيمة على مستقبل البلاد، وحزنوا حزنا كبيرا[4]، بل لم توقد نار في بيت من بيوتهم لا حزنا على شهدائهم بل حزنا وإستهجانا.

لقد كان في المقاومات التي قادها كل من بني زعمون والحاج سيدي السعيد والحاج محي الدين بن مبارك ومصطفى بومرزاق، وذلك في موضع بين وادي الحراش وبوفاريك والبليدة الكثير من الشهداء المزابيين على الطريق الصاعد إلى الشريعة، تضم هذه المقبرة رفاة خمسة وثلاثين شهيدا سقطوا في تلك المعارك[5]، هذه المشاركات كانت في كل جزء ظهرت فيه المقاومة بإعتبار أن بني مزاب كانوا ينتشرون في المدن الشمالية طلبا للرزق

---

[1]- حمو عيسى النوري، المرجع السابق، ج1، ص، 248.

[2]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 95.

[3]- دي برمون (Louis-Auguste-Victor de Ghaisnes de Bourmont): (1773م-1846م) كان جنرالا في عهد الإمبراطور نابليون بونابرت، عينه شارل العاشر وزيرا للحربية، قاد الحملة على الجزائر .

[4]- ازدك إبراهيم، المرجع السابق، ص، 45.

[5]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 95.

وممارسة النشاط التجاري، فلا ريب أن نجد هؤلاء المخلصين في مقدمة الصف من أجل الدفاع عن وطنهم.

✓ **سياسة التوسع الاستعماري في الجزائر:**

لما وقع الداي حسين على معاهدة الاستسلام كان الجميع يظن أن الحملة الفرنسية ستتوقف في مدينة الجزائر، أو تكتفي ببعض المناطق الإستراتيجية على ساحل، وهذا حسب ما أعلن عليه قائد الحملة "دي برمون" بإنّ الإدارة الفرنسية تنوي الاكتفاء باحتلال منشآت بحرية كمدينة الجزائر ووهران وعنابة.

لكن احتدام الصراع بين فرنسا وبريطانيا حول مناطق النفوذ خارج أوروبا كان يتناقض مع نية الاكتفاء بالاحتلال الجزئي "الضيق" للجزائر مما دفعهم إلى أسلوب الاستكشاف والمغامرة والبحث لخدمة منظومتهم الاستدمارية، وقد تجسد ذلك خاصة بعد قدوم اللجنة الإفريقية واحتلال مدينة الجزائر وضواحيها ، وقناعة البرلمان الفرنسي بسياسة التوسع والاستيطان[1].

إن التوغل إلى الجنوب دُعما بإقرار القانون الصادر يوم 16 ذو الحجة 1264هـ الموافق 12 نوفمبر 1848م والذي أقر أن الجزائر جزء من فرنسا وأصبحت المستعمرة بوضعية إدارية جديدة، فقد حمل هذا القانون معه تنظيمات إدارية وحكومية جديدة، وبين الصلاحيات إذ جعل الشمال الجزائري مقاطعة مدنية تحت تسيير ولاة يرتبطون بوزارة الحربية مباشرة، واقتصر دور الحاكم العام على القضايا الاستعمارية المحضة، وأما الجنوب يكون تحت سلطة الحاكم العام وجعله مقاطعة عسكرية يسير شؤونه مجموعة من الجنرالات والقياد.

[1]– أحمد مريوش، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916، مجلة المصادر، الجلد07، ع01، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة عام 1954م، 2005م، ص، 114.

الملاحظ أن هذا القانون قلص من سلطة الحاكم العام ولم يبق له إلا أن يمارس صلاحياته الكاملة في الجنوب، فتحول اهتمام الحكام العامون إلى توسيع سلطتهم ونفوذهم بواسطة إخضاع المناطق الصحراوية[1].

لم تكن الانطلاقة الفعلية نحو المناطق الصحراوية إلا سنة1267هـ/1851م وهو التاريخ الذي عينت فيه الحكومة الفرنسية الماريشال "راندون"[2] حاكما عاما على الجزائر، هذه الشخصية المولعة بالتحرك نحو الصحراء مقصده في ذلك زيادة سلطته ونفوذه من جهة، ومن جهة أخرى زيادة سلطان فرنسا وتوسيع نشاطاتها التجارية مع السودان الغربي وباقي الساحل الإفريقي[3].

قد بقيت شواطئ الصحراء الكبرى غير معروفة لدى الأوربيين، وإعتبروها أراضي لا حياة فيها، وإنّ قد نصب فيها الرومان قديما أعيان محليين لجباية الضرائب[4].

عدم معرفة الصحراء دفع فرنسا إلى رسم صورة عن المناطق الداخلية والصحراوية الجنوبية من خلال بعثاتها الاستكشافية، فقدمت هذه الإرساليات والبعثات دراسة وافية عن المناطق المدروسة، وكانت منطقة وادي مزاب من بين هذه المناطق لأجل الإعداد لضمها الرسمي ضمن الحكم العسكري[5]، ولعل من الدوافع الإستراتيجية التي حملت فرنسا للاهتمام بهذه الفيافي هو سعيها الدائم لربط مراكز تواجدها في شمال إفريقيا بمستعمراتها في جنوب

---

[1]- الحاج امحمد الحاج إبراهيم، المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19م، (ميزاب والأهقار نموذجا) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2011- 2012م، ص: 16.

[2]- الحاكم العام جاك لوي راندون(1795م-1871م): شغل منصب حاكم عام في الجزائر سنة ديسمبر 1851م ساهم في مد سكك الحديد وجعلها حيز التنفيذ في أوت 1857م. ينظر: عمار بوحوش، المرجع السابق، ص، 574.

[3] - Donald C. Holcinger: « Trade Routes, of the Algerian Sahara in the xix Century » in Revue de l'occident Musulman&de la méditerranée n°30, 1980, P 66.

[4] - Charles Amat ,Op cit ,p 29.

[5]- عبد القادر عزام عوادي، المرجع السابق، ص، 37.

الصحراء، فأصبحت تبحث عن مناطق نفوذ في الأقاليم المتاخمة للحدود الجزائرية في إطار ذلك التنافس بينها وبين بريطانيا حول مناطق النفوذ[1].

✓ **بنو مزاب ومقاومة الأمير عبد القادر:**

كان على الاحتلال الفرنسي المرور بالمناطق الداخلية والهضاب العليا للوصول إلى الصحراء، وقد اعترضته في الطريق مقاومة كل من الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي.

وقد انضم الحاج سيدي السعيد إلى جيش الأمير عبد القادر ومعه جماعة من المزابيين فأصبحُوا من أبرز المقربين من الأمير وحاشيته، ومن هؤلاء نجد الطبيب "باي أحمد بن بابا عيسى" فقد جعله الأمير طبيبه الخاص وكاتبه وأمين أسراره، وهو من قصر مليكة، حضر مع الأمير معاهدة التافنة التاريخية، وكذلك من هؤلاء نذكر الحاج سليمان بن داود الذي كان صاحب مال وجاه كبير في تيارت وضواحيها، مول الأمير بالمال والسلاح وهو من قصر العطف، وبسبب هذه الأعمال الجليلة صادرت فرنسا كل أمواله وممتلكاته[2].

ونضيف أمين خزانة الأمير كان الحاج داود بن محمد بن موسى بن أحمد الملقب عند العامة بـ "دادي بابا" من أهم أغنياء دولة الأمير في قصر البخاري وقصر الشلالة والجلفة، وكان يطبع عملته نقودا ذهبية، أمد الأمير بالسلاح الذي صنع في واد مزاب على نفقته الخاصة، وكان هذا السلاح يضاهي السلاح الفرنسي في الجودة آنذاك، كما أن هذه الشخصية مون الجلفة وقصر البخاري بالغذاء أيام المجاعة لدرجة أنه وفر ستين مرضعة من حر ماله لإرضاع الأيتام خلال المقاومة، ونجد شخصية يدر حمو بن يحي من كبار

[1]– أحمد مريوش، المرجع السابق، ص، 116.

[2]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 96.

تجار معسكر وأعيانها جعله الأمير من المقربين هو وابنه يدر الحاج أحمد بن حمو قاضي معسكر، وهما من قصر بني يزقن توفيا في معسكر[1].

✓ **رفض بني مزاب إخضاع قراهم للأمير عبد القادر:**

عمدت فرنسا إلى عقد معاهدة وادي التافنة مع الأمير عبد القادر وهذا لما استعصت عليها مدينة قسنطينة، فمصلحة الإدارة الفرنسية تكمن في توجيه كل قواتها نحو الشرق الجزائري والتفرغ للحاج أحمد باي وإخضاع قسنطينة مقابل الاعتراف للأمير بالسلطة على عمالة وهران والتيطري.

توجه الأمير على إثر هذا الاعتراف نحو المناطق الجنوبية لتوسيع سلطاته بعد أن أحس أن هيبته تكاد تضيع في هذه الأجواء، وهذا ما ذكره صالح عقاد في كتابه "المغرب العربي" إذ يقول: «وفي هذه الأثناء ركز الأمير عبد القادر جهوده لتوسيع دائرة نفوذه وخاصة في المناطق الجنوبية، حيث لم يكن ملتزما أمام الفرنسيين بأي شرط، ولقد اعترفت بعض الواحات جنوب وهران وتيطري بسيادته حتى واحة توغرت في الصحراء الكبرى، وامتد نفوذه شرقا إلى بسكرة، ولكن في سنة 1837م كادت هيبته تضيع أمام إحدى الواحات الصغيرة جنوب التيطري وهي واحة عين ماضي، التي كان يحكمها أحد أبناء التيجاني مؤسس أكبر طريقة صوفية في شمال إفريقيا، فقد قاومت هذه الواحة حصارا ضربه الأمير عليها لمدة ستة أشهر استنفذت منه ضحايا وأموالا طائلة ...»[2].

وفي الوقت الذي كان الأمير محاصرا لعين ماضي أرسل مرسوله إلى قصور واد مزاب يطلب منهم الاعتراف بحكمه، وقد ذكر يوسف بن بكير في مرجعه " تاريخ بني مزاب"

---

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص: 96، ينظر: حمو عيسى النوري، المرجع السابق، ج1، ص، 255، ينظر: الشيخ القرادي، المصدر السابق، ص، 180.

[2]- صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر تونس المغرب الأقصى، ط6، مكتبة الأنجلوا المصرية، مصر، 1993م، ص، 109.

على أن الأمير ختم رسالته بتهديد صريح توعد فيه أن يقطع أذن كل مزابي يقع في يديه إذا رفضوا الخضوع لسلطانه وما كان لمجلس العزابة إلا أن يعقد اجتماعه في شعبان سنة 1254هـ حيث قرر المجلس العزابي أن لا يدخلوا تحت نفوذ وسلطان الأمير وشككوا في هذا الحكم لكونه مغتصب، مما دفع الأمير لما عاد أدراجه إلى عاصمته تاقدمت، من أن يصدر أمرا بأسر كل مزابي موجود في تراب سلطانه وتغريمهم غرامات باهضة [1].

أما حمو عيسى النوري يذكر أن الأمير استطاع أن يعين خليفة له على مزاب وهو عبد القادر حسن بن عزوز البرجي[2] في سنة1254هـ/1838م، إذ لقي هذا الخليفة معارضة من "ابن قانة" الذي ارتكب العديد من الجرائم في واد مزاب، راح ضحيتها خمسمائة مزابي، قلدته على إثرها فرنسا وسام ضابط شرف[3].

الملاحظ أن رفض خضوع قرى مزاب عبر التاريخ بداية من المحاولة الحفصية بقيادة أبو عمر عثمان بن محمّد سنة 856هـ-1452م، وبعده إلى بايلك الشرق سنة 1206هـ-1792م أو إلى الأمير عبد القادر سنة 1254هـ-1838م ربما مرده إلى أن مجلس واد مزاب الذي يعتبر مركز السلطة والمسيطر على زمام الأمور في المنطقة هو المقرر في هذا الشأن، خوفا من تلاشي البنية الاجتماعية للمزابيين وزوال نظمهم الاجتماعية، فلهذا رفضوا أي خضوع وفضلوا العزلة خوفا من اندثار عاداتهم وتقاليدهم، واكتفوا عبر تاريخهم بدفع الضرائب والغرامات حفاظا على نسقهم وكسبهم.

1- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 108.

2- الحسن بن عزوز البرجي: ولد بمدينة طولقة في نهاية القرن التاسع عشر فهو ابن الشيخ القطب محمد بنن أحمد بن يوسف ابن عزوز البرجي تلميذ سيدي أمحّمد بن عبد الرحمن الأزهري بوقبرين مؤسس الطريقة الرحمانية، عينه الأمير خليفة على الزيبان وجزء كبير من بايلك الشرق مما أثار حفيظة فريق أحمد باي الممثلة في بن قانة. ينظر: محمد قويدري، "خليفة الامير عبد القادر الحسن بن عزوز البرجي"، الملتقى الوطني الثامن، أعلام بسكرة المعاصرين، وزارة الثقافة، دار عاي بن زياد للطباعة والنشر، بسكرة، 2029م، ص ص، 85-86.

3- حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ج1، ص، 260.

✓ **بنو مزاب ومقاومة أحمد باي:**

إنّ لمدينة قسنطينة تاريخ حافل في التصدي للاحتلال الفرنسي وإلحاق الهزائم المتتالية بجنرالات فرنسا. فقد حاول الجنرال "كلوزيل"[1] التخلص من الحاج أحمد باي حاكم قسنطينة الذي استطاع بقوة التصميم والحنكة الحفاظ على الإقليم الشرقي، خاصة وأن هذه المقاومة تزامنت مع مقاومة الأمير في الغرب الجزائري، واستعصت هذه المدينة على الحكومة الفرنسية فأمرت الجنرال "بيجو"[2] من أن يعقد مع الأمير معاهدة وادي التافنة في 30 ماي 1837م بما يضمن مصالح فرنسا، فكانت لهذه المعاهدة أهداف خفية تتبلور مجملها في أمر التفرغ لإقليم الشرق والسيطرة عليه[3].

في شهر أكتوبر 1837 هجم الجنرال "دان ريمون" أسوار المدينة العتيدة قسنطينة مستعملا أحدث الأسلحة والألغام والمدافع، ولكنه قتل في هذا الهجوم، وخلفه الحاكم العام "فاليه" الذي تحدى الجميع ضاربا بالمعاهدة عرض الحائط[4].

وفي هذا الأثناء نجد أن بني مزاب دافعوا على قسنطينة دفاعا مستميتا، رغم ما طبقه خليفة الحاكم العام "فاليه" [5] لما فشل في رد الهجومات المتتالية فاستبدل بالحاكم "بيجو" سنة

---

[1]–الجنرال كلوزيل (1772م) (Bertrand Clauzel): تولى وظيفة حاكم عام وعمره 58 سنة امتاز عهده بالغطرسة والقمع، لمزيد ينظر: عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962، ج02، دار المعرفة، الجزائر، 2004م، ص، 221.

[2]– الجنرال بيجو (Thomas Robert Bugeaud): من قدامى الجيش الإمبراطوري، أصبح حاكما عاما على الجزائر في ديسمبر 1840م إلى غاية 1847م، كان شديد الحرص على الخطوات الاستعمارية حيث يعتبر الحرب عقيمة من غير إستعمال القوة والقمع.

[3]– حمو عيسى النوري، المرجع السابق، ص ص، 258 – 261.

[4]– صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ص، 114 – 115.

[5]– شارل فاليه(1773م–1846م): تولى سنة 1837م قيادة المدفعية التابعة لقوات "دامرمون"، شن هجوما على قسنطينة إستطاع من خلاله أن يستولي على المدينة، ويعين بعد ذلك حاكما على الجزائر إلى أن غادرها سنة 1841م. ينظر: Georges yver : correspondance du maréchal valée, T01(octobre 1837- mai 1838), la rose, Paris V, France, 1949. أنظر مقدمة الكتاب غير مرقمة.

1256هـ/1840م، هذا الأخير الذي طبق حرب إبادة على الجزائريين، تذكر المصادر فداحتها وقد راح ضحيتها ما يقارب مليون جزائري خلال سبعة سنوات[1].

أمام هذا الحصار وحرب الإبادة استسلمت مدينة قسنطينة العنيدة وأعلن وقف إطلاق النار، تحقق ما كان يصبوا إليه منظروا السياسة العسكرية الفرنسية[2]، أما المزابين المتواجدين في المدينة رفضوا تسليم أسلحتهم واشترطوا ألا يدخل الجيش الفرنسي إلى "رحبة الجمال" التي كانوا فيها خوفا من السلب، والنهب، وهتك الأعراض، مما جعل هذه الرحبة ملاذا لبيوتات قسنطينة الكبرى وأعيانها، فقد أرسلوا نسائهم إلى تلك الأحياء المزابية، وقد حكت بعض الروايات أن إحدى النساء الشريفات بقسنطينة أوقفت أرضا للمزابيين يتخذونها مقبرة، اعترافا منها لجميلهم وبعملهم الجليل في ساعات الخطر لما أبيحت المدينة ثلاثة أيام[3].

✓ **بنو مزاب ومقاومة محمد بن عبد الله في الجنوب الجزائري:**

إنّ محمد بن عبد الله(تو:1895م) كان مرابطا بسيطا من أولاد أحمد بن يوسف من عرش الغسول الساكنين في شمال تلمسان، واسمه الحقيقي ابي فارس عبد العزيز[4]، أسس والده زاوية مشهورة في واحة نفطة بالجنوب التونسي، وكان له العديد من الأتباع خاصة في جنوب الجزائر بسبب المصاهرة التي أقدم عليها في المنطقة، فأم محمد بن عبد الله من قبيلة الشعابنة نواحي ورقلة.

---

[1]– صلاح العقاد، المرجع السابق، ص، 116.

[2]– Paul Azan : l'armée d'Afrique de 1830 à 1852, collection du centenaire de l'Algérie, Paris France 1936, p190.

[3]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 97.

[4]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص، 355.

اشتهر محمد بن عبد الله بالورع والتقوى واشتغل بالتدريس وتعليم القرآن[1]، ولعل أول دور سامي قام به هو مشاركته مع مصطفى الآغا في الحروب التي قادها الأمير ضد الفرنسيين، وعند انقلاب مصطفى الآغا على الأمير تبعه محمد بن عبد الله في ذلك وأصبح عميلا لفرنسا، ومنحه الجنرال بيجو لقب السلطان.

في سنة 1261هـ/1845م اتجه إلى الحج والتقى هناك مع محمد بن علي السنوسي، وتعلم منه الكثير، مما جعل النزعة النضالية الثورية تتبلور لدى محمد بن عبد الله بتأثير من شيخه، لما عاد مر بطرابلس وأخيرا استقر في زاوية الرويسات وادي سوف سنة1265هـ/1849م وعمل على كسب الدعم و المساندة والدعوة إلى الجهاد(2).

فقد ضم ورقلة في أول خرجاته العسكرية وكسب تأييد متليلي، وافتك توقرت من بن جلاب، ثم وجه أنظاره إلى الأغواط طالبا يد المساعدة من بن ناصر بن شهرة سنة 1268هـ/1852م ولعل ما زاد من شعبيته هي تلك المعركة الضارية 01 شعبان 1268 الموافق 22 ماي 1852م جنوب وادي الجدي ببسكرة التي أسفرت على العديد من القتلى والجرحى لكل من الفريقين، وقد اعتبرت أول مواجهة له ضد الفرنسيين بعد رجعوه من الحج، فزادت سمعته بين القبائل الصحراوية، وزاد تخوف الإدارة الفرنسية منه، ولعل بني مزاب كانوا من بين هذه القبائل الذين أمدوه بالجنود والمؤن والذخيرة رغم التهديدات الفرنسية حيث أعلن الحاكم العام "راندون" عدم بيع الحبوب للمزابيين في جميع أسواق التل[3].

في صيف1268هـ/1852م سيطر بن الناصر بن شهرة على بلدة قصر الحيران بالأغواط وانضمت بعض القبائل إلى محمد بن عبد الله، وهذا ما دفع بالحكومة الفرنسية إلى

---

[1]– يحي بوعزيز،كفاح الجزائر من خلال الوثائق، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص، 103..

[2]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص، 355.

[3] – Trumele T, Notes pour servir à L'histoire de L'insurrection le sud, de la pravin ce d'Alger en 1864 RA, n°21, 1877, P, 47.

تعويض الجنرال "لادميرول" بالجنرال "يوسف اللقيط"[1] في المدية وقد كان هذا الأخير من المحرضين على الإسراع في احتلال الأغواط كونها نقطة ساخنة[2].

وفي هذه الأثناء قام الحاكم العام "راندون" بتجنيد ثلاثة فرق عسكرية بقيادة كل من الجنرال يوسف و الجنرال بيلسيه المتمركز في البيض والجنرال ماك ماهون، اتجهوا كلهم إلى الأغواط اين يتمركز "شريف ورقلة" وبعد ما تأكد هذا الأخير من عدم جدوى المواجهة العسكرية لعدم تكافؤ القوى، انسحب ومن معه وتمت السيطرة على المدينة بكل سهولة بعدما أفسدوا فيها وقتلوا ما يفوق 1500 شهيد[3].

ورغم المناوشات السابقة بين بني مزاب وشريف محمد بن عبد الله لما أراد إلحاق بريان إلى سلطته، ومراسلة باقي القرى المزابية طالبا منهم الخضوع[4] فإنهم تجاوزوا هذه الخلافات وقدموا له يد العون يوم انهزامه، فقد ساعدوه على الفرار إلى وارجلان، ويذكر يوسف بن بكير أن هذه العملية أسفرت عن أمر انتقام من أولاد سيد الشيخ الشراقة المناصرين لفرنسا، حيث أقدموا على إبادة قطعان الماشية المزابية، حيث يعتبر هذا الفعل السبب في إحداث أزمة سياسية بين الجماعات المزابية والحاكم العام الذي أخضع القصور المزابية إلى الحكومة الفرنسية باقتراح من الجنرال يوسف، وهذا ما دفع "راندون" إلى إرسال

---

[1]- الجنرال يوسف: جوزيف فنتيني ولد سنة 1809م، كان مملوكا في تونس فر الى الجزائر سنة 1830م وعمل مترجما في الجيش الفرنسي حتى وص رتبة جنرال يوم 19 جويلية 1845م توفي سنة 1866. ينظر: ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837م – 1934م)، دار هومة، الجزائر، 2009م، د ر ط ، ص، 253.

[2]- نفسه، ص، 139.

[3]- بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر تح ودراسة يحي بوعزيز، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ط1، ص، 257.

[4]- عبد القادر مرجاني، "مقاومة الشريف محمد بن عبد الله 1851-1871م على ضوء كتاب الفرنسيون في الصحراء"، مجلة الباحث، مج12، ع03، المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة، 2020م، ص، 331.

رسالة شديدة اللهجة إلى واد مزاب يأمرهم فيها بالإذعان، والخضوع، ودفع الضريبة مقابل حمايتهم وتأمين تجارتهم، وأمهلهم شهرين[1].

1. معاهدة الحماية 21 رجب 1269 الموافق 29 أفريل 1853م:

إن لسقوط الأغواط الأثر البالغ لتغيير الأمور بالنسبة للمزابيين، فقد أصبحت مضارب وادي مزاب وجه لوجه مع القوات الفرنسية، وإن كانت بعض التفسيرات تقول إن القرار في زحف نحو قصورهم مرده إلى تأييدهم الدائم للثورات التي كانت تثور من حين إلى آخر، إلا أن هذا التفسير مستبعد مادام في نية الإدارة الفرنسية فكرة الإحتلال الشامل، والسيطرة على الجنوب متعلق بالسيطرة على بلاد الشبكة[2].

يذكر الشيخ القرادي من خلال رسالة الكموندو "شال دي باريل"[3] إلى مسؤوليه أن الأسباب الداعية للزحف على وادي مزاب وتنصيب حامية هناك كون المنطقة قد تحولت إل خزان للبارود يوزع على جيوب المقاومة في الجنوب، فقوافلهم تجلب مادة ملح البارود من الجنوب التونسي وتقوم بتصنيعه[4] ، فكان الثوار يتزودون بالأسلحة والبارود، والأكثر من ذلك أنها تصل حتى الجنوب الوهراني[5].

فيبدو أن قضية ملح البارود ما هي إلا ذريعة لتبرير تقدمها نحو الجنوب، فالأساس في هذا التوغل هو لخدمة مصالحها، ومشاريعها خاصة، وأن وادي مزاب في تلك المرحلة كانت تعتبر ملتقى القوافل التجارية القادمة من "توات" عبر عين صالح، والسودان الغربي، وجنوب تونس، وتلك القادمة من "قورارة"، أو من "واحة غدامس" قبل أن تتجه إلى التل، وهي

---

[1]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 143.

[2]– Jean Melia, Ghardaia, Imprimeriea Marete aux et pacto, Paris, 1930, P , 61.

[3]– شال دي باريل (Du Barail): الحاكم العسكري في غرداية والمشرف على توقيع معاهدة الحماية.

[4]– الشيخ القرادي، المرجع السابق، ص، 181.

[5]– C. Rbain, Le MZAB et son Annexiom a la France, Adolphe Jourdan Imprimeur, éditeur, Alger, 1885, P, 40.

المحطة تتمتع بحرية كبيرة كونها خارج السيطرة الفعلية لسلطة المدنية في الشمال[1]، مما دفع بالحكومة الفرنسية إلى فرض الحماية على المنطقة، وجعلها محطة مراقبة للجنوب الجزائري وربط مستعمراتها في الساحل الغربي مع مرور الوقت.

يذكر عميراوي احميدة في مرجعه السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية على أنه منذ السيطرة على منطقة الزيبان سنة 1260هـ/1844 م وضواحيها، تطلعت الحكومة الفرنسية لبسط نفوذها على الجنوب الجزائري وهذا ما لمسه صاحب المرجع من خلال خطاب الماريشال "سولت" حينما ذكر أن المناطق الصحراوية ظروفها ملائمة لإقامة علاقات تجارية وتوسيعها[2].

انقسم المؤرخون حول الطرف الساعي أولا إلى إنشاء هذه العلاقة ألا وهي معاهدة الحماية، فيرى البعض أن واد مزاب كان أول من خطى لعقد هذه الاتفاقية دافعهم في ذلك زوال القبائل التي كانت تحمي تجارتهم، وهم لرباع مقابل دفع ضريبة حتى تصل إلى التل فهذه القبائل أصبحت تحت النفوذ الفرنسي، فعزموا على عقد معاهدة الحماية[3]، وطرف يرى أنهم سارعوا إلى إبرامها خوفا من المساس بطبائع المجتمع المحلي، وهذا ما يرفضه المزابيين وما أكده التاريخ لما رفضوا التدخل العبيدي، والعثماني، والأمير، وأحمد باي، محمد بن عبد الله، مقصدهم الحفاظ على خصوصية المنطقة.

أما الطرف الثاني يرى أن وادي مزاب أرغم على الاتفاقية وذلك لما أصبحت فرنسا تتدخل في شؤونهم الداخلية، وتحت طائلة التهديد خاصة لما أرسل لهم الحاكم العام "راندون"

---

[1]- الحاج امحمد الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص، 27. ينظر كذلك: C. Rbain, Op cit, p 20.

[2]- عميراوي احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844 – 1916م، دار الهدى الجزائر، 2009م، د ر ط، ص، 38.

[3]- يطو فتيحة، "معاهدة الحماية بين وادي ميزاب وفرنسا، حقيقتها وعلاقتها بنظام الإلحاق"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية الاجتماعية، ع01، جامعة سيدي بلعباس، سبتمبر 2009م، ص، 65.

تهديدا مباشرا بهدف تحقيق تقدم مباشر، فقطع عنهم التموين من التل ومنع قوافلهم المتجهة بالحبوب إلى مزاب وأوقف تحركها حتى نحو الشمال بداية من شتاء1269هـ/1853م.

فقد كانت ترى الإدارة الفرنسية أنّ ترغم بني مزاب على الخضوع لسيطرتها وذلك بفرض الضغط عليهم عن طريق التهديد بشن حملة عسكرية[1]، وفرض أسلوب جديد في المعاملة وهو نصب الحماية يضمن للطرفين واجبات وحقوق دون اللجوء إلى الحرب[2].

وقد صرح الحاكم العام في رسالته التي أرسلها إلى أعيان مزاب في 24 جانفي من نفس السنة بأنه على أتم الاستعداد للسماح لهم بحرية التنقل، والتجارة بشرط غلق مدنهم، وأسواقهم في وجه أعداء فرنسا، والالتزام بدفع الضريبة ودعاهم إلى التفكير بطريقة إيجابية تخدم تجارتهم، وأبنائهم ونبههم إلى الأضرار التي تترب عن عدم قبولهم المعاهدة[3].

ولعل هذه الضمانات والتهديد من الحاكم العام زاد من الانقسام والنزاع بين الصف الشرقي والغربي من قصور وادي مزاب حول القيادة والزعامة في المنطقة فسارع الصف الشرقي إلى طلب المساندة من فرنسا لأنها كانت تشعر بالضعف وهو الظرف الذي اختاره "راندون" للتفاوض في ظل هذا الصراع[4].

يبدو أن فكرة طلب المساندة من الإدارة الفرنسية أمر مستبعد، لكون الإتفاق لم يوثق إلا بعد إجتماع مجلس عمي سعيد، وقضية طلب المساندة فيه نوع من الرضوخ والخيانة، إلا أن مجريات المعاهدة لا يبدو من خلالها هذا الأمر، بالعكس حسب بنودها فإنها عقدت الند

---

[1]- ناصر بلحاج،"السيطرة الفرنسية على منطقة وادي مزاب فيما بين 1853م-1882م" ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج06، ع01، جامعة باتنة، 2020م، ص، 352.

[2]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج01، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ص، 359.

[3] - Jean Melia, Op cit, P , 58.

[4]- الحاج موسى بن عمر، المرجع السابق، ص، 37.

للند وبإرادة قانونية، إلا ان السؤال المطروح هل الطرف المزابي مثل كل فئات المجتمع في هذا الإتفاق؟

المؤكد أنّ الرضوخ لهذه المعاهدة من طرف المزابيين كان بدافع إقتصادي خوفا من غلق الطريق أمام تجارتهم، وهذا ما نستشفه من قول الحاكم العام راندون حينما ذكر المنطقة بقوله:«فكروا مليا في أنّ تجارتكم وثروة أبنائكم الذين ترسلونهم إلى مدننا متعلقة بخضوعكم لفرنسا»[1].

ويرى الكثير من الباحثين أمثال Jean Melia في أمر قبول الإتفاقية أن وادي مزاب قد حكم العقل مادامت تجارتهم متعلقة بالمناطق التلية التابعة للسلطة الفرنسية، ولايمكن الإعتماد على منطقة الوادي بإعتبارها قطر صحراوي معزول يقطع أرزاقهم[2].

هذه المستجدات المتداخلة جعلت بني مزاب ينقسمون إلى فئتين، فالفئة الأولى نادت بالمصلحة والسلم دفعا للمفاسد، والفئة الثانية فرأت إعلان الجهاد والمقاومة والثورة، وهذا ما تمليه العقيدة الإسلامية في التعامل مع المحتل الأجنبي الكافر المغتصب للأرض والعرض[3]، وهذا الموقف تزعمه مجلس العزابة وعلى رأسهم امحمد بن يوسف أطفيش، والذي كان يصرح ويقول أرضى أن تشيع ثمانين جنازة في اليوم في بني يزقن ولا أرضى أن يطرق سمعي أن فرنسا وضعت حجرا واحد في "تيضفت" وهو مكان معروف في بني يزقن[4].

في ظل هذه المواقف اجتمع مجلس عمي السعيد من أجل تعيين وفد من أعيان قصور وادي مزاب للسفر إلى الأغواط يوم 14 رجب1269هـ الموافق 22 أفريل 1853م

1- Jean Melia, Op cit, p63.

2- Ibid, p,62.

3- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 40.

4- حمو محمد عيسى النوري، المصدر السابق ،ج1، ص، 271.

لإبرام معاهدة مع السلطات الفرنسية هناك، فكان الوفد مشكلا من أحد عشر رجلا من قصور مزاب، وهم: بابوهون، باعيسى بن بوهون، داود بن باحمد، بانوح بن الحاج أحمد، بكير بن علي، محمد بن الحاج زرقون، عمر بن داود، بكير بن سليمان، بكير بن كاسي، عيسى ولد الزيت[1]، ولقد رأوا في ذلك الحل الأكثر ملائمة لكونهم لا يملكون العدة والعتاد لمواجهة فرنسا، وبذلك يجنبون وادي مزاب احتلالا عسكريا ينجر عنه مفاسد جمة في الأنفس والأعراض والأموال[2].

تقابل الوفد مع الكومندان "شارل دي باريل" "Du Barail" وأبرموا معه معاهدة حماية باسم الوالي العام " جاك لويس راندون" يوم 21 رجب 1269هـ الموافق 29 أفريل 1853 تعهدت فيها فرنسا لبني مزاب بحفظ بلادهم واحترام معتقداتهم وصيانة عوائدهم وأن لا تتدخل في شؤونهم الداخلية[3]، ونص بموجبها المزابيين بدفع ضريبة للفرنسيين قدرها 45000 فرنكا ويتعهدوا بعدم فتح أبوابهم للأهالي الثائرة ضد الحكومة الفرنسية[4].

وحتى يكون لنص هذه الاتفاقية مصداقية وفعالية أكثر على أرض الواقع توجه الوفد المفاوض عقب ذلك نحو الجزائر العاصمة يوم 26 رجب 1269هـ الموافق 04 ماي 1853م لمقابلة الحاكم العام فأحسن استقبالهم وطمأنهم على الالتزام بما ورد في الوثيقة، وطلب من رفع الحظر المضروب على القوافل المزابية التي تزود المنطقة بالحبوب، وفك الحصار عليها، وتعبيرا على الالتزام أمر الحاكم العام بتجهيز 400 حمل بعير من القمح وإرسالها إلى قرى مزاب على أن تسدد ضمن الضريبة السنوية[5].

---

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 144.

[2]- قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 41.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 147.

[4]- عميراوي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص ص، 45-46.

[5]- الحاج موسى بن عمر، المرجع السابق، ص، 38.

يمكن اعتبار هذا الوضع الجديد لسكان مزاب المتمثل في الحماية الفرنسية قد فرضته الإدارة الاستدمارية دون صعوبة واعتبرته بابا للولوج منه عندما تحين الفرصة[1].

2. بني مزاب والإلحاق العسكري1299هـ/1882م: [2]

من منطلق تحقيق مصالح فرنسا في إطار توغلها نحو الصحراء بدأت هذه الأخيرة في تجسيد أهدافها على أرض الواقع، ولتكريس حقيقة الخضوع والرضوخ لفرنسا بأذهان بني مزاب وإشعارهم بالدخول تحت الحماية قامت الحكومة الاستدمارية سنة 1857م بإرسال الكومندن "مرغريت" "Marguerite" على رأس كتيبة جنود من الأغواط مرورا لإخضاع منطقة ورقلة، وفي طريقها حُطم أحد أبواب غرداية واستعرض قواتها والموسيقى الفرنسية تصدح داخل المدينة، والأكثر من ذلك إقدام الحكومة الفرنسية على تنصيب فرقة عسكرية لتمركز في ساحات غرداية[3] ولعل هذه الحادثة اعتبرت خرقا صارخا لبنود معاهدة الحماية.

فزادت هذه الحادثة من التوتر بين بني مزاب والحكومة الفرنسية خاصة بعد الإقدام على تنصيب اليهودي آغا يتح على قصور وادي مزاب، هذه الشخصية التي كانت تعمل في المخابرات الفرنسية، وكأن فرنسا أرادت من خلال هذا التنصيب أن تلغي نظام العزابة المتحكم في الأوضاع هناك، فهذا التصرف إهانة للأمة المزابية، وتدخل في شؤونها الداخلية وفي نفس الوقت مناقض ومنافي لمحتوى الاتفاقية المبرمة بينهم.

اندفعت الجماهير المزابية بالامتناع الجماعي الصريح على عدم قبول هذا التنصيب وتمسكوا بمبدأ عدم التدخل في شؤونهم الداخلية، إلا أن الإدارة الفرنسية فرضته عليهم فرضا،

---

[1]- جلال يحي، السياسة الفرنسية في الجزائر من 1830م إلى 1969م، دار المعرفة، القاهرة 1959، ط1، ص،184.

[2]- ر م ع ح ملف Occupation رقم 1324/20. (الملحق15)

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 145، ينظر كذلك: قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص، 41. ينظر كذلك: Charles Amat, Op cit, p21.

وهذا الإجبار والإلزام على القبول اعتبر من باب التحدي لإرادتهم في سير أمورهم فأقدموا على قتل آغا يتح يوم 03 محرم1277ه الموافق 21 جويلية 1860م، ولعل عدم جدوى البحث عن القاتل دفع فرنسا بفرض الدية على كامل غرداية، والتي قدرت بحوالي عشرة آلاف فرنك، أردفتها بغرامة أخرى سببها إخفاء القاتل وعدم التصريح به، والتي قدرت بحوالي ثلاثين ألف فرنك وعملت على إثارة الفتن والنزاعات لما أقدمت على إرسال بعض مواليها من الأغواط للانتقام والثأر من قاتل الآغا[1].

وتوالت الضرائب الباهضة على المجتمع المزابي، وهذه المرة لما زار الإمبراطور نابليون الثالث[2] الجزائر في صفر 1277ه الموافق سبتمبر 1860م، فغاب الوفد المزابي على حفل استقبال الإمبراطور مما أثار هذا التصرف غضب الجنرال يوسف، فأنزل عليهم غرامات باهضة على قصورهم فما كان عليهم سوى تعيين جماعة لتدفع تلك الغرامة إلى الماريشال بيلسيه، الوالي العام للجزائر[3].

ولم تكتف الإدارة بهذا بل عمدت إلى نشر البلبلة والتفرقة وإختلاق الأزمات لما أقدمت على تعيين القائد كاسي بن زرويل مكان ابن عمه بوبكر بن قاسم سنة 1858م، وبعد عامين قد وجد هذا القائد مقتولا مما دفع الحطومة الفرنسية إلى إرسال قوات نظامية لتأديب الجناة[4].

---

[1]- حمو عيسى النوري، المرجع السابق ،ج1، ص ص، 277 – 278.

[2]- نابليون الثالث (Napoléon03): (1808-1873م) الإبن الثالث لنابليون بونابرت شغل منصب رئيس الجمهورية بعد ثورة 1848م، حل البرلمان الفرنسي وأعلن نفسه امبراطورا في ديسمبر 1852م.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 148.

[4]- C. Robin, Op cit, p38.

فظلت معاهدة الحماية وثيقة لا معنى لها، فيذكر أبو القاسم سعد الله في مؤلفه الحركة الوطنية الجزائرية قائلا: "... ولكن هذا الاتفاق لم يكن له كما سنرى أي معنى تقريبا، مدام الفرنسيون أنفسهم قادرين على تمزيقه عند الحاجة..." [1].

بالفعل بقيت هذه المعاهدة حبر على ورق في واقعها، سواء من الجانب الفرنسي الذي ينتهك شروطها كل ما ادعت الضرورة لذلك، وحتى من الجانب المزابي الذي لم ينقطع في دعم الثورات في منطقة الصحراء التي لم تتوقف أبدا حسب ما ذكره أبو القاسم سعد الله أن أحد الكتاب كتب ما مفاده أن المناطق الصحراوية كانت تشهد حالة هيجان بتأثير من شريف ورقلة وأقرانه بداية من الخمسينات[2].

وهذا الضعف في تطبيق التزامات المعاهدة يثبت لنا أن هذه الاتفاقية هي سياسة جديدة طبقتها الإدارة الفرنسية مع بعض الجزائريين، يراد منها كسب الوقت وجس النبض، فكان الهدف من إبرامها مع بنو مزاب هو تحييدهم عن مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، وفي نفس الوقت تقييدهم بشروط وبنود هذه المعاهدة[3].

وبالرغم من شروط المعاهدة فإن بني مزاب لم يتوقفوا عن تأييد الثورات بمنطقة الصحراء وتزويدها بالسلاح والمؤن، حيث يذكر الشيخ القرادي من خلال رسالة اطلع عليها للجنرال "مارغريت" يذكر فيها هذا الأخير أن المزابيين لم يحترموا بنود الاتفاقية فصاروا يمسكوننا بيد ويعينون المتمردين باليد الأخرى[4].

كانت الإدارة الفرنسية تفتعل الحجج والذرائع، وتقوم باستفزاز الأهالي وإثارة الفتن حتى تبرر إجراءاتها العسكرية في المنطقة، وذلك بعدم وفاء المزابيين وعدم احترامهم لبنود

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص، 360.

[2]- نفسه، ص، 360.

[3]- حاج موسى بن عمر، المرجع السابق، ص، 40.

[4]- الشيخ القرادي، المصدر السابق، ص، 181.

المعاهدة، إلى أن تلقى القائد العسكري الجنرال "دولاتور دوفيري" "DelatourD'vegner" برقية من الحاكم العام للجزائر "لويس تورمان" مضمونها أمر بإلحاق مزاب واحتلالها نهائيا، وكان هذا القرار في إطار مشروعه الاستدماري الرسمي وإنجاز تحصيناته الأمامية[1].

يذكر الرائد "روبان" "Le commandant ROBIN" أن حملة الإلحاق انطلقت من الأغواط يوم 29 ذو الحجة 1299هـ الموافق 10 نوفمبر 1882م مجهزة ب 1175 عسكري بين ضابط وضابط صف وجندي، و1458 دابة بين حصان وبغل وجمل وكانت مدة التحضير لهذه الحملة قرابة شهر تحت إمرة الحاكم العام[2].

وصلت الحملة إلى غرداية يوم 09 محرم 1300هـ الموافق 17 نوفمبر 1882م وكان إلحاق وادي مزاب رسميا بالإدارة الفرنسية يوم 30 نوفمبر من نفس السنة وسط سخط شعبي كبير واحتجاج ومعارضة من الهيئات الدينية.

وقد تأثرت جوانب عديدة في المجتمع المزابي جراء هذا الإلحاق العسكري، لما أقدمت الإدارة الفرنسية على تعيين القياد على مستوى القصور تحت إمرة الحاكم العسكري المحلي في غرداية، فكانت مهمة القايد رعاية مصالح فرنسا وتنفيذ سياستها، ومراقبة تحركات الأهالي، ويبدو أن بني مزاب لم يتجاوب في بادئ الأمر مع هذا النظام الجديد، وحاولوا معارضته بمقاطعة التعامل مع السلطة الاستدمارية، لما في هذه السياسة الجديدة من تراجع وتقلص لمهام الهيئات الدينية والعرفية في تسيير شؤون المجتمع[3].

مع مرور الوقت حاول نظام العزابة التكيف والتأقلم مع هذا القدر المحتوم وربط علاقات تعاون مع القياد فيما يخدم صلاح البلاد، ورأوا هذا التوجه أحسن من المقاطعة التي ربما تأتي على دمار المجتمع والأفراد، وبسبب هذا التعقل والحكمة ضمنوا لأنفسهم السلطة

[1]– محمد الحاج إبراهيم، المصدر السابق، ص، 34.

[2] - C. Rbain,Op cit, pp 37-38.

[3]– قاسم بن أحمد، المرجع السابق، ص ص، 49 – 50.

الروحية على مدن مزاب، رغم فقدهم للسلطة السياسية لصالح القياد، وفي هذا الصدد يذكر عبد العزيز شهبي نقلا عن الباحث البولوني لفتسكي أن شيوخ العزابة استمروا في التمتع الدائم بالسلطة الروحية الكبيرة على المدن المزابية، رغم فقدان السلطة السياسية خاصة بعد الاحتلال الفرنسي لمزاب 1300هـ/1882م[1]، وتحولها إلى يد القياد.

وبفضل هذه السلطة الروحية ظل وادي مزاب رافضا للوجود الفرنسي من خلال تمسكهم بالقيم الأصيلة دينا ولغة، فأصبحت البديل الطبيعي الذي يقف في وجه المحتل وهو الكفيل بمقاومة التسلط.

✓ **أعلام مزاب وقضية التجنيد الإجباري:**

ارتكب الاحتلال الفرنسي أبشع الأعمال الإجرامية والإرهابية في حق الجزائر بكل همجية، بعد أن فرض عليها سياسات كان الغرض منها تحطيم بينته الاجتماعية، فكانت من أهم هذه السياسات الاستثنائية فرض التجنيد الإجباري على الشباب الجزائر وزج به في الحرب العالمية الأولى والثانية، لم يكن للجزائريين فيها ناقة ولا جمل، باعتبارها حروب إمبريالية توسعية.

إن قضية تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي تعود جذورها إلى بدايات الاحتلال 1830م بشكل تطوعي، وفي سنة 1841م تشكلت أولى الكتائب فموجب هذا القانون يتحصل المجندون على راتب ومكافآت ومنحة تقاعد بعد إتمام 15 سنة من الخدمة الفعلية[2].

مع بداية القرن العشرين تناقصت الإغراءات والمكافآت كان هذا مع قانون 03 جويلية 1903م، الذي عرضه النائب البرلماني أدولف ميسيمي (Adolphe Messimy) والذي

[1]- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص، 189.

[2] - A. Raspail, Étude sur le service militaire obligatoire des indigènes en Algérie, Librairie militaire, Paris, 1910, p7.

أقر تخفيض من الخدمة إلى 12 سنة مع تقليص التحفيزات، فتراجع معها عدد المتطوعين، وما نفهمه من هذا القانون أنه جاء للقضاء على التجنيد التطوعي وتعويضه بالتجنيد الإجباري حينما تحين الفرصة[1].

وقد تطورت هذا الفكرة خاصة في ظل التنافس الاستدماري والعجز الذي عرفه الجيش الفرنسي، ودخلت فكرة التجنيد الإجباري حيز التنفيذ سنة 1907م، على إثر مشروع النائب Messimy، فهذه القضية جعلت الشعب الجزائري يعيش نوعا من الاحتقان وجوا من الغليان الاجتماعي الخطير الذي بلغ أوجه يوم 03 فيفري 1912م لاسيما أثناء الحرب العالمية الأولى (1918/1914م) [2]، وبما أن فكرة الحرب تولد فكرة الحاجة الملحة إلى الجنود، فهذا قد انعكس على المجتمع الجزائري الذي كان تحت السيطرة الفعلية للإدارة الفرنسية، فتم إعادة طرح فكرة تجنيدهم بصفة إجبارية وإلزامية وعلى نطاق واسع.

هذا الإجراء القمعي الجديد أحدث جدلا كبيرا في الأوساط السياسية الفرنسية والجزائرية على حد سواء، فانقسمت الآراء الجزائرية إلى رأيين مختلفين، فالنخبة الإلزامية قد أبدت موافقتها لقضية التجنيد طمعا في مكاسب سياسية ومدنية، أما النخبة الإصلاحية المحافظة فتراوحت آراؤهم بين الموافقة بشروط، وفئة أخرى رفضت المشروع رفضا قاطعا ووقفت في وجهه[3].

مما لاشك فيه أن مرسوم التجنيد الإجباري 1912م شكل صدمة كبيرة في أوساط الجماهير الجزائرية عبر مختلف ربوع الوطن، فسياسة الجندية الإلزامي قد مثل خطرا على

---

[1] - Gilbert Meynier, l'Algérie révélée, Librairie Dzoz, Paris, 1981, p 89.

[2]- حورية جيلالي، التداعيات الاجتماعية لقانون التجنيد الإجباري سنة 1912م على الأسرة الجزائرية، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 05، ع 01، جامعة عين تموشنت، 2021م، ص، 430.

[3]- مراد بن حمودة، النخبة الإصلاحية وموقفها من قضية التجنيد الإجباري 1912م، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 06، ع01، جامعة المسيلة 2022م، ص ص، 947-948.

الكيان الوطني ومقومات المجتمع الجزائري، فأعيان المحافظة أمثال عبد الحليم بن سماية وبن قدور، وعمر راسم قد رفضوا كل ما هو دخيل على الوطنية، وقابلوا هذا المشروع بالرفض والسخط، وتحركت معها الصحف الوطنية تنصح الشباب بالهجرة هروبا من هذا المشروع على غرار جريدة الحق الوهراني[1].

وأمام أصوات الرفض، ما كان من السلطات الفرنسية إلا أن تستعمل القوة والقمع والاضطهاد لاقتياد الشباب الجزائري إلى قدره المحتوم، وأمام هذا الوضع فإن منطقة وادي مزاب لم يعنيها مشروع الجندية بعد، لأن هذا المشروع مس الإقليم المدني الشمالي فحسب، إلا أن هذا لم يمنع الإدارة العسكرية من تجنيد أبناء الوادي المستقرين في المناطق التلية من أجل الاسترزاق في مجال النشاطات التجارية أو الأعمال الحرة[2].

ويبدو أن أبناء مزاب في الشمال لم يجدو حلا سوى العودة إلى الجنوب وهم مكرهون على ترك منابع أرزاقهم، وفي نظرنا أن هذا التحرك كان بدايات المعارضة لقضية الجندية التي لا فائدة منها لا من قريب ولا من بعيد، سوى أنهم يجدون أنفسهم في حروب لا تعنيهم.

ومن خلال تتبعنا لقضية التجنيد الإجباري في منطقة وادي مزاب، قد تبين لنا أن شدة المعارضة ورفض المشروع تجاوز الهجرة والهروب للجنوب إلى إرسال الوفود والعرائض والاحتجاجات والمقالات الصحفية التي عبرت ولعدة سنوات على رفضها المطلق لهذا القانون، وقد اشتدت هذه المعارضة بعد إصدار أمرية ديسمبر 1918م القاضية بتجنيد 238 شاب من منطقة غرداية وترك أمر تجنيدهم إلى القياد[3].

---

[1]- سليم أوفة، النخبة الجزائرية المحافظة ومواقفها من قانون التجنيد الإجباري 1912م، موافق عبد الحليم بن سماية وعمر راسم أنموذجا، مجلة الدراسات، مج 13، ع 01، جامعة بشار 2022م، ص ص، 110-115.

[2]- بالحاج بن باحمد ناصر، موقف سكان وادي مزاب من التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي (ما بين 1912م و1925م)، مجلة الحياة، ع11، جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، 2007م، ص، 104.

[3]- نفسه، ص، 106.

ومن خلال تتبع حيثيات المعارضة قد تبين أن علامها ركزوا في دفاعهم عن قضيتهم على منطقة وادي مزاب لوحدها دون سواها، وهذا ما لاحظناه في بحثنا، فهل هذا التوجه فرضته حالة وادي مزاب في تلك المرحلة لكونها لا يسري عليها ما يسري على باقي مناطق الوطن بحجة قانون الحماية 1853م، فحاولوا استغلال الظروف الخاصة لتخليص المنطقة من أخطار هذا المشروع، وهذا التفسير هو الأقرب إلى الباحث، لأن قضية الجندية في بعض الأحيان رفضها كان بشكل فردي في كل قرى ومداشر الجزائر وكل منطقة عبرت بطريقتها عن الرفض.

ولقد بدأت قضية التجنيد الإجباري في وادي مزاب تطفوا إلى السطح لما أعلنت الإدارة الفرنسية قائمة الشباب المعني بالجندية بتاريخ 11 جوان 1919م، وأرسلوا لهم أوامر الالتحاق والحضور إلى الثكنة العسكرية، ولكن لم يلتحق من القائمة أحد، وهو ما اعتبرته الإدارة العسكرية تمردا وعصيانا يستوجب الرد وتسليط عقوبات صارمة، وأرسل تقرير مفصل إلى الحاكم العام للجزائر جان باتيست "Abel Jean Baptist"(1765م-1844م) يشرح فيه الوضع بالمنطقة[1].

✓ **أعلام وادي مزاب ومجابهة مشروع التجنيد الإجباري:**

1. أبو إسحاق إبراهيم أطفيش:

كانت مظاهر رفض ساكنة وادي مزاب لهذا القانون من بين القضايا التي عالجتها مجلة المنهاج لصاحبها "أبو إسحاق"، فجاءت مقالاته حول إبراز حقيقة هذا القانون الجائر، بداية من مقال له بعنوان "حول مأساة التجنيد بوادي مزاب" للكشف عن مخططات

[1]- بلحاج، المرجع السابق، ص، 106.

الاستعمار ومناهضة مشاريعه التخريبية الرامية إلى إقحام الشباب الجزائري في حروب لا تعنيه، واعتبر هذا سياسة لمواصلة استنزاف خيرات الجزائر[1].

فقد تناولت مجلة المنهاج في العديد من صفحاتها الحجج القانونية والبراهين المناهضة للتجنيد الإجباري، وعلى أن قضية الأمة المزابية صحيحة ومطالبها شرعية، بين فيها أبو إسحاق المعاناة والأوضاع المأساوية التي عانى منها الشعب الجزائري جراء هذه القوانين التعسفية، وها قد وجدنا الشيخ أو إسحاق يطالب الفرنسيين أصحاب الضمائر أن يقفوا ضد ما تقوم به الحكومة الفرنسية من عملية خرق لمعاهدة الحماية قائلا: «أطالب الشعب الفرنسي وأحراره ومنصفيه أن لا يدعوا حكومتهم أن تقضي على شعب محق في طلبه متمسك بمعاهدة قطعتها دولتهم على نفسها وأن تهتك لشهوة استعمارية»[2].

واعتبر الشيخ أبو إسحاق أن قانون التجنيد الإجباري قد خرق قانون الحماية المبرم سنة 1853م قائلا: «مضمون ذلك الحكم الأشد قسوة أن بني مزاب يجرى عليهم التجنيد الإجباري كسواهم، ومعنى هذا أن معاهدة آبائنا مع ولاة الفرنسيين في شهر أبريل سنة 1853م لا قيمة لها، وقد أصبحت ملغاة...» [3].

ولم يغفل أبو إسحاق من أن يوجه كلامه إلى الوالي العام الفرنسي في الجزائر موريس فيوليت، طالبا منه أن يضع حدا لهذا القانون القمعي الذي عانى منه وادي مزاب قهرا فزاد البلاء قائلا: «على أن فخامة الوالي م. فيوليت قد شاهد هذا التباين ووقف بنفسه

---

[1]- كدونة حبيب، تلمساني بن يوسف، صدى التجنيد الإجباري في منطقة بني مزاب، الحوار المتوسطي، مج 114، ع01، جامعة سيدي بلعباس، 2020م، ص ص، 242-243.

[2]- أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، وادي مزاب يوم 15 مايو 1925م، مجلة المنهاج، ج01، م01، المطبعة السلفية، مصر، 1344هـ/1925م، ص، 51.

[3]- نفسه، ص، 48.

على مركز الأمة ووضعيتها، إذ فلا يلبث أن يصدر قراره الحاسم وهو الموكول إليه الأمر من قبل الدولة معترفا بأحقية مطالب الشعب محترما لإرادته ومميزاته"[1].

فقد ركز الشيخ أبو إسحاق في مقالاته على محاربة تطبيق القانون في وادي مزاب وحسب، بحكم خضوعه لمعاهدة حماية مع الإدارة الفرنسية، مما جعل هذا القانون في نظر الشيخ غير ساري المفعول، فجاءت مقالات الشيخ لإبراز الحجج والبراهين القانونية والفعلية المنافية لتطبيقه، فقد اعتبر الشيخ الجندية تعسفا وجورا في حق الشعب الجزائري عامة والمزابي خاصة[2].

2.الشيخ أبي اليقظان بن الحاج عيسى:

إن قضية الجندية الإلزامية تعتبر من أهم القضايا الوطنية التي دفعت أبو اليقظان إلى عالم الصحافة، وهذا ما أكده الدكتور محمد صالح الناصر[3]، فالشيخ اعتبر قانون التجنيد الإجباري إعداما في حق المجتمع المزابي، فقد سلب هذا المشروع من المجتمع المسلم أبنائه لقتال إخوانهم المسلمين لصالح الكفار، واعتبر الجندية خرق صريح وواضح لمعاهدتي 1882/1853م، واللتان تعتبران أن منطقة وادي مزاب بلدا محميا لا مستعمرا، فلهذا نجد الشيخ قد أبدى إصرارا عنيفا على رفض هذا القانون[4].

فقد أورد الشيخ أبو اليقظان مقالا بعنوان ميزاب الخالدة، دعا فيها الوالي العام فيوليت من أن يتدخل لحل هذه المشكلة، وعبر فيها عن معاناة أبناء جلدته من جراء تطبيق قانون التجنيد الإجباري، ووصف تلك المعاناة من خلال قصيدة أنشد يقول فيها:

---

[1]- أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، "حول مسالة التجنيد بوادي ميزاب"، ج7، م1، المطبعة السلفية، مصر، 1344ه/1925م، ص، 392.

[2]- قاسم الشيخ بلحاج، القضايا الجزائرية في مجلة المنهاج للشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش، مجلة المنهاج، ع خ، جمعية أبي إسحاق إبراهيم أطفيش لخدمة التراث، 2014م، ص، 64.

[3]- محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المرجع السابق، ص، 97.

[4]- نفسه، ص، 97.

حي يوما ذهبيا خالـــــدا كشف بذلك اللثـــــــــــــاما

عزم الوالي فيوليت علـــى أن يجس النبض إذ حس السقاما

فأراد الشعب أن يبدي له كل آلام عسى يحظى الاهتماما

وأتت لولا حاملـــــــــــة كل آمال له تشفى الأوامـــــــا [1]

وقد تصاعدت الاحتجاجات عندما أقر وزير الحرب إلى الوالي العام أن أبناء منطقة وادي مزاب رعايا فرنسيين مثل غيرهم من الجزائريين، وهم ملزمون بالجندية وأرفق ذلك بمرسوم يوم 05 مارس 1921م يبين شروط تطبيق هذا القانون، ولم تكتف الإدارة الفرنسية بإصدار القوانين بل تعدته إلى استعمال العنف من أجل تجنيد المزابيين مما دفع بالكثير على الهجرة والاختباء في مدن مجاورة[2].

وفي سبيل رفع قانون الجندية الإلزامية، فقد استعان الشيخ أبو اليقظان بكل الوسائل والوسائط المتاحة، وهو ذا يطلب من ناصر الدين ديني الرسام الفرنسي المسلم من أن يتدخل لدى الحكومة الفرنسية للعدول عن أمر الجندية، وهذا ما صرح به أبو اليقظان نفسه بقوله: «فلقد بذل الصديق ديني جهوده بمساعي بعض الفضلاء لإقناع الحكومة بوجوب سلوك سياسة العهد والوفاء مع ميزاب»[3].

وبمجرد إمضاء معاهدة تجريم الحرب بباريس يوم 27 أوت 1928م طالب الشيخ برفع هذا القانون لعدم ضرورة تجنيد أبناء المستعمرات، إذا قال: «....فإننا نتوسل بجنابه

[1]- أبو إسحاق أطفيش، "صحيفة ميزاب الخالدة"، مجلة المنهاج، ج7، م1، المطبعة السلفية، مصر، 1344هـ، ص، 362.

[2]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص ص، 257-258.

[3]- مجهول، "تكريم مستحق"، جريدة وادي ميزاب، ع75، 1928/03/23م، ص، 20.

لديها باسم الأمة الميزابية لرفع حكم التجنيد الجبري عنا الذي لا يتفق وجوده ومبادئ السلم»[1].

وقد نوه الشيخ أبو اليقظان إلى عدم رضا الإدارة الفرنسية على الجزائريين المسلمين ولو أسالوا أجسادهم أنهارا من الدماء، وقد صدق في ذلك إلي أبعد الحدود، مصداقا لقول تعالى: «لن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم» سورة البقرة الآية 120، فصرح في جريدة ميزاب قائلا: «كشف الغطاء بهذا عن إحساساته نحو أمة قدمت مئات من خيرة شبابها قربانا على عظمة فرنسا، وقد أرانا بهذا بأنه لا يرضى هو ومن شايعه على العربي المسلم ولو أسال نفسه أنهرا من الدم لأجله، وفي كلامه لنا معشر الميزابيين عظة وذكرى"[2].

والأكيد أن جرائد أبو اليقظان عبرت عن آمال الأمة المزابية خاصة والشعب الجزائري عامة، وطالبت بإلغاء قانون أزهق الأمة وأضرها اجتماعيا واقتصاديا، والأكثر من ذلك أنه خالف تعاليمها الدينية، مما دفع بالحكومة الفرنسية إلى ملاحقة جرائد أبو اليقظان الواحدة تلو الأخرى بأمر من الوالي العام بيار لورد(1870م-1963م).

2. زكريا زكري بن سعيد بن إسماعيل (1852/1948م):

إذا ما عدنا إلى عشرينات القرن 20م، فإننا نجد اسم زكريا زكري بن سعيد بن إسماعيل قد تعلق بالكثير من وثائق المعارضة لقانون التجنيد الإجباري في منطقة وادي مزاب، وبرزت شخصيته منذ سنة 1912م وكان محور معارضة المزابيين لهذا القانون[3].

---

[1]- مجهول، "معاهدة تحريم الحرب"، جريدة وادي ميزاب، ع101، 1928/12/21م، ص، 12.

[2]- مجهول، "السياسة الأهلية"، جريدة وادي ميزاب، ع66، 1928/01/27م، ص، 02.

[3]- بالحاج بن باحمد ناصر، المرجع السابق، ص، 119.

ففي 10 ذي الحجة 1390هـ الموافق 20 نوفمبر 1912م اجتمع أعيان مزاب المقيمين في المنطقة وفي التل، للنظر في شأن قانون التجنيد الإجباري، وقد اتفقوا على إرسال وفد إلى باريس يوم 26 نوفمبر 1912م، تكون الوفد من زكريا بن سعيد وأبو بكر بن الحاج قاسم بن الشيخ بالحاج، والحاج أحمد بن حمو بوجناح، وكانت مهمة هذا الوفد السعي لدى الحكومة الفرنسية لصرف هذا القانون الجائر على شباب وادي مزاب المقيم في المناطق الشمالية[1]، فأعضاء هذا الوفد رفضوا مبدأ التجنيد من أساسه، وبذلوا النفس والنفيس من أجل قضيتهم.

بقي الوفد إلى غاية 05 ديسمبر 1912م، وجاء الرد الرسمي بتاريخ 11 جويلية 1913م من طرف وزير الحربية الفرنسي، استحسن فيه إعفاء المزابيين المقيمين في مدن الشمال مع دفع ما يلزم قانونا.

هذه الضريبة لم ترض المجتمع المزابي، مما جعلهم يعيدون الكرة هذه المرة بإرسال وفد يضم كل من يحي بن باحمد بالولو، يوسف بن الناصر إلى باريس سنة 1914م للمطالبة بإعفاء المنطقة، حيث مكثوا حوالي ثمانية أشهر بسبب حالة الحرب العالمية الأولى، لكن الرد كان مخيبا للآمال، وباءت محاولتهم بالفشل[2].

بالفعل زكريا بن سعيد كان من الشخصيات الفاعلة في منطقة وادي مزاب، ومن المعادين للسياسة الفرنسية وصفه شارل برينوا بقوله: «أنه الزعيم المحرك للمزابيين الذي يوجههم بفضل قوة شخصيته، وهو المنسق بين كل النشطاء المزابيين المعارضين للسياسية الفرنسية...».

[1]- موسى بن عمر، المرجع السابق، ص، 132-133.

[2]- نفسه، ص، 132.

مما جعله محل شك واعتُبر شخصا خطيرا في نظر الإدارة الفرنسية، لهذا اهتمت به إدارة الاحتلال وجعلته تحت أنظارها وسجل في دفتر "B"[1].

وبفرض الجندية على سكان الجنوب بمقتضى مرسوم 05 مارس 1921م ازدادت تحركات زكري بن سعيد وزاد إصراره للدفاع عن قضية الإعفاء من التجنيد الإجباري، واتصل بمجموعة من المحامين الأكفاء من أجل إثبات شرعية مطالبه أبرزهم هنري مورنارد (Henry Mornard)، وجورج ركتنفالد (George Rectenwald)، وايميل لارشى (larcher Emile)، وموريس لاكيير (Maurice Laquiere) كل هؤلاء أكدوا على أن مطالب المزابيين شرعية وقانونية، خاصة وأنهم يدفعون الضريبة السنوية، وبالتالي لا يحق للإدارة الفرنسية أن تفرض عليه التجنيد الإجباري[2].

وقد كان لزكري بن سعيد اتصالات مع أبي اليقظان يحفزه فيها لنشر قضية الجندية في الصحف التونسية، وكل هذا المساعي كللت بالنجاح سنة 1947م لما أصدر الوالي العام قراره بالإعفاء وم 06 فيفري 1946م، وهذا ما أكده الحاج محمد بن عيسى بقوله: "سمو الوالي العام على القطر الجزائري قد قرر نظره أن يمد إلى أهالي مزاب ابتداء من سنة 1947م بتدابير التحرير من السربيس العسكري المطبق على الأهالي الآخرين من أوطان الجنوب"[3].

3. عمر بن عيسى بن إبراهيم:

من أهم الشخصيات التي بينت الظلم في فرض قانون التجنيد الإجباري واعتبر فرضه على منطقة وادي مزاب لا يرتكز على أي دراسة لخصائص المنطقة المادية والأخلاقية،

---

[1]- ر م ع ح، رقم 2072. .

[2]- محمد بوسعدة، دور مزاب في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص، 110.

[3]- عمر بن عيسى بن إبراهيم، بيان حقيقة عن التجنيد الإجباري وما ينتج عنه بوادي مزاب، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1931م، ص، 87.

فهذا القانون في نظر الشيخ عمر بن عيسى اعتمد على أخطاء وأفكار مغلوطة وعدم معرفة حقيقية بخصائص المجتمع المزابي[1].

وبمناسبة إحتفال الإدارة الفرنسية بالمئوية الأولى لإحتلال الجزائر وتصادفها مع تعيين الولي العام "جول كارد" "Jules Cards"(1874م-1949م) المعين في مكان "بورد" "Bordes"(1870-1960م) اغتنم السيد عمر بن عيسى بن إبراهيم هذه الفرصة وبصفته رئيس جمعية النواب المزابيين ووجه رسالة مطولة شرح فيها الأوضاع الصعبة التي يعيشها المجتمع المزابي طبيعيا وماديا، وكشف الأخطاء القانونية التي عبرت وبصدق عن حالة مزاب جراء هذه القوانين، فحظيت باهتمام رسمي من طرف الشخصيات الفرنسية، وقد نقل عبد الرحمن بن عمر قمة الاهتمام بما جاء في رسالة من طرف الشيخ أبي اليقظان بقوله: "ولهذا لم نر من بين ما كتب على ميزاب مؤلفا حظي بما حظيت بع رسالة السيد عمر بن عيسى بن إبراهيم من تقدير عليه وأرباب الحيثيات من الفرنسيين ومن غيرهم لها حق قدرها"[2].

ويبدو أن هذه الرسالة قد كان لها مسلك معاكس تماما للعديد من الصحف والشخصيات التي اتبعت أسلوب المداهنة والترضية اتجاه الإدارة الفرنسية، وبسبب هذا المسلك طالبت المجلة الأممية الباريسية من دراسة مطالب جمعية النواب الميزابيين لكونها مطالب عادلة وإنسانية[3].

4. سليمان بن يحي بوجناح (الفرقد):

الفرقد شخصية سياسية ثائرة تحمل مشاعر العدوانية والكراهية للإدارة الفرنسية، مجاهرا بما في ضميره الحر من مبادئ الحرية والوطنية والعدالة والمساواة، وبسبب هذه

[1]- خيري الرزقي، القضايا الوطنية في صحافة ...، المرجع السابق، ص ، 162.

[2]- عبد الرحمن بن عمر، "وادي مزاب، هذا بيان للناس"، جريدة المغرب، ع36، 12 مارس 1931م، ص02.

[3]- نفسه، ص 02.

السمات الشخصية، فإن الإدارة الفرنسية قد حرمت سليمان بن يحي من جميع طموحاته حين فشل في تحصيل البكالوريا، ولما دخل عالم الصحافة نفي إلى مدينة بني عباس سنتين كاملتين (1930-1932م) بسبب كراهيته لفرنسا[1].

يعد الفرقد من القلائل الذين جاهروا بتوجهاتهم الوطنية في مرحلة العشرينيات ونهاية الثلاثينيات، وهذا لم يكن بالأمر الهين لاسيما في مجال الكتابة الصحفية[2].

فقد عبر الفرقد على احتجاج ساكنة وادي مزاب ضد قانون الجندية قائلا: «فإن سكانه يجبرون على الخدمة العسكرية، ومن عام 1912م إلى الآن مازال الميزابيون يحتجون ضد الجندية المنافية لقانون الحماية ولحالة بلادهم الاقتصادية الضعيفة»[3].

كما كان للشيخ بيوض والحاج بكير العنق جهود في مقاومة التجنيد الإجباري، يقول محمد علي دبوز في بكير العنق: «وقد تفاوض الحاج بكير العتق مع أعيان الجزائر الميزابيين وفيهم السيد عبد الله بوكامل واتفقوا على خطة لمقاومة الاستعمار العسكري في الجنوب والتجنيد الإجباري، وقام لهم السيد عبد الله لما أرادوا في الولاية العامة»[4].

أما الشيخ بيوض من هؤلاء الشباب الذين عانوا من قضية التجنيد الإجباري، ولو كان يوما فقط شاقا مضنيا ذاق فيه الشيخ ظلم القوانين التعسفية، دفعه ذلك إلى كتابة شكاية وعرضها على بضع وسبعين شخصا للإمضاء وأرسلت إلى الحاكم العسكري بغرداية يفضح

---

[1]- علي بن أحمد أوجانة، المرجع السابق، ص 106.

[2]- بالحاج ناصر "الفرقد"، سليمان بوجناح (1905-1988م) ونضاله الوطني، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج14، ع02، جامعة غرداية، 2022م، ص 572.

[3]- الفرقد، "متى يستقر الدومينون في إفريقيا الشمالية"، جريدة المغرب، ع20، 14 أكتوبر 1930م، ص 01.

[4]- محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج02، المصدر السابق، ص 174.

فيها ما كانت تقوم به فرنسا لإجهاض النهضة والقضاء على الإصلاح وحرمان الأمة من شبابها[1].

ولا إستغراب إذا قلنا أن هناك من أبناء مزاب من دعموا قانون التجنيد الإجباري ودافعوا عنه وطالبوا أبناء المنطقة بالالتحاق بصفوف الجندية، أمثال القاضي داود بن الحاج بكير، وقد أفصح عن ذلك الدعم كونه يمكن المزابيين من معرفة استعمال السلاح، ويكسبهم الخبرة في العمل الثوري، فأدركت فرنسا خطورة الرجل ودبرت أمر قتله من طرف أحد القياد يوم 31 جويلية 1919م[2]، أو كانت له نظرة أخرى في أمر المشاركة في الجندية إذ أنها تمنح المزابي حق المواطنة المساواة مع المستوطنين[3].

[1]- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، الشيخ بيوض والعمل السياسي، ط2، نشر جمعية التراث، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائرية، 2016م، ص، 39.

[2]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 261.

[3]- موسى بن عمر، المرجع السابق، ص، 126.

3. الجمعيات والنوادي في منطقة مزاب خلال فترة الاحتلال1830م/1954م:

أ/ عوامل ظهور الجمعيات والنوادي في الجزائر:

إن من بين أهم عوامل ظهور الجمعيات والنوادي في الجزائر عامة هي الخدمة التي قدمها المحامي والسياسي "بيار فالديك روسو" Pierre Roussou Valdek"[1] أو كما يطلق عليه رجل الجمعيات، ففي فترة نشاطه في فرنسا اقترح ما يقارب ثلاثة وثلاثون مشروعا قانونيا، اعتمد منها ثلاثة وهي قانون النقابات 21 مارس 1884م، وقانون المؤسسات التعاضدية 01 أفريل 1898م وقانون الجمعيات 01 جويلية 1901م، هذا الأخير فتح باب الحرية على مصراعيه لإنشاء الجمعيات ذات الطابع غير الربحي، وبالنظر إلى القانون الأساسي في تكوين وإنشاء الجمعيات يلاحظ أنها لم تخدم النظام الاستعماري بقدر ما خدمت الشعب الجزائري، وسمحت له بإنشاء الجمعيات، وبالتالي قدم مساحة لا بأس بها من الحرية للجزائريين لم يكونوا ليحلموا بها في ظل القوانين الاستعمارية الجائرة[2].

لما قدم الحاكم العام "شارل جونار"[3] إلى الجزائر في 03 أكتوبر 1900م، دعا إلى معاملة مستعمرة الجزائر معاملة خاصة، وإعطاء بعض الحقوق للمواطنين الجزائريين، ودعا إلى المحافظة على التقاليد، والوطنية، ونشر اللغة العربية، واحترام الشريعة الإسلامية،

---

[1]- بيير فالديك روسو(1846-1904م): محامي وسياسي جمهوري شغل منصب رئيس وزراء فرنسا. ينظر: سيف الدين بوسماحة، شيبوط سعاد يمينة،" قانون الجمعيات الفرنسي 1901م وميلاد الحركة الجمعوية الجزائرية (الجمعيات، التعاضديات، النقابات)، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، مج07، ع02، جامعة تلمسان، 2020م، ص، 225.

[2]- نفسه، ص 224.

[3]- شارل جونار: من مواليد 27 ديسمبر 1875م بفرنسا التحق بكلية الحقوق بباريس، حكم الجزائر ثلاث فترات الأولى (1900م-1901م) (1903-1911م) وبعد الحرب العالمية الأولى لفترة قصيرة، تميز حكمه بنوع من الحرية والمرونة. ينظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997م، د ر ط، ص،574. وينظر كذلك: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج04، ص، 384.

والتخفيض من الضرائب والقوانين الاستثنائية الجائرة، وقد اهتم بالعلماء والفقهاء.، وبعث المؤسسات الدينية، والتعليمية، والمطابع لنشر التراث، هذا كلّه من أجل جلب النخبة الجزائرية وإظهار رسالة فرنسا الحضارية، دعا إلى إقامة الدروس في المساجد، وتجديد برامج التعليم في المدارس العربية والفرنسية، ولهذا أصدرت فرنسا قرار 18 مارس 1905م القاضي بتطوير مستوى التعليم باللغة العربية، وإعادة تنظيم المدارس وتطوير مناهجها، وبسبب هذا الانفراج والهدوء وفي ظل سياسة جونار، استغلت النخبة المثقفة قانون 1901م لتأسيس الجمعيات والنوادي[1].

وهناك ظاهرة أخرى كان لها تأثير على الطبقة المثقفة الجزائرية هو تسرب الصحف عن طريق تونس، والمغرب، ومصر، فنجد أن مجلة "العروة الوثقى"[2] تعتبر من أهم الجرائد والمجلات التي كان لها تأثير واضح على الشعب الجزائري، فمحتواها دوما كان يحذر من خطر الاستعمار، وينشر الوعي الوطني، وهو الاتجاه الذي عمل فيه رواد هذه المجلة أمثال محمد عبدو، وجمال الدين الأفغاني[3]، إضافة إلى مجلة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا[4] في القاهرة التي كانت تسعى إلى نشر الإصلاحات.

---

[1]- إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر 1962/1830م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، د ر ط، ص، 233. ينظر كذلك: أحمد ساري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تق: ابو القاسم سعد الله، المطبعة العربية، غرداية، 2004، د ر ط، ص، 108.

[2]- العروة الوثقى: جريدة أسبوعية أصدرها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، لم يصدر منها إلا 18 عددا إلا أنها كانت لسان الإصلاح والنهضة في العالم الإسلامي.

[3]- جمال الدين الأفغاني: (1839م-1897م) أفغاني الأصل ولدبمدينة أسعد أباد من دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي، وهو صاحب فكرة الجامعة الإسلامية، سافر إلى مصر وبقي فيها ثمانية سنوات يدعو إلى أفكاره الإصلاحية، توفي في تركيا يوم 09 مارس 1897م. ينظر باسيل عكولة وآخرون، المنجد في الأعلام، دار المشرق، لبنان، 1998م، ط02، ص، 42.

[4]- محمد رشيد رضا: ولد سنة 1865م في قرية القلمون شمالي لبنان، تعلم مبادئ اللغة في قريته ثم انتقل إلى المدينة الرشيدية بطرابلس الشام، وبعدها المدرسة الوطنية الإسلامية، بدأ عمله الإصلاحي في ميدان الصحافة

وفي نفس المجال نجد كذلك جريدة المؤيد[1] التي كانت تصدر في القاهرة لصاحبها علي يوسف والداعية إلى اليقظة حول ما يدور من أوضاع مزرية في البلاد العربية[2]، كل هذه الأفكار التي نشرتها هذه المجلات والصحف كان لها الأثر البالغ في إيجاد شحنة إضافية لدخول معترك النضال السياسي من خلال الأحزاب السياسية، ووسائلها المختلفة كالجمعيات والنوادي.

وفي هذا الصدد تطرق مالك بن نبي إلى أن النخبة الجزائرية قد تأثرت بالكتابات المشرقية خاصة تلك التي عثر عليها في مكتبة النجاح، والتي تعتبر الينابيع البعيدة والمحددة للاتجاه الفكري والسياسي ومن بينها "كتاب الإفلاس المعنوي للسياسة العربية في الشرق" لصاحبه أحمد رضا و"رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده، وقد ترجمها مصطفى عبد الرزاق إلى اللغة الفرنسية[3].

يقول أبو القاسم سعد الله: « إنّ الجمعيات والنوادي ظاهرة اجتماعية تدل على النضج والاستجابة لمتطلبات الحياة المدنية الحديثة، والجزائر التي كانت تعيش تحت تعسف قانون الأهالي البغيض (الأنديجينا) لا يمكنها أن تتمتع بهذا النشاط دون أن يتعرض القائمون للاضطهاد، والسجن ومن جهة أخرى فقد كان الجزائريون محرومون من صفة وحقوق "المواطن" فقد كان القانون الفرنسي يعتبرهم "رعايا"، ولا يمكنهم أن ينشدوا الحرية ولا الحقوق

فأنشأ جريدته "المنار" توفي سنة 1935م. ينظر: إبراهيم أحمد العلوي، أعلام العرب رشيد رضا "الإمم المجاهد" ، المؤسسة العصرية للنشر، د س ن، د ر ط، ص ص، 19-23.

[1]- جريدة المؤيد: هي جريدة مصرية أسسها الكاتب الكبير علي يوسف والشيخ احمد ماضي أبو العزائم في 08 ربيع الأول 1307هـ الموافق 01 ديسمبر 1889م، ينظر: سليمان صالح، الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد، تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، د ر ط، ص، 70.

[2]- نفسه، ص، 70.

[3]- مالك بن نبي، المرجع السابق، ص، 66.

المدنية ولا السياسية، ولا حتى الجمعيات والنوادي الثقافية والفنية دون ملاحقة القانون التعسفي»[1].

قد أعطت السلطة الفرنسية الإذن للجزائريين بتكوين الجمعيات الخيرية والاجتماعية منذ أوائل القرن العشرين، فظهرت في العاصمة عدة جمعيات أبرزها الجمعية الرشيدية، والجمعية التوفيقية، ويبدو أن من ترأسها كان من النخبة المثقفة بالفرنسية، والمعروفين بالاندماج أمثال بلقاسم بن التهامي، والشريف بن حبيلس، ومحمد صوالح وغيرهم، وقد اندفع معهم عدد آخر من المثقفين بالعربية أمثال المفتي ابن الموهوب، والمجاوي، والقاضي شعيب، ولعّل الموضوعات التي عالجتها الجمعيات غالبها توعوي يدور في فلك قضايا الفكر المعاصر[2].

إنّ الفئة الأولى التي أنشأت الجمعيات والنوادي الدينية والثقافية والرياضية في بداية ستكون هي النواة الأساسية لميلاد الأحزاب والحركات الوطنية الجزائرية لاحقا[3].

إن الجمعيات والنوادي لم تظهر في الجزائر إلا مع بداية القرن العشرين، وهذا ما حدث في منطقة وادي مزاب خاصة بعد عودة طلاب العلم من الخارج، وتاقت المنطقة إلى العلم، فأنشؤوا الجمعيات والنوادي فكانت بمثابة بذور النهضة، والتي أدت وظيفة المدرسة في بعض الأحيان، فكانت ملتقى اجتماعيا وعلميا ورياضيا وصحيا، ومرتعا للكشافة الإسلامية، وللنشاط السياسي، فالجمعيات الثقافية لها الفضل في إحياء الوعي اتجاه القضية الوطنية[4].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج5، ص، 313.

[2]- نفسه، ص 314.

[3]- سيف الدين بوسماحة، شيبوط سعد يمينة، المرجع السابق، ص، 232.

[4]- عطلاوي عبد الرزاق، المرجع السابق، ص، 35.

كان من أهم دوافع إنشاء الجمعيات الخيرية والنوادي الثقافية في منطقة وادي مزاب هو زيادة وعي الجمهور بفضل نشاط المصلحين والأعلام والعلماء، وطلبة البعثات العلمية خريجي معهد الحياة والمدارس الحرة الأخرى، هؤلاء الذين كانوا روح النهضة، فسعوا إلى تكوين الجمعيات وكان لهم ذلك[1].

ب/ ظهور النوادي والجمعيات في منطقة وادي مزاب مع بداية القرن العشرين:

إن أغلب الجمعيات التي تظهر في المنطقة وادي مزاب، اعتنت وسعت إلى ما دعا إليه العلماء والمصلحون، فقد عمدت هذه الجمعيات إلى إنشاء مدارس عصرية ونوادي أدبية وإجتماعية ومعاهد ثانوية للعلوم العربية والدينية، وأرسلت البعثات العلمية الكثيرة إلى تونس وغيرها، وجعلت فيهم المشرفين والرؤساء والمربين الحازمين، وزودتهم بالنظم التربوية الإسلامية التي تحفظ أخلاقهم من كل النواحي، فحفظت الجمعيات بهذه الأساليب على أخلاق الطلبة ووقتهم وزادتهم تقدما إلى العلم[2].

يقول إبراهيم طلاي: «والحق أن الجمعيات الخيرية والإصلاحية التي كونها المواطنون كرد فعل للغزو الفكري، ولمدارس الفرنسيين، قد ساهمت في تطوير هذه المحاضر، وإحداث تعليم عصري يقابل التعليم الفرنسي الإجباري»[3].

فأصبح الإنشاد والموسيقى والرياضة والشعر جزءا من وسائل جلب الجمهور وتوجيهه نحو الإصلاح والنهضة[4].

---

[1]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، المرجع السابق، ج2، ص، 230.

[2]- المصدر السابق، ص 230.

[3]- إبراهيم محمد طلاي، مزاب بلد الكفاح، المصدر السابق، ص 88.

[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج5، ص، 316.

إنّ جميع النشاطات التى قامت بها الجمعيات النوادي في مختلف مدن الجزائر وحسب الإمكانيات المتاحة، كانت بمثابة المركز التي تربصت فيه الشخصيات السياسية التي أصبحت فيما بعد أعضاء مناضلي في مختلف التيارات الوطنية.

✓ **النوادي:**

1. نادي أبو اليقظان:

كان للشيخ أبو اليقظان ناديا أدبيا في منزله في بستان النخيل، يحضره الزملاء وقدماء تلاميذ الشيخ الحاج عمر بن يحي في القرارة، يقرأ فيه الرواد بعض الكتب والصحف والمجلات الأدبية بخاصة، وقد أنشأ هذا النادي الأدبي لما رجع أبو اليقظان ببعثته بعد قيام الحرب العالمية الأولى وأصبحت الظروف صعبة في تونس سنة 1333هـ/1915م، ويبدو أن هذا النادي كان مصاحبا لمدرسة أسسها الشيخ في نفس السنة[1]، وكان من أهداف هذا النادي (نادي أبو اليقظان) المحافظة على الأدب العربي والدفاع عنه، حتى يضمن له البقاء، ويقدموا للجيل الصاعد المنهج والسبيل لخوض معترك الحياة.

وقد أسس أبو اليقظان نادٍ أدبي آخر في صيف 1343هـ/1924م كان يحضره المشايخ والطلبة الكبار لمواصلة مسيرة التكوين والتعليم، وقد أكد الشيخ عدون شريفي مساعي الشيخ أبي اليقظان في تأسيس نادي أدبي يجمع الأدبيين، ويشغل مواهبهم، وكان له ذلك تحت رئاسته ونيابة الشيخ إبراهيم بيوض[2].

[1]- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، الميزابيون والبناء الحضاري، نشر جمعية القرارة، غرداية، الجزائر، 2015م، د ر ط، ص، ص41-42.

[2]- نفسه، ص، 40.

كان الشيخ أبو اليقظان مهتما أيما اهتمام بإبراز الحفلات والتظاهرات التي تقدمها الجمعيات الخيرية في مدارسها، مستعرضا ما يقع فيها من مظاهر الثقافة المتنوعة، مستبشرا بالنبوغ المتفتح ساعيا دوما إلى مد يد المساعدة لهذه المشاريع، وكان كثيرا ما يستغل تلك المناسبات لملاحقة الآباء الذين يقطعون أبناءهم عن التعليم منددا بسلوكهم، مشبههم بالمجرمين وقطاع الطرق[1].

ويبدو أن ظاهرة قطع الآباء لأولادهم عن الدراسة شغلت الكثير من المصلحين، فنجد أن الشيخ لأبو اليقظان كتب مقالا عن الموضوع في جريدة وادي ميزاب يقول فيه: « الصبي أمانة بيد أبيه أو القيم عليه، وهو المسؤول عنه أمام الله والنّاس، وعليه وحده يتوقف مستقبل ابنه، صحة أو سقما، علما أو جهلا، سعادة أو شقاء، فيجب عليه في آن واحد تربية جسمه وعقله وخلقه»[2].

وفي سبيل هذا المسعى النبيل فإن إبراهيم عمر بيوض –رحمه الله– اعتمد على المؤسسات التعليمية والمساجد والاحتفالات الجماعية ونشاط الجمعيات لإيصال رسالته[3].

2. نادي الحياة القرارة:

أسس الشيخ إبراهيم عمر بيوض سنة 1354هـ/1935م بمدينة القرارة نادي الحياة، ولعلها فرع من جمعية الشباب 1345هـ/1926م كان يهدف النادي إلى توعية المجتمع الجزائري ليجعل منه مجتمعا متحضرا ومتعلما، حتى يتمكن من التطور والتخلص من السيطرة الإدارية العسكرية الفرنسية الساعية إلى طمس الهوية والمقومات[4]، ويبدو أن

[1]– محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المرجع السابق، ج1، ص، 54.

[2]– إبراهيم عمر بيوض، "إلى الجاليات الميزابية بمدن إفريقيا الشمالية"، جريدة وادي ميزاب، ع20، 1927/02/18م، ص، 04.

[3]– بكير سعيد عوشت، الإمام إبراهيم بيوض وجهاده الإسلامي، المرجع السابق، ص، 39.

[4]–سعيد شريفي، المصدر السابق، ص ص، 70،71.

النوادي كان لها أدوارٌ بارزة بتقديمه عرائض وشكاوي ورسائل وبرقيات، احتجاجا إلى المسؤولين الفرنسيين، وتنديدا بالإجراءات التعسفية المتخذة في حق الحركة الوطنية الجزائرية[1] ولهذا الفعل فإنّ الإدارة الفرنسية لم يكن يرضها نشاط الجمعيات والنوادي.

إن بداية نشاط نادي أبو اليقظان سنة 1334هـ/1915م و1343هـ/1924م ونادي الحياة 1354هـ/1935م كان سريا ويضم أعضاء يتميزون بالوفاء والكتمان، إلا أن نشاطاتهم واجتماعاتهم وتبادل النقاشات ساهم بطريقة مباشرة في ظهور الصحافة، وهذا لا ينطبق فقط على وادي مزاب، بل على الجزائر عامة رغم أن فترة العشرينيات من القرن الماضي لم تشهد بروز نوادي كثيرة[2].

- ✓ **الجمعيات:**

1. جمعية الشباب:

إن فكرة تأسيس جمعية الشباب تبلورت من خلال تلك المراسلات التي كانت بين أبي اليقظان والشيخ عدون، والتي نقل من خلالها نهضة تونس الأدبية والعلمية، وكان للنادي الذي أسسه أبو اليقظان سنة 1342هـ/1924م تأثيرا فعالا في تكوين النواة الأولى لجمعية الشباب، ويذكر محمد علي دبوز في صدد التأسيس ما يلي: « وقد يكون الشيخ أبو اليقظان وكبار الطلبة المزابيين بتونس ممن أوحى لهذه الجمعية، فراق للطلبة إنشاؤها ورأوا فيها خيرا كبيرا لأنفسهم، وحبذ الشيخ بيوض هذه الجمعية»[3]، فنشأت الجمعية سنة 1345هـ/1926م وانتخب الشيخ عدون رئيسا لها.

---

[1]-أحمد ساري، المرجع السابق، ص، 121.

[2]- بلعربي عمر، "بداية ظهور النوادي والجمعيات في الجزائر"، مجلة القرطاس، ع4، 2017م، ص ص، 134،135.

[3]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر..، ج2، المرجع السابق، ص 120.

كان لجمعية الشباب جريدتها الخاصة باسم "جريدة الشباب" ظهرت على إثر تكوين الجمعية، وكانت تصدر كل أسبوع شارك في تحريرها جميع الطلبة، ويكتبها أحسنهم خطا، ويجتمعون على قراءتها في وقت خاص، ثم تطورت إلى معلقات حائطية متعددة مزينة بالرسوم والألوان، تتولى كل فرقة من فرق الجمعية وتتنافس في تجويدها وتطويرها، وقد نوه الشيخ عدون بهذه النشريات قائلا: « كانت لهذه النشريات أثر كبير في تثقيف العقول، وتنمية المواهب، وحسن التعبير، وترقية الأساليب، فكم من كاتب ضليع، وشاعر فحل، وخطيب مصقع يلهب الجماهير كانت له في هذه الدوريات مراقي إلى أوج المعالي والشهرة»[1].

2. جمعية الفتح ببريان:

كانت الجمعية الفتح في بادئ أمرها سرية في قانونها الداخلي ونظامها الدقيق وجهازها، وتسمى الجمعية الخيرية الوطنية، قامت بأعمال جليلة في الجانب الإصلاحي والسياسي والعلمي[2] قبل أن تسمى بجمعية الفتح وتكون معترفا بها، كان لنخبة من المصلحين الفضل في تكوينها سنة 1345هـ/1927م من شهر رمضان يتسامرون في دار أحدهم بعد صلاة التراويح في شأنها، فنشأت في 02 صفر 1345هـ الأول من أوت 1927م، وكان شعارها "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء" ومن مبادئها الصدق في القول، والإخلاص في العمل، والإنصاف في المعاملة.

ضمت إدارتها سليمان بن الناصر حسن، الحاج سليمان بن الحاج، إسماعيل فخار، ومحمد بن الحاج قلو، وعلي عيسى دبوز، وعمر بن سليمان أوراغ وغيرهم، وما بلفت الانتباه في هذه الجمعية هو أن أداء اليمين على المصحف الشريف لكل عضو أمام الجميع، وبعد

[1]- سعيد عدون، المصدر السابق، ص، 72.

[2]- عبد الرحمن بن عمر بكلي، تقارير البكري حول مدرسة وجمعية الفتح للتربية والتعليم في بريان، نشر مكتبة البكري، غرداية، 2009م، د ر ط، ص ص، 17-20..

اليمين يمضي على القانون الأساسي في دفتر الجمعية، فالسيد سليمان بن الناصر حسن كان أول رئيس للجمعية، فهو مثقفا وصاحب رأي ونير البصيرة وخطيب الجمعية أيام الاحتفال، فتأثيره بالغ على نهضة قصر بريان، وهذا لا يحصل إلا بالإخلاص والوفاء للمبادئ[1].

3. جمعية الإصلاح بغرداية:

دعا إلى تأسيس الجمعية الشيخ صالح بن قاسم بابكر، والشيخ أحمد بن عيسى قرزيط والشاعر حمود بن سليمان رمضان، والأستاذ بابا بن إبراهيم بوعروة، والشيخ سليمان بن بنوح والسيد سليمان بن بكير أدباش، سنة 1346هـ الموافق لـ1928م ووافقت الإدارة الفرنسية عليها في 24 ديسمبر 1928م[2].

وقد تكلم الشيخ إبراهيم بن بابا بوعروة في جلسات الافتتاح يوم 18 جانفي 1928م قائلا: « أما اليوم فإننا وجدنا أرضا خصبة يجب غرسها بالأشجار المثمرة حتى نجني الثمار اليانعة»[3].

يذكر حمو بن أحمد فخار أن قانونها الأساسي المترجم إلى الفرنسية والمرقون قد نشر بالجريدة الرسمية الجزائرية بتاريخ يومي 24 و25 جوان 1928م رقم 70/71 تحت اسم "جمعية علمية أدبية، مدرسة ابتدائية، مع ناد ومكتبة"[4]، وهنا لاحظنا اختلافا في قضية الاعتراف ورخصة هذه الجمعية، فالشيخ دبوز يذكر أن الاعتراف بها كان يوم 24

---

[1]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، ج2، ص ص، 251-252.

[2]- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص، 248.

[3]- حمو عمر فخار، إبراهيم بن بابا بوعروة، "الشيخ بابا ثامر حياته وآثاره"، إعداد وتق: مصطفى باجو، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 2013م، د ر ط، ص، 21.

[4]- نفسه، ص، 22.

ديسمبر 1928م، فهل كان هناك ترخيصا ثانيا للجمعية تحت مسماها الجديد "جمعية الإصلاح" لاننا وجدنا فالرصيد الأرشيفي لمكتبة عبد الرحمن حواش وصل تأسيس مؤرخ بتاريخ 14 أفريل 1928م[1].

كان أول رئيس لجمعية الإصلاح الشيخ صالح بابكر، فكان يُعاد انتخابه بالإجماع في كل مرة، لصفاته وإخلاصه وتواضعه وعمله في نشاط وثبات، ويعد الشيخ من الأسباب المباشرة لنجاح الجمعية في التربية والتعليم، فأصبحت بفضله من أبرز الجمعيات في وادي مزاب[2]، التي قارعت الاستعمار وأذنابه، وقد زاد من قوتها إنخراط طلبة معهد الحياة فيها[3].

وقد أشرف أعضاء جمعية الإصلاح على التعليم، رغم منعهم في بادئ الأمر من طرف الإدارة الفرنسية بحجة أن الرخصة للجمعية وليس للتعليم، ويقول الشيخ صالح بابكر في هذه الصدد: « ولما جاءت الرخصة للجمعية سنة 1348هـ/1928م هممنا أن نشرع في التعليم فمنعنا بحجة أن الرخصة للجمعية فقط، لا للتدريس، ولما كان هذا طلبنا رخصة باسم أحمد بن حمو بغباغة، فرفضت، وباسم الحاج عبد الله بغباغة، فرفضت، وبعد هذا عُين باية بن حمودة، ترجمانا لدى الحاكم "موريوس" Morrius" فأعطانا الكلمة الشرف أن يسعى في إقناع الحاكم لقبول الرخصة، فطلبنا رخصة باسم صالح بن قاسم بابكر، فجاءت رخصة التعليم سنة 1932م»[4].

4. جمعية الوفاق:

أسست جمعية الوفاق بالعاصمة سنة 1349هـ/1929م وقد ضمت شبابا مزابيا، وكان رئيسها سعيد بن بكير خالدي ومن أعضائها البارزين مفدي زكرياء، إبراهيم غرافة، وقد

---

[1]- ر م ع ح، ملف رقم 1292/3، وصل تأسيس جمعية الإصلاح. (الملحق 16)

[2]- ر م ع ح، ملف رقم 1312/2، رسالة موجهة إلى الوالي العام مؤرخة في 12 نوفمبر 1952.

[3]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص ص، 248-250.

[4]- حمو بن عمر فخار، على درب الأنبياء...، المرجع السابق، ص، 40.

تم حلّ الجمعية من الإدارة الفرنسية بسبب إنكشاف ميولاتها السياسية والوطنية التي أزعجت فرنسا[1].

5. جمعية الاستقامة:

أنشأت هذه الجمعية في مدينة قالمة في الشرق الجزائري سنة 1349هـ/1930م كونها مزابيون من قصر بني يزقن، وكان أول رئيس لها هو محمد الثميني وأعضاء إدارتها هم عمر بن داود دواق، ويوسف بن يحي الثميني، وموسى بن بكير بوراس، وقد أتبعوا الجمعية بمدرسة ونادي سنة 1350هـ/1931م، تعمل على نشر التعليم العربي الحر، وكان مدير المدرسة ومعلمها الأستاذ عبد الله بن محمد بوراس ومعه تطورت وازدهرت[2].

6. جمعية الحياة "القرارة":

يبدو أنّ من أهم أسباب قيام جمعية الحياة هو انقطاع التعليم في بعض دوره، فأقدم أعيان القرارة وعلى رأسهم إبراهيم بيوض في جنان خبزي عيسى بن اعمارة بتاريخ 1356هـ الموافق لـ24 جويلية 1937م على تأسيسها وانتخب أعضاء إدارتها، وأسندت رئاستها في البداية إلى الشيخ الحاج بكير العنق[3] والشيخ الحاج عمر بن يحي، خلفهما أبو اليقظان وإبراهيم بيوض وقدمت أوراق الاعتماد إلى السلطة العسكرية التي أصرت على الرفض، وبعد مفاوضات طويلة من طرف عيسى بن اعمارة خبزي في الولاية العامة بالجزائر استخرج

---

[1]- الدهمة بكار، المرجع السابق، ص 50.

[2]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر...، المصدر السابق، ج02، ص، 245. ينظر كذلك: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج02، ص، 276.

[3]- الحاج بكير العنق (أسد القرارة): ولد في قصر القرارة سنة 1285هـ/1868م، أخذ مبادئ اللغة وإستظهر القرآن الكريم في مسقط رأسه، ثم إنتقل إلى معهد القطب، اشتغل في التجارة بمدينة تبسة، استعان به الشيخ بيوض في النشاط الإصلاحي، له علاقات مع عبد العزيز الثعالبي وشكيب ارسلان، توفي سنة 1353هـ/1934م. ينظر: نفسه، ص، 217.

الترخيص وتأسست الجمعية يوم 17 شعبان 1356هـ الموافق لـ22 أكتوبر 1937م، وقد اعتبرت جمعية خيرية تربوية[1].

سايرت جمعية الحياة الإصلاح التربوي والديني والاجتماعي على أسس متينة، فقد اعتبرت هذه الجمعية الرائدة في النهضة الحديثة للقرارة ولا تزال على هذا المنوال، بإشرافها على التعليم[2]، وقد توج هذا النشاط بتأسيس مدرسة الحياة الواسعة الجميلة[3].

7. جمعية الاستقامة "بني يزقن":

أنشأت سنة 1365هـ الموافق لـ1942م في قصر بني يزقن، وكان أول رئيس للجمعية المخلص السيد عمر بن داود دواق، ومن أبرز أعضائها المرحوم السيد عيسى بن عمر خمار ولقبه من اللون "الخمري"، وقد اعترفت الحكومة الفرنسية بهذه الجمعية سنة 1948م، وقد أنشأت سنة 1947م مدرسة عربية حرة بفضل نشاط المصلحين وتلاميذ "القطب" في الجمعية[4].

8. جمعية النهضة في قصر العطف:

قبل أن تكون جمعية النهضة رسمية بهذا الاسم كانت عبارة عن جمعية خيرية من الجمعيات الممتازة في الجنوب الجزائري، وصارت رسمية باسم النهضة في عام 1364هـ/1945م، وقد تواصل نشاطها خاصة بعدما التحق بها خريجو معهد الحياة أمثال

---

[1]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص، 240. ينظر كذلك: بن صالح مصطفى بن داود، المرجع السابق، ص، 221 .

[2]- محمد بن موسى بابا عمي، "الإمام الشيخ إبراهيم ...، المرجع السابق، ص، 18.

[3]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص، 255.

[4]- نفسه، ص، 240.

الشيخ محمد بن بهون الحاج إبراهيم، والسيد الحاج إبراهيم بن الحاج محمد الحاج عيسى، وهو المتوفى سنة 1364هـ/1945م، والشيخ أحمد بن الحاج موسى بابا عمي[1].

وكان محمد بن بهون كاتب الجمعية، وقد عين معلما في مدرستها بالمسجد العتيق، ولا يخفى علينا أن سنة 1364هـ/1945م تصادفت مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، ورفع الحجر عن الشيخ إبراهيم بيوض، فكانت له جولات طويلة في قصور وادي مزاب، وكان للشيخ محمد بن بهون الدور الكبير في الإعداد لحفل أقيم على شرف إبراهيم بيوض، نشطه خريجوا معهد الحياة في قصر العطف أمثال اسماوي عيسى والحاج أيوب القرادي، والحاج إسماعيل يحي، هؤلاء الذين انضموا إلى ركب التعليم سنة 1366هـ/1947م بإشراف جمعية النهضة التي أخذت على عاتقها مهمة التطوير[2]، فقامت جمعية النهضة بدور فعّال في عملية التجديد والإصلاح خاصة فيما تعلق بتعليم المرأة[3].

9. جمعية النور في قصر بونورة:

جمعية النور من الجمعيات الناشطة والمخلصة التي قامت بأعمال كبيرة في وقت قصير، وعادت على النهضة والإصلاح بالخير الكثير، نشأت في عام 1324هـ الموافق جويلية 1945م، أسسها مجموعة من الشباب الذين اجتمعوا في تيارت فكونوا جمعيتهم ولحقوا بركب الإصلاح في قصر بونورة، فأصبحت من أحسن المدن الجزائرية في النشاط والجهاد، وفي سنة 1327هـ الموافق لـ1948م أنشأ هؤلاء الشباب المتحمس للنشاط شركة

---

[1]- نفسه، ص ص، 243-244.

[2]- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، جيل النهضة والإصلاح في العطف بلد النضال والكفاح، نشر جمعية النهضة، المطبعة العربية، 2010م، د ر ط، ص ص، 22-23.

[3]- سليمان بن داود بن يوسف، الشيخ سليمان بن داود ابن يوسف في جهاده الإصلاحي (وثائق وشهادات)، جم، وإخ: يحيى بن بهون حاج امحمّد، نشر جمعية التراث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2018م، د ر ط، ص، 25.

سميت "فتح النور"، وهي تجارية للبيع بالجملة في قلب العاصمة في شارع حسيبة بن بوعلي[1].

كانت هذه الشركة من أهم مراكز للثورة الجزائرية في ذلك الحي، وهذا ما دفع الجيش السري للهجوم على هذا المحل وتدميره في شهر ذو الحجة 1381هـ الموافق ماي 1962م كلف الشركة خسائر قدرت بمائتين وخمسين مليونا من الفرانكات القديمة، وقد جددوا المحل بعد هذه النكبة في أوائل أيام الاستقلال[2].

10. جمعية قدماء التلاميذ قصر القرارة:

توالت قوافل الطلبة المتخرجين من معهد الحياة، وانتشروا في مواقعهم ومناصبهم ونزلوا إلى الميدان العملي والعلمي، وقد اشتاقوا إلى تلك اللقاءات وتذكر أيام المعهد، وقد ذكر الشيخ عدون في ثمار المحبة التي غرسها المعهد في طلبته ما يلي: « غرس المعهد في التلاميذ بذور المحبة والإخاء والصفاء فرسخت في النفوس وترعرعت وأثمرت ودا صادقا متبادلا، وارتباطا متينا لا تفصم عراه الحوادث والأيام. فكان الذين أكملوا دراستهم وانقطعوا عنها لأسباب قاهرة يتلاقون بمقتضى هذه الروابط المتينة في اجتماعات متوالية للسهر والمداولة في أحوالهم الخاصة والعامة وفي ما يهم الأمة في مصالحها»[3].

فأراد بعض خريجي المعهد البارزين أن تكون اللقاءات رسمية لما فيها من فائدة خاصة في مجال التعليم، فاجتمعوا من أجل تأسيس جمعية قدماء التلاميذ تحت إشراف الشيخ إبراهيم بيوض.

---

[1]- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج2، ص، 238.

[2]- محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص، 239.

[3]- سعيد شريفي، المصدر السابق، ص، 75.

ويؤكد الشيخ عدون إرادة هؤلاء بقوله: « ثم فكر أفرادها البارزين وعلى رأسهم مدير المعهد في جمع شمل الطلبة المتفوقين في ميزاب وفي أنحاء القطر المتخرجين من المعهد وفي ضم جهودهم الإصلاحية في إطار واحد، فوجهوا إليهم دعوة خاصة باسم المدير للحضور في اجتماع عام بمسجد في القرارة يوم 05 أوت 1948، فلبى الدعوة أغلب المدعوين الذين تجاوزوا الخمسين عدا الحاضرين بالبلدة، فانعقد الاجتماع في المقر القديم للمعهد، محل الشيخ بيوض وتحت إشرافه، فألقى المدير خطابا هاما بين فيه الغرض من هذا الاجتماع وهو جمع شمل التلاميذ القدماء وتنظيم العمل لإصلاح الأمة...» [1].

وقد أسفر الاجتماع الذي كان بمثابة مؤتمر من تأسيس جمعية قدماء التلاميذ، وانتخب لها مجلس إداري يرأسه مدير المعهد، بعد أن وضع لها قانون أساسي يتضمن أغراض الجمعية وتشكيلها[2].

إلا أنّ هذا الاجتماع وإن كان فعليا قد سبقه اجتماع قبله في حفل زفاف للابن الأكبر للشيخ عدون المقام في جمادى الثانية 1367هـ الموافق أفريل 1948م، فكانت مناسبة سانحة للتداول في إنشاء جمعية، وقد برزت إلى الوجود في شهر رجب 1367هـ الموافق ماي 1948م وكان الشيخ عدون بالحاج أكثر الناس حماسا لهذا المشروع، فأعد قائمة الأسماء البارزة من خريجي المعهد ودعاهم إلى الاجتماع المزمع عقده في 30 رمضان 1367هـ الموافق 05 أوت 1948م في دار الشيخ بيوض وهو المقر القديم لمعهد الحياة[3].

11. جمعية النصر في قصر مليكة:

نشأت جمعية النصر في 1379هـ الموافق 1960م، فكان لهذه الجمعية الدور الفعال في إنعاش قصر مليكة، وقد أضيف إليه مدرسة عربية عصرية ونادٍ للوعظ والإرشاد، وأرفق

[1]- سعيد شريفي، المصدر السابق، ص، 76.

[2]- نفسه، ص، 79.

[3]- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص، 188.

بمكتبة عربية عامة، وابتدأت الجزائر ومزاب تنتفع بنبوغ هذه المدينة، وقد أعانها في عملها ما في المجتمع المحلي من فطرة سليمة واستعداد فكري قوي[1]، فكانت هذه الجمعية بمثابة مركز للإشعاع الثقافي والعلمي، ساهم في نشر الوعي والحس الوطني.

12. جمعية الكشافة الإسلامية:

كان الشيخ بيوض –رحمه الله– من الحريصين هو، ومساعديه في مجال التربية والتعليم على إنشاء جيل يواصل مسيرة البناء والتشييد، فأولاها عنايته، وأسسوا جمعيات تحتضن نشاطات ومواهب هؤلاء الشباب، فكانت جمعية الكشافة الإسلامية خير أنيس بعد المعهد لتربية النشء تربية دينية وعقلية وخلقية وإجتماعية، بدأت نشاطها بصفة غير رسمية سنة 1362هـ/1943م، وبعد تأسيس جمعية قدماء التلاميذ سنة 1367هـ/1948م تم اعتمادها من طرف الإدارة الفرنسية باسم "كشافة الجنوب" ،وبعد عامين من تسلم الرخصة جلب لها أخصائيا في الأعمال الكشفية، فخرج بهم في جمع غفير إلى الصحراء في مخيم أقاموا فيه أربعة أيام، ولعّل هذه التجربة انجر عنها تشكيل رؤساء يتولون تسيير الكشافة بثوا تعاليمها في الأعضاء[2]، وبعد الاستقلال أصبحت تسمى "أفواج الحياة"

- ✓ **نفقات الجمعيات والنوادي:**

إنّ مصاريف ونفقات الجمعيات والنوادي –السالفة الذكر– كانت تعتمد بالأساس على تبرعات المحسنين واشتراكات الأعضاء، ونقلا عن لخضر الدهمة من خلال التقرير الذي بعثه الشيخ عمر بيوض إلى الدكتور تركي رابح بتاريخ 22 أفريل 1972م يبين فيه نفقات

[1]– نفسه، ج2، ص، 240.

[2]– سعيد شريفي، المصدر السابق، ص ص، 82-83.

مصاريف الجمعيات بقوله: « كانت هذه الجمعيات ومدارسها تعتمد في نفقاتها، ومصاريفها في الإنشاء والبناء والتجهيز والتسيير، على الاشتراكات وتبرعات المحسنين»[1].

ويمكن مما سبق أن نستخلص أن أسباب نجاح هذه النوادي والجمعيات في أعمالها الخيرية والأدبية، وإيصال رسالتها كون المنشئين والمشرفين والمنتسبين لها من الصالحين الذين إتصفوا بشدة التمسك بالدين والغيرة عليه وبالاستقامة وصفاء النفوس، فمزج بينهم حب شديد تزيده الأيام قوة ورسوخا لأنه في الله، فيبلغوا بذلك مرامهم، وأشيلت النهضة ونضجت على أيديهم[2].

- ✓ **دور الجمعيات والنوادي الأدبية في الحركة الفكرية والسياسية:**

الجمعيات والنوادي هي التي تنظم عملية التكوين، والتدريب الجيد وتتيح الإجتماع لمن ينضوون تحت لوائها بانتظام، وتسير بهم في خطط مهيأة، ومشروعات مدروسة، وبرامج معدة، وتنتهج معهم وسيلة المتابعة والمحاسبة وأسلوب التقويم والتوجيه والترشيد، والتشجيع، وهذا يساعد الطالب على تطبيق ما أخذه في الفصول الدراسية. فكان للجمعيات والرابطات والنوادي دور كبير في نشر الأفكار، وإعداد الطلبة على النموذج الذي يريده القائمون على عملية التربية والإعداد[3].

إنّ الأدوار التي تقوم بها الجمعيات في منطقة وادي مزاب منذ نشأتها هو جمع الاشتراكات والتبرعات من المحسنين في المجتمعات المحلية، للتكفل بالمصاريف، والنفقات على المشاريع التعليمية وتأطيره[4]ا، لذا يمكن اعتبار الجمعيات، والنوادي الإطار الإداري

---

[1]– لخضر الدهمة، المرجع السابق، ص، 50.

[2]– محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص ص، 233،234.

[3]– محمد بن قاسم ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص، 33.

[4]– أحمد ساري، المرجع السابق، ص، 121.

العام للمؤسسات التربوية الحرة في مزاب خلال فترة الاحتلال على غرار ما كانت تقوم به جمعية الحياة[1].

قد دأبت الجمعيات والنوادي على ربط الطلبة بالجو العلمي حتى بعد التخرج، يضمن جهودهم ويوجه أفكارهم، ويراقب سلوكهم للاستفادة منهم ماديا ومعنويا في الحركة التعليمية[2].

كان للشيخ الحاج عمر بن يحي مبادرة تحمل في طياتها روح الجمعيات الأدبية وهو ما أطلق عليه "ندوة القراءة"، كانت تعقد كل أسبوع يقرأ فيها الشيخ الحاج عمر على طلبته ما جد من كتب ومقالات، وهذه الثقافة العامة لا يتلقاها الطلبة في حلقات العلم.

ونقل محمد بن قاسم ناصر بوحجام عن محمد علي دبوز أن الشيخ بيوض يقول في ندوة القراءة كانت التي كانت تعقد ما يلي: « وأفادني في مجالس الشيخ الحاج عمر عبر ما ذكر في الكتب المفيدة الاجتماعية والسياسية والصحف الوطنية العديدة، والمجلات التي نقرأ فيها، لقد زادت في ثقافتي العقلية وتربيتي الاجتماعية، وعرفتني بأحوال العالم الإسلامي، ومقاصد المستعمرين الصليبية فيه»[3].

يؤكد محمد علي دبوز الدور الفعال الذي قامت به الجمعيات في تعليم المرأة بقوله: « واعتنت بتعليم البنت، فاكتظت مدارسها بالبنات أيضا فأخذت من العلم الصحيح ومن التربية الإسلامية في المدرسة ما يؤكد التربية الإسلامية القوية التي تجدها كل منهن من أسرتها في بيتها»[4].

---

[1]– ابن صالح مصطفى بن داود، المرجع السابق، ص، 222.

[2]– نفسه، ص، 228.

[3]– محمد بن قاسم ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص، 39.

[4]– محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج2، ص، 232.

قامت هذه الجمعيات المباركة بالإصلاح الاجتماعي فحاربت التعصب وكل أنواع الفساد الخلقي وقضوا على منابعه، وأغلقت دور البغاء التي أنشأها الاحتلال وأهل الفساد في بعض المدن المزابية، فتطهر قصور مزاب من هذا المفاسد فصارت القصور الأخرى من الطهر والنقاء[1]، وحافظت البنت المزابية على نقائها.

إنّ دور الطلبة الجزائريين بتونس لم يقتصر على التعليم وحسب، بل كان لهم دور بارز في مجال الأنشطة الطلابية، وتأسيس الجمعيات، وتحريكها، والانخراط في الأندية الأدبية التونسية والاندفاع ضمنها، ومن أبرز الجمعيات التي أسسها طلبة العلم الجزائريين هناك جمعية العلماء الجزائريين الزيتونيين التي احتضنت الطلبة ورعتهم من الناحية المادية والأدبية ووضعت لهم مناهج للتكوين الأدبي والاجتماعي والوطني والسياسي[2].

فلما عاد أبو اليقظان من تونس سنة 1914م فتح مدرسة تأويهم في القرارة وزودها بناد أدبي، ليتدرب فيه الطلبة على ممارسة الفنون الأدبية، وليطبقوا فيها ما يأخذونه من دروس في المدرسة[3].

فأصبحت هذه الجمعيات والنوادي حلقة لتحفيظ القرآن الكريم، وتدريس علومه للبنين والبنات في مؤسسات تربوية لمختلف المستويات، ودعم المردود المدرسي وتطويره، كما أن هذه الجمعيات اهتمت باللغة العربية لسانا وقلما، وبثت الرسالة الإسلامية لتعميق الشعور الديني والحس المدني ونشر الأخلاق الوطنية السامية[4].

يقول محمد بن قاسم ناصر بوحجام: « في الحقيقة إن النوادي والجمعيات الثقافية التي وجدت في ثلاثينات القرن العشرين في الجزائر، كان لها فضل كبير في النهضة

---

[1]- نفسه، ص، 231.

[2]- محمد بن قاسم ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص ص، 34-35.

[3]- نفسه، ص، 38.

[4]- ابن مصطفي بن داود، المرجع السابق، ص، 223.

الجزائرية الحديثة، إن فترة الثلاثينيات كانت فترة عصيبة على الجزائر، نتيجة للمخططات التي كانت توضع لتدمير الشخصية الجزائرية، والمؤامرات كانت تدبر للقضاء على الهوية العربية الإسلامية للجزائر...فكان من بين الوسائل تأسيس نوادي لتقوم بهذه المهمة وهذه الرسالة»[1]، وبالفعل فإن النوادي والجمعيات التي نشطت في الثلاثينيات من القرن العشرين كان لها تأثير في المجال التعليمي والروحي والسياسي.

ويذكر محمد علي دبوز في كتاب نهضة الجزائر: « وما من عمل خيري يلوح إلا ونجد هذه الجمعيات سباقة إليه، فازدهرت النهضة بفضلها كل الازدهار، وعم الإصلاح كل أنحاء ميزاب، وقرت عيون المصلحين ببلوغ الغاية التي يسعى إليها بناة النهضة –رحمهم الله– ولما جاء الاستقلال، وجد وادي ميزاب قد تم تعريبه وتكوينه، واستعد استعدادا كبيرا لمعارك البناء والتشييد»[2].

لازالت هذه الجمعيات تقوم بهذه الأدوار الحضارية من تعليم وتوعية وإرشاد، لمؤازرة الحركة الوطنية الجزائرية، وتعرض معركة الدفاع عن الوطن والإسهام في بنائه.

✓ **أقلام مزابية مقاومة في الصحافة الوطنية:**

إذا كانت القارة الأوروبية قد عرفت الصحافة بمفهومها العصري منذ القرن السادس عشر بفعل انتشار الطباعة وازدهار التجارة، فالجزائر قد تأخرت عن اللحاق بهذا الركب، ولا شك أن للصحافة الأوروبية المتدفقة خاصة الاستعمارية منها التأثير البالغ في توجيه الجزائريين إلى الميدان الصحفي[3].

[1]– محمد بن قاسم ناصر بوحجام، المرجع السابق، ص، 45.

[2]– محمد علي دبوز، المصدر السابق، ص، 232.

[3]– صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية، ألفاديزاين، الجزائر، 2006م، ط2، ص، 09.

ولما وجدت الإدارة الفرنسية نفسها مضطرة لإيجاد وسيلة تخاطب مع الأهالي والطبقة التي تحسن اللغة الدخيلة، بادرت إلى إصدار جريدة المبشر سنة 1847م، استمرت إلى غاية 1927م تطبع باللغة الفرنسية والعربية التي لم ترتق إلى الفصحى، واستعملت فيها ألفاظ عامية، كان من أبرز محرريها محمود كحول، وقد اختصت في البلاغات والنصوص القانونية والترقيات، وتناولت مواضيع تبرر السياسة الاستعمارية في الجزائر[1].

هذه الجريدة الناطقة بالفرنسية الاستعمارية قد استفاد منها الجزائريون النخبة، لما لاحظوا كيف طالب الكولون بحقوقهم من الإدارة الفرنسية بكل جرأة.

ومما لا شك فيه أن الصحافة المشرقية وفي مقدمتها المصرية قد قدمت نموذجا حيا للجزائريين، وكان ذلك مع بداية القرن العشرين، لما اتصل رواد الإصلاح الجزائريين أمثال محمد بن مصطفي، بن خوجة، وعبد الحليم بن سماية، وعبد القادر المجاوي بمجلة المنار العبدوية وعبروا عن أحاسيسهم المتدفقة اتجاه هذه الجريدة، رغم أن وصولها إلى الجزائر كان في منتهى الصعوبة والسرية، إلا أنها ساعدت الجزائريين في إيجاد وسيلة وسبيل لإيصال أفكارهم الإصلاحية[2].

فتأثير الصحافة المشرقية وظهور المبشر، كان بادرة خير على الصحف الجزائرية فاستفاد الجزائريون النخبة من هذه التجربة، رغم أن جريدة المبشر كان لها مقاصد استعمارية تخدم إدارتها، إلا أنها منحت فرصة ظهور أول صحفي جزائري على صفحاتها، وهو السيد

---

[1]- مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، حم وتح: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003م، ص 34.

[2]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص ص، 9-10.

سليمان بن الصيام الملياني[1]، حينما كتب عمودا قدم فيه للجمهور تفاصيل تنصيب نابليون الثالث في باريس[2].

ويبدو أن الجزائريين أرادوا الاستفادة من قانون 1881م الذي ينص على حرية الصحافة ويبين كيفية النشر والتوزيع، على أن يكون القانون ساري المفعول في الجزائر، وبمجرد صدور جريدة المنتخب ورغم أن صاحبها فرنسي، انتهكت الإدارة الحاكمة القانون، وبات من الواضح أن السلطة الحاكمة ستقف متجبرة اتجاه كل جريدة أو دورية أو مجلة تمجد الوطنية وترمي إلى الإصلاح[3].

إن العمل الصحفي من أبرز الأساليب التي كانت تسعى ورائها الشعوب المضطهدة للمطالبة بحقوقها وكشف مظالم المحتل وعلى هذا اختار الجزائريون الصحافة وعرفوا نوعا من التسهيلات في زمن الحاكم "جونار"، فدعا بعض الجزائريين إلى إصدار الصحف لإعادة الاعتبار للمجتمع الجزائري، وعلى هذا الأساس قد اتخذ بنو مزاب من الصحافة وسيلة نضال، فتونس كانت من أبرز البلدان التي ينشط فيها المزابيون إعلاميا سواء كتابيا أو دعما ماديا، وفي إطار هذه المجهودات نذكر ما قام به محمد الثميني من أجل الترويج لجريدة البصائر والمنار[4].

✓ **الجرائد المزابية:**

1. جريدة "الصديق":

---

[1]- سليمان الصيام: من مواليد مليانة أبوه من أعيانها، يعتقد أنه سهل دخول فرنسا المنطقة، وعلى إثرها عينوه آغا، ورفع من مقامه. ينظر: الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، رواد الصحافة الجزائرية، ط1، مطبع دار الشعب، القاهرة، 1981م، ص، 28.

[2]- نفسه، ص، 15.

[3]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص، 12.

[4]- محمد بوسعدة، دور مزاب، المرجع السابق، ص، 225.

صدر عددها الأول يوم 12 أوت 1920م، وهي جريدة علمية أدبية اقتصادية صاحبها محمد بن بكير التاجر، من أعيان وادي مزاب، وقد تولى تحريرها المولود بن محمد الزريبي الأزهري، كانت تطبع في مطبعة "سرلال"، فهذه الجريدة من أشد جرائد عصرها تهكما على الاحتلال[1]، لم تسلم من اضطهاد السلطات الحاكمة مرارا، وفي هذا الجو الخانق اضطرت إلى التوقف عن الصدور بعد أن برز منه أربعة وخمسون عددا، وذلك يوم 22 مارس 1922م[2].

2. جريدة "الحياة":

صدر عددها الأول في أفريل 1932م[3] تطبع بالمطبعة العربية بالجزائر لها عددين في الشهر تحت إشراف جمعية "الوفاق" وإدارة كاتبها العام باسعيد عدون، يحررها مفدي زكرياء، وكان صاحب امتيازها "جوكلاري محمد الشريف" وهؤلاء معروفون بنزعتهم المناهضة للاحتلال[4].

3. مجلة "المنفي"" المنهاج":

لقد اخترت لمجلة المنهاج اسم المنفى لكون هذه المجلة كانت لسان حال الجزائر في الخارج ومحررها هو جزائري ووطني مخلص عانى ما عانى منه الوطنيين الثائرين على الظلم والاستبداد، نفي مرتين إلى تونس ومنها إلى مصر سنة 1923م، ومنذ أن نفي شارك بمقالاته المتعددة في الصحافة العربية الإسلامية، فكان قلما فعالا، وناصر القضايا العربية، إذ شارك في العديد من الصحف والمجلات بمواضيع سياسية ودينية وتاريخية موضحا توجهاته وأرائه التي دعا من خلالها إلى وحدة إسلامية وتوحيد الجهاد ضد الاحتلال، فكتب

[1]- مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص، 68.

[2]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ج1، ص، 51.

[3]- مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص، 183.

[4]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ج1، ص، 208.

في مجلة الفتح لصاحبها محب الدين الخطيب[1] ومجلة الهدايا التي أصدرتها جمعية الهدايا الإسلامية، وكتب مقالات حول المذهب الإباضي في مجلة الزهراء لصاحبها محي الدين الخطيب وشارك بمقالاته في جريدة الوزير التونسية[2].

فتجربة تقربه من الزعيم السياسي محب الدين الخطيب أهلته لتأسيس مجلة المنهاج سنة 1344هـ/1925م، فالشخصيتين كانت ترى أن الصحافة همزة وصل بين الشعوب، وقد نوه في مقدمة أول عدد من مجلته بذلك قائلا: «...الصحافة من أكبر الوسائل إلى نفع الأمم وإرشادها ونشر الحق وتدحض الباطل»[3].

اختار أبو إسحاق اسم "المنهاج" عنوانا لمجلته ليعبر عن منهجها الإسلامي العربي واتجاهها الوطني الصحيح، وقد أوضح ذلك عن اتخاذه الآية فأل خير وشعارا للمجلة، قال تعالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" "المائدة: 48"، طبعت في المطبعة السلفية بالقاهرة، فصدورها خارج الجزائر ساعدها للقيام بدور وطني رائد بعيدا عن الرقابة والتضييق، فكانت الممثلة الوحيدة التي أبلغت صوت الجزائر المضطهدة خارج الوطن[4].

مجلة المنهاج عبرت عن توجهات الإصلاحيين الجزائريين خارج الوطن، وعرفت بقضاياهم في ربوع البلاد الإسلامية، وكانت مبدأ تنافسيا للنضال السياسي، وحاربت التجنيد الإجباري الذي فرضته الإدارة الاستعمارية، وفضحت مخططات الإحتلال ومناهضة

---

[1]- محب الدين الخطيب: ولد سنة 1304هـ/1886م بدمشق، درس على يد الشيخ طاهر الجزائري وهو مفكر وزعيم سياسي كبير، أسس المطبعة والمكتبة السلفية وأصدر مجلة "الزهراء" و"الفتح" وتحرير مجلة الأزهر الشريف، وأنشأ جمعية الشبان المسلمين. ينظر: محمد عبد الرحمن سرح "محي الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1990م، ص، 77.

[2]- قاسم الشيخ بلحاج، نشاط الميزابيين في الصحافة الوطنية تونسية، مجلة الحياة، ع09، جمعية التراث، الجزائر، 2005م، ص، 243.

[3]- أبو إسحاق، "مقدمة المنهاج"، ع1، محرم 1344هـ/1925م، ص، 02.

[4]- محمد صالح ناصر، الشيخ إبراهيم أطفيش، المرجع السابق، ص، 166.

مشاريعه، فكان من بين مقاصد أبي إسحاق نقل القضايا الجزائرية إلى الساحة المشرقية والتعريف بها[1].

فالمتتبع لمواضيع المجلة يفهم أن الاحتلال والإلحاق ظواهر لا صلة لها بالعالم الإسلامي، وتعتبره من مسببات التخلف والاضطهاد وكبح الحريات، فتأسس المجلة كان رد فعل لهذه الظواهر اللاحضارية، فالكشف عن هذه المخططات والسياسات من اختصاص مجلة المنهاج وقد أشرف عليه مجموعة من المفكرين وفطاحل الصحفيين أمثال سليمان الباروني ومحب الدين الخطيب، هؤلاء الذين وضعوا الأصبع على الداء وبينوا أسباب التأخر والتخلف ودعوا إلى توحيد الصفوف.

استمرت مجلة المنهاج سبع سنوات صدر منها سبعة عشر عددا، عانت في سبيل الاستمرارية والوجود، فكان الشيخ أبو إسحاق يلقى صعوبات جمة في تمويلها، وهذا ما أفصح عنه من خلال مراسلاته مع صديقه أبي اليقظان، فمجلة صادقة مثل "المنهاج" لابد أن يتربص لها الأعداء، فيقول الدكتور محمد ناصر: «..ومجلة مثل (المنهاج) أثرت الصراحة في قول الحق، لابد أن يكون لها أعداؤها الذين يتربصون بها الدوائر، بل ربما عملوا على إسقاطها والحيلولة دون سيرها»[2].

في هذه الظروف الصعبة استلم محب الدين الخطيب المجلة لمساعدة صديقه من جهة، ولأنه اعتبر المجلة ذات اتجاه إسلامي عربي من جهة أخرى، واستمر في نشر كل ما يهم المسلمين وخاصة موضوعات التبشير والاستشراق، غير أنه لم يتطرق في هذه المرحلة إلى قضايا المغرب العربي، وللأسباب السالفة الذكر توقفت المنهاج سنة 1350هـ نهائيا[3].

---

[1]- أبو إسحاق، المنهاج، المرجع السابق، ج1، م1، ص، 66.

[2]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص، 185.

[3]- نفسه، ص، 189.

عرف الشيخ أبي إسحاق ومجلته المنهاج بصدق الكلمة وسلفية المنهج وعروبة النزعة وكان يهتم في كتاباته بأحوال المغرب العربي ويكشف للمسلمين ما يقترفه المحتل في تلك البلاد الإسلامية من أعمال النهب والسطو واللصوصية على تراث ومقدرات تلك البلاد، وما يسعى لتنفيذه من أعمال التبشير ومحاربة العروبة والإسلام، فيقول الشيخ: «لم يزل المستعمرون يكيدون للإسلام والمسلمين، ويأتون كل ضرب من ضروب الظلم والإرهاق لكي يخمدوا للمسلمين حركاتهم ويسلبوا منهم كل قوة للحياة»[1].

قد اكتست مجلة المنهاج دورا بالغ الأهمية باعتبار محررها "أبو إسحاق" صاحب القلم السليط الذي طالما سلطه على المحتل وتحداه به، هذا الالتهاب كان بسبب الابتلاء في شخصه والنفي مرتين على إثر ظلم المحتل، هذه الوطنية الصادقة والشخصية الكاريزمية دعت إلى نهضة تلوح في الأفق روادها رجال مخلصون في مقدمة الركب وأقلام نزيهة تستمد من الإسلام قوتها.

✓ **شيخ الصحافة ابي اليقظان:**

كانت الصحافة التونسية منبرا مفتوحا وساحة فكرية وأدبية وسياسة ساعدت الجزائريين وخاصة النخبة المثقفة أمثال الشيخ أبو اليقظان إبراهيم من الكتابة على صفحات جرائدها على غرار المنبر لصاحبها الشاذلي المزالي حوالي سنة 1916م، وجريدة الزهرة اليومية لصاحبها عبد الرحمن الصنادلي سنة 1889م[2]، وكتب في جرائد جزائرية كجريدة الفاروق لعمر بن قدور سنة 1914م، وجريدة البصائر، وربط علاقات مع شخصيات سياسية وصحفية أمثال الأمير خالد صاحب "الأقدام" وعبد الحميد بن باديس صاحب "الشهاب"

[1]- إبراهيم أطفيش، "ماذا يراد بالإسلام والمسلمين؟"، مجلة المنهاج، المصدر السابق، ج1، م1، ص، 54.

[2]- دي طرازي، الفيكونت فيليب، تاريخ الصحافة العربية، ج4، المطبعة الأمريكانية، بيروت، 1933م، ص، 25. ينظر كذلك: عبد القادر عزام عوادي، المرجع السابق، ص ص، 177-178.

ومبارك الميلي صاحب "المنتقد" والبشير الإبراهيمي صاحب "البصائر" والسعيد الزاهري صاحب "البرق" والطيب العقبي صاحب "الإصلاح"[1].

إن دواعي دخول أبي اليقظان ميدان الصحافة يتمثل في نقطتين أولهما معارضته الشديدة للتهم التي ألصقت به أثناء قيادته للبعثة العلمية، وثانيهما والذي دفع به إلى تأسيس جريدة بنفسه هو قانون التجنيد الإجباري[2]، فاستطاع خلال ثلاثة عشر سنة من إصدار ثمانية صحف واستحق بذلك لقب شيخ الصحافة في الجزائر.

يقول عنه الشاعر والأديب مفدي زكرياء: «إذا كان لقب شيخ الصحافة جديرا بأحد من أرباب الصحافة بالجزائر، فالشيخ أبو اليقظان يمتاز بهذا اللقب بجدارة واستحقاق»[3].

✓ **جدول جرائد الشيخ أبي اليقظان:**

اسم الجريدة	تاريخ الصدور	تاريخ التعطيل	أعدادها
وادي مزاب	01 أكتوبر 1926م	18 جانفي 1929م	119
ميزان	25 جانفي 1930م	05 فيفري 1930م	01
المغرب	29 ماي 1930م	09 مارس 1931م	38
النور	11 سبتمبر 1931م	02 ماي 1931م	78
البستان	27 أفريل 1933م	03 جويلية 1933م	10
النبراس	21 جويلية 1933م	22 أوت 1933م	06
الأمة	08 سبتمبر 1933م	06 جوان 1938م	170
الفرقان	08 جويلية 1938م	03 أوت 1938م	06

[1]- الزبير سيف الإسلام، المرجع السابق، ج6، ص، 56.

[2]- محمد بن أحمد جهلان، قضايا الإصلاح الاجتماعي في مقالات جريدة الأمة لأبي اليقظان (1938/1934م)، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، 2013م، ص، 62.

[3]- مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص، 65.

أول مبادرة للشيخ أبي اليقظان كانت في أكتوبر 1926م، فأنشأ أول جريدة عربية باسم "وادي ميزاب" تجرع في سبيل سيرها تكاليف طباعتها في تونس وتعود ملفوفة بجرائد "النهضة" و"الزهراء" لتوزع في الجزائر لمدة عامين ونصف لم تتخلف عن الظهور قط[1]، وكان من يساعده في طباعتها السيد محمد الثميني وتعموت الحاج عيسى بن الشيخ قاسم، وبعد إنشاء المطبعة "العلوية" في الجزائر بدأ يطبع فيها[2].

ويبدو أن الشيخ أبو اليقظان قد أتعبه التصحيح والحذف المتعمد من طرف المطبعة العلوية، وبعد المسافة بعدما تحولت من الجزائر العاصمة إلى مستغانم، ففكر بجدية في إنشاء مطبعة خاصة تعنى بطباعة جرائده وكل ما هو عربي إسلامي، فكانت لهذه المطبعة أهمية ودور بالغ، وقد نوه سليمان بوجناح بهذه الأهمية بقوله: «إن المطابع بمثابة معمل يبرز نتاج أدمغة الرجال..." [3]، وكان تأسيس المطبعة أوائل 1931م، وكان مقرها حي رفيقو "دبيح الشريف حاليا»[4].

لاشك أن الجزائريين قد أدركوا أهمية الطباعة عندما شاهدوا انتشارها في تونس مثل مطبعة محمد التليلي في نهج جامع الزيتونة والمطبعة التونسية، والمطبعة العربية لزين العابدين السنوسي التي طبعت لأحمد توفيق المدني الكثير من أعماله[5].

---

[1]- محمد صالح ناصر، مشايخي..، المصدر السابق، ص، 58. ينظر كذلك محمد صالح ناصر، أبو اليقظان... ، المصدر السابق، ج2، ص، 18. ينظر كذلك أحمد فرصوص، المرجع السابق، ص، 114. ينظر كذلك علي بن أحمد أوجانة، المرجع السابق، ص، 223.

[2]- يحي بن بهون،"الشيخ إبراهيم أبي اليقظان في جهاده الصحفي من خلال أشعار عمر بن عيسى بلعيد البرياني"، مجلة الواحات، ج11، ع 01، جامعة غرداية، 2018م، ص، 75.

[3]- جمعية التراث، كتاب مهرجان الصحافة الشيخ أبي اليقظان الحاج إبراهيم بن عيسى في الذكرى الثلاثين لوفاته 1973م، 2003م، تق تح: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، ط1، المطبعة العربية، 2011م، ص، 129.

[4]- محمد صالح ناصر، أبو اليقظان، المصدر السابق، ج2، ص، 134.

[5]- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج1، ص، 214.

بإصدار الصحف وإنشاء المطبعة ساهم الشيخ أبو اليقظان في نهضة الجزائر وإصلاح مجتمعها في وقت صعب على الصحافة التحرك في هذا الاتجاه، فيقول عنه الشيخ أطفيش صاحب المنهاج: «كان أبو اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى من الشباب النابغ والمساهم في نهضة الجزائر عن طريق العمل الإصلاحي والصحفي في ظرف كانت فيه الجزائر تعيش تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، وبالرغم من ذلك لم تمنع هذه الظروف من قيام الصحافة العربية....» [1].

ولما امتازت جرائد الشيخ أبي اليقظان عامة بالطابع الإصلاحي الوطني ومعالجتها لمشاكل الأهالي المحلية وتطرقها إلى القضايا العربية الإسلامية، كان سببا كافيا لتعرضها للمصادرة والمضايقة بعد كل فترة وجيزة من الإصدار، إلا أن الشيخ كان دوما يحضر لصحيفة أخرى تخلف التي صودرت، فكان يصارع ويتحدى الإدارة الفرنسية، قال عنه الأستاذ محمد خير الدين: «وكان لبعض أعضاء جمعية العلماء نشاطهم الصحفي فأصدروا صحفا طال زمن صدورها أو قصر، من ذلك جرائد لأبي اليقظان كلما عطلت له جريدة عوضها بأخرى»[2].

هذا التضييق كان بسبب تأييد صحف وجرائد أبي اليقظان للحركة الوطنية الجزائرية، ففي كثير من المرات كان سبب مصادرتها هو أنها ساندت حزب سياسي أو اهتمت بمسار إصلاحي، وفي هذا الصدد يذكر مفدي زكرياء ما يلي: «وكانت جريدة "وادي ميزاب" وما تلاها من جرائد أبي اليقظان تؤازر بصفة مباشرة، وتارة بطريقة غير مباشرة الحركة الوطنية التي كانت تتبناها "نخبة إفريقيا الشمالية" عام 1930 وعام 1937م»[3].

---

[1]- إبراهيم أطفيش، "أبراهيم ابو اليقظان"، مجلة المنهاج، ج2، م1، المطبعة السلفية، مصر، د.ت، ص، 135.

[2]- محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985م، ص، 298.

[3]- مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص، 170.

فهذه الوطنية الصريحة جعلها تتلقى حتفها بعد صدورها بقليل، ورغم هذه المتابعة والمتاعب فإن جرائد أبي اليقظان قد ساهمت في الميدان الاجتماعي والتربوي والأخلاقي فمجهوداتها الموفقة، ويمكن أن تكون مرجعا لا غنى عنه في تاريخ المعارك الفكرية والسياسية مع المحتل أو في مجال مراحل التقدم والتطور الفكري الاجتماعي.

لاشك أن الجوانب الاجتماعية في جرائد الشيخ طغت على الجوانب السياسية، فاختصت بأسلوب الدعوة والإصلاح، فكان أبو اليقظان خادما لهذا الاتجاه والمنهج حتى النخاع مما جعل المشارقة ينوهون به، حيث قال الشيخ: "...ومن أجل هذا كانت فصول أغلب صحفنا اجتماعية أكثر منها سياسية حتى ضج بعض إخواننا في الشرق وقالوا: أن فصول صحف أبي اليقظان هي أليق بعرصات المسجد منها بأعمدة الصحف"[1].

بفضل هذه الشهادات حققت جرائد أبو اليقظان سمعة طيبة، اختصت بأسلوبها الخاص في معالجة الأمراض والآفات الاجتماعية.

فبرغم أن أعمدة السياسة في جرائد أبي اليقظان وعلى قلتها، إلا أنها كانت حاسمة اشتغل عليها فطاحل الصحفيين الجزائريين أمثال سليمان بوجناح "الفرقد" صاحب العلم الثابت، فكان يدعو الكُتاب إلى هذا المبدأ قائلا: "أيها الكاتب علام تخون مبادئك وأنت تعلم أنها في الحقيقة حق وأنها صواب، أثبت عند مبادئك الصحيحة واعمل بمقتضاها بقدر المستطاع، ولكن بكل ما أوتيت من حكمة ومهارة ومن قوة وثبات..." [2].

هذا النزعة التي امتاز بها "الفرقد" قد عاد بها من الجارة تونس، بعدما شهده من تجارب هناك، فتبلور هذا الفكر السياسي بشكل كبير في ذهنه، وجعله أكثر حماس ورغبة في دخول ميدان الصحافة رغم صغر سنه، ولاشك أن اندفاعه وحماسه الزائد كان بسبب

[1]- حسين يوسف، أسلوب الدعوة ووسائلها عند الشيخ أبي اليقظان، مجلة الموافقات، ع05، 1992م، ص 419.

[2]- نقلا عن الدكتور محمد صالح ناصر، المصدر السابق، ص 115.

الوضع الراهن في الجزائر ووادي مزاب، فالظلم والتعسف دفعته لإعلان حرب شعواء ضد إدارة المحتل[1].

فالفرقد ظاهرة مميزة، ليس في غزارة الكتابة فحسب، ولكن في عدد الصحف والجرائد التي كتب فيها أيضا، سواء كاتبا أو مترجما من العربية إلى الفرنسية أو العكس، حيث بلغ عددها 23 جريدة، منها جريدة النجاح، ولكن بسبب مقالاته العدائية للمحتل استقبل رسالة من مديرها "مامي إسماعيل" يطالبه فيها بأن يكون أقل هجوما وأكثر اعتدالا، فأعلن الفرقد مقاطعته، وكتب في صدى الصحراء، والشهاب، والمنتقد، وجريدة الأقدام، والكفاح الاجتماعي "La Lutte Sociale"، وهنا يبدو أن هذا الإقبال لغاية النضال السياسي، فالمقالات التي نشرها كانت سبب استنطاقه وسجنه ونفيه[2].

وربما هذا الاتجاه في كتابة المقالات كان سببا في منع توزيع جريدة "وادي ميزاب" لأنها كانت تعادي الإدارة، فأصدر قرار منعها[3]، ففي هذه الجريدة لوحدها نشر الفرقد 24 مقالا.

أما جريدة المغرب فقد ارتبط بها "الفرقد" ارتباطا وثيقا، وكان يمضي مقالاته أحيانا هكذا (ف...)، قال عنه الشيخ محمد صالح ناصر: «فقد كان من أبرز كتابها وأغزرهم قلما، وأشدهم حرارة وأصدقهم لهجة، وقد برز هذا الكاتب في المجال السياسي بصفة خاصة وطبع جريدة "المغرب" بطابع خاص، ولاسيما في الأعداد ما بين 20 و27، وتولى تحرير أغلب مواردها في الافتتاحية، وغيرها سواء كان ذلك في ما كتبه عن السياسة الوطنية أو عن السياسة العالمية...» [4]، فالجريدة قد صنف فيها "الفرقد" 16 مقالا[1] هذه المساهمات

---

[1]- علي بن أحمد أوجانة، المرجع السابق، ص 73.

[2]- علي بن أحمد أوجانة، المرجع السابق، ص ص، 79-81.

[3]- ر م ع ح ملف Aboulyakdane رقم 2074/31.(الملحق 17)

[4]- محمد صالح ناصر، المصدر السابق، ص، 113.

الجريئة وتكريس حرية التعبير كانت سببا في منع توزيع جريدة المغرب يوم 1931/03/09م ونفي "الفرقد" سليمان بوجناح إلى بني عباس[2].

جرائد أبي اليقظان أتاحت الفرصة لكثير من الأعلام المزابية من البروز في هذا العالم، أمثال الشاب الزيتوني عبد الرحمن بن عمر بكلي "البكري"، حينما أقبل على نشر أول مقالاته سنة 1926م، فاستنهض الأمة من منطلق القناعة والإيمان بضرورة التطور والتقدم[3].

ومن خلال عملية جرد وإحصاء لعدد المقالات التي كتبها في هذا الشأن في صحف أبي اليقظان، فقد تعدت 98 عملا فكريا منشورا بين عربي ومترجم، فعلا كان "البكري" المعين للشيخ أبي اليقظان في نضاله الصحفي لاسيما ما تعلق بالتعريب والترجمة، لتضلعه في اللسانين[4].

هذه الشخصيات وغيرها كان لها مفعولها في توجيه منحى سير جرائد أبي اليقظان وربما الظروف أثرت أكثر، فجريدة الأمة مثلا كانت أكثر الجرائد اهتماما بالجانب السياسي، وهذا راجع لطبيعة الفترة الحساسة، فانعقد فيها المؤتمر الإسلامي جوان 1936م، ووقعت فيها أحدث قسنطينة 1934 بين والمسلمين واليهود، وقضية حل حزب الشعب 1937م، وسجن مصالي الحاج ورفاقه، فأصبحت نظرة الجريدة للواقع الجزائري كونه واقع سياسي يتطلب قيادة موحدة ضد دسائس المحتل[5].

---

[1]- علي بن أحمد أوجانة، المرجع السابق، ص ص، 225-226. ينظر كذلك: محمد صالح ناصر، أبو اليقظان المصدر السابق، ص 305 وما بعدها.

[2]- عمر بن موسى، القضايا الوطنية، المرجع السابق، ص، 152.

[3]- عبد الرحمن بن عمر، بصمات البكري الصحفية في أرشيف النهضة الجزائري الحديثة 1926-1938م، تح. تق: قاسم بن حمو، نشر مكتبة البكري ،المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 2003م، ص ص، 2-3.

[4]- محمد بن أحمد جهلان، المرجع السابق، ص ص، 199-200.

[5]- خيري الرزقي، المشرق العربي، المرجع السابق، ص، 66.

ففي عددها 03 بتاريخ 1934/10/02م تساءل أبو اليقظان عن إمكانية تأسيس حزب وطني جزائري لما أعجب بعبقرية بن جلول قائلا: «ولقد ظهر للعيان اتفاق الأمة في شخص نوابها حول زعيمها الجليل في ذلك الاجتماع الرهيب الذي عقدته جمعية النواب في 24 سبتمامبر في قسنطينة للنظر فيمن يستحق الترشح للأقسام الست في نيابة العمالة، ذلك مما جعلنا نتساءل (هل في الإمكان تأسيس حزب وطني جديد؟)»[1].

اعتبر أبو اليقظان العمل الصحفي من أبرز الوسائل للنضال التي تسعى من خلالها الشعوب المحتلة للمطالبة بحقوقها والتعريف بقضاياها، وعلى هذا الأساس كانت الأقلام المزابية قد اتخذت من الجرائد والصحف منبرا لنضال المحتل داخل وخارج الوطن.

فوفق الشيخ أبو اليقظان في إعطاء وصف دقيق لدور الصحافة بقوله: «فهي الأم المثقفة لأولادها والمدرسة السيارة المهذبة لأبنائها، والمعلم النصوح لتلاميذه، والمرشد الحكيم لمريده، والطبيب الحاذق لمرضاه، والمصلح الكبير لشعبه»[2].

فرد الطيب العقبي على من انتقده واعتبر الصحافة لهوا ولعبا اكبر دليل على أهمية ودور الصحافة قائلا: «من الضروريات في هذا الوقت، وهي من الأمور التي أدعو إليها وأرغب الناس في قرائتها، وأرجو من الله على ذلك أجرا وثوابا»[3].

ولقد وصف جان ميرانت مدير الشؤون الأهلية بالولاية العامة الجرائد والصحف بقوله: «إن الجرائد هي هذه الآلة التي تجمع في وقت واحد بين السياسة والقوة.....وإنها هي التي

[1]- مجهول " هل في الإمكان تأسيس زب وطني جزائري!؟"، جريدة الأمة، ع03، 1934م، ص، 01.

[2]- أبو اليقظان، "أي هكذا"، جريدة السبت، ع07، جوان 1933م، نقلا من قاسم بن أحمد، معالم النهضة، المرجع السابق، ص، 443.

[3]- الطيب العقبي، "بماذا ينتقدون علي"، جريدة الإصلاح، ع07، 1929/11/07م، ص، 03.

شع منها النور فبدد الظلام الذي كان يلف الشعوب المتخلفة»[1]، غير أن هذا الاعتراف الصحيح سيصبح سافرا عندما يتعلق الأمر بالجزائريين.

الصحافة تظهر الخلفيات السياسية، ومقاصد النهضة، فالقلم الصحفي هو لسان حال الحركة الوطنية، فالجرائد المزابية وأقلامها اللامعة قاومت المحتل، وبينت خطره وضرورة التحرر منه وألحت على الأخذ بأسباب التقدم والرقي، فالصحافة إذا قامت عليها أقلام صادقة تعكس واقع المجتمع وتحافظ على مقوماته.

فالجرائد والصحف التي ظهرت في تلك الفترة الحاسمة لها منطلقات وخلفيات حزبية وسياسية ستجعل منها مصدرا مهما لكتابة التاريخ، وصناعة الرأي العام، وهذا البيت الشعري لصاحبه أبي اليقظان تلخص كل شيء:

إن الصحافة للشعوب حياة والشعب من غير اللسان موات[2]

✓ أعلام مزاب والسياسة الدينية الفرنسية 1830-1954م:

الاحتلال الفرنسي لا يعدو أنّ يكون في سطوته الفكرية إلا امتداد للحملات الصليبية على بلاد الإسلام، وهذا ما صرحوا به عندما دخلوا الجزائر، قائلين جئنا لنحول أرضا عربية مسلمة إلى مستعمرة لاتينية مسيحية[3].

---

[1]- نقلا عن: محمد صالح ناصر، تاريخ الصحف، المصدر السابق، ص، 12.

[2]- إبراهيم أبو اليقظان، ديوان أبي اليقظان، ج1، المصدر السابق، ص، 90.

[3]- محمد صالح ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903م إلى 1931م، مج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م، ص، 64.

ولا ريب أنّ الإحتلال الفرنسي شكل حلقة من حلقات الحروب الصليبية التي شنها العالم الأوروبي المسيحي على العالم الإسلامي، والتي ذكتها تلك الممارسات المجسدة ميدانيا من قبل الفرنسيين على حساب الجزائر دولة ومجتمعا، بحكم أن الجزائر قلعة للجهاد البحري في الحوض الغربي للمتوسط، ودرعا واقيا للخلافة العثمانية، والأكيد أن الحملة الفرنسية كانت لها أبعادها الدينية الهدامة التي استهدفت البنية الحضارية الإسلامية الجزائرية، وأملا في إحياء أمجاد قديسي الكنيسة[1].

لهذا اعتبرت فرنسا عملية احتلال الجزائر بداية إحياء الماضي وتحقيق حلم إفريقية الجديدة (المسيحية)، إذ أن احتلال الجزائر ذكر بأمجاد الكنيسة الإفريقية، لأن استرجاع التقاليد المسيحية أمر تستوجبه الحقوق التاريخية وهذا حسب منظورهم[2].

إن الإسلام في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي انتابه فئات تتصارع من أجل السيطرة على العامة وفي مقدمتهم الطرقية التي روجت للخرافات والانحطاط، وفئة ثانية مثقفة بالثقافة الفرنسية دعواهم تقليد الغرب والانبهار بإنجازاته، وفئة أخرى وهم رجال الدين الرسميين الذين بثوا الدعاية للإدارة الحاكمة والتبعية المطلقة للمحتل طمعا في المناصب والمال[3]، ولاشك أن ما زاد من هذه الحالة ظهور فئة المنصرين التي عملت على إظهار وجه الطيبة والتحبب والمواساة والأخوة في هذا الصراع[4].

---

[1]- مزيان سعيدي، من مظالم السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر 1830-1870م، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، عدد خاص، أعمال الملتقى الوطني 17 و18 أفريل 2007م، مظالم الاستعمار الفرنسي، المدرسة العليا للأستاذة، بوزريعة، الجزائر، 2007م، ص، 41.

[2]- Marcel Émérite, La lutte entre les généraux et les prêtres au début de l'Algérie française, RA 1953, pp 61-62.

[3]- محمد أحمد جهلان، قضايا الإصلاح الاجتماعي، المرجع السابق، ص 82.

[4]- محمد مرغيت، "سياسة التنصير ودورها في المخطط الإستعماري الفرنسي بالصحراء"، مجلة التاريخية الجزائرية، ع04، جامعة المسيلة، 2017م، ص، 126.

هذه الظروف تؤكد أن سياسة التنصير كانت تقوم على دراسات وعلى أسس وأبحاث أنثروبولوجية استعمارية، تحاول إدارة المحتل من خلالها توظيف كل الإمكانات لدمج العنصر العربي المسلم بعد تمسيحه في المجتمع الأوروبي، وهذا ما صرح به وزير الحربية الفرنسي كليرمون تونير"Clermont Tonnere" والذي كان قد أعد مشروعا لاحتلال الجزائر قائلا: «لعل الوقت سيجعل من حضنا نحن الفرنسيين تمدين الجزائريين بجعلهم مسيحيين»[1]، ونفهم من تصريحه هذا أنه أراد من الحكومة الفرنسية استغلال كل هذه الظروف المحيطة بالجزائر من أجل إدماجها نهائيا في المجتمع الغربي، ولن تصبح بعد ذلك قادرة على المقاومة.

فالمتتبع لمسألة التنصير في العالم الإسلامي ومساعي الأوروبيين في سياسة الإدماج الديني كان نابعا أساسا من إحساسهم بالخوف من أن الإسلام يجمع آمال الشعوب المسلمة وهو كفيل من أن يأمرهم بالجهاد ضد الكفر، وبالتالي يصبحون قادرين على التملص من السيطرة الأوروبية.

وقد عرفت الجزائر أثناء الاحتلال ذروة النشاط التنصيري لما إلتحق الكاردينال شارل لافيجري"Charles Lavigerie"[2] بمهمة التبشير بالجزائر بعد تجربته الدنيئة في الشام، وقد

1 – Pons (mgh), La nouvelle église d'Afrique ou le Catholicisme en Algérie, en Tunisie ou Maroc depuis 1830, ed Lois nomureations sd, p 106.

2– شارل لافيجري: رجل دين مسيحي ولد بفرنسا، كان قسا بمدينة نانسي وأستاذ للتاريخ الديني بالكلية الدينية بباريس، ونظرا لتجربته تم تعيينه على رأس الأسقفية في الجزائر سنة 1867م، أنظر: ابو القاسم سعد الله، تاريخ...، المرجع السابق، ج6، ص، 119.

صرح قائلا: «يجب أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا للأمة الفرنسية المسيحية، وينبغي أن ننشر حولنا الأضواء الحقيقية للحضارة المستمدة من الإنجيل وأن نحملها للصحراء»[1].

وفي نفس الصدد صرح سكرتير الجنرال بيجو لما حولوا مسجد صالح باي إلى كاتدرائية قائلا: «آخر أيام الإسلام قد دنت، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، أما العرب فلن يكونوا ملكا لفرنسا، إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا»[2].

فقد كان القرآن والإسلام في نظر الكاردينال لافيجري أشد عدو للمسيحية ووجب محاربتها، غير أن عملية التنصير في نظره هو ذلك العمل الدؤوب في إطار إدماج الأهالي في المجتمع الغربي دون استعمال القوة، فالقوة في نظره لا تؤدي إلى النجاح ولو بقيت فرنسا عشرة قرون في الجزائر، ولفرض وجودها كان عليها تنصير المجتمع فاختار لافيجري لذلك أسلوبين أولهما: الأعمال الخيرية التبشيرية وإظهار المسيحية بوجه الطيبة مستغلا في ذلك نكبات 1867-1868م التي مرت على الجزائر من كوارث وأوبئة، فحاول اغتنامها وفتح باب التنصير على مصراعيه، أما الأسلوب الثاني: هو إنشاء المدارس في كل مكان ذات الطابع التعليمي والمهني[3].

وهذا الأسلوب الذي اتخذه المنصرون لتمرير خططهم الجهنمية حذر منه أبو اليقظان في جريدة الأمة بقوله: "تراهم يرتادون دائما مواقع الضعف ومراتع الجهل فيحطون فيها رحالهم ويتخذون منها مراكز لأعمالهم..." [4].

---

[1]- صالح عوض، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر (1830-1968م)، ج1 ، مطبعة دحلب، الجزائر، ط2، 1992م، ص، 208، وينظر كذلك: خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871م)، مطبعة دحلب، الجزائر، د ر ط، 1977م، ص، 128.

[2]- محمد الصالح الصديق، الجزائر بين الماضي والحاضر، مطابع الدار القومية، القاهرة، 1960م، ص، 29.

[3]- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص ص، 111-112.

[4]- أبو اليقظان، "ماذا يريد المعمرون للمسلمين"، جريدة الأمة، ع161، 15 أفريل 1938م، ص، 01.

ولتنفيذ هذه المهمة الدينية ومباشرة نشاط التنصير في الجزائر قد أنشأت الجمعية الإرسالية الكاثوليكية التبشيرية التي أسسها لافيجري سنة 1867م، وهي التابعة هيكليا لكرسي البابا في الفاتيكان، وهذا ما يؤكد أن عمليات التنصير في العالم الإسلامي كان من مباركة الكنيسة بشيء من التخطيط والتنظيم للوصول إلى أهدافها، فهذه الجمعية حتى تتوغل في الأوساط الاجتماعية والإستيلاء على الصحراء[1] أصبحت تسمى جمعية الآباء البيض"Les pères Blancs" أضيف إليه جمعية الأخوات البيض"Les sœurs Blanches" للتوغل في أوساط النساء ودمجهن في المدارس الابتدائية أو المهنية[2].

باشرت هذه الجمعيات سياستها، فكان نشاطها موجها أساسا إلى الطبقة المحرومة، فقد أظهر روادها أنفسهم بوجه الطيبة والخير وتقديم المساعدات لاستعطاف العامة[3]، فقد مثلوا القوى التي تدخل البلاد تحت شعار الدين والخدمات الاجتماعية "الإنجيل مقابل الخبز"

فكان المنصرون يريدون ضرب الصفوف الأولى التي تتدافع إلى هذه الخدمات، فقد نبه أبو إسحاق إلى خطورة الموضوع، لإيقاظ المسلمين وإطلاعهم على حقيقة الأمر، وما يخفيه أولئك المنصرون من وراء المساعدات والتعليم والتطبيب قائلا: «وليس يجهل أحد من العقلاء وأولى المعرفة ما للمسحيين من المهارة في الدعاية وبث الدسائس بين المسلمين ولا يجهل مالهم من ترصد الفرص لذلك، لما في نفوسهم من الاقتناع بأنهم وجدوا بين الشعوب

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ...، ج6، ص، 130.

[2]- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص ص، 34-36.

[3]- Yovone turin, Affrontement culturel dans l'Algérie colonel, Francois masperon, Paris 1971,pp,93-98.

الإسلامية لبذل كل وسيلة جليلة كانت أم فقيرة لنشر النصرانية فيهم لتقويض كل مجد لهم...»[1].

فإنصب اهتمام الآباء البيض في وادي مزاب منذ البداية على عملية التعليم الأطفال وإعتبارهم الامل المرتقب لنشر المسيحية[2]، فأسسوا أول مدرسة لهم في مسكن قد استأجروه من يهودي اسمه إسحاق بن داود بمبلغ 250 فرنك سنة 1884م[3]، ورغم أن السلطة الحاكمة في غرداية عارضت استعمال هذا المنزل بسبب أنه مهترئ و يعد خطر على المتمدرسين، إلا أن العملية استمرت واستقبل خمسة عشر تلميذا من العرب واليهود، وبالموازاة فتحت السلطات مدرسة حكومية سنة 1885م.

وبسبب التنافس بين النظامين أصدرت الحكومة قرارا إجباريا بإلحاق العائلات أبنائهم إلى المدرسة، إلا أن معارضة هذين النمطين من التعليم كان واضحا، وهذا ما صرح به الأب قريز Grieys سنة 1887م واشتكى من تدني عدد المتمدرسين بمدرسة الآباء البيض[4]، وهذا النفور وعدم الاطمئنان نابع من عدم الراحة اتجاه كل ما يصدر من الكفار.

تحولت هذه المدرسة التبشيرية من المنزل المستأجر إلى حي باب الراعي في وسط مدينة غرداية سنة 1897م[5]، غير أن إقبال المزابيين بقي محتشما، في ظل اعتراف حلقة

---

[1]- نقلا عن محمد صالح ناصر، الشيخ إبراهيم أطفيش، المرجع السابق، ص ص، 143-144، ينظر كذلك: مجلة المنهاج، ج2، م3، ص، 82.

[2]- العربي منور، بشير بلاح وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر 1830م-1989م، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2010م، ص، 176.

[3]- عمر داود، الحركة التبشيرية في الجزائر نشاط الآباء البض في غرداية أنموذجا مقاربة سوسيو- تاريخية، نشر دار نزهة الألباب،مطبعة الأفاق،الجزائر، 2016، ص، 126.

[4]- خديجة بقظاش، المرجع السابق، ص ص، 131-132.

[5] - Louis Bounard, Le cardinal, La vigerie, T2, Librairie Ch Poussielgue, Paris, 1869, p511.

العزابة أن كل فرد يلتحق بهذا النظام التعليمي هو منبوذ من المجتمع[1]، ولضمان المزيد من الإقبال قام الآباء البيض بإدراج اللغة العربية ضمن المقرر الدراسي وقد استعانوا ببعض المعلمين الجزائريين بداية من سنة 1919م[2].

ولمواصلة مساعيهم التنصيرية أسس الآباء البيض نمطين من المدارس، تعليمي وآخر مهني خاص بالذكور، أما الإناث فكان من اختصاص الأخوات البيض لما وصلن إلى غرداية سنة 1892م[3]، ويتعلق الأمر بالأخت جوزفين Joséphine والأخت لويز Louise والأخت كلوتيلد Clotilde اللائي أقمن في بيت صغير في حي عفافرة، وفتحوا ورشة واستعملوا فيها أربعين فتاة وبدأن في تعليمهن أسس النسيج والخياطة وغزل الصوف، إلى جانب تعلم الأمور المنزلية، فقد وجدت هذه الورشات لتزويد مرتاديها بالأفكار المسيحية والإنجيل، هذا ما صرح به الأب نويي Nouet قائلا: «إن المعامل والورشات في المكان المناسب للتعليم وتزويد التلاميذ بالأفكار المسيحية وتشكيكهم في دينهم الإسلام، ثم تركهم بعد ذلك ليبحثوا عن الحقيقة المسيحية»[4].

إن إهتمام المنصرين بفئة الأطفال لسهولة التعامل معهم، ومن ثم تلقينهم مبادئ النصرانية دون كشف نوايا المبشرين، فالتنصير كان يستهدف مواطن الضعف لهدم البنية الإجتماعية[5].

---

[1]- خديجة بقظاش، المرجع السابق، ص ص، 130-133.

[2]- نفسه، ص ص، 137-138.

[3]- الحاج محمد الحاج إبراهيم، المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19م (مزاب والأهقار نموذجا)، ماجستير، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2011م، ص، 95.

[4]- نفسه، ص، 97.

[5]- محمد طاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904، منشورات دحلب، الجزائر، 2009م، ص ص، 36-37.

إن الجمعيات التنصيرية في وادي مزاب حاولت أن تستميل الساكنة في مزاب بأعمالها الخيرية وإظهار المسيحية بوجه حسن من خلال الإحسان إلى الأهالي وإعطاء العلاج لكل من يقترب من مؤسساتها الاستشفائية، وقد حرص المنصورن فيها على حسن الاستقبال والترحاب، وجعلوا من منازلهم ومستوصفاتهم مكانا خصبا للتأثر على مرتاديها وهذا ما كان يحدث في مستوصف القدسية (ماري مادلين) سنة 1897م[1]، ومع مرور الوقت أصبح للآباء البيض أربع مستوصفات ومدرستين ومؤسستين صغيرتين للشغل.

وقد عملوا بتوصيات لافيجري، فاستعمل الآباء البيض أساليب ووسائل متعددة لبلوغ أهدافهم، وتأكدوا من أن الوصول إلى مرحلة التأثير في المجتمع الجزائري يتطلب استغلال الوسط التربوي والحضاري للمدرسة والتطبيب وجعلها الدعامة الأساسية في التنصير، فالمنصرين كانوا يدركون من أن الإحسان والعمل الخيري والاتصاف بالمثل العليا والتأني في أداء مهنة التطبيب مفتاح التقارب والوصول إلى الأهداف وما ساعد من المباشرة في هذا المشروع ندرة الخدمات الصحية في وادي مزاب[2].

فالطبيب مثلا يمكن أن يخاطب المرضى من المسلمين بكلام كثير لو سمعوا بعضه في مكان غير المستشفى ومن شخص غير الطبيب لإمتلؤوا غيضا وغضبا، فها هو أحد المنصرين ينصح الأطباء الذاهبين لمهمة التبشير قائلا:« يجب أن تنتهز الفرص لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم، فتكرر لهم الإنجيل، إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات، فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك أن واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه...» [3].

---

[1]- عمر داود، المرجع السابق، ، ص 162.

[2]- نفسه، ص 161.

[3]- نقلا عن الشيخ القرادي، حياته وآثاره، المصدر السابق، ص، 212.

ولم يكتف الآباء البيض بالتعليم والتطبيب، بل حاولوا الاختلاط والامتزاج مع العنصر المحلي، وذلك بالتجول في المدن المزابية، ولقاء الأهالي ومنح بعض الهدايا الرمزية واصطحبوا معهم الأطفال للنزهة، ودعوا الساكنة لمشاركتهم في بعض الحفلات الدينية، وكل هذه المحاولات كان مقصدها التوغل في الأوساط الاجتماعية، للحصول على أكبر قدر ممكن من المتعاطفين[1]، ومن أجل هذا وصل بعض المنصرين إلى المكوث طويلا في الوادي وقد تعلموا العربية الفصحى وحتى اللغة المزابية والعامية.

إن أول ردود الأفعال ضد الإرساليات التنصيرية في منطقة وادي مزاب تمثلت في الهيئة الدينية الممثلة في حلقة العزابة، التي اعتبرت التنصير ظاهرة غريبة على المجتمع وجب الوقوف في وجهها، خاصة ما تعلق بالدين والثقافة، فتضاعفت جهود الحلقة في هذا الاتجاه لمجابهة العمل التبشيري، ولعل منع الأهالي من ربط أي علاقة مع الآباء البيض يعتبر أولى مجهودات الحلقة كما أنها منعت الأفراد من الالتحاق بمدارس المنصرين، واعتبار من يلتحق بها مذنب وجب التبرأ منه[2].

استطاعت هذه الهيئة كبح جماح المنصرين، وصعبت على الآباء البيض اختراق هذا النظام، فقامت هذه الحلقة بكل ما له علاقة بحياة الأمة الدينية والاجتماعية والثقافية والوقوف في وجه المتمردين على الشريعة[3]، ويكفي أن نقول أن هذه الهيئة أسسها ومبادئها إسلامية فهذا كفيل بالدفاع عن الدين.

لنقف على دور العزابة في خضم هذه الظاهرة الهدامة التي اجتاحت الجزائر في ظروف صعبة، فالتنصير في نظر الآباء البيض لا ينتصر إلا من خلال خلق مجتمعات

---

[1]- الحاج محمد الحاج إبراهيم، المرجع السابق، ص، 95.

[2]- نفسه، ص، 133.

[3]- سعيدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري وأساليب المواجهة الجزائرية 1867-1892م، دار الخير للكتاب، د.ر.ط، الجزائر، 2009م، ص، 420.

ضعيفة متفرقة، فعملت على تحريك نعرات التفرقة والنزاع بين أطياف المجتمع في منطقة القبائل ووادي مزاب، فخلقوا الصراع بين العرب والبربر وحاولوا إشعال نار الفتنة[1]، فكانت حلقة العزابة بالمرصاد فأخرج المزابين من دائرة الصراعات إلى دائرة العلم، فهو نظام لا يؤمن إلا بالجماعة.

ولما كانت للمرأة مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري عامة ووادي مزاب خاصة، ولأثرها البالغ الأهمية في الأبناء، فهي محور الدفاع عن العقيدة، فالهيئة الدينية التنصيرية قد ركزت على هذا العنصر النسوي، وفتحت ما بين 1924-1925م مدرسة الأخوات البيض التي قد استقطبت 64 متربصة[2]، فكانت حلقة المرشدات "تمسردين" لهذا المشروع بالمرصاد وناهضت التواجد النصراني في المنطقة، وقاطعت كل ما هو فرنسي، وقد استغلوا مؤتمر "لا إله إلا الله" للتنبيه والتحذير من مخاطر هذه المدارس[3]. ووصل إلحاح بالمقاطعة إلى درجة أن أحد المزابيين أوجب غسل اليدين بعد التعامل مع النصارى، وهذا التصرف له مدلوله ويحمل في طياته معاني التطهر[4].

وأروع ما يمكن الاستشهاد به هو عندما أصبحت ماما بنت سليمان رئيسة حلقة "المرشدات" وقفت في وجه التنصير، وقررت مقاطعة كل ما هو فرنسي، فرفعها هذا الموقف إلى مصاف زعيمات النساء المسلمات في العصر الحديث[5].

وبسبب تصرفات الآباء البيض المريبة في وادي مزاب، قام الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش بمراسلة الحاكم العام، يشتكي من تصرفات المسيحيين قائلا: «....قد ضاع ديننا

---

[1]- عمر بن موسى، المرجع السابق، ص، 172.

[2]- نفسه، ص ص، 158-159.

[3]- بكير بن سعيد أعوشت، مسلمات صالحات، المرجع السابق، ص، 143.

[4]- الحاج أمحّمد الحاج إبراهيم، المرجع السابق، ص، 134.

[5]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 284.

بطلوع النصارى إلى الصوامع وإشرافهم على النداء في الديار ودخول الديار على النساء بلا إذن وربما أدى ذلك إلى إسقاط الجنين، وقد أفضى ذلك إلى مرض النساء بذلك، وسمعت أن امرأة ماتت بذلك، فمن فضل الله ثم من فضلكم أن تكتبوا إلينا كتابا يتضمن منعهم من ذلك عاجلا والله المستعان وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»[1].

فقد حاول الشيخ أطفيش القطب تحويل المزابيين عن مدارس الآباء البيض واعتبر من يتصل بها من المنبوذين في المجتمع ووصل به الإلحاح بالمقاطع إلى درجة تحريم هذه المدارس.

إن رجال الإصلاح في الجزائر كان لهم تأثيرهم، ومهدوا الطريق لمن جاء بعدهم للوقوف في طريق التبشير، ففي وادي مزاب نجد الشيخ إبراهيم بيوض قد باشر مهمة التعليم المسجدي، فكان يستقطب كل شرائح المجتمع من صلاة الفجر إلى صلاة العشاء، واستطاع من خلال هذا النهج أن يوجه العديد من أفراد المجتمع إلى العمل الإصلاحي وأصبحوا سدا منيعا، واستعصوا على عملية التنصير ووقفوا في وجه عملية تغريب المجتمع.

فالشيخ بيوض قد بين كيف تبنى المجتمعات القوية، حيث يقول: «على هذا بني مجتمعنا، وكذلك على المعهد وتعليمه والمدارس وبرامجها والعشائر ونظامها، والمجالس العائلية، هذه كلها تعمل متعاونة، المسجد هو القمة، هو الركيزة الوسطى للخيمة، وهي التي تمسك بها ثم تأتي الركائز الأخرى على الجوانب، ومجتمعنا خيمة متينة على كتاب الله، رأسها وركيزتها المسجد، تحتها هذه المؤسسات، المعهد، المحاضر، المدارس، العشائر كذلك تتعاون مع المسجد»[2].

---

[1]- الشيخ القطب، "رسالة تذمر السكان من تصرفات المسيحيين في المنطقة"، مخطوط، خزانة القطب، رقم 105 رمز 12 ص، 44.

[2]- إبراهيم بيوض، المجتمع المسجدي، المرجع السابق، ص، 76.

وربما هذه التربية المسجدية كانت كفيلة في عدم استجابة أبناء وادي مزاب لما كان يصبوا إليه الآباء البيض، فرغم تجولهم في شوارع المدن المزابية من أجل التقرب من المجتمع المحلي، إلا أنهم لم يتلقوا أي استجابة لأنهم كانوا مرفوضين ولم يقبل منهم أحد[1].

ولا ريب أن الاحتلال الفرنسي ومنذ أن استقر في وادي مزاب وهو يبذل جام جهده من أجل فرنسة وتنصير المجتمع المحلي، إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل بفضل الجمعيات والنوادي والنشاطات الاجتماعية والثقافية التي قامت بتوجيه وتوعية السكان وحفظ عروبتهم وإسلامهم، فقامت بحماية المجتمع من شراك المحتل الرامي إلى القضاء على هوية وشخصية المجتمع الجزائري، لظهور الصحافة لسان حال المجتمع الجزائري الدور الفعال في حفظ طبائع المجتمع، فكانت مقالات أبو اليقظان خير دفاع عن اللغة والدين، فرابط في العاصمة صحفيا من أجل مجابهة المحتل وفضح دسائسه، فعمد أعداء الحركة الإصلاحية إلى تأليب حفائظ المنصرين والعسكر مؤججين فيهم حمية المسيحية، حتى كان نتيجة ذلك صدور قرارات تعطيل الجريدة تلو الأخرى، وتحجير وطبعتها وتوزيعها[2].

وقد حذر أبو اليقظان مرارا مما يظهره النصارى في مجال المساعدات وأكد أن ذلك ما هو إلا سبيل للسيطرة والتحكم في العقول والعواطف، حيث قال: «....فجعلوا انفسهم لنا رسل رحمة وملائكة سلام، وأنهم أصل نعمتنا، وأهل فضل ومنة علينا، فهم منبع نور وهدى، وشفاء من كل داء وأنهم مبعث عيشنا ونشاطنا، فكانوا يباهون بمؤسساتهم بين طهرانينا وبالعدد العديد الموهوم من المسلمين والمسلمات الذي يأوي إليهم تحت أحضانهم كأنما نحن

[1] – F. Malfreyt, "Variétés les Beni M'zab (Sahara), In bulletin trimestriel, Missions d'Afrique, N60, 1883, P326.

[2] – يحي بن بهون حاج امحّمد، الشيخ إبراهيم أبي اليقظان في جهاده الصحفي ...، المرجع السابق، ص، 96.

قبل مجيئهم إلينا كمية مهملة تعيش مع الوحوش في مجاهل الصحراء، وكأنما يحسبون جهود الحكومة ومنظماتها ومؤسساتها إزاء مؤسساتهم هباءا»[1].

وباعتبار أن صحافة الشيخ أبي اليقظان كان لها خليفات إصلاحية، وبحكم شخصيته الدينية المعتدلة، فإن مقالاته وصحفه لم تخل من القضايا الوطنية وحفظ الهوية الدينية للجزائر في مرحلة حرجة زادت فيها شراسة المنصرين، ولعل من أهم من سلطوا اقلامهم على دسائس المبشرين الكاتب "الفرقد" سليمان بوجناح، فقد تطرق في العديد من المرات إلى الخطط الجهنمية التي يستعملها الآباء البيض من أجل بث أفكارهم في أوساط الأهالي، وحذر من التعليم الممزوج بالفكر المسيحي، فحتى معامل النسيج كانت تعطى فيها دروس في الأخلاق والتربية "Les leçons de morale" قائلا: «إن ترك تعليمهم للنساء مجانا فإن أجرتهن غير النقود، ياهذا بل هي النفوس كاملة، إذ يرون أن تنصير فتاة واحدة من المسلمات أعز لديهن وخير لهن من ألف دينار، وما بالك إذ توصلت إلى إفساد عقائد ثلاثين مسلمة فيما بلغناه»[2].

كانت مقالات الفرقد رسالة لاستنهاض الهمم والتحذير من مكائد المنصرين، فعارض التعليم الذي تقدمه الجمعيات التبشيرية قائلا: «أنقذوا أبنائكم أيها المسلمون وأسسوا لهم مئاوى لتربيتهم وتعليمهم فإنهم الخلف»[3].

فالشيخ أبو اليقظان نبه إلى الأساليب والوسائل التي يتبعها المنصرون في التعليم والتطبيب ودعا العامة إلى الابتعاد عنها، لما فيها من خطر قائلا: «كفوا عنا أيها المبشرون إذايتكم وإفساد ديننا وأخلاقنا باسم التعليم والتطبيب...» [4].

---

[1]- مكاتبكم: "بيان للناس"، جريدة المغرب، ع4، 1930/06/17م، ص، 01.

[2]- الفرقد، "ترخبون بيوتهم بأيديهم"، جريدة وادي ميزاب، ع 75، 1928/03/03م، ص، 01.

[3]- نقلا عن بالحاج ناصر، "الفرقد"، المرجع السابق، ص، 582.

[4]- مجهول، "افتحوا أعينكم أيها الغافلون"، جريدة وادي ميزاب، ع111، 1928/12/07م، ص، 03.

وقد ألح الشيخ أبو اليقظان إلى التفطن لدسائس الآباء البيض وحذر من اللامبالاة والتغافل على المفاسد لما فيها من خطر وفساد الدين قائلا: «النوم العميق والتخاذل المشين على المفاسق والخرافات بينما جامعتهم مشتتة وإسلامهم تهدده الأخطار من كل جانب وتلك الطوائف تعمل عملها والدول تشجعها والقوة تجمعها، وجهل المسلمين وفقرهم وضعفهم يساعدها فإلى متى هذا النوم؟ وإلى من هذا الموت؟»[1].

لا ريب أن مجددي فكرة الوطن الجزائري هم بالأحرى من أسسوا الحركة الإصلاحية، وإليهم يرجع الفضل في غرس بذرة الوطنية، فلقد كانت فكرة إقناع المجتمع أن للجزائر شخصية حضارية تختلف عن الدولة الفرنسية في الدين واللغة والتاريخ والثقافة، ضربة موجعة وقوية لمشروع التنصير الذي رافعت عليه أساليب التبشير، فقد تلاشى مشروع احتواء الجزائر نهائيا، أمام أفكار أبو اليقظان وإبراهيم بيوض ومحمد طرابلسي والفرقد، المتشبعين بالفكر الإصلاحي[2].

إن أعلام وادي مزاب اتخذوا من هيئاتهم الاجتماعية والدينية، وصحفهم ومساجدهم منابر لإقامة الدروس والمحاضرات الاجتماعية والتاريخية ذات التوجه الوطني الصادق وكانت غايتهم من ذلك التعريف بالإسلام الصحيح حتى يفهم بطريقة صحيحة ويصبح قادرا على مكافحة الإلحاد والتنصير، فتوعية النشء بهويته ورصيده الحضاري كفيل بمحاربة هذه الحركات الهدامة، فكانت هذه الهيئات والصحف مراكز مقاومة للمحتل.

[1]– أبو اليقظان، "مؤامرات المبشرين ضد شمس الإسلام"، جريدة وادي ميزاب، ع8، 1928/05/25م، ص، 04.

[2]– بن سباع صليحة، "الجمعيات الثقافية في مواجهة سياسة التنصير في الجزائر"، "جمعية ابن باديس نموذجا"، مجلة مجتمع تربية عمل، مج01، ع02، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2017م، ص، 20.

✓ **إسهامات أعلام وادي مزاب في اتجاهات الحركة الوطنية:**

لما عزم الأمير خالد[1] للقيام بحركته السياسية بداية من عام 1919م وترشيح نفسه للانتخابات، اتخذ من بني مزاب بطانة له، وبحكم اتصالاته المتكررة مع تجار مزاب في مدينة مليلة أُطلع الشيخ أبو اليقظان وهو آنذاك في تونس على قائمة الأمير بإعتبارها القائمة الوحيد المدافعة على الدين[2]، فحرك قلمه في الصحف التونسية ودعا من خلالها الجزائريين إلى مساندة الأمير خالد وتأييد حركته، وقد ناصره أعلام مزاب ومشايخها لما علموا ما في الحركة من مبادئ تحررية، ولعل من أهم معاونيه الشيخ يحي بوجناح وأخوه أحمد، فكان محلهما التجاري في مدينة المدية مركزا يلتقي فيه الأمير بالشخصيات الوطنية[3].

ولنا أنّ نذكر الوساطات التي قام بها الشيخ أبو إسحاق من أجل تحقيق التقارب بين الزعيمين الأمير خالد وعبد العزيز الثعالبي في حركتهما، وجعلها برامج ومبادئ واحدة للوقوف والجهاد ضد الاستدمار، ولكن المنطلقات والإيديولوجيات حالت دون ذلك فافترق الطرفان[4].

---

[1]- الأمير خالد (1875م-1936م): ولد بدمشق، تابع دراسته بالجزائر، التحق بالمدرسة العسكرية سان سير عام 1892م تقاعد منها سنة 1919م ينظر: بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط خ، 2010م، ص ص، 9-10.

[2]- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989م)، ج4، دار المعرفة، الجزائر، 2006م ،ص 381.

[3]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 277.

[4]- حمو محمد عيسى النوري، المصدر السابق، مج3، ص، 363، وينظر كذلك يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص ص 277-278.

ومن أمثلة التأثر والمساندة والتأييد لحركة الأمير خالد نجد شخصية باعامر يحي الذي انتخب معه في مدينة الجزائر، والسيد إدريس باعامر ويحي بوجناح اللذان كانا يحرران المقالات في جريدة الأقدام لسان حال حركة الأمير[1].

ويبدو أن وطنية الأمير الصادقة وعدم التخلي عن مبادئه الاستقلالية، كان سببا في إفتراق الكثير من حوله، ولم يجد غير مساعده وصديقه السيد النعجة الحاج يحي وهو من قصر بني يزقن، فعمل جاهدا على تسيير مرافق الأمير خالد بعد نفيه، وكان سببا في اتخاذ كل الإجراءات والتدابير من أجل تنقل عائلته إلى باريس ومنها إلى دمشق حيث تقيم عائلة الأمير سعيد الجزائري[2].

في سنة 1926م أسست مجموعة من الشباب الأحرار حزب نجم شمال إفريقيا بقيادة مصالي الحاج ينادي بالتحرر التام من الإستعمار، وحق تقرير المصير للشعوب المغاربية[3] دام نضاله 12 سنة في هذا المسعى.

انضم الشاعر مفدي زكرياء إلى الجزب شهر أوت 1936م، وقد أسندت له أولى المسؤوليات، فأصبح مفوض الدعاية في المكتب التنفيذي للحزب، ويبدو أن نشاطه الجاد مكنه من أن يصبح رئيسا للجنة التنفيذية للحزب في نفس السنة، وأعلن عن توجهاته الوطنية من خلال مؤتمر الطلبة المسلمين بالجزائر وقد استنكر الاحتفال بمئوية الاحتلال، وكان ضد دعاة الإدماج التي نادت بها حركة الشباب الجزائريين Jeunes Algériens[4].

---

[1]– حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ص، 364.

[2]– نفسه، ص، 364، وينظر كذلك: يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 278.

[3] –Ali Haroun, Messali de l'ENA au MNA: aperçu d'un parcours, Réflexion Messali Hadj 1898-1998, CASBAH Edition, Alger, 1998, pp, 7-12.

[4]– صالح ابن إدريسو، مفدي زكرياء من خلال تقارير الإدارة الاستعمارية الفرنسية، المرجع السابق، ص، 46.

ولما كان السيد مصالي الحاج يستعرض نشاطه عن جولته في الجزائر يوم 27 نوفمبر 1936م، وقبل أن يختم كلمته أمام الجمهور، هتف أحد الحاضرين بالنشيد الوطني الجزائري (فداء الجزائر وهي مالي) وهو من نظم الشاعر مفدي زكرياء، فأصبح هذا النشيد عنوان الاتجاه الاستقلالي فيما بعد، ولعلها أهم بصمات مفدي النضالية[1].

والأكيد أن المضايقات والتفتيش المتكرر لمطبعة أبي اليقظان في شارع "رفيقو" كان سببها المناشير والمقالات التي طبعتها لصالح الاتجاه الاستقلالي، فالبيان الذي كتب لصالح الشعب الجزائري النبيل صاغه مفدي زكرياء، صنع منه حوالي 40 ألف نسخة وكلفت لجنة تسيير الحزب لتوزيعه، وبمقتضى المرسوم رقم 71/34 الصادر بتاريخ 04 ديسمبر 1936م منعت الولاية العامة بالجزائر تداول هذا المنشور وتوزيعه، إلا أنه قد وصل إلى منطقة وادي مزاب عن طريق طرود بريدية مرسلة إلى السيد عوف عمر[2].

إن مرسوم 26جانفي 1937م القاضي بحل حزب نجم شمال إفريقيا أثر كثيرا على الشخصيات الوطنية، ويبدو أنهم قرروا عدم التخلي عن النضال، فاجتمعوا في منزل مفدي زكرياء الكائن في شارع بوتان (Bauten)، وتدارسوا احتمال بعثه بتسمية جديدة وبنفس المنطلق، وفعلا أسسوا في 11 مارس 1937م حزب الشعب الجزائري والذي كان نسخة عن النجم مموهة بذكاء وبالإيديولوجية نفسها[3].

ولم يكن مفدي الشخصية المزابية الوحيدة المناضل في حزب الشعب، بل نجد إبراهيم غرافة[4] الذي اتخذ من دكانه في العاصمة مقرا لإجتماعات الحزب السرية وأطلق على محله "نادي المزاليط"، فإبراهيم شغل منصب نائب رئيس الدائرة الأولى في العاصمة، أما مفدي

---

[1]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 279.

[2]– صالح ابن إدريسو، المرجع السابق، ص، 48، وينظر كذلك: يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 280.

[3]– صالح ابن إدريسو، المرجع السابق، ص، 50.

[4]– Salah Bendrissou, Implantation des Mozabites...,Op cit, p, 63.

زكرياء فكان رئيس الدائرة الثالثة فيها، ومحمد لعساكر فكان على رأس مناضلي مدينة البليدة وكلهم من مزاب[1].

قد نجح مفدي زكرياء في تكوين فرع تونسي لحزب الشعب الجزائري، لما أقام في تونس ضيفا عند "حسين بوجدرة" صاحب مقهى "ساحة باب السويقة" تلقى دعما كبيرا من بني مزاب هناك، ومن الشبيبة الإسلامية والشاذلي المكي رئيس جمعية الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة ومن "حلاش الزين" رئيس جمعية الودادية للجزائريين المسلمين بتونس، وكما أنه اتصل بالزعيم "الحبيب بورقيبة" والدكتور الماطري والزعماء الأساسيين في الحزب الدستوري الجديد لتأكيد تضامنهم الذي يجمع الحزبين[2]، فقد كان نضال الشاعر داخل وخارج الوطن.

وقد عبر مفدي زكرياء عن آرائه التحررية في الكثير من المناسبات وأوضح عن نواياه الثورية، وربما هذا الاندفاع شكل له الكثير من المشاكل مع الإدارة الحاكمة، ففي تجمع يوم 02 أوت 1937م في بوفاريك، بعد أن ألقى مصالي الحاج خطابه أعطى الكلمة لمفدي ففصح بوضوح قائلا: «هذه الأرض ملك لنا لابد أن ترجع إلينا يوما ما، لا تنسوا بأن جدودنا قد رووا هذه الأرض بدمائهم، عظامهم مدفونة في كل مكان، لقد قاوموا من أجل الحفاظ عليها»[3].

فيكفي أن نقدم أمامكم خطاب لمفدي زكرياء، كفيل بسجنه من إدارة لا تعترف بالحرية والعدل والمساواة، ففي تجمع وهران يوم 14 جويلية 1937م خاطب الجمهور قائلا: «...

---

[1]- حمو النوري، المصدر السّابق، ج1، ص، 373.

[2]- صالح ابن إدريسو، المرجع السابق، ص، 64، وينظر كذلك: يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 280.

[3]- نقلا عن إدريسو بن صالح، المرجع السابق، ص، 58.

أنتم تدركون جيدا أنه من أجل انتزاع الحريات يجب التضحية بكل شيء حتى بالنفس»[1]، فهذه العبارة نداء للجهاد من أجل الاستقلال.

ولاشك أن إلقاء القبض على مفدي زكرياء وإبراهيم غرافة مع مصالي الحاج يوم 27 أوت 1937م[2] بسبب أفكارهم الثورية التحررية الجهادية، بل طالب بحقوقه السياسية حتى من داخل السجن[3] رغم ظروف السجن القاهرة وهذا ما أكده مصالي في مذكراته[4] ، إنما هو دليل قاطع على الإسهامات السياسية الهائلة في مجال تحرير الجزائر من غلاة الاحتلال، فبني مزاب ساهموا مساهمة فعالة في الاتجاه الاستقلالي وها هي جريدة الأمة لأبي اليقظان تحتج على اعتقال هؤلاء المناضلين وتعد الجريدة الوحيدة التي حركت أقلامها ضد هذا التعسف.

فمن خلال المقالات التي نشرها مفدي من داخل سجنه وخاصة في الجرائد التونسية، نلمس دعوته الصريحة إلى التحرر والإستقلال، وإنتقاده لأنصار الإندماج، ورفضه لمواقف جمعية العلماء من مشروع بلوم فيوليت وقانون التمثيل النيابي وإلحاق الجزائر بفرنسا، وقد طالبا بمنح الجزائر الحق في إنشاء برلمان يتمتع بسلطة التشريع[5].

ومن جملة من اعتقلت فرنسا في منطقة وادي مزاب، نجد محمد بن سليمان لعساكر يوم 31 مارس 1938م، وحكم عليه يوم 30 جانفي 1939م بسنة سجنا، والسيد باحمد

---

[1]- نقلا عن إدريسو بن صالح، المرجع السّابق، ص 59.

[2]- عبد الصمد عصماني، "بصمات من حياة مصالي الحاج قبل إندلاع الثورة التحريرية (بين النشأة والمنفى)، مجلة مدارات للعلوم الإجتماعية والإنسانية، مج2، ع6، جامعة غليزان ، 2022م، ص 15.

[3]- أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والإجتماعي، المؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص، 98.

[4]- مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1898-1938م، تر: محمد معراجي، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، ANEP ، الجزائر، 2013م، ص ص، 274-275..

[5]- محمد قنانش، محفوظ قداش، حزب الشعب الجزائري(P.P.A) 1937م-1939م، ت: أودانيية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1013م، ص، 24.

لعساكر في مدينة تيارت يوم 08 أفريل 1938م، غير أن هذه الشخصية كان لها توجه إصلاحي وتحسب على الجمعية[1].

أما الاتجاه الإدماجي فقد سانده السيد عيسى بن الحاج محمد الحاج الناصر ومحمد بن بكير حمو الحاج الناصر من قالمة، وإبراهيم بن حمو بغباغة من شلغوم العيد وقاسم بن حمو بغباغة من قسنطينة وهو عضو بارز في وحدة النواب ويعد من الأعضاء الذين سافروا إلى فرنسا للمطالبة بحقوق الأمة المزابية، ومحمد لالوت العضو البلدي نائب رئيس وحدة النواب بوهران وأحد أعضاء الوفد الذي سافر إلى فرنسا يوم 17 جوان 1933م حاملا آمال الشعب الجزائري إلى الحكومة الفرنسية، والحاج الزواي الذي كان معتمد للوحدة في العاصمة بزعامة بن جلول والدكتور فرحات عباس[2].

وما يمكن أن نثبت بها تلك العلاقة الوطيدة بين الشخصيات المزابية والتيار الإدماجي هي تلك الزيارة التي قام بها بن جلول واللجنة البرلمانية إلى وادي مزاب يوم 09 أفريل 1937م وما خلفته من أثر جميل لدى النخبة والعامة، وقد نقل أبي اليقظان حيثيات تلك الزيارة في جريدة الأمة، قائلا: «...لهذه الزيارة في صفحتها الذهبية، وكان أثرا جليلا من آثارها البارزة توطيد العلاقة وتمتين الروابط بين الشخصيات البارزة من الأمتين الميزابية والجزائرية ولاسيما بين الشهم الهمام السيد خبزي عيسى بن عمارة وبين الحكيم بن جلول ، فقد كانت هذه الزيارة واسطة عقد اجتماع بين هاتين الشخصيتين الكبيرتين صدفة وعلى غير ميعاد، فكان لها ما بعدها من المآثر والمحامد في أوساط الأمتين»[3].

---

[1]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 281.

[2]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص ص، 278-279.

[3]- دون إمضاء، "شرح وتعليق على ما جري حول زيارة اللجنة البرلمانية وابن جلول بوادي مزاب"، (الحلقة الثانية)، جريدة الأمة، ع122، 1937/05/25م، ص، 02.

فالإخوة خبزي ناضلوا في صفوف الحزب الشيوعي الجزائري، وكانوا من بين المناضلين المتأثرين بالقضية الوطنية الجزائرية[1]، فمنطقة وادي مزاب بالفعل جمعت كل الأطياف، وجدير بالذكر أن صحافة أبي اليقظان كانت لسان حال هذه الأطياف بدون تمييز، فحملت في طيات صفحاتها الاستقلاليين والإدماجيين والشيوعيين وكل هذا بطابع إسلامي.

ولاشك أن أعلام مزاب قد ساهموا وبكل حزم في الإصلاح الوطني من خلال مساعيهم ومشاركتهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 05 ماي 1931م، والتزموا بمشروعها وسايروا برامجها، فكانت العلاقة وطيدة بينهم، فالجمعية كانت في نظرهم أكبر أمل في الجنوب، لهذا شارك في مؤتمرها التأسيسي كل من الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض والشيخ أبو اليقظان[2] والشيخ عبد الرحمن بكلي والشيخ الطرابلسي البرياني[3].

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مشروع حضاري نهضوي في ثلاثينيات القرن العشرين في ظروف صعبة تمر على الجزائر، فالجمعية وجدت من أجل توعية الشعب وإصلاحه، والوقوف في وجه الطرقية والجمود والخرافات، ومن أجل إفهام الدين بطريقة صحيحة، ولقد لعب أعلام وادي مزاب دورا محوريا في هذا المشروع، بداية من تأسيس الجمعية والمبادرة الحسنة في بلورة مبادئها الإصلاحية[4].

---

[1]– يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 278.

[2]– رصيد، م ع ح، ملف 2074. Pierre. Cuper ly, Aboulykdane Ibrahim, p4.(الملحق 19)

[3]– رصيد، م ع ح، ملف 2074. Rapport Territoires Militaire de Ghardaia n°64, S.A.O.M.

[4]– حمو محمد عيسى النوري، المرجع السابق، ج1، ص، 271.

إنّ التوجه الإصلاحي الشامل للجمعية وسعيها لإستهداف كل الجزائريين بذلك المشروع تمهيدا لمخطط أكبر وأعظم وأنبل ليس مجالا لأي شك، فالجمعية وجدت لتجمع كل الأطياف والأعراق الجزائرية وهدفها نبذ الخلاف والفرقة، وحفاظ على الأخوة رغم الخلاف[1].

شغل الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض منصب نائب مساعد للشيخ مبارك الميلي أمين الصندوق وهذا بداية من التأسيس وإلى غاية 26 ماي 1932م، وخلال مدة تواجده في عضوية الجمعية سعى إلى إيجاد نوع من التقارب بين المجتمع المزابي والجمعية رفقة ابو اليقظان الذي أفصح عن مبادئ الجمعية عبر مقالاته داخل وخارج الوطن[2].

وقد وظف في سبيل ذلك عدة منابر وهذا ما أكده تقرير الكابيتن "فيقوروس-Vigourous" بتاريخ أكتوبر 1934م إلى الحاكم العسكري بالأغواط جاء فيه ما يلي: «يسعدني أن أعلمكم بأنه انتهي إلى علمي بأن المسمى بيوض الحاج إبراهيم بن عمر مفتي مسجد القرارة، يقوم بنشاط ملحوظ لتحقيق الوحدة بين إباضية ميزاب وجمعية العلماء المسلمين، إن هذا الأهلي المتغيب عن ميزاب قرابة شهرين يقوم بمفاوضة الشباب الميزابي الموجودين بمدن الشمال، مبينا لهم الفوائد من الانضمام إلى جمعية العلماء المسلمين، إنه حاليا يسعى لاستقدام وفد من جمعية العلماء إلى ميزاب بهدف تحقيق التعاون مع جمعية العلماء، إن الهدف من هذا التقارب لا أحسه يخفى عنكم ومن ثم ينبغي لنا تفاديه والحيلولة دونه»[3].

---

[1]- بلعزوز العربي، "نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجنوب الجزائري واحداث وادي سوف(1937م-1938م) من خلال تقارير عسكرية"، مجلة العصور الجديدة، مج12، ع1، جامعة وهران1، 2022م، ص، 376.

[2]- أبو اليقظان، " موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري" جريدة البصائر، ع01، 1935/12/27م، السنة الأولى، ص، 06.

[3]- محمد صالح ناصر، اقلام وأعلام، المرجع السابق، ص، 534.

في أواخر سنة 1935م وبسبب الأوضاع المتدهورة والمزرية للجزائر، وللإسراع في إيجاد حل يقضي على التشتت السياسي الراهن قررت النخبة السياسية إيجاد حل يلم الشمل فرأت الحل الأكثر وضوحا يتمثل في عقد مؤتمر إسلامي جزائري لتوحيد الصفوف وجمع الفرقاء، وفي سنة 1936م طرحت فكرة المؤتمر على وجهاء السياسة في الجزائر، وتحولت الفكرة إلى واقع.

ففي يوم 07 جوان 1936م انعقد المؤتمر وأدرجت المطالب السياسية في برامجه وقد طالبوا بما يلي:

- إلغاء القوانين الاستثنائية.
- المحافظة على الشخصية الإسلامية.
- تطبيق القانون الإسلامي.
- فصل الدين عن الدولة.
- إلغاء كل القوانين التي اتخذت ضد العربية.
- الحرية التامة في التعليم العربي وحرية التعبير والصحافة.
- إلغاء قانون الأنديجينا.
- إعلان العفو السياسي[1].

ولعل المؤتمر الثاني 11 جويلية 1937م أظهر فاعليته حاولوا إرغام الحكومة الفرنسية على قبول مشروع بلوم فيوليت، التي سعت لها الجمعية والشيخ بيوض، ويبدو أن هذه المنطلقات والمشاريع كانت سببا في التباعد بين الشخصيات المزابية، خاصة ما كانت محورية مثل التمثيل النيابي وإلحاق الجزائر بفرنسا، فالاتجاه الاستقلالي يرفض رفضا قاطعا

[1]– عمار بوحوش، المرجع السابق، ص، 26.

هذا التوجه، ولهذا فإن مفدي زكرياء كان ينكر على الجمعية هذا التوجه، خاصة ما يتعلق بمشروع بلوم فيوليت، ولاشك أن كل التيارات السياسية خلال فترة الاحتلال كانت تحمل في طياتها أزمات وصراعات تحاملت عليها من أجل التفرغ للمحتل، وكيف لا وهاهو مفدي زكرياء يعلن تبعيته للجمعية بعد ما حصل في حركة انتصار الحريات الديمقراطية[1].

وقد سببت تلك النشاطات والإسهامات السياسية والإصلاحية الحثيثة متابعات قضائية وتقارير عسكرية حول هؤلاء الأعلام التي نعتتهم الإدارة الحاكمة بالمشاغبين، بل الأكثر من ذلك أنهم أدرجوا في الدفتر (ب) (B) ضمن قائمة الأشخاص الخطيرين على أمن فرنسا أمثال الشيخ بيوض[2] وأبو اليقظان[3] ومفدي زكرياء واعتبروا أعداء فرنسا.

وقد وضع مركز الاستخبارات والدراسات لعمالة الجزائر بتاريخ 08 جوان 1939م قائمة من خمسين شخصية من الشخصيات البارزة في الحركة الوطنية من مختلف التيارات الوطنية ممن لهم نشاط دوري في عمالة الجزائر، وقد أحصي شخصيات مزابية وهم: مفدي زكرياء، وإبراهيم غرافة، ومحمد لعساكر عن حزب الشعب، والشيخ بيوض، وأبو اليقظان عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وسليمان بوجناح، وعمر بن عيسى الحاج امحمد في تيارات متفرقة ويبدو أنهم من الحزب الشيوعي[4].

✓ **انتخابات المجلس الجزائري من منظور أعلام وادي مزاب:**

إن النخبة الجزائرية قد أولت اهتماما بالغا لمسألة التمثيل الانتخابي ومن الشخصيات الوطنية التي اعتبرت هذه المسألة أحد الحلول للمشاكل التي عانى منها المجتمع الجزائري، ومع بداية القرن العشرين تعالت الأصوات لطرح القضية باعتبارها ذات ضرورة حتمية،

---

[1]- صالح بن إدريسو، المرجع السابق، ص ص، 52-53.

[2]- ر م ع ح، رقم2074، الموافقة على تسجيل الشيخ بيوض في الدفتر"ب". (الملحق18)

[3]- ر م ع ح، رقم 2074.

[4]- يوسف بن بكير، المرجع السابق، ص، 281.

وقدمت عريضة سنة 1901م تدعو من خلالها إلى توسيع حق الانتخاب ومنحه للأهالي ولا يبقى حكرا على الكولون[1].

ويبدو أن أغلب الرسائل والعرائض المطالبة بحق انتخاب الأهالي كانت من طرف طبقة مفرنسة، رفضت أن يكون الجزائري مواطنا من الدرجة الثانية، والأكثر من ذلك أن يصبح اليهودي الذي استفاد من قانون كريميو 1871م أفضل منه، هذه العرائض كان لها تأثيرها، إذ أن النائب البرلماني كانداس "Kandas" طرح مشروع يسعى لتنظيم الهيئة الانتخابية للفرنسيين والجزائريين على حد سواء، وبالرغم من أن هذا الطرح لم يلق آذانا صاغية، إلا أن النخبة واصلت نضالها من أجل المطالبة والتنديد بإدارة الظهر في هذه المسألة الحساسة، ويبدو أن الإدارة الفرنسية تحججت في كون الأهالي يجهلون كل ما يتعلق بالحق المدني[2].

إن الانتخاب بالنسبة للحركة الوطنية في فترة الاحتلال الفرنسي اعتبرت قناة ووسيلة هامة للتعبير عن مشاريعها وبرامجها، ومواقفها من القضايا الوطنية، لأن الانتخابات تعطي للمطالب إطارا قانونيا مشروعا، ولعل من بين الإنتخابات التي شغلت الرأي العام أكثر من غيرها إنتخابات المجلس الجزائري في سنة 1948م لأنها تزامنت وإعادة بعث الحراك الوطني بثوب جديد ومنطلقات أكثر جدية، خاصة بعد أحداث 08 ماي 1945م التي كانت بمثابة الضربة التي أيقظت ضمائر الذين وثقوا في وعود فرنسا، هذه الانتخابات التي شاركت فيها كل الأطياف والتيارات[3].

---

[1] – Charles Rdert Agerom, les Algériens Musulmans et la France (1871-1919).p1031 PDF.

[2] – سحولي بشير، مواقف النخبة الجزائرية المفرنسة من القضايا الوطنية 1900-1939م، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2014م، ص، 107.

[3] – جاكر لحسن، "إنتخابات المجلس الجزائري في معسكر، 04-11 أفريل 1948م"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع03، جامعة معسكر، 2002م، ص، 133.

إن تنظيم الانتخابات 1948م جاء على أعقاب إصدار القانون الخاص الذي أقر عدة إصلاحات، فهو مشروع إصلاح صدر يوم 20 ديسمبر 1947م أقرته الإدارة الفرنسية لامتصاص غضب الجماهير وهيجانه من الأزمات والظروف القاسية، كان هذا المشروع في عهد الرئيس "فنتستاور "Vincent Aurial" ورئيس الحكومة "بول رمادي" " Paul Ramadier" والحاكم العام "إي شا تينيو" "Chatinio" وقد احتوى على 12 فصلا ما يهمنا منه هو الفصل الثالث الذي تناول المجلس الجزائري وهو ما نرتكز عليه، حيث احتوى على 12 مادة.

1. يتكون المجلس الجزائري من مواطني الجزائر المنتخبين انتخابا سريا مباشرا لمدة أربع سنوات وهو يتألف من 120 عضوا.
2. يقسم الهيكل الانتخابي غلى هيئتين انتخابيتين مختلفتين.
3. يتألف المجلس الجزائري بصورة انتقالية من 60 ممثلا للهيءة الأولى، و60 ممثلا للهيئة الثانية.
4. السن القانوني للانتخاب 23 سنة على الأقل.
5. القانون يضبط كيفية الانتخاب وتركيبة الهيئة الانتخابية.
6. المجلس الجزائري يشكل كل الصلاحيات في شروط انتخاب أعضائه كما له الحق في قبول استقالة هؤلاء.
7. تحدد جلسات المجلس في السنة والحالات التي تستدعي فيها المجلس بطلب من ثلث النواب أو عند طلب من رئيس مجلس الوزراء.
8. جلسات المجلس مفتوحة وعامة.
9. الشروط التي يوفرها المجلس من حصانة وراتب شهري خاص بالنائب.

10. يتمتع المجلس الجزائري بالامتيازات التي عينها قانون 27 أكتوبر 1947م فيما يخص انتخاب ممثلي الجزائر بمجلس الاتحاد الفرنسي.
11. وكالة النائب في المجلس الجزائري تختلف عن وكالة النائب في المجلس الوطني أو الجهوي أو الاتحادي.
12. يكون المجلس مكتب كل سنة مشكل من رئيس وثلاثة مساعدين وأربع إداريين يعينون من الهيئتين[1].

إن القانون رقم 48-371 الصادر يوم 04 مارس 1948م قد أورد برنامج تقسيم الدوائر الانتخابية على مستوى الهيئة الأولى والهيئة الثانية من العمالات الثلاثة، وقد سهل هذا التقسيم الدوائر الانتخابية في الجنوب، واعتبرت غرداية دائرة انتخابية بعدما كانت تابعة للأغواط[2].

إن لمنطقة وادي مزاب خصوصيتها القانونية باعتبارها ارتبطت مع الإدارة الفرنسية بمعاهدة حماية، فلما اختيرت كدائرة انتخابية، قد صاحبها ردود فعل عديدة، على غرار الرسالة التي حملها السيد عمر بن عيسى مفوض الأمة المزابية للدفاع عن حقوقهم، هذه الرسالة توضح أن أعلام المحافظين قد احتجوا لدى رئيس الجمهورية الفرنسية "روبرت شومان" "Robert Choman" رافضين إدراج غرداية كدائرة انتخابية، وقد تمسكوا بعدم الخوض في أي حركة سياسية، وهذا ما عبرت عنه بنود معاهدة الحماية 1853م[3]، لأن القبول

[1]- يحي بوعزيز، الاتحاد اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوص 1912-1948م، دار البصائر، الجزائر، 2000م، د.ط، ص، 36.

[2]- فرحات عبد القادر، حويتة محمد، "إنتخابات الجمعية الجزائرية 1948م بمنطقة غرداية من خلال وثائق أرشيفية"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج04، ع02، جامعة ابن خلدون، سبتمبر 2021م، ص، 719.

[3]- نفسه، ص ص، 720-721.

بالمشاركة في انتخابات الجمعية العامة الجزائرية والتمثيل السياسي في المجلس الجزائري سوف يؤدي إلى إسقاط بنود الاتفاقية.

إن مسألة الانتخابات في وادي مزاب كانت تتراوح بين الرفض والتأييد لكل منهما حججه وبراهينه حول طرحه، خاصة أنها تحت إشراف الإدارة الفرنسية، فهذه المهازل كانت تستفز الشيخ أبو اليقظان من حين لآخر، وأشد ما كان يغيظه هو إلتفاف الأهالي حول المترشحين أيام الحملة الانتخابية، وتصديقهم للوعود الكاذبة، فهؤلاء لا يهمهم إلا مصالحهم ومصالح فرنسا، فالشيخ يتهمهم بأولئك الذين يلوحون بأغصان الزيتون ويلبسون جلود الحملان.

لهذا نجد أن الشيخ رفض قضية التمثيل النيابي جملة وتفصيلا، وأشار إلى ان التمثيل يكون في صالح الأهالي إذا اكتسبت وعيا سياسيا وتكوينا وطنيا يؤهلها إلى اختيار مرشحهم القادر على تحمل المسؤولية، فيقول: «فإن السعي للحصول على هذه النيابة قبل إعداد الأمة لها بالعدة اللازمة، إنما يعود عليها بالمضرة والوباء وإعطاء هذا الحق لها كإعطاء مدية في يد صبي، فهو قبل أن يذود بها عن نفسه يعدمها به»[1].

إن المبرر الذي يشفع للفئة التي رفضت فكرة الانتخابات من أساسها هي التجارب السابقة التي أكدت أن الإدارة الفرنسية كانت دوما تفرض مرشحيها، ضاربة بمبادئ الديمقراطية عرض الحائط.

فالانتخابات التي جاءت أعقاب مجازر 08 ماي 1945م لإظهار فرنسا على أنها تخدم الصالح العام، ولكن حقيقة الأمر تبين أن قانون الانتخابات جاء عنصريا وكرس مبدأ الظلم والاضطهاد، فإذا تتبعنا محتواه نجد أنه ميز بين الكولون الذي شكلوا الأقلية والجزائريين أصحاب الأرض وهم الأغلبية، وهذا عند إحداث هيئتين لدى المجلس مناصفة

[1]- محمد صالح ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ج1، ص ص، 110-111.

بين الأوروبيين والجزائريين، فلكل منها 60 نائبا، وهذا الأمر غير عادل، وحتى إذا لاحظنا عمل المجلس نجد أن تدخلات الأعضاء الجزائريين لا يؤخذ بها[1].

فرفض الشيخ أبو اليقظان للحياة النيابية هو مقبول إذا ما ألقينا نظرة في منطلقاته الصحيحة، فهو يرى أن الانتخابات لا تعبر عن آمال الشعوب إذا لم تبن على أسس صحيحة انطلاقا من إدارة شعب مثقف ومرشح صادق وسلطة عادلة تحترم هذه الانتخابات، دون ذلك فإن هذا المشروع سيكون في صالح الإدارة الفرنسية، فضربت عصفورين بحجر، فربحت حسن السمعة بتجسيدها ديمقراطية زائفة، ومن جهة أخرى همشت العناصر الوطنية الصادقة بأيادي إخوانهم من الشعب.

فالشيخ أبو اليقظان يرى أن الاستعداد الحقيقي لهذا المعترك يبدأ بتكوين حزب سياسي وطني يجمع الوطنيين حتى يكون المرشح الوطني حقيقي للشعب يجلب لهم المنفعة، ولكن الشيخ استبعد هذا الحلم في ظروف ضربت على الحريات بسور من حديد وسلطت سيف القوانين الاستثنائية على الرؤوس[2].

ولربما أن فئة الرافضين للتقسيم الانتخابي الجديد حجتهم أن لمنطقة وادي مزاب خصوصيتها القانونية، هذا ما تناقلته الصحف حينما علقت على الأحداث، ومن بين الصحف جريدة (La république Algérienne) التي نشرت مقالا يوم 12 فيفري 1948م ذكرت فيه أن ساكنة بني مزاب يطالبون باحترام نظامهم القانوني، وهذا ما ذهبت إليه جريدة (Tribune d'Alger) في نفس اليوم بمقال عنوانه:

Le M'zab réclame le respect de sa personnalité et de son statut juridique

ولا شك أن بعض الصحف سايرت ما كان يجري[3].

---

[1]- جاكر لحسن، المرجع السابق، ص، 113.

[2]- محمد صالح ناصر، المرجع السابق، ص ص، 110-111.

[3]- فرحات عبد القادر، المرجع السابق، ص، 722.

وفي خضم هذه الأحداث كانت فئة في الجهة المقابلة من بني مزاب قد رحبوا بالعملية الانتخابية ورشحوا ممثليهم الشيخ عمر بن إبراهيم بيوض في منطقة القرارة وهم من التيار الإصلاحي المجدد، الأمر الذي جعل أعيان المحافظين يعيدون النظر في قضية التمثيل الانتخابي، ومبادرتهم في اختيار ممثل لهم ضد منافسهم الإصلاحي بيوض، ليقع الاختيار على مفدي زكرياء عن حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وفئة مع عيسى بن عمر باعلي، وأخرى مع محمد بكاي مرشح الحزب الشيوعي[1].

وللعلم فإن هذا الترشح لم يمر مرور الكرام، بل كانت له معارضة شديدة، فمثلا ترشح بيوض للمجلس عورض بشكل كبير، والغريب في الأمر أن هذه المعارضة كانت من أصدقاء الشيخ وتلامذته، فصاحبه ورفيق دربه في الإصلاح يرى أن زعيم الإصلاح بيوض طغت عليه الأنانية والمصلحة الخاصة وهذا ما نقله الأستاذ محمد بن أحمد جهلان من خلال رسالة كانت بين أبي إسحاق والشيخ أبي اليقظان جاء فيها: «...فوا لله لو سلمت النفوس من الدغل لاستقامت الأحوال أما ما بدا لي مشبع بالأنانية وعدم الاكتراث بالمصلحة العامة، بل ولا الاكتراث بشماتة الأعداء ولا انهزام الأمة...» [2].

وقد وصلت المعارضة للشيخ بيوض إلى درجة وصفه أنه استخف بالمصلحة العامة وضحى بوطنه من أجل عضو في البرلمان، ونحن لا نشك في مصداقية شخص قضى كل عمره مجاهدا في سبيل أمته أن يبيعها من أجل عرض الحياة، وها هو الشيخ يرد على هذه الظنون في رسالة إلى الشيخ أبي إسحاق قائلا: «وبعد؛ فهل آمنت أيها الشيخ أن أخاك

[1]- عبد الرحمن البكري، مسرة الإصلاح في جيل 1918م، إعداد وتقديم مصطفى صالح باجو، نشر مكتبة البكرين العطف، الجزائر، 2004م، ص، 326.

[2]- محمد بن أحمد جهلان، رسالة الشيخ إبراهيم بيوض إلى الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش بشأن جهاده الوطني، ودوافع مشاركته في المجلس الجزائري، وثيقة العدد، مجلة الحياة، ع18، نشر جمعية التراث Art Team، الجزائر، 2014م، ص، 203.

بيوض ليس ممن يبيع أمته بخط نفسه، لا ممن يتعشق الوظائف والمناصب والأوسمة والمال ولو أرادها لكانت، والله له كما أراد." [1].

وقد أفصح الشيخ بيوض عن قيمة النائب عنده إذا لم يجلب المصلحة، والخير لوطنه قائلا: «ليس للقب النائب عندي قيمة إلا بعد ما أجلب لقومي من خير، وأدفع عنهم من ضر، لا يهمني أن أبرز في المجلس في غير ما يتصل بقومي ووطني الجزائر»[2].

ولاشك لأن للمجلس منافع للجزائر ووادي مزاب خاصة أدناه أنه يجد آذان صاغية للمطالب في إطار قانوني، ودستوره نص على إلغاء نظام الحكم العسكري على المناطق الجنوبية، ورغم ذلك فإن بعض الشخصيات أنكرت على الشيخ بيوض الترشح وحجتهم في ذلك أن الشيخ خلق للإصلاح ونشر العلم، ولم يخلق للسياسة، ومن بين من عارضوه في هذا الاتجاه تلميذه حمو لقمان والذي أنكر وبكل جرأة دخوله معترك السياسة لما ترشح لعضوية المجلس[3].

وقد كتب حمو لقمان إلى شيخه كتابا جاء فيه: «إنه من الخجل أن تتباين في الآراء، ثم من الحكمة أن نكون متباينين، أنت وحدك الذي زرعت فكرة الإصلاح في قلوبنا ربع قرن أو أزيد، وغذيتنا بالإخلاص والتضحية، بالعزيمة والصبر، وبالصراحة، فإذا كنا نتكلم اليوم فبلسانك أو نفكر فبتفكيرك وعلى المجموع إن كنا حسنة فمن حسناتك أو سيئة فمن سيئاتك،

[1]- محمد سليمان أبو العلا، صفحات من الكفاح خاص بالشيخ بيوض والاستعمار الفرنسي في الجزائر، ط1، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، 2012م، ص ص، 82-84.

[2]- محمد بن قاسم، الشيخ بيوض والعمل السياسي، المرجع السابق، ص، 63.

[3]- محمد سليمان أبو العلا، المرجع السابق، ص ص، 80-81.

فلا مناص لك منا وما نفكر ومما نعمل ومما نرى مادام هذا الاعتقاد واحدا لا يتجزأ فنحن أنت وأنت نحن أليس كذلك؟»[1].

وأضاف قائلا: «...إن قوتك اليوم العملية التفكيرية التحضيرية أصبحت مقسمة بين العلم والسياسة والتجارة، فتفر معنا محتارا أو مجبرا بذلك، فأصبح العلم يمشي على رجل واحدة عرجاء، وأصبحت قسمته لا الثلث فقط بل العشر.» [2].

فالبرغم من إنغماس الشيخ بيوض في التجارب الإصلاحية فإنه لم يكن بعيدا عن السياسة، ففي سنة 1944م إستغل زيارة اللجنة الظغصلاحية التي شكلها رئيس الحكومة شارل ديغول وطالبها بضرورة إعادة النظر في قضية الحكم العسكري والتجنيد الإجباري، ولم يكتف بذلك بل أرسل رسالة إحتجاج إلى الوالي العام الفرنسي ايف شاتينزاف في 1945/04/24م يطلب فيها إلغاء منصب القياد وجعله منصب منتخب، وحرية التعليم العربي[3].

وإذا أردنا تتبع ظروف تشرح الشيخ بيوض إلى الانتخابات فإننا نقف على حجم الدعم الذي لاقاه من السكان وتحريضهم إياه للترشح، حيث قال في ترشحه للمجلس: «...وفي تلك الظروف قررت أن أرشح نفسي لذلك المجلس بدافع وطني وبتحريض من أغلبية سكان وادي مزاب الذين أعلنوا أنهم لا يريدون العزلة والانفصال وأنهم يرتبطون بالشمال"[4]، فكان دافعه

[1]- محمد سليمان أبو العلا ،صفحات الكفاح، سياسة الشيخ إبراهيم بيوض في المجالس الإدارية الفرنسية في الجزائر، ط1، نشر جمعية التراث Art Team، الجزائر، 2021م، ص، 17.

[2]- محمد سليمان أبو العلا، المرجع السابق، ص، 31.

[3]- بكار الدهمة، النشط الثوري في ناحية غرداية في مواجهة الإستعمار الفرنسي في الجزائر، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة غرداية، 2020م، ص،17..

[4]- محمد سليمان أبو العلا، المرجع السابق، ص، 27، وينظر كذلك: محمد بن قاسم، المرجع السابق، ص، 63.

في الترشح الدفاع عن قضايا وطنه وإسماع صوت الجماهير للإدارة الحاكمة، فلا نجده قد تردد في هذا الموضوع وقبل الترشح خوفا من أن يتقدم من هو أقل كفاءة منه.

فالمجلس الجزائري له دور بالغ الأهمية إذ ما جسد وفق القانون، إذ أنه يضع الجزائر في وضع جديد يوصلها إلى مقصدها في الأخير وهو الاستقلال، فكان إحساس الشيخ بيوض صادقا ونظره ثاقب، حينما قال: «...هذا الدستور الذي وضعته فرنسا للجزائر وأنشأت به هذا المجلس الجزائري ووضعت به الجزائر في وضع جديد له حسناته وسيئاته، وهو بدء انقلاب كبير، وهو خطوة أولى في طريق تطوير الجزائر إلى أوضاع مختلفة متتالية ستجتزها البلاد حتما قبل أن تصل إلى غايتها»[1].

ورغم مساوئ ومحاسن المجلس الجزائري، إلا أننا سنتوقف عند نقطة مهمة من ترشح هؤلاء إلى العضوية، فالإدارة الفرنسية كانت متناقضة مع نفسها إلى أبعد الحدود، فإذا تتبعنا تقارير الإدارة العسكرية في غرداية سنجد أن المرشحين مفدي زكرياء والشيخ بيوض قد أدرجوا ضمن السجل (ب) (B) سابقا واعتبارهما من المشوشين والمتعصبين وأعداء فرنسا، وفي المقابل قبلت ترشحهم في الانتخابات، فهل هذا القبول حصل نتيجة أن فرنسا قد سيطرت على هذه الشخصيات التي كانت تحت المراقبة والإقامة الجبرية، وأصبحت تعرف كل صغيرة وكبيرة عنهم، أم أن الإدارة الفرنسية أجبرتها الأحداث، وإحتاجت إلى أعلام وشخصيات محترمة يتبعها المثقفون وتسمع لها الجماهير، فاعترفت بفضلهم وقبلت ترشحهم، أو أنها أرادت إشعال نار الفتنة بين المحافظين والإصلاحيين؟

[1]– محمد سليمان أبو العلا، المرجع السابق، ص، 77.

خلاصة:

ولنكون منصفين أن الشخصيات الوطنية الصادقة في قرار ترشحها ودخول المعترك السياسي مسؤولية تقتضي الدفاع عن الوطن والوقوف في وجه السياسة العسكرية الفرنسية، وهذا يتطلب التوغل في أعماق الإدارة والاحتكاك بالسلطة، رغم أن مجرد التفكير في الانتخابات في تلك المرحلة يجر صاحبه إلى ساحة الصراعات والنزاع.

ورغم كل هذه التجاذبات في نجاح الشيخ بيوض في تلك الفترة، وإعادة انتخابه سنة 1951م دلالة قاطعة على شعبيته، فاتخذ من مجلس الجزائر منبرا للنضال في سبيل المحافظة على المؤسسات العربية الإسلامية، والدفاع عن القضايا الوطنية في مقدمتها فصل الصحراء عن الشمال ومحاربة كل أنواع الاحتكار الذي مارسته الشركات الفرنسية.

خاتمة

خاتمة

تبين من خلال هذه الدراسة أن تاريخ وادي مزاب عبر عصوره المختلفة استطاع بفعالية المشركة في البناء الحضاري رغم العزلة الجغرافية وكان لمجلس العزابة الدور الفعال في تنظيم المجتمع، فجعل من المنطقة مشاركا سياسيا في صناعة تاريخ الجزائر وجزءا حيويا في الحركة الفكرية والسياسية.

لم يفتقد وادي مزاب إلى طبقة الأعلام التي تمثل خزان الفكر وكتلة الثقافة والمحرك للتطور، هؤلاء الذين ساهموا في الحفاظ على عوامل ازدهار الجانب الفكري في ظل ظروف صعبة فرضها المحتل، فكان من بين أهم عوامل التطور والرقي هو ذلك النظام الاجتماعي الصارم الذي أشرف على كل شؤون الوادي، بالرغم من سعي الإدارة الفرنسية إلى استبداله بنظام من القوانين الإدارية وتغييب القيم الاجتماعية، التي كان لها دور في حماية الموروث الفكري من حلقات العلم وخزائن ومكتبات التي تعد أساسا للنهضة في المنطقة.

إن أكثر ما ميز فترة الاحتلال في منطقة وادي مزاب كثرة الأعلام والمفكرين والمبدعين، الذين جعلوا من طلب العلم وتربية النشء غاية لهم وخلقوا كنوزا أدبية في المنقول والمعقول في مقدمتهم الشيخ أمحمد أطفيش "قطب الأئمة" العالم الموسوعي الذي خلف ما يربو عن ثلاثمائة مصنف يصعب حصرها، فكانت بمثابة النهضة الحقيقية والفاعلة في تلك الفترة.

إن مساهمات أعلام وادي مزاب في حركة التأليف وإثراء المكتبات بالمنطقة، قد زاد من حركية الجانب الفكري، فالتأليف والتدوين يعد من أهم مظاهر الحركة الفكرية والثقافية في المجتمعات، فبفضل هذه الحركية والنشاط أصبحت النخبة المزابية في الطليعة واستطاعت تجاوز مرحلة صعبة من تاريخ الجزائر، حينما أصاب إنتاجها حالة من الجمود الفكري.

خاتمة

إن مشروع التربية والتعليم الذي تبناه أعلام منطقة وادي مزاب قد وقف بما لا يدعو للشك في وجه مخططات تدمير الأمة الجزائرية ومسخ مقوماتها، فراحوا في اتجاه تأسيس الجمعيات والنوادي الفكرية وتدشين المدارس العصرية وإثراء المكتبات وإرسال البعثات العلمية إلى حاضرة تونس وغيرها من الأقطار، هدفهم في ذلك إيجاد نخبة قادرة على مقاومة السياسة الاستعمارية.

ظل التعليم الفرنسي في ذهن النخبة المزابية مشروعا لا يرجى من الخير للأمة، إلا أن الواقع قد فرض على علماء الإصلاح فكرة الالتحاق بالمدارس الفرنسية، وأيقنوا أن التحفظ والرفض سيبعدهم عن مواقع المقاومة والدفاع عن مصالح الأمة، وتمنح الفرصة لفئة دونية لا يهمها إلا مصالحها.

بفضل هذه القناعة التي حصلت لدى فئة أعلام وادي مزاب من المشروع التعليمي الفرنسي، فقد زاد معها فئة الملتحقين، خاصة مع بادية ثلاثينيات القرن العشرين، وقد فرضت هذه القناعة فكرة إلحاق المرأة المزابية بهذا النوع من التعليم ولو بصفة محتشمة، ولكنه كاف لدحض صفة الانغلاق والعزلة التي ألصقت بالمجتمع المزابي لمدة طويلة، ومعها إيصال إسهامها الفكري ولم يصبح من اختصاص فئة الرجال فقط، بل كان للمرأة المزابية نصيبها ودورها فيه من خلال نظامهم الاجتماعي المتين.

قد استخلصنا من خلال هذه الدراسة أن إسهامات أعلام وادي مزاب في الحركة السياسية بدأ وبشكل فعلي من خلال معاهدة الحماية 1853م، حينما أقدموا عليها من أجل حماية نسقهم الاجتماعي وتجنب التدمير والتخريب الذي كانت تمارسه الإدارة الفرنسية في باقي ربوع البلاد.

لم تكن بنود معاهدة الحماية حاجزا يمنع المزابيين من خوض غمار المقاومة أو دعمها ضد المحتل، وقد أجمعت التقارير الفرنسية العسكرية بأن وادي مزاب خزان المقاومة، ومساند للانتفاضات ضد فرنسا، فأقدمت على إلحاقه عسكريا سنة 1882م، وتأكد الجمع بأن الحماية ما هي إلا أسلوب استعماري هدفه إلحاق الأمة المزابية بالغرب، فكانت المعاهدة مقدمة لمجموعة قوانين تعسفية لاحقة خيبت آمال النخبة المزابية في التظاهر الذي انتهجته فرنسا لكونها ملتزمة ببنود المعاهدة، لكن في حقيقة الأمر تعاملت مع الوادي على غرار المناطق الجزائرية الأخرى.

إن مسألة التجنيد الإجباري 1912م كان إيذانا بدخول أعلام مزاب المعترك السياسي من خلال المطالبة بإعفائهم من إلزامية الجندية، وقد وظفوا كل الوسائل الأساليب من عرائض ورسائل واحتجاجات ووفود إلى فرنسا من أجل ذلك.

إن المشاركة في الصحافة والتأسيس لها من قبل ثلة من أعلام وادي مزاب قد ساهم في فضح الاحتلال الفرنسي والكشف عن قوانينه الجائرة، فالاحتلال سعى دوما إلى إفشال الحركات الجزائرية مقصدها في ذلك السيطرة والتحكم، إلا أن الصحافة المقاومة عملت على نشر الوعي الوطني والحيلولة دون ذلك.

إن تاريخ صحافة أبي اليقظان ومطبعته العربية شهدت استقطاب كل التيارات الفاعلة في الجزائر من إصلاحيين وإدماجيين وشيوعيين واستقلاليين دون تميز، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الشيخ أبو اليقظان كانت مراميه النضالية توحيد الصف ونشر الوعي الوطني ضد المحتل، بالرغم من أن الخلفيات السياسية للشيخ إصلاحية تستمد مبادئها من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت تتحفظ في عدم الدخول في مواجهة مباشرة مع الإدارة الاستعمارية وعدم الخوض في المسائل السياسية، وبسبب جرأة أبي اليقظان، فقد تحمل تكلفة ذلك حينما أقمت الإدارة الفرنسية على مصادرة جرائده وفرض مراقبة متكررة على نشاط مطبعته.

خاتمة

قد استخلصنا من خلال هذا الموضوع أن النخبة المزابية قد تنبهوا إلى ما يخفيه الاحتلال الفرنسي من وراء مشروع التنصير، فلم يكن هدفهم الأسمى هو إخراج المسلمين عن دينهم الحنيف والتشكيك في تعاليمهم، بل كان والوصول بأسهل الطرق للسيطرة والتحكم والإلحاق، فأسهموا بكل ما أوتوا من ذكاء لإطلاع العامة على حقيقة ما وراء تلك لمساعدات الاجتماعية، ووضعها في خانة الدسائس التي من ورائها محاولة لتقويض كل مجد.

إن المساهمات المتعددة الجوانب للوقوف في وجه مشروع التنصير قد تبناه أعلام مزاب من منطلق أن الأحقاد الصليبية ترمي إلى تكريس الواقع الهدام وضرب البنية الحضارية حتى يصبح المجتمع غير قادر على فهم واقعه، وبالتالي تسهل السيطرة عليه، فسخرت النخبة المزابية جهودها لحماية أبنائهم من المشاريع التنصيرية وعملوا على حماية تعاليم أبنائهم الدينية والعربية، وكانت الصحافة من بين الوسائل التي سخروها في هذا الاتجاه.

قد اتخذ أعلام مزاب الصحافة وسيلة فعالة لخوض غمار السياسة، فظهرت أقلام وصحف مزابية كانت رائدة في الدفاع عن الأمة الجزائرية، وهذا الدور كان سببا لوضع العديد من الشخصيات خانة مشاغبين وأعداء لفرنسا، فزج بهم في السجون ونفوا ووضعوا تحت الإقامة الجبرية بعد ترحيلهم إلى مناطق بعيدة.

قد شارك أعلام مزاب في الحركة الوطنية بشكل فعال من خلال العضوية في الأحزاب السياسية، وقد برزت عدة شخصيات في هذا المجال أمثال الشيخ بيوض وأبي اليقظان ومفدي زكرياء وإبراهيم غرافة وغيرهم.

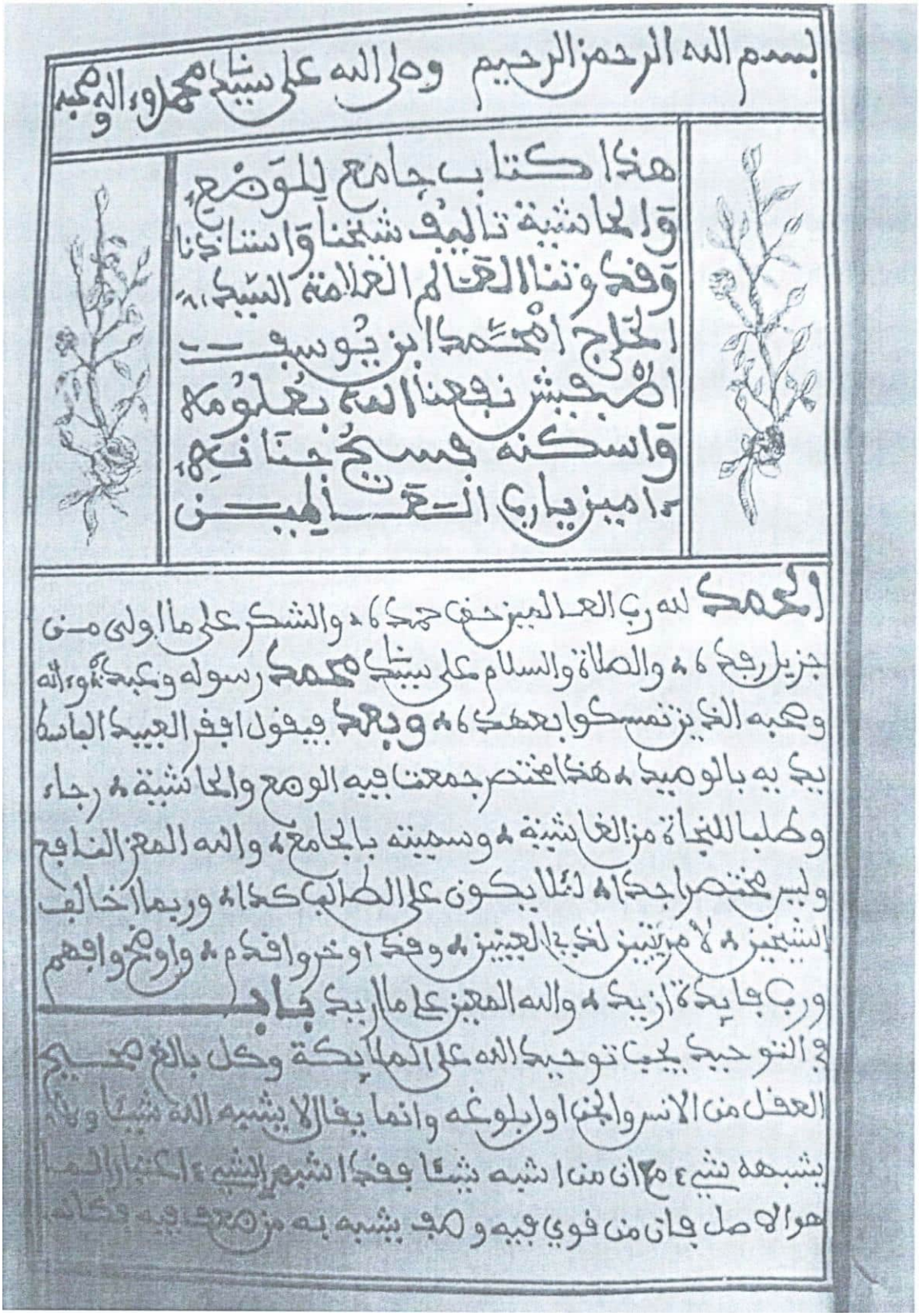
يعد التمثيل النيابي من أهم المسائل السياسية التي شغلت أعلام مزاب وتفرقت حولها الآراء بين مؤيد ومعارض بفكرة المشاركة، فهذه المسألة قد تبارت فيها الأقلام عقودا من الزمن.

بالرغم من ذلك الصراع في مسألة انتخابات المجلس الجزائري بين أعلام وادي مزاب، إلا أنهم خاضوا غمار التجربة من منطلق الدفاع عن الشخصية الجزائرية في إطار قانوني يجلب المصالح ويدفع المفاسد عن المجتمع، ولعل هذه المشاركة انقطع معها زمن رفض الوظائف الإدارية التي فرضها الواقع الديني، ورغم هذه المشاركة الإدارية إلا أن المجتمع المحلي بقي محافظا على نسقه ونظامه الاجتماعي.

إن عضوية الشيخ بيوض في المجلس الجزائري استطاع من خلالها الدفاع عن الأمة ودحض كل محاولات الإدارة الفرنسية لعزل المجتمع المزابي من الحركة الوطنية، بافتعال قضية فصل الصحراء، غير أن كل المغريات والمحاولات باءت بالفشل بسبب مواقفه المتصلبة، وهذا كان مبدأه في كل المجالس والملتقيات التي شارك فيها.

رغم كل الظروف التي أحاطت بالجزائر ووادي مزاب خلال فترة الإحتلال من ظلم وقهر، إلا أن النخبة المزابية ساهمت بفعالية في الحياة الفكرية والسياسية، وكان لهم دور في توعية الشعب حول مصيره وهذا ما يشعرك بالإعجاب والدهشة، فهل أستطاع جيل الإستقلال أن يواصل هذا الحراك ويطوره مستغلا فترة الأمن والإستقرار؟.

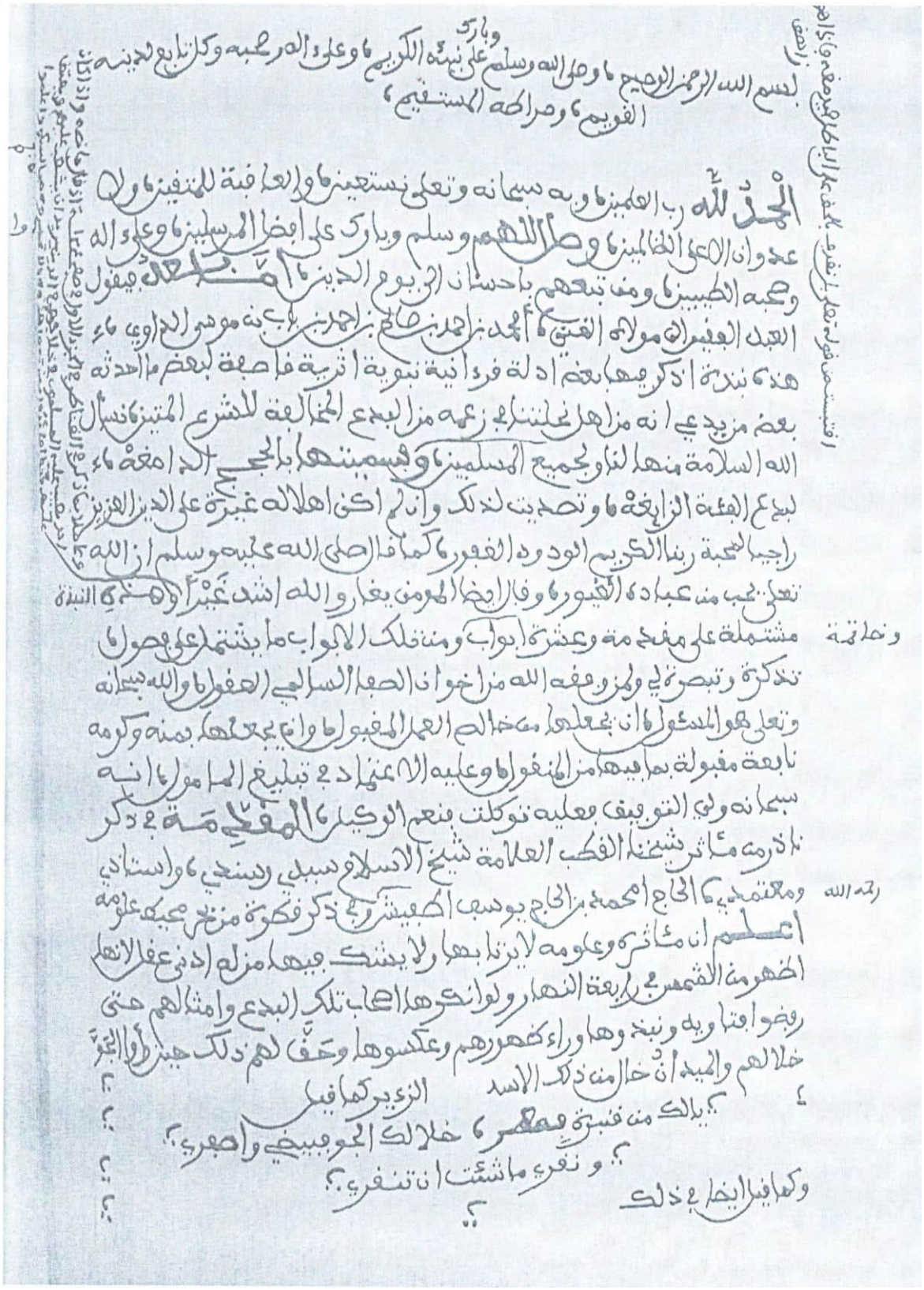
ملحق الوثائق


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

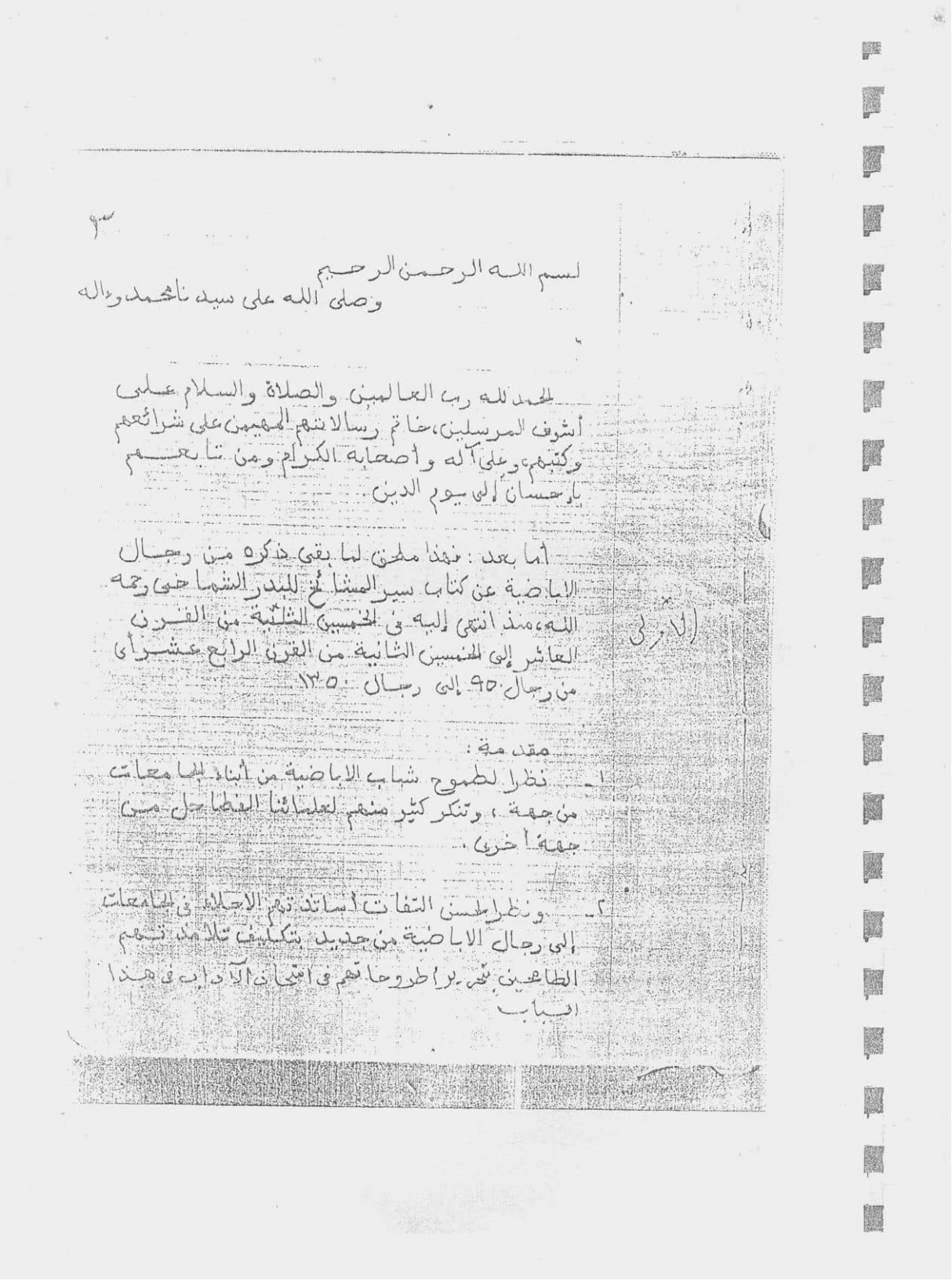
هذا كتاب جامع للوضع والحاشية تأليف شيخنا واستاذنا وقدوتنا العالم العلامة السيد الحاج أحمد ابن يوسف أمبجش نفعنا الله بعلومه وأسكنه فسيح جناته آمين يارب العالمين

الحمد لله رب العالمين حق حمده، والشكر على ما أولى من جزيل رفده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله وعبده وآله وصحبه الذين تمسكوا بعهده، وبعد فيقول أفقر العبيد الباسط يده بالوميد، هذا مختصر جمعت فيه الوضع والحاشية، رجاء وطلبا للنجاة من الغاشية، وسميته بالجامع، والله المعز النافع وليس مختصرا جدا، لئلا يكون على الطالب كدا، وربما خالف الشيخين، لأمرين لذي العينين، وقد أوخروا قدم، وأوضحوا فهم ورب جايدة أزيد، والله المعين على ما أريد **باب** التوحيد يجب توحيد الله على الملائكة وكل بالغ صحيح العقل من الانس والجن أول بلوغه وانما يقال لا يشبه الله شيئا ولا يشبهه شيء، لأن من اشبه شيئا فقد اشبه الشبيه، لأن الماء هو الأصل فإن من قوي فيه وكمل يشبه به من ضعف فيه وكان

الملحق 01: كتاب جامع للوضع والحاشية للإمام القطب



الملحق 02: كتاب الحجج الدامغة



بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، خاتم رسالاتهم المهيمن على شرائعهم وكتبهم، وعلى آله وأصحابه الكرام ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين.

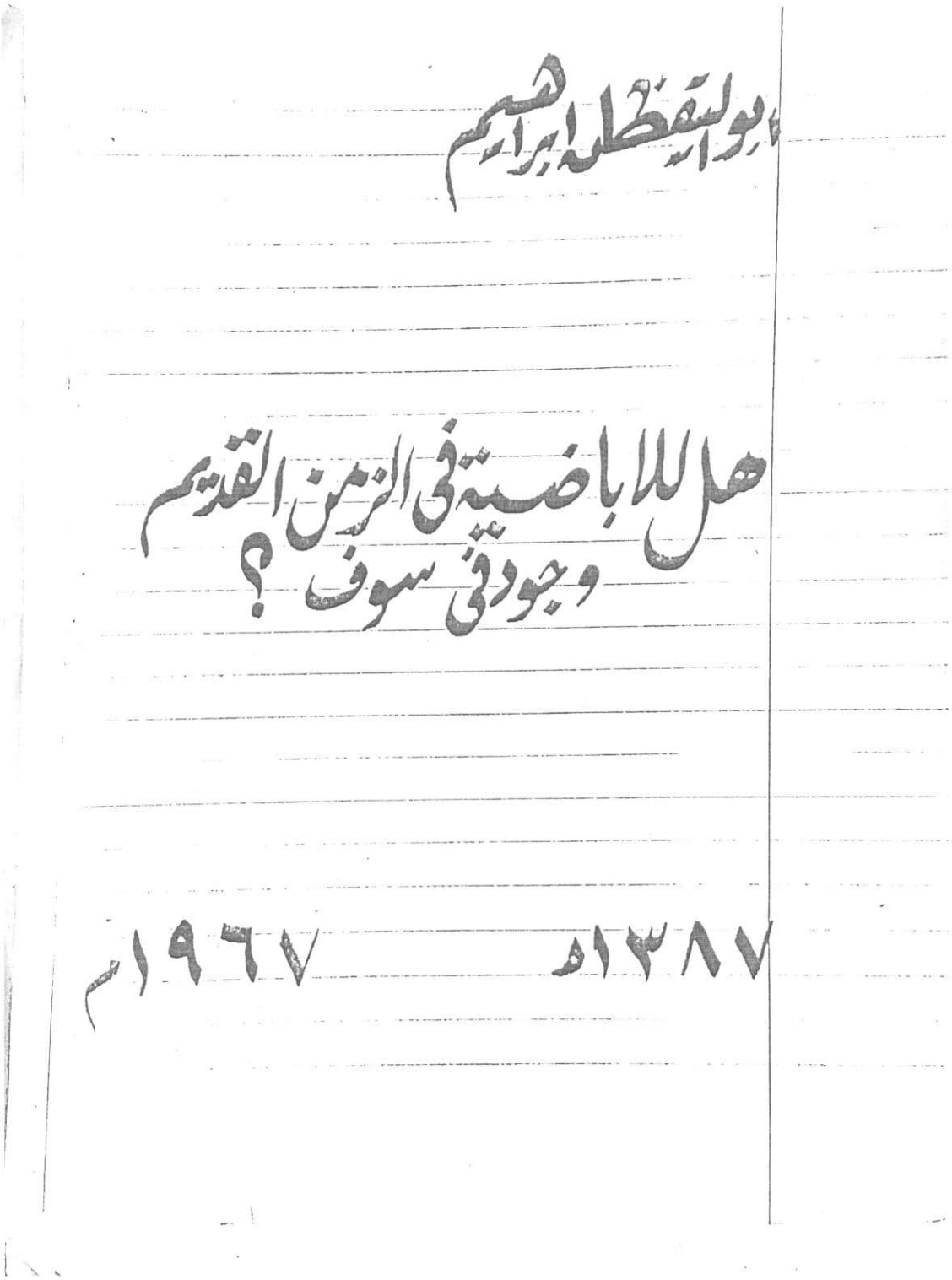
أما بعد: فهذا ملحق لما بقي ذكره من رجال الإباضية عن كتاب سير المشائخ للبدر الشماخي رحمه الله، منذ انتهى إليه في الخمسين الثانية من القرن العاشر إلى الخمسين الثانية من القرن الرابع عشر أي من رجال 950 إلى رجال 1350.

مقدمة:

١- نظرا لطموح شباب الإباضية من أبناء لها معات من جهة، وتنكر كثير منهم لعلمائنا الفطاحل من جهة أخرى.

٢- ونظرا لحسن الثقات أساتذتهم الإخلاص في الجامعات إلى رجال الإباضية من جديد بتكليف تلامذتهم الطامحين بتراطروحاتهم في امتحان الآداب في هذا الباب

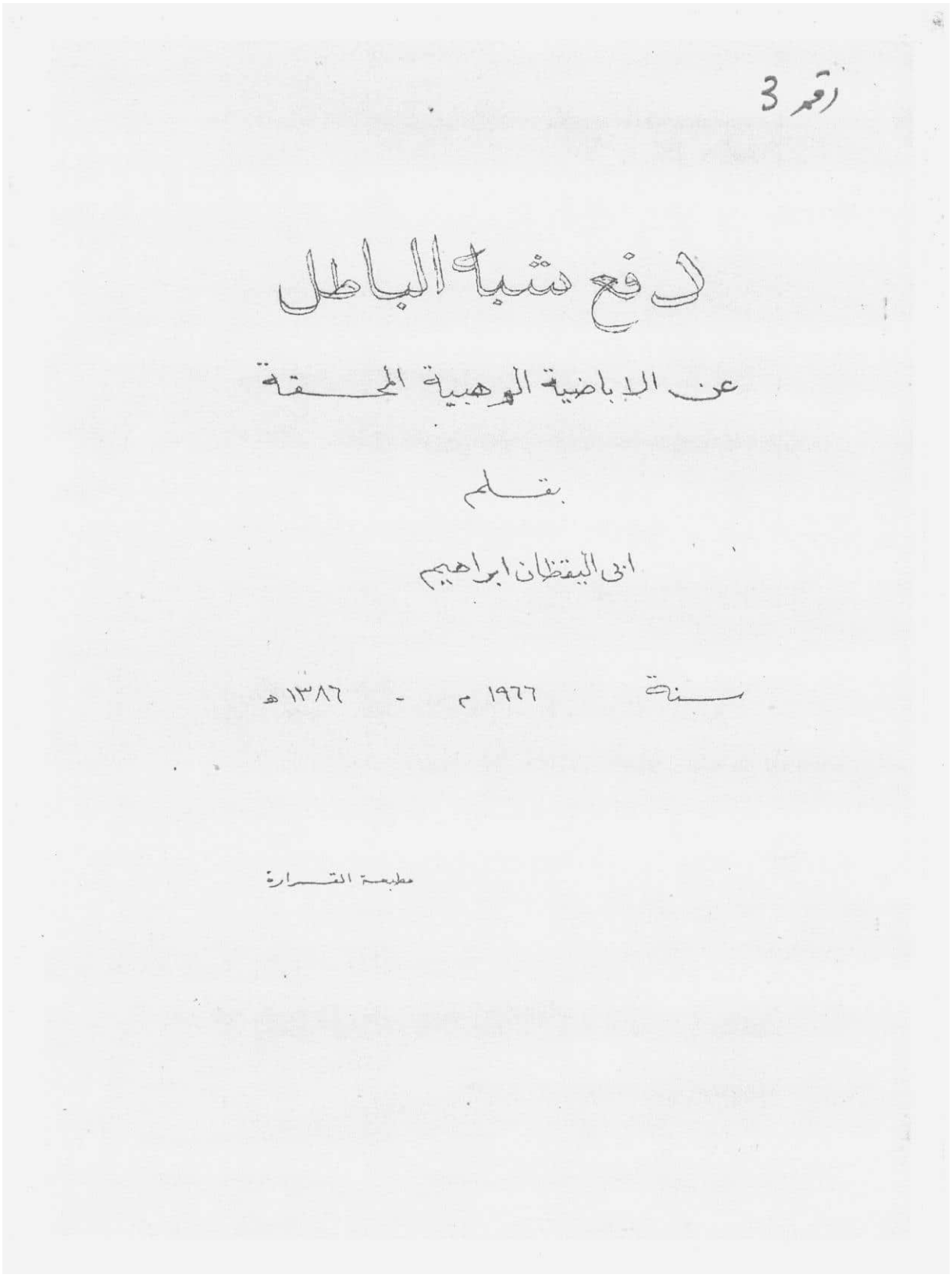
الملحق 03: ملحق لسير الشماخي من رجال 950هـ إلى رجال 1350هـ لصاحبه أبو اليقظان إبراهيم


أبو اليقظة إبراهيم

هل للاباضية في الزمن القديم
وجود في سوف ؟

١٣٨٧هـ ١٩٦٧م

الملحق 04: جمعية أبي إسحاق، قيد الفهرسة



رقم 3

دفع شبه الباطل

عن الاباضية الوهبية المحققة

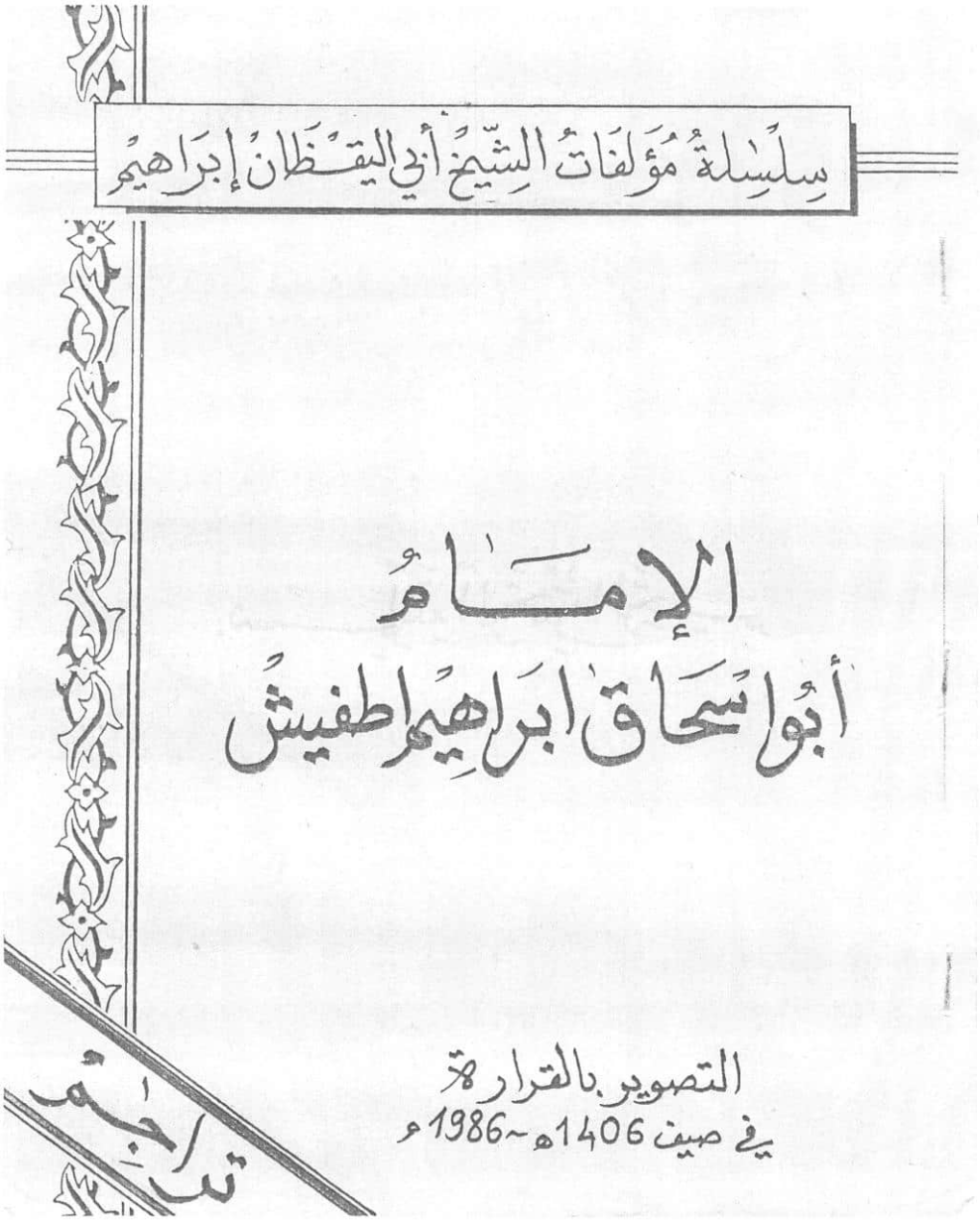
بقلم

ابى اليقظان ابراهيم

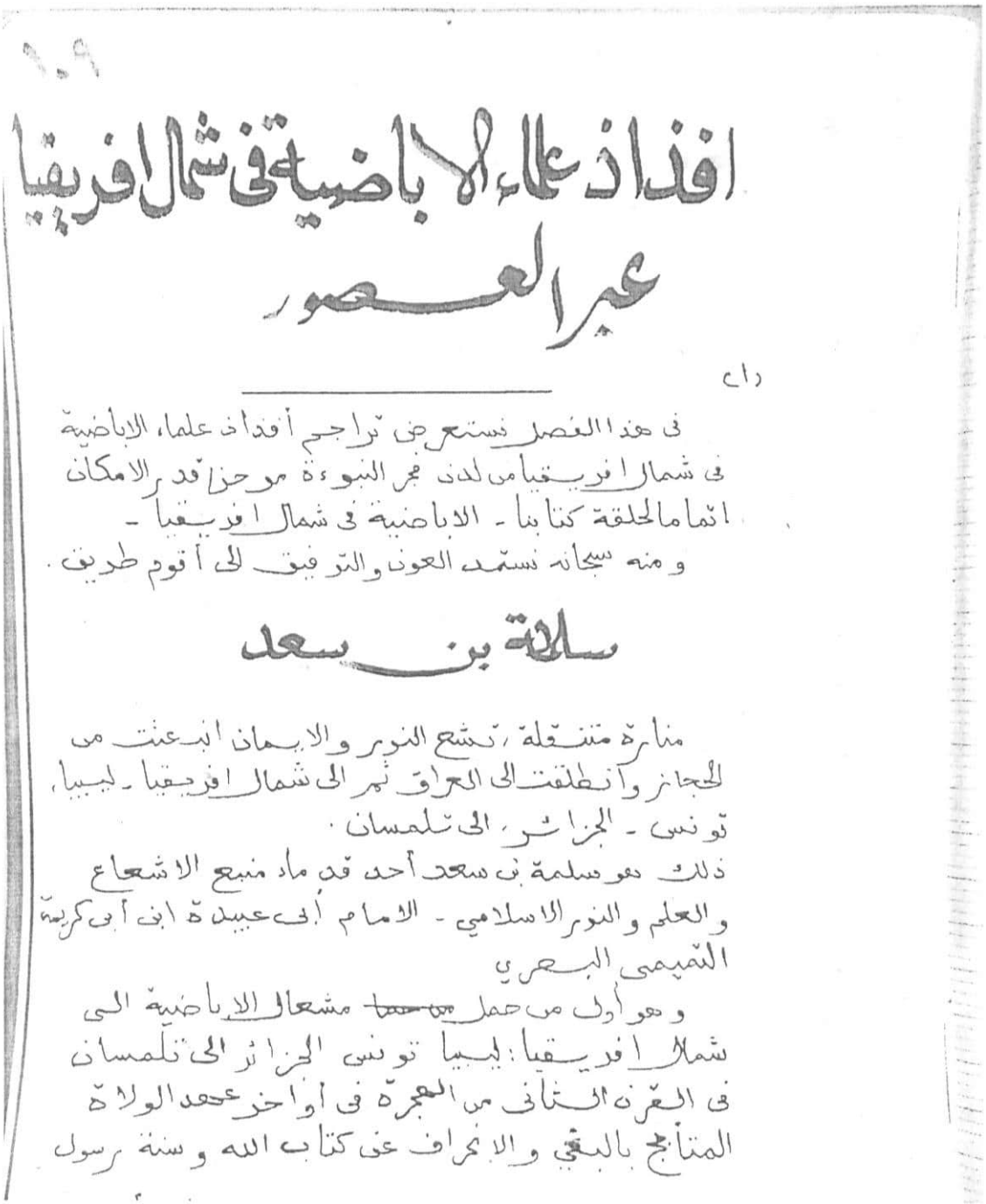
سنة ١٩٦٦ م - ١٣٨٦ هـ

مطبعة القاهرة

الملحق 05: جمعية أبي إسحاق، قيد الفهرسة



الملحق 06: جمعية أبي إسحاق، قيد الفهرسة



افذاذ علماء الاباضية في شمال افريقيا عبر العصور

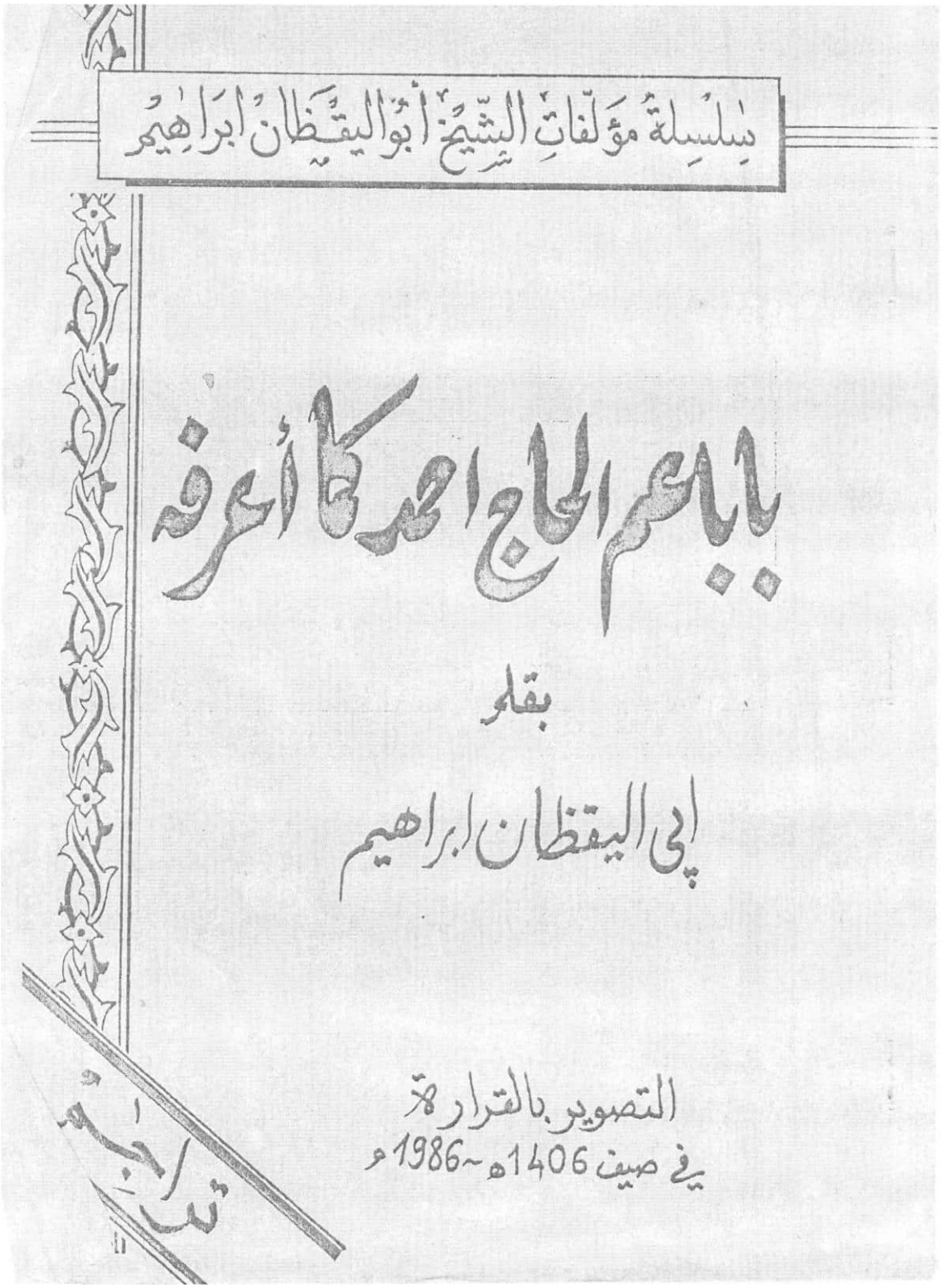
(1)

في هذا الفصل نستعرض تراجم أفذاذ علماء الاباضية في شمال افريقيا من لدن عصر النبوءة موجزا قدر الامكان انما ما الحلقة كتابنا - الاباضية في شمال افريقيا -
ومنه سبحانه نستمد العون والتوفيق الى أقوم طريق.

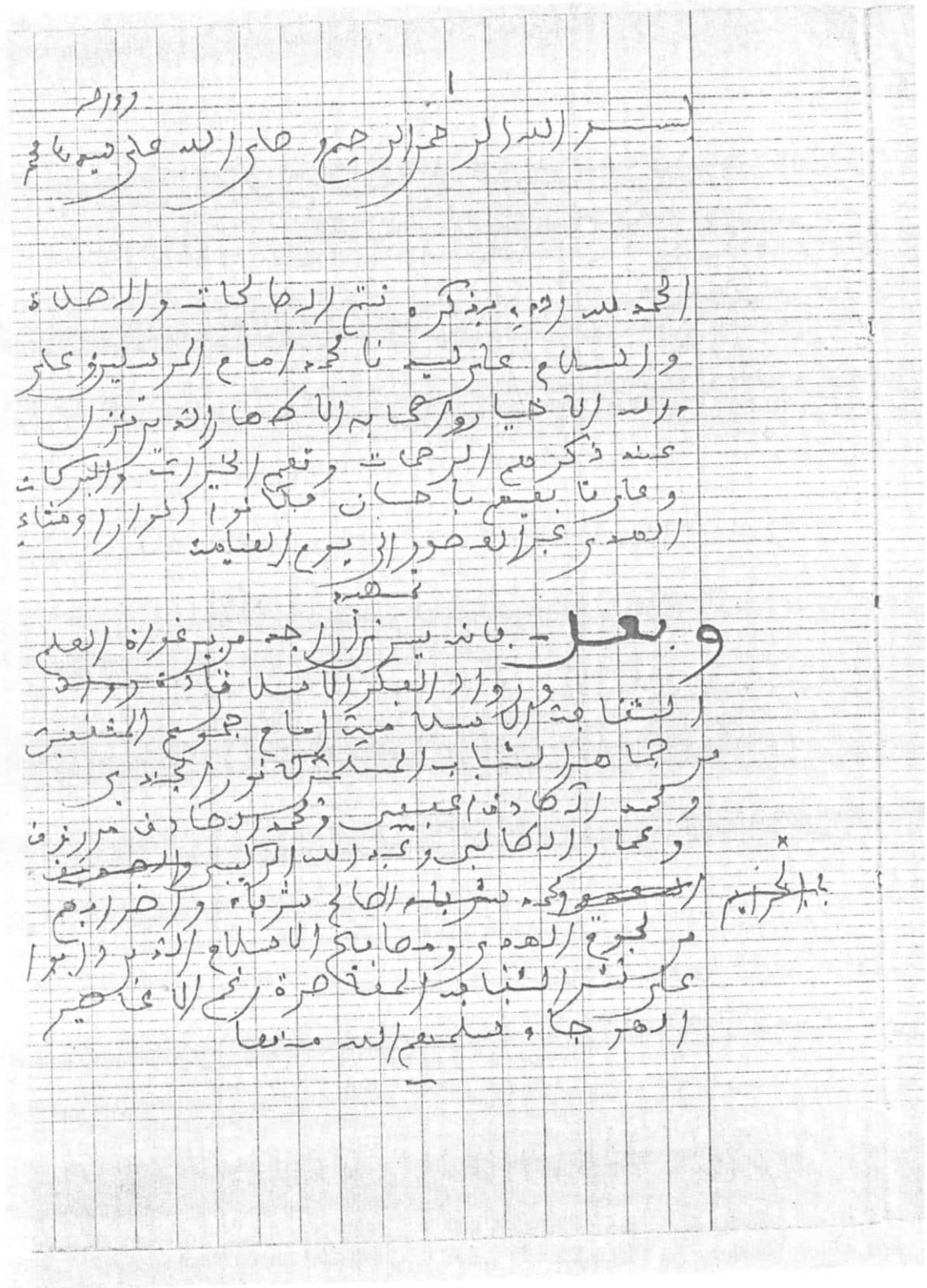
سلامة بن سعد

منارة متنقلة، تشع النور والايمان انبعثت من الحجاز وانطلقت الى العراق ثم الى شمال افريقيا - ليبيا، تونس - الجزائر، الى تلمسان.
ذلك هو سلمة بن سعد أحد قادة منبع الاشعاع والعلم والنور الاسلامي - الامام أبي عبيدة ابن أبي كريمة التميمي البصري
وهو أول من حمل ~~من~~ مشعل الاباضية الى شمال افريقيا: ليبيا تونس الجزائر الى تلمسان في القرن الثاني من الهجرة في أواخر عهد الولاة المتأججة بالبغي والانحراف عن كتاب الله وسنة رسول

الملحق 07: جمعية أبي إسحاق، قيد الفهرسة

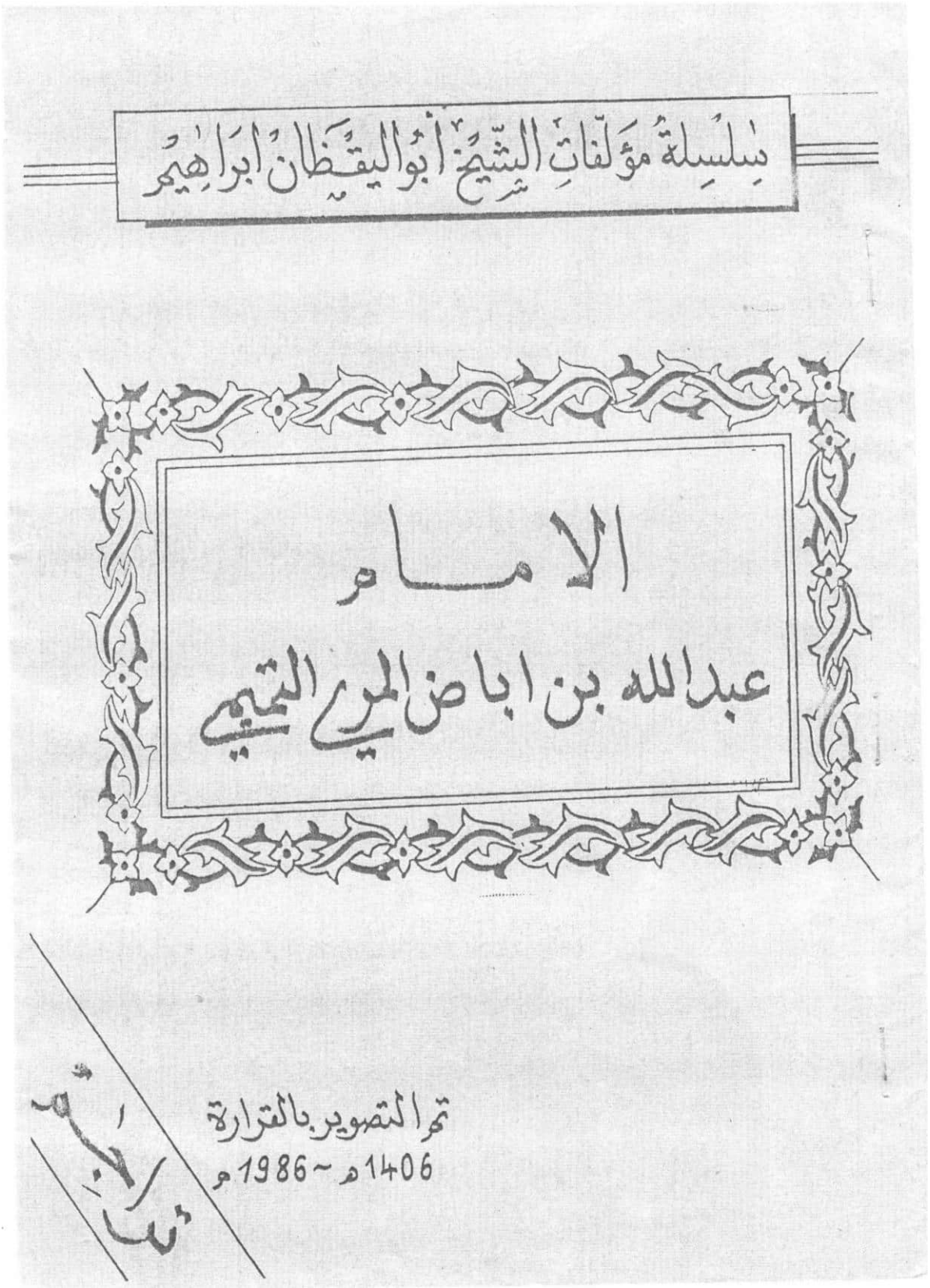


الملحق 08: جمعية أبي إسحاق، قيد الفهرسة

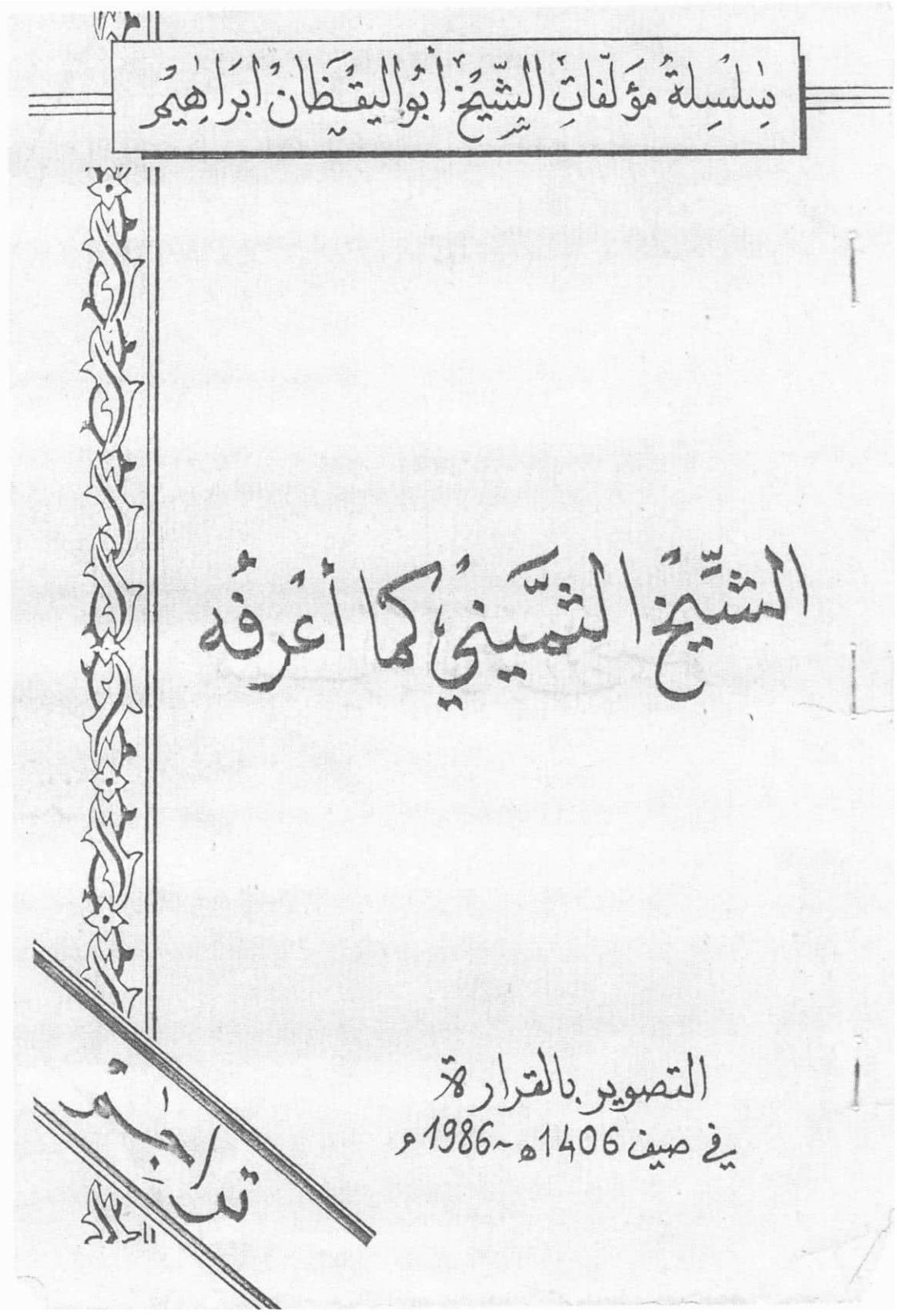


الملحق 09: كتاب الإمام أبو عمار عبد الكافي لصاحبه أبي اليقظان

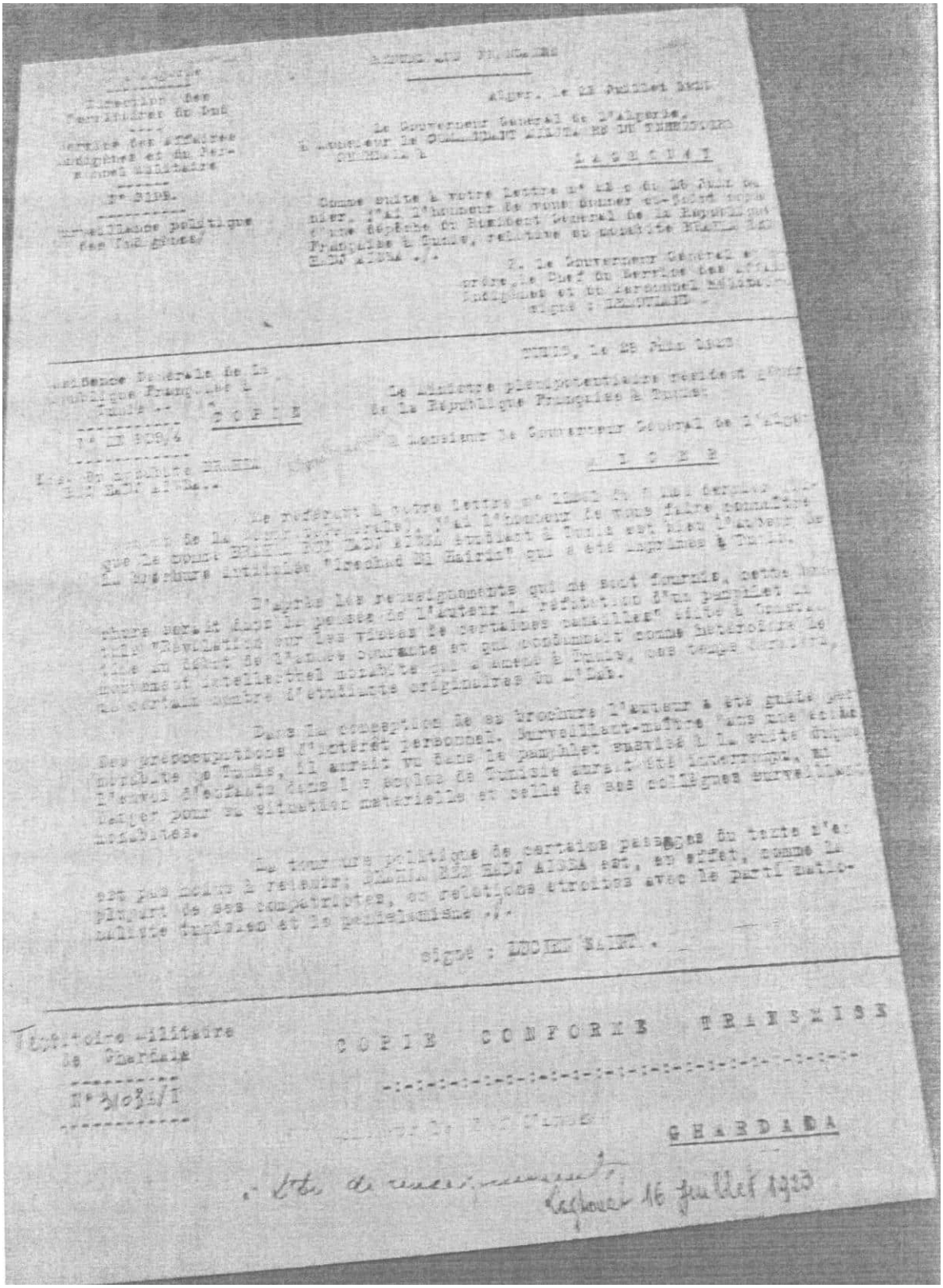
المصدر: جمعية أبي إسحاق، قيد الفهرسة



الملحق 10: جمعية أبي إسحاق، قيد الفهرسة

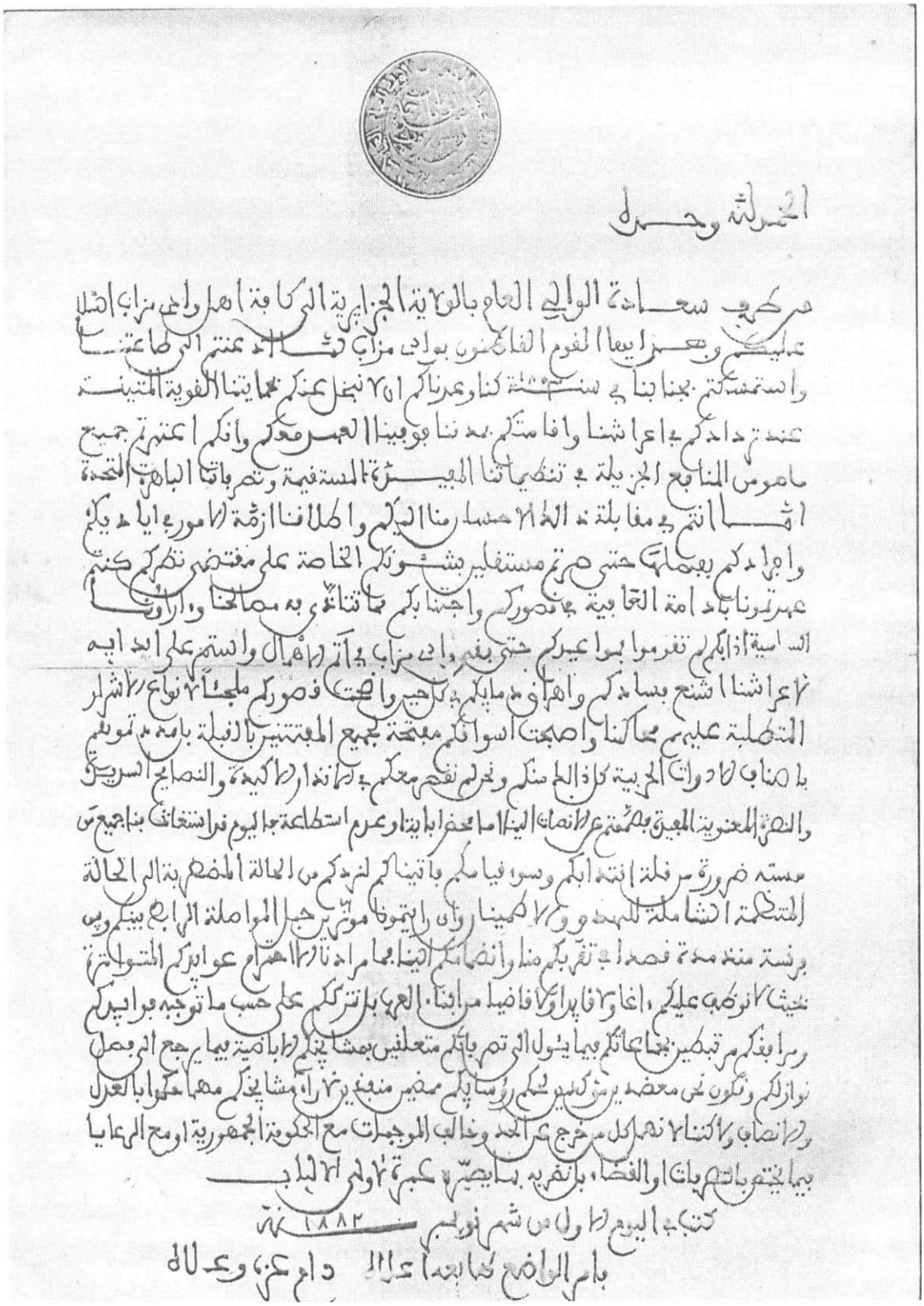


الملحق 11: جمعية أبي إسحاق، قيد الفهرسة



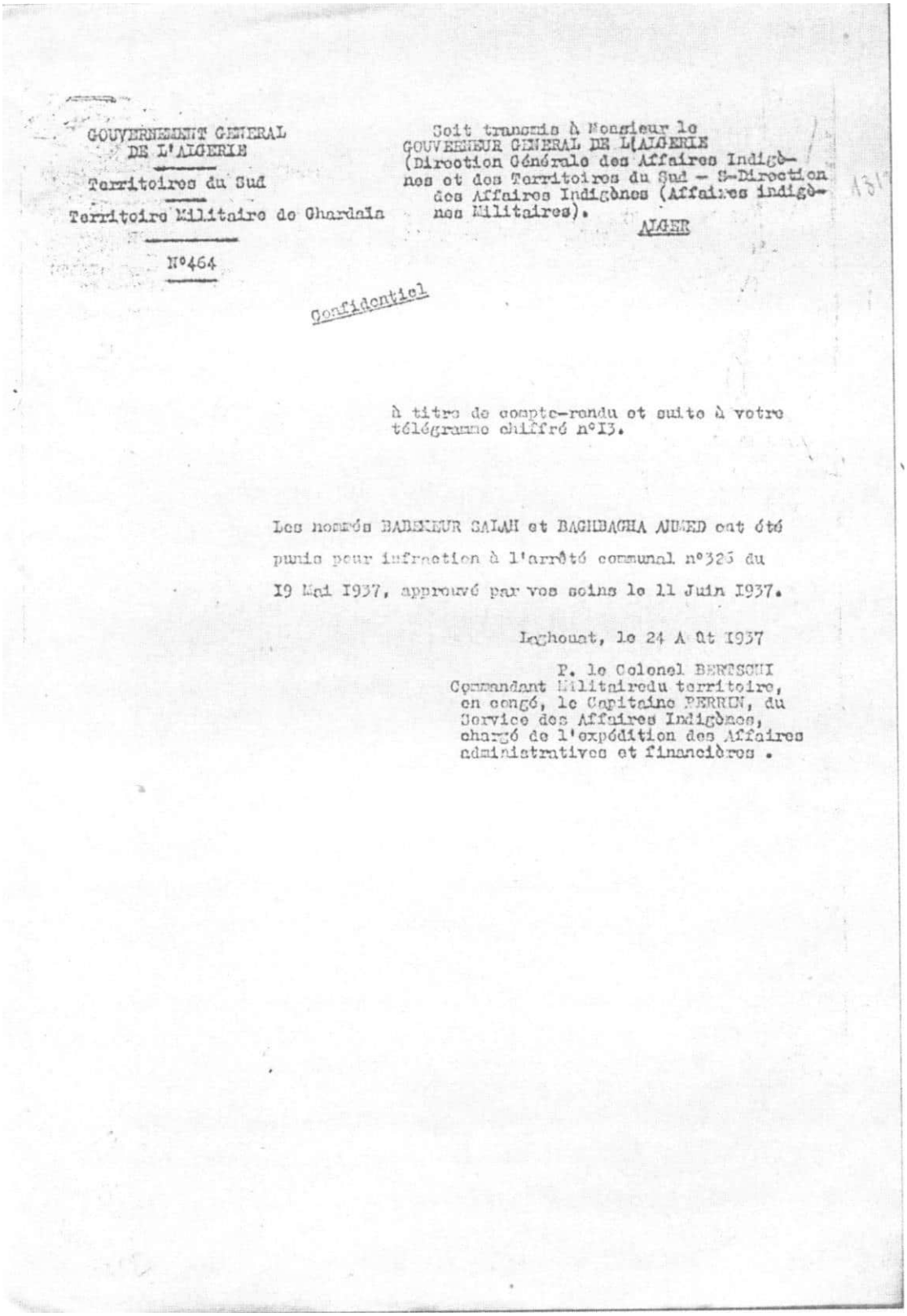
الملحق 12:

المصدر: ر م ع ح



الملحق 15: قرار الإلحاق العسكري

المصدر: ر م ع ح



GOUVERNEMENT GENERAL
DE L'ALGERIE

Territoires du Sud

Territoire Militaire de Ghardaia

N°464

Soit transmis à Monsieur le
GOUVERNEUR GENERAL DE L'ALGERIE
(Direction Générale des Affaires Indigènes et des Territoires du Sud - S-Direction des Affaires Indigènes (Affaires indigènes Militaires).
ALGER

Confidentiel

à titre de compte-rendu et suite à votre télégramme chiffré n°I3.

Les nommés BADEKEUR SALAH et BAGHDAGHA AHMED ont été punis pour infraction à l'arrêté communal n°325 du I9 Mai I937, approuvé par vos soins le 11 Juin I937.

Laghouat, le 24 A Ot I937

P. le Colonel BERTSCHI
Commandant Militairedu territoire,
en congé, le Capitaine PERRUN, du
Service des Affaires Indigènes,
chargé de l'expédition des Affaires
administratives et financières .

الملحق 13: توقيف صالح بابكر وأحمد بغباغة

المصدر: ر م ع ح رقم 1312



١٣٤٢/١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير مفتش مدارس التل لسنة ١٣٧٤-١٩٥٥

ابتداء من ٢٩ ماي الى ١٥ جوان ١٩٥٥

الجزائر

مدرسة الهدابة بهيج راندون

في المدرسة ٣٠ تلميذا وكانوا في السنة الماضية ٣١ في خمسة اقسام ينقصها الربح والاول يقوم بها الاستاذ فخار نور الدين بن قاسم

حصص القرآن وسائر المواد كاملة وزاد على المقرر في اكثرها

اجابة التلاميذ في جميع الاقسام وفي جميع المواد حسنة وحسنة جدا في بعضها على نقد مهم في الحصة. بسوء المعلم والمدرسة اذارة حازمة ونظام شامل

المعلم قائم بواجباته احسن قيام واثره كبير ظاهر في التلاميذ على ضيق في الاوقات ترقد منعهم من الاشتغال بالدروس الاضافية في الفرنسية التي تشغل التلاميذ من غير نفع ظاهر في اكثر المدارس العربية فاضطروا للانقطاع عنها والاقبال على المدرسة مساء فوفر للمدرسة وقتا ونظاما ظهر اثرهما في تقدم المدرسة ونجاح التلاميذ

مدرسة التوفيق ببلكور

في المدرسة ٣٠ تلميذا وكانوا في السنة الماضية ٢٨ في سبعة

-١-

تكميلية

الملحق 14: الصفحة الأولى من تقارير تفتيش المدارس في التل

المصدر: ر م ع ح رقم 1342

AL 00055 2192/3

RECEPISSE DE DECLARATION d'ASSOCIATION

Vu la loi du 1er Juillet 1901 relative au contrat d'association;

Vu le décret du 16 Août 1901, portant réglement d'administration publique pour l'exécution de ladite loi;

Vu le décret du 14 Août 1905 sur l'organisation administrative et militaire des Territoires du Sud et notamment l'article 1er qui confère au Gouverneur Général, dans ces Territoires, les attributions administratives et financières qui, dans l'Algérie du Nord, sont dévolues aux Préfets.

Le Gouverneur Général de l'Algérie certifie avoir reçu de M.BABEKEUR SALAH BEN KACEM. commerçant à GHARDAIA, une déclaration datée du 14 Avril 1928, par laquelle il fait connaître la constitution d'une association dénommée " Djemayet -El- Islah " dont le siège social est à Ghardaia, ainsi que deux exemplaires des statuts de la dite association.

ALGER, le 10 SEP

الملحق 16: وصل تأسيس جمعية الإصلاح

المصدر: ر م ع ح رقم 1292/3

STERE DE L'INTERIEUR

ation du Contrôle de
comptabilité des Af -
aires Algériennes

4e BUREAU

REPUBLIQUE FRANÇAISE

ARRETE.

LE MINISTRE DE L'INTERIEUR :

Vu les Articles 14 et 69 de la Loi du 29 Juillet 1881 et l'Article unique de la Loi du 25 Juillet 1895, sur la presse;

Vu le Journal de Langue Arabe Oued M'Zab dont les Directeurs gérants sont les sieurs Hassem El Onck et El Hadj Brahim Ben Aissa, journal imprimé à Tunis, l'imprimerie tunisienne, rue Souk-el-Blat, publié à Alger où il a le siège de son administration et de sa rédaction, 57, rue de la Lyre;

Attendu que ce journal révèle des tendances contraires à l'ordre public dans les milieux indigènes de l'Algérie;

Sur les propositions du Gouverneur Général de l'Algérie;

Le Conseil des Ministres entendu.

ARRETE :

ARTICLE UNIQUE.- La circulation, la mise en vente et la distribution du journal de langue arabe "Oued M'Zab" publié à Alger sont interdites en Algérie.

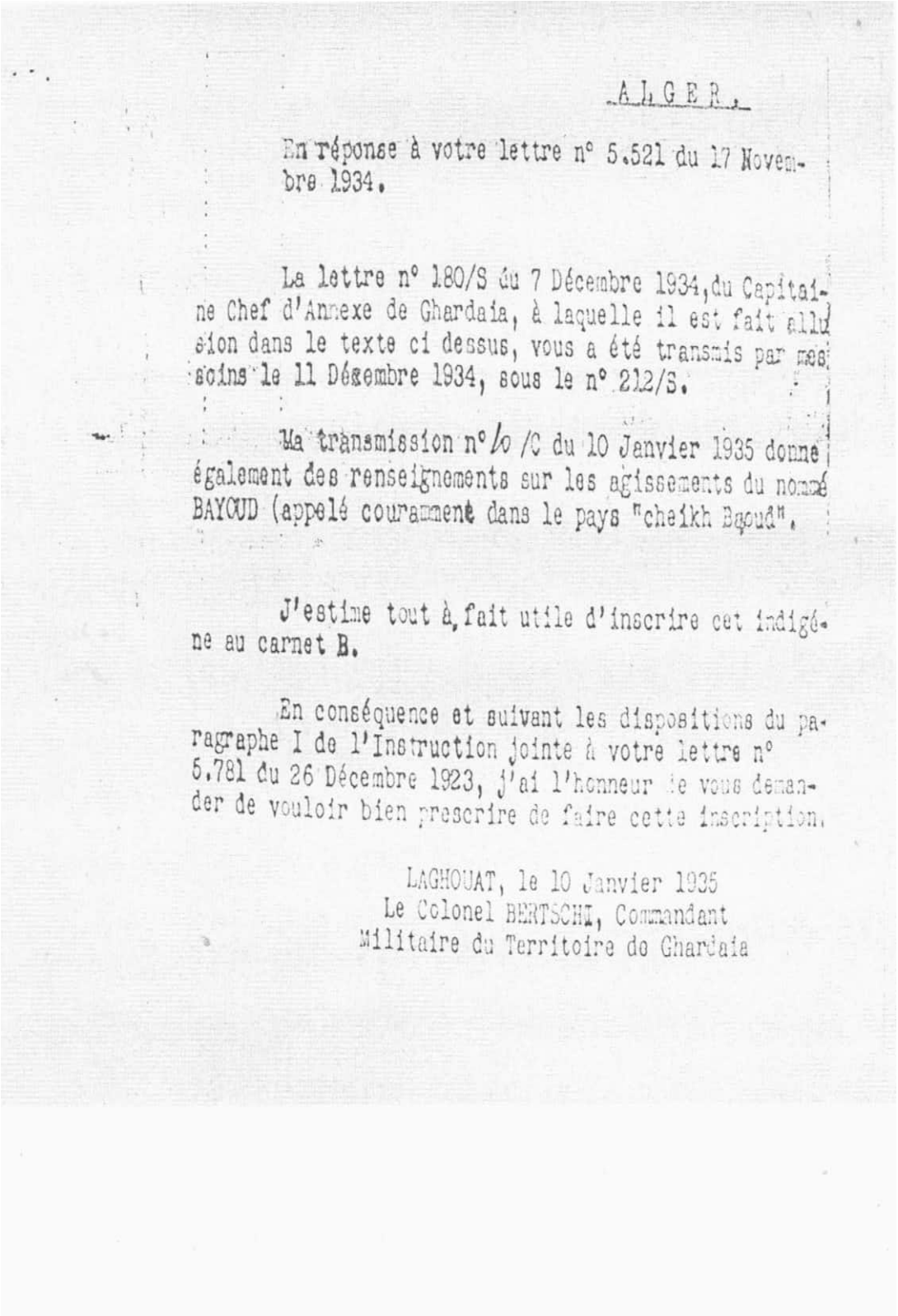
Cette interdiction s'étend à tout nouveau journal de même tendance qui établirait en Algérie le siège de sa rédaction et de son administration même s'il avait un autre gérant et s'il sortait d'une autre imprimerie./.

FAIT A PARIS, LE 18 JANVIER 1929.

Signé: André Tardieu.

الملحق 17: قرار منع جريدة وادي مزاب من الصدور

المصدر: ر م ع ح رقم 2074/31



ALGER.

En réponse à votre lettre n° 5.521 du 17 Novembre 1934.

La lettre n° 180/S du 7 Décembre 1934, du Capitaine Chef d'Annexe de Ghardaia, à laquelle il est fait allusion dans le texte ci dessus, vous a été transmis par mes soins le 11 Décembre 1934, sous le n° 212/S.

Ma transmission n° 10 /C du 10 Janvier 1935 donne également des renseignements sur les agissements du nommé BAYOUD (appelé couramment dans le pays "cheikh Bgoud".

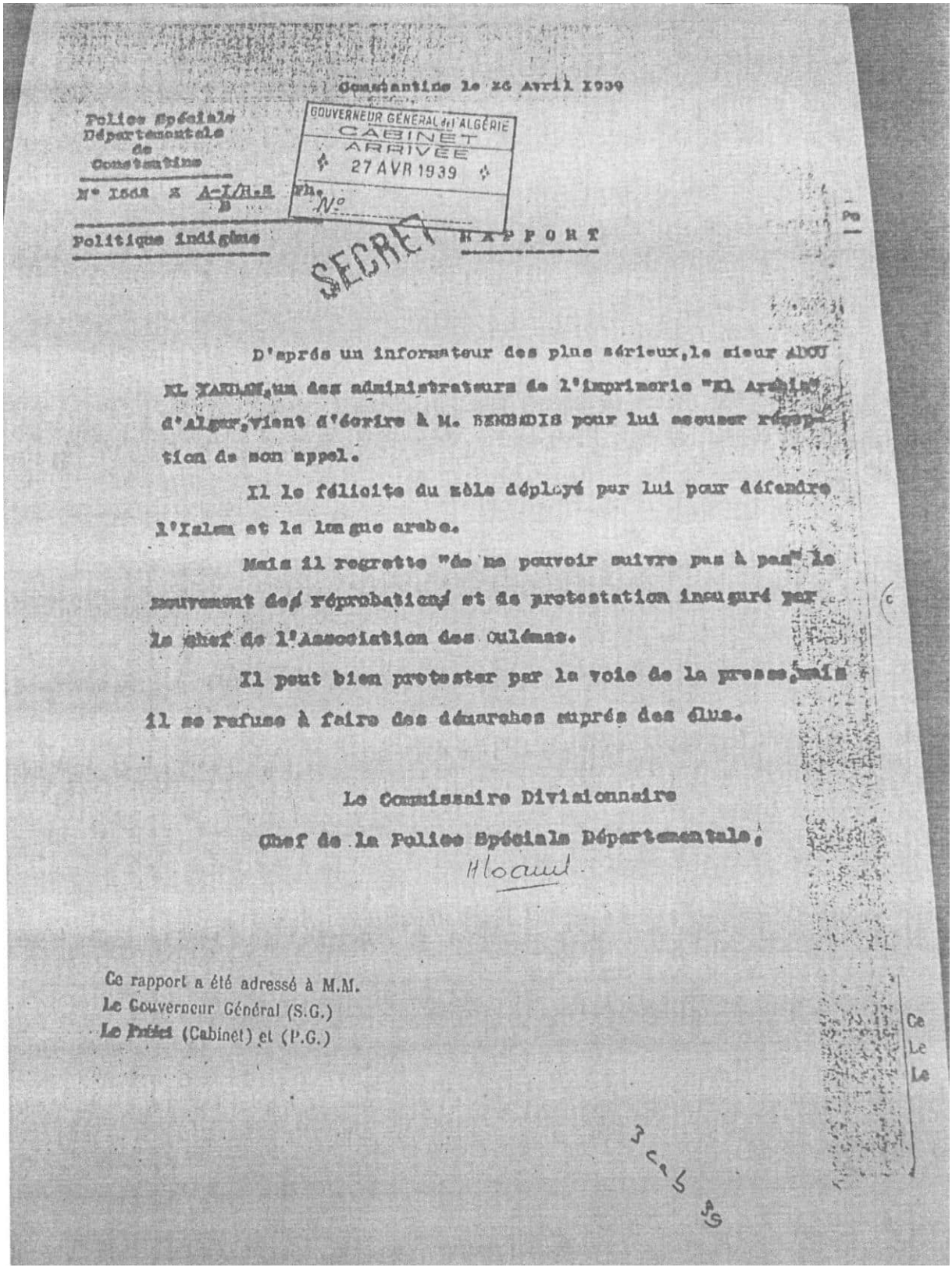
J'estime tout à fait utile d'inscrire cet indigène au carnet B.

En conséquence et suivant les dispositions du paragraphe I de l'Instruction jointe à votre lettre n° 5.781 du 26 Décembre 1923, j'ai l'honneur de vous demander de vouloir bien prescrire de faire cette inscription.

LAGHOUAT, le 10 Janvier 1935
Le Colonel BERTSCHI, Commandant
Militaire du Territoire de Ghardaia

الملحق 19: الموافقة على تسجيل بيوض إبراهيم في الدفتر ب لمراقبته

المصدر: ر م ع ح رقم 2047



Constantine le 26 Avril 1939

Police Spéciale
Départementale
de
Constantine

N° 1582 S A-I/H.R
B

GOUVERNEUR GÉNÉRAL de l'ALGÉRIE
CABINET
ARRIVÉE
27 AVR 1939
Ph. N°

Politique indigène

SECRET

RAPPORT

D'après un informateur des plus sérieux, le sieur ABOU EL YAKDAN, un des administrateurs de l'imprimerie "El Arabia" d'Alger, vient d'écrire à M. BENBADIS pour lui accuser réception de son appel.

Il le félicite du zèle déployé par lui pour défendre l'Islam et la langue arabe.

Mais il regrette "de ne pouvoir suivre pas à pas" le mouvement de réprobation et de protestation inauguré par le chef de l'Association des Oulémas.

Il peut bien protester par la voie de la presse, mais il se refuse à faire des démarches auprès des élus.

Le Commissaire Divisionnaire
Chef de la Police Spéciale Départementale,
Hoaut

Ce rapport a été adressé à M.M.
Le Gouverneur Général (S.G.)
Le Préfet (Cabinet) et (P.G.)

الملحق 18: المشاركة في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المصدر: ر م ع ح رقم 2074

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: الأرشيف (رصيد مكتبة الأستاذ عبد الرحمن حواش)

1. الملف رقم 1312.
2. الملف رقم 1342.
3. الملف رقم 2074.

ثانيا: المخطوطات

1. أبو اليقظان إبراهيم ، ملحق لسير الشماخي، من رجال 950هـ إلى رجال 1350هـ، ثلاث أجزاء، مخطوط، موجود في جمعية أبي إسحاق،.
2. بن بحمان الثميني إبراهيم ، مختصر المناسك ومهذب المسالك، مخ، خزانة الشيخ عمي السعيد، رقم 192، رمز د غ 138.
3. بن بنوح مطياز إبراهيم ، تاريخ مزاب، نسخة مخطوطة في خزانته.
4. بن يوسف أطفيش أمحمّد ، "رسالة تذمر السكان من تصرفات المسيحيين في المنطقة"، خزانة القطب ، رقم 105 رمز 12 .
5. بن يوسف أطفيش أمحمّد ، الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل وادي ميزاب، مخطوط، معهد الدراسات الإسلامية، تحت رقم C83T A 864R، د ت.

ثالثا: فهارس المخطوطات

1. فهرس مخطوطات خزانة آل الفضل، بني يزجن، نحو دليل مخطوطات وادي ميزاب05، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1996م.
2. فهرس مخطوطات خزانة الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش، بني يزجن، غرداية، الجزائر، جويلية 2013م.

3. فهرس مخطوطات خزانة محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)، جمعية عمي سعيد، قسم التراث والمكتبة، غرداية، الجزائر، 2005م.

4. فهرس مخطوطات خزانة الشيخ حمو بابا وموسى، جمعية عمي سعيد، قسم التراث والمكتبة، غرداية، الجزائر، 2003م.

5. فهرس مخطوطات خزانة دار العلم، مؤسسة عمي سعيد، قسم التراث والمكتبة، غرداية، 2020م

رابعا: المصادر

1. إبراهيم بن يحي أيوب، حياته وآثاره، تق: محمد ناصر ،جمعية النهضة، المطبعة العربية، الجزائر 1990م.

2. إبراهيم بن يحي أيوب، رسالة في بعض أعراف وعادات بني ميزاب، تح، وتق، يحي بن هون الحاج امحمد، ج2، دار مساحات المعرفة، الجزائر، 2015م.

3. ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، تح: عبد السليم الشدادي، ج03، خزانة بن خلدون، بيت الفنون والعلوم والآداب، المغرب، 2005م، ط1.

4. ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ بن خلدون، ج07، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م.

5. ابن صغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح، تع، محمد ناصر وبحاز إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985م، د ر ط.

6. ابن منظور، لسان العرب، ج01، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1968م.

7. أبو العباس أحمد بن سعد الشماخي ، كتاب السير، ج1، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ط1، 1992.

8. أبو اليقظان إبراهيم، الديوان، ج1، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م.

9. أبو اليقظان إبراهيم، تاريخ صحف أبي اليقظان، تق، وتع محمد ناصر، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2003م، د ر ط.

10. أبو اليقظان إبراهيم، ديوان أبي اليقظان، دراسة محمد صالح ناصر، نشر جمعية التراث، ج1

11. أبو اليقظان إبراهيم، سليمان الباروني في أطوار حياته، الدار العمانية، 1956م، د ر ط.

12. أبو اليقظان إبراهيم، مختارات من مقالات الشيخ أبي اليقظان في جريدة الأمة، تق تح محمد بن القاسم ناصر بوحجام، مؤسسة الشيخ أبو اليقظان الثقافية، نشر جمعية التراث، غرداية، 2013م، د ر ط.

13. أحمد بن سعيد الدرجيني أبو العباس ، طبقات المشايخ بالمغرب، ج2، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م.

14. الأغواطي ابن الدين ، مجموعة رحلات "رحلة الأغواطي"، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر،2011م، ط خ.

15. بن أبي بكر بن خلكان محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، مج06، دار صادر، بيروت، 1900م، د ر ط.

16. بن عمر بيوض إبراهيم ، أعمالي في الثورة، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 1990م، ط01.

17. بن عمر بيوض إبراهيم، في رحاب القرآن، تح: محمد الناصر، القسم 02، نشر جمعية التراث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، غرداية، 1989م، د ر ط.

18. بن عمر عبد الرحمن ، مقتطفات من مذكرات البكري، جم وتق: عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن عمر، مكتبة البكري، المطبعة العربية، غرداية، 2015م، د ر ط

19. بن عمر عبد الرحمن، بصمات البكري الصحفية في أرشيف النهضة الجزائري الحديثة 1926-1938م، تح، تق: قاسم بن حمو حجاج، نشر مكتبة البكري، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 2003م.

20. بن عمر عبد الرحمن، تقارير البكري حول مدرسة وجمعية الفتح للتربية والتعليم في بريان، نشر مكتبة البكري، غرداية، 2009م، د ر ط.

21. بن عمر عبد الرحمن، مسيرة الإصلاح في جيل 1918م، إعداد وتقديم مصطفى صالح باجو، نشر مكتبة البكري، العطف، الجزائر، 2004م.

22. بن عيسى بن إبراهيم عمر ، بيان حقيقة عن التجنيد الإجباري وما ينتج عنه بوادي مزاب، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1931م.

23. بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1984م، ط02.

24. بن يوسف اطفيش امحمّد ، إطالة الأجور وإزالة الفجور، تق، تر، أحمد بن حمو كروم، عمر بن أحمد بازين، د ط، د ر ط، 1995م.

25. بن يوسف اطفيش امحمّد، تيسير التفسير، تح، وإخ، إبراهيم بن محمد طلاي، ج4، سورة الأحزاب، الآية 04، المطبعة العربية، الجزائر، 1996م، د ر ط.

26. بن يوسف اطفيش امحمّد، شرح لغز الماء، إخراج، محمد بن الحاج محمد بن الشيخ أمحمّد اطفيش، 2007، ط02.

27. الحاج مصالي ، مذكرات مصالي الحاج 1898-1938م، تر: محمد معراجي، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2013م.

28. حسين بن رجب شاوش بن المفتي ، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، جمع الأستاذ فارس كعوان، بيت الحكمة الجزائر، 2009م، ط01.

29. حمود رمضان ، بذور الحياة، مكتبة الاستقامة، تونس، 1928م.

30. الزاهري محمد الهادي، شّعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية، تونس، 1926م، ط1.

31. الزاهري محمد الهادي، شّعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج2، مطبعة النهضة، تونس، 1927م.

32. زكرياء مفدي ، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جم وتح: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003م.

33. علي دبوز محمد، أعلام الإصلاح في الجزائر،ج1، ج2، ج3، مطبعة البعث، قسنطينة،1978م، ط01

34. علي دبوز محمد، تاريخ المغرب الكبير، ج2، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1964م، ط01.

35. علي دبوز محمد، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1،ج2،ج3، المطبعة العربية، الجزائر،1981، ط1.

36. الغزالي أبو حامد ، إحياء علوم الدين، ج6، دار الشعب، القاهرة، (د.ت).

37. مارتن كاستر، ببلوغرافيا الكتابات الإباضية، ترجمة: مادغيس أوفولاي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2008م، ط01.

38. محمد طلاي إبراهيم ، مزاب بلد الكفاح، دراسة تاريخية اجتماعية تلقي أضواء على نشأة هذا البلد وحياة ساكنيه، مطبعة آفاق، غرداية 2013م ، د ر ط.

39. محمد عيسى النوري حمو ، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، مج1، 2،3،4، مطبعة البعث، د ت، د ر ط.

40. المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر تح ودراسة يحي بوعزيز، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990م، ط1.

41. ناصر محمد، مشايخي كما عرفتهم، ط1، تنسيق وإخراج: محمد أحمد جهلان، دار الريام، الجزائر، 2008م، ط01.

42. يحي بن أبي بكر أبو زكرياء ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح وتع: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م.

خامسا: معاجم

1. إبراهيم بحاز وآخرون، معجم المصطلحات الإباضية، ج02، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2008م.

2. مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب الإسلامي، ج2، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1999م، ط01.

سادسا: المراجع

1. إبراهيم مصطفي رمضان، رمضان رجل العلم والنضال، درا نزهة الألباب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م، ط01.

2. إبراهيم بحاز ، الدولة الرستمية 160هـ-296هـ، 777م-909م دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية، ، نشر جمعية التراث، غرداية، 1993، ط02.

3. أبو العلا محمد سليمان، صفحات الكفاح، سياسة الشيخ إبراهيم بيوض في المجالس الإدارية الفرنسية في الجزائر، نشر جمعية التراث Art Team، الجزائر، 2021م، ط01.

4. أبو العلا محمد سليمان، صفحات من الكفاح خاص بالشيخ بيوض والاستعمار الفرنسي في الجزائر، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، 2012م،ط01.

5. أحمد كروم، بكير وأعوشت، مسلمات صالحات في روضة الإيمان، مؤسسة الشيخ الناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، 2016م، ط منقحة.

6. احميدة عميراوي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844 – 1916م، دار الهدى الجزائر، 2009م، د ر ط.

7. أندري جوليان شارل، إفريقيا الشمالية تيسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تع، منجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976م، ط03.

8. أولاد الطاهر إبراهيم ، شاهد من بريان، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، 2003م، د ر ط.

9. باسيل عكولة وآخرون، المنجد في الأعلام، دار المشرق، لبنان، 1998م، ط02.

10. بفايفر سيمون، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم وتعريب: أبو العيد دوود، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

11. بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830–1871م)، مطبعة دحلب، الجزائر، 1977م، د ر ط.

12. بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1989م)، ج4، دار المعرفة، الجزائر، 2006م.

13. بن أحمد أوجانه علي، الوطني الثائر سليمان بن يحي بوجناح الفرقد، نشر جمعية التراث، 2017، د ر ط.

14. بن الحاج بكير حمودة مصطفى، مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي إلى قيام الحرب العالمية الأولى، مفدي زكرياء 1908-1931م، مطبعة الآفاق، الجزائر، 2012م، ط01.

15. بن بابا موسى محمد، الإمام الشيخ بيوض 1316-1401هـ/1899-1981م، نشر الكشافة الإسلامية، القيادة العامة والمحافظة الولائية غرداية، المطبعة العربية، الجزائر 1996م.

16. بن بكير الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، الجزائر، 2017م، ط4.

17. بن بنوح معروف بلحاج، العمارة الإسلامية، قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ط01.

18. بن حمو كروم أحمد، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد اطفيش العالم العامل، جمعية أبي إسحاق إبراهيم لخدمة التراث، المطبعة العالمية، 2010م، ط01.

19. بن حمو كروم أحمد، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم محمد أطفيش، العالم العامل، ، جمعية أبي إسحاق أطفيش لخدمة التراث، غرداية، 2010م، ط01.

20. بن داود بن يوسف سليمان، الشيخ سليمان بن داود ابن يوسف في جهاده الإصلاحي (وثائق وشهادات)، جمع، وإخراج: يحيى بن بهون حاج امحمّد، نشر جمعية التراث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2018م، د ر ط.

21. بن ساسي إبراهيم ، من أعلام الجنوب الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011م، د ر ط.

22. بن سعد اعوشت بكير، العلامة محمد بن يوسف أطفيش 1236-1332هـ/1820-1914م، حياته. آثاره الفكرية. جهاده، المطبعة العربية، غرداية، 1989م، د ر ط.

23. بن سعد اعوشت بكير، وادي ميزاب في ظل الحضارات الإسلامية دينيا وتاريخيا واجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية 1991م.

24. بن عمر أسماوي صالح، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، الحلقة 2، مطبعة الفنون الجميلة الجزائر، 2008م، ط02.

25. بن عمر فخار حمو، إبراهيم بن بابا بوعروة، الشيخ بابا ثامر حياته وآثاره، إعداد وتق مصطفى باجو، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 2013م، د ر ط.

26. بن عمر فخار حمو، على درب الأنبياء، الشيخ صالح بابكر، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، 2002م، د ر ط.

27. بن عمر مرموري بشير ، الفتاه في مزاب، نشأتها وتعليمها بين الثابت والمتغير، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، ط01، 2003م.

28. بن محمد الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق تص، محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، د ر ط.

29. بن محمد جيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ط02.

30. بن محمد لعساكر إسماعيل، بريان تاريخ وحضارة، دراسة تاريخية حضارية سياسية اقتصادية اجتماعية دينية ثقافية، مطبعة أسامة، غرداية، 2018م، ط01.

31. بن محمد ويرو الحاج يحي إبراهيم ، معالم الحضارة في واحة القرارة من خلال الوثائق الأرشفية، زمامات قيادة القرارة 1333هـ-1337هـ/1915م-1952م، مطبعة الآفاق، غرداية 2017م.

32. بن ناصر وينتن مصطفى، آراء الشيخ امحمّد بن يوسف أطفيش العقدية (1238-1332هـ/1821-1914م)، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، أكتوبر 1996م، د ر ط.

33. بوحجام محمد بن قاسم ناصر، التواصل الثقافي بين عمان والجزائر، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2003م، ط01.

34. بوحجام محمد بن قاسم ناصر، الشّعر والهوية القومية، منشورات التبيين، الجزائر،1999م، د ر ط.

35. بوحجام محمد بن قاسم ناصر، الشيخ بيوض والعمل السياسي، نشر جمعية التراث، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائرية، 2016م، ط02.

36. بوحجام محمد بن قاسم ناصر، الشيخ بيوض والعمل السياسي، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 2016م، ط02.

37. بوحجام محمد بن قاسم ناصر، الميزابيون والبناء الحضاري، نشر جمعية القرارة، غرداية، الجزائر، 2015م، د رط.

38. بوحجام محمد بن قاسم ناصر، دراسات عن مفدي زكرياء شاعر الثورة الجزائرية، منشورات ألفا، الجزائر، 2018م، ط01.

39. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997م، د رط.

40. بوصفصاف عبد الكريم، الفكر العربي الحديث والمعاصر(محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا) ج01، دار مداد، قسنطينة، 2009م، ط01.

41. بوعزة بوضرساية، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم (1830م-1848م)، دار الحكمة، الجزائر، 2010م.

42. بوعزيز يحي، الاتحاد اليمني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوص 1912-1948م، دار البصائر، الجزائر، 2000م، د ر ط.

43. بوعزيز يحي، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

44. توفيق المدني أحمد، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ط03.

45. توفيق المدني أحمد، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977م.

46. توفيق المدني أحمد، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، د ت، ط05.

47. توفيق المدني أحمد، محمد عثمان باشا، سيرته وحياته، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م، د ر ط.

48. الجابري محمد الصالح، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م، ط01.

49. الجابري محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962م، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م، د ر ط.

50. الجعبري فرحات، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المطبعة العصرية، تونس، 1975م.

51. جمعية التراث، كتاب مهرجان الصحافة الشيخ أبي اليقظان الحاج إبراهيم بن عيسى في الذكرى الثلاثين لوفاته 1973م، 2003م، تقديم وتحقيق: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، ط1، المطبعة العربية، 2011م.

52. الجندي أنور، مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1967م، ط1.

53. جهلان عدون، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال أراء امحمد بن يوسف أطفيش 1236-1332هـ/1818-1819م، مكتبة الصابري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2010م، ط03.

54. جهلان محمد بن أحمد، قضايا الإصلاح الاجتماعي في مقالات جريدة الأمة لأبي اليقظان (1934/1938م)، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، 2013م.

55. حريزي موسى بن إبراهيم، الحرب النفيسة ضد الاستعمار في شّعر الشاعرين محمد العيد آل خليفة ومفدي زكرياء، مطبعة جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2013م، ط1.

56. الحسن فضلاء محمد، المسيرة الرائعة للتعليم العبي الحر بالجزائر، دار الأمة، ج2، 1999م، ط01.

57. خرازي عائشة بنت امحمّد أطفيش، إسهامات المرأة المزابية علميا، اقتصاديا، سياسيا، دار المنارة للنشر والتوزيع، المطبعة العربية، غرداية، 2018م، د ر ط.

58. خرفي صالح، حمود رمضان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، د ر ط.

59. خرفي صالح، عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره، خمسون صورة ووثيقة تاريخية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ط01.

60. الخطيب أحمد، حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والإجتماعي، المؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب، الجزائر، 1986م.

61. خير الدين محمد، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985م

62. داود عمر، الحركة التبشيرية في الجزائر نشاط الآباء البيض في غرداية أنموذجا مقاربة سوسيو- تاريخية، نشر دار نزهة الألباب،مطبعة الأفاق،الجزائر، 2016م.

63. دي طرازي، الفيكونت فيليب، تاريخ الصحافة العربية، ج4، المطبعة الأمريكانية، بيروت، 1923م.

64. زوزو عبد الحميد، محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة، مجلد07، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2004م.

65. ساري أحمد، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تقديم: أبو القاسم سعد الله، المطبعة العربية، غرداية، 2004م، د ر ط.

66. سامح البر عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ط01.

67. سرح محمد عبد الرحمن، محي الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1990م.

68. سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية، ج01، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م.

69. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، ج3، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ط01.

70. سعد الله أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الأدب، بيروت، 1966م، ط01.

71. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000م، ط1.

72. سيف الإسلام الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر، رواد الصحافة الجزائرية، مطبع دار الشعب، القاهرة، 1981م، ط01.

73. شترة عزالدين، الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة 1900م-1962م، ج3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م، ط خ.

74. شريفي سعيد، بأقلام أصدقائه وأبنائه، جم، تق، تع: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، نشر جمعية التراث، د ر ط، غرداية، 2009م، ط01.

75. شهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار العرب للنشر والتوزيع، وهران 2007م، د ر ط.

76. الشيخ بالحاج قاسم، البعثات العلمية الجزائرية، تاريخها ودورها الحضاري–وادي مزاب أنموذجا، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر 2016م، د ر ط.

77. الشيخ بالحاج قاسم، تعليم المرأة في وادي مزاب نشأته وتطوره، نشر جمعية التراث، العالمية للطباعة والخدمات العربية، غرداية، 2017م د ر ط.

78. الشيخ بالحاج قاسم، مذكرات من أعماق جزيرة زنجبار، منشورات الجاحظية، الجزائر، 2010م، ط01.

79. الشيخ بالحاج قاسم، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر، 1157هـ–1774م، إلى 1382هـ–1962م، المطبعة العربية، غرداية، 2011م، ط01.

80. صالح ابن إدريسو، مفدي زكرياء من خلال تقارير الإدارة الفرنسية، تصد: جيلبير منبيه، تر: مصطفى حمودة، مطبعة الوفاق، غرداية، الجزائر، 2012م، د ر ط.

81. صالح سليمان، الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد، تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، د ر ط.

82. الصديق محمد الصالح، الجزائر بين الماضي والحاضر، د.ط، مطابع الدار القومية، القاهرة، 1960م.

83. عبد العزيز نوفل، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس هجري والثامن هجري (12م–14م)، دار الأهلي للنشر والتوزيع، بيروت، 2008م، ط02.

84. العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983 م، د ر ط.

85. العسلي بسام، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان 2010م، ط خ.

86. العسلي بسام، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1480–1548، دار النفائس، بيروت، 1970، ط01.

87. العقاد صلاح، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر تونس المغرب الأقصى، مكتبة الأنجلوا المصرية، مصر، 1993م، ط06.

88. العلوي إبراهيم أحمد ، أعلام العرب رشيد رضا "الإمام المجاهد"، المؤسسة العصرية للنشر، د ت، د ر ط.

89. عمر داود، الحركة التبشيرية في الجزائر، نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية نموذجا، مقارنة سوسو – تاريخية، نزهة الألباب، غرداية، 2016، د ر ط.

90. عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج02، دار المعرفة، الجزائر، 2004م.

91. عوادي عبد القادر عزام، هجرة مزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية خلال الفترة 1881– 1956، دار نزهة الألباب، غرداية، 2018م، د ر ط.

92. عوض صالح، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر (1830–1968م)، ج1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992م، ط02.

93. عويمر مولود، كتب عشت معها، د د ن، د ر ط، الجزائر، 2021م.

94. عيساوي أحمد، الداعية المصلح والعلامة القطب الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش وكتابه القيم شامل الأصل والفرع (1228–1332هـ/1821–1914م)، ضمن كتاب

بمناسبة تخرجه في 10 جويلية 2010م، نشر جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2010م.

95. عيسى مسعود بغني، معجم الألفاظ الشاملة، منشورات تاوالت الثقافية، د ت، د ر ط.

96. فضلاء محمد حسن، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، مطبعة دار هومة، 2000م، د ر ط.

97. قنانش محمد، قداش محفوظ، حزب الشعب الجزائري 1937م-1939م، ت: أودانيية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013م.

98. كعباش محمد بن إبراهيم سعيد، جيل النهضة والإصلاح في العطف بلد النضال والكفاح، نشر جمعية النهضة، المطبعة العربية، 2010م، د ر ط.

99. كعباش محمد سعيد، جيل النهضة والإصلاح في العطفاء بلد النضال والكفاح، نشر جمعية النهضة، المطبعة العربية، الجزائر، 2010م، د ر ط.

100. كعباش محمد سعيد، حديث الشيخ الإمام ردا على بعض الشبهات والأوهام، ج01، جمعية النهضة، غرداية، 1996م.

101. لعساكر محمد، دور الشيخ أبي اليقظان في الدوريات العربية، المطبعة العربية، غرداية، 1985، د ر ط.

102. لقبال موسى، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، السياسة ونظم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981 ، ط02.

103. ليندة علال، دور الحركة التجارية في ازدهار قصور إقليم توات ووادي مزاب وتطورها خلال العصور الحديثة، المدرسة الوطنية المتعددة التقنيات للهندسة المعمارية والعمران، جامعة الجزائر، 2012م.

104. محمد فرصوص أحمد، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم كما عرفته، دار البعث، قسنطينة، د ت.

105. محمد مفلاح، مراكز التعليم العربي الحر في مدينة غليزان من الاحتلال الفرنسي على غاية الاستقلال 1962م، منشورات دار قرطبة، الجزائر، 2011م، ط1.

106. مزهودي مسعود، الإباضية في المغرب الأوسط من سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، 1996م، د ر ط.

107. مزيان سعيدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري وأساليب المواجهة الجزائرية 1867-1892م، دار الخير للكتاب،الجزائر، 2009م، د ر ط.

108. معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، ج3، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2000م، ط03.

109. معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ،الحلقة الرابعة، الإباضية في الجزائر، ج1، المطبعة العربية، 1984م.

110. منور العربي، بلاح بشير وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر 1830م-1989م، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2010م.

111. مياسي إبراهيم ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837م-1934م)، دار هومة، الجزائر، 2009م، د ر ط.

112. مياسي إبراهيم، مقاربات في تاريخ الجزائر 1962/1830م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، د ر ط.

113. ناصر محمد صالح، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ج1، و ج2، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م، ط01 .

114. ناصر محمد صالح، أعلام وأقلام، دار ناصر للنشر والتوزيع، جمعية التراث، غرداية، 2017م، ط1.

115. ناصر محمد صالح، الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاده الإسلامي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1991م، ط1.

116. ناصر محمد صالح، الصحف العربية الجزائرية، ألفا ديزاين، الجزائر، 2006م، ط2.

117. ناصر محمد صالح، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903م إلى 1931م، مج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م

118. ناصر محمد صالح، رمضان حمو الشاعر الثائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1978م، ط01.

119. ناصر محمد صالح، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة "دراسة ونصوص"، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1984م، د ر ط.

120. ناصر محمد صالح، منهج الدعوة عند الإباضية، جمعية التراث، غرداية، 1999م، ط2.

121. نويهض عادل، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والتوجيه والنشر، بيروت، 1980م، ط02.

122. هلال عمار، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ط02.

123. الواهج يوسف، المرأة في المجتمع المزابي، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1982م، ط01.

124. وعلي محمد طاهر، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904، منشورات دحلب، الجزائر، 2009م.

125. الياس حسين أحمد، الإباضية في المغرب العربي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1992م، ط01.

126. يحي جلال، السياسة الفرنسية في الجزائر من 1830 إلى 1969، دار المعرفة، القاهرة 1959م، ط01.

سابعا: الكتب باللغة بالأجنبية

1 C.Robin, le m'zab et les mozabites, imprimerie générale, mimes, France 1900.

2 C.Robin, Le MZAB et son Annexiom a la France, Adolphe Jourdan Imprimeur, éditeur, Alger, 1885.

3 Charles Amat, Le M'zab et les Mozabites, librairie Algérienne et coloniale, Paris, 1988.

4 Charles Robert Agerom, les Algériens Musulmans ett la france1871-1919.

5 Donald C. Holcinger: « Trade Routes, of the Algerian Sahara in the xix Century » in Revue de l'occident Musulman&de la méditerranée n°30,1980.

6 E.Masqueray, «Conférence Faite par M. Emile Masqueray», in Bulletin de l'année(Société normande de géographie), Rouen, Imprimerie de Espérance Cagniard, T2, 1880.

7 E.Masqueray, Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie « Kabyles de Djurjura, Chaouia de l'Aouras, Beni Mezab », EDISUD, Aix en Provence, 1983.

8 Georges yver : correspondance du maréchal valée, T1(octobre 1837-mai 1838), la rose, Paris V, France, 1949 .

9 Gilbert Meynier, l'Algérie révélée, Librairie Dzoz, Paris, 1981.

10 Goichon, A-M, La vie f éminine au M’ZAB, T01, Librairie orientale paule Geunthner, parie, France, 1927.

11 H. Duveyrier, Coup d’œil sur les pays des Beni M’zab et celui des Chaambas occidentaux, Extrait de Bull. Soc. Geog. de Paris, Octobre 1859.

12 Huguet M. J., Les villes mortes du Mzab, La médecine et les pratiques médicales indigènes, In: Bulletin et Mémoire de la Société d’anthropologie de Paris, Numéro 01, 1903, Volume 04.

13 Jean Melia, Ghardaia, Imprimeriea Marete aux et pacto, Paris, 1930.

14 Lieutenant D’armagnag, Le M’zab et Les Pays Chaamba, Editions Braconnier, Alger, 1934.

15 Louis Bounard, Le cardinal, La vigerie, T2, Librairie Ch Poussielgue, Paris, 1869

16 Malfreyt, "Variétés les Beni M'zab (Sahara), In bulletin trimestriel, Missions d'Afrique, N60, 1883

17 Marcel Émérite, La lutte entre les généraux et les prêtres au début de l'Algérie française, RA 1953

18 Paul Azan : l’armée d’Afrique de 1830 à 1852, collection du centenaire de l’Algérie, Paris France 1936.

19 Pierre Roffo, contribution à l’Etude de la préhistoire du sahara Septentrional, Ancienne Imprimerie, Alger..1934

20 Pierre Roffo, Note sur les civilization paléolithiques du m'zab, CH , MONNYER, 1935.

21 Pons (mgh), La nouvelle église d'Afrique ou le Catholicisme en Algérie, en Tunisie ou Maroc depuis 1830, ed Lois nomureations sd

22 Raspail, Étude sur le service militaire obligatoire des indigènes en Algérie, Librairie militaire, Paris, 1910.

23 Raveme, « un épisode de l’expédition de 1541 contre Alger » in 12 revue Africaine 3 et 4ème Trim, 1931.

24 Salah Ben Drrissou, Implantation des Mozabites dans l’Algéris entre les deux-guerres, T1, Thése de doctorat, T3, université de paris VIII, Vincennes saintdenis, Janvier 2000.

25 Salah Bendrissou, Institut Al-Hay1925-1962 un Exemple D'école Réformiste Ibadite au M'zab, Institut Maghreb-Europe, 1994.

26 Trumele T, Notes pour servir à L’histoire de L’insurrection le sud, de la pravin ce d’Alger en 1864 RA, n°21, 1877.

27 W. Ragot, Le Sahara de la province de Constantine, Recueil des notices et mémoires de la soc, d’archéo, de la prov de Constantine, 6ème Vol, de la 2ème Série, Constantine, 1874.

28 Yovone turin, Affrontement culturel dans l’Algérie colonel, Francois masperon, Paris 1971.

ثامنا: المجلات والجرائد والدوريات

1. ، إبراهيم أبو اليقظان، "مؤامرات المبشرين ضد شمس الإسلام"، جريدة وادي ميزاب، ع85، 1928/05/25م.

2. إبراهيم أبو اليقظان، " موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري" جريدة البصائر، ع01، 1935/12/27م.

3. إبراهيم أبو اليقظان، "الأمية في الأمم شلل"، جريدة ميزاب، ع105، 1928/10/19م.

4. إبراهيم أبو اليقظان، "ماذا يريد المعمرون للمسلمين"، جريدة الأمة، ع161، 15 أفريل 1938م.

5. إبراهيم ازدك، "أعلام القرن 10هـ/16م في منطقة وادي مزاب"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج9، ع01، جامعة معسكر، جوان 2018م.

6. أحمد حشاني، "نظام العزابة ودوره في تأمين التماسك الاجتماعي للمجتمع الإباضي في منطقة وادي ميزاب"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، مج05، ع02، جامعة غرداية.

7. أطفيش إبراهيم، "إبراهيم أبو اليقظان"، مجلة المنهاج، ج1، م1، المطبعة السلفية، مصر، 1344هـ/1925م.

8. أطفيش إبراهيم، "حول مسالة التجنيد بوادي مزاب"، مجلة المنهاج ج7، م1، المطبعة السلفية، مصر، 1344هـ/1925م.

9. أطفيش إبراهيم، "صحيفة ميزاب الخالدة"، مجلة المنهاج، ج7، م1، المطبعة السلفية، مصر، 1344هـ.

10. أطفيش إبراهيم، "لمحة عن الصراع الجزائري الإيطالي خلال العهد العثماني" مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج02، ع01، جامعة الجزائر، 2009م.

11. أطفيش إبراهيم، "ماذا يراد بالإسلام والمسلمين؟"، مجلة المنهاج، ج1، م1، المطبعة السلفية، مصر، 1344هـ/1925م.

12. أطفيش إبراهيم، "مقدمة المنهاج"، مجلة المنهاج، ع1، محرم 1344هـ/1925م.

13. أطفيش إبراهيم، "وادي مزاب يوم 15 مايو 1925م"، مجلة المنهاج، ج01، م01، المطبعة السلفية، مصر، 1344هـ/1925م.

14. إلياس حاج عيسى، "الطباعة العربية للكتاب الإباضي أثناء الاحتلال الفرنسي، جهود بن إبراهيم العطفاوي أنموذجا(1854م-1912م)"، مجلة العبر للدراسات التاريخية، مج02، ع02، جامعة تيارت، 2019م.

15. أوفة سليم، "النخبة الجزائرية المحافظة ومواقفها من قانون التجنيد الإجباري 1912م، موافق عبد الحليم بن سماية وعمر راسم أنموذجا"، مجلة الدراسات، مج 13، ع 01، جامعة بشار، 2022م.

16. باجو محمد صالح، "طلبة العلم بالجزائر في الحركة الإصلاحية–(الشيخ بيوض أنموذجا)"، الشهاب الجديد، ع02، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2003م.

17. بحاز إبراهيم،" المزابيون المعتزلة قراءة جديدة لنصوص قديمة" مجلة الحياة، ع01، جمعية التراث، غرداية، 1998م.

18. بدون إمضاء، "افتحوا أعينكم أيها الغافلون"، جريدة وادي ميزاب، ع207/11، 1928م

19. بكلي عبد الرحمن، "حالتنا التعليمية"، جريدة ميزاب، ع02، 1926/10/08م.

20. بكلي عبد الرحمن، "وادي مزاب، هذا بيان للناس"، جريدة المغرب، العدد36، 12 مارس 1931م.

21. بلحاج قاسم الشيخ، "آثار النهضة العلمية التونسية في فكر الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب خلال القرن العشرين"، مجلة الحياة، ع11، المطبعة العربية، غرداية، 2007م.

22. بلحاج قاسم الشيخ، "التعليم القرآني في الجزائر خلال القرن العشرين وأدواره الحضارية، منطقة وادي ميزاب أنموذجا" مجلة الصراط، ع29، جامعة يوسف بن خدة الجزائر، 2014م.

23. بلحاج قاسم الشيخ، "القضايا الجزائرية في مجلة المنهاج للشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش"، مجلة المنهاج، ع خ، جمعية أبي إسحاق إبراهيم أطفيش لخدمة التراث، 2014م.

24. بلحاج قاسم الشيخ، "جيل طلبة القُطب ودورهُم في الإصلاح بوادي ميزاب"، مجلة الحياة، ع15، المطبعة العربية، 2011م.

25. بلحاج قاسم الشيخ، "حول رحلتي الشيخ أبي إبراهيم اطفيش إلى جزيرة زنجبار" مجلة الحياة، ع04، المطبعة العربية، غرداية، 2000م.

26. بلحاج قاسم الشيخ، "نشاط الميزابيين في الصحافة الوطنية تونسية"، مجلة الحياة، ع09، جمعية التراث، الجزائر، 2005م.

27. بلحاج ناصر، "موقف سكان وادي مزاب من التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي (ما بين 1912م و1925م)"، مجلة الحياة، ع11، جمعية التراث، المطبعة العربية، الجزائر، 2007م.

28. بلعربي عمر، "بداية ظهور النوادي والجمعيات في الجزائر"، مجلة القرطاس، ع4، جامعة تلمسان، 2017م.

29. بن حليمة صديق، "الحياة العلمية والثقافية للإباضيين (من القرن الثالث هجري إلى منتصف القرن السابع هجري)، (200هـ-634هـ)"، مجلة الدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج10، ع2، جامعة وهران، 2021م.

30. بن حمودة مراد، "النخبة الإصلاحية وموقفها من قضية التجنيد الإجباري 1912م، المجلة التاريخية الجزائرية"، مج 06، ع01، جامعة المسيلة 2022م.

31. بن سليمان زكرياء، "دموع وآلم وخواطر"، مجلة الشهاب، ع57، المطبعة الإسلامية الجزائرية، 1345هـ.

32. بن سليمان زكرياء، "نهوضا بنو إفريقيا من سباتكم"، جريدة النور، ع48، 1932/08/30م.

33. بن محمد الشيخ بالحاج عيسى، "الشيخ عدون في سطور"، مجلة الحياة، ع10، رمضان 1427هـ/أكتوبر 2006م، القرارة، غرداية.

34. بن محمد الشيخ بالحاج عيسى، "معهد الحياة ثمانون عاما من العطاء (1343هـ-1925م/1426هـ-2005م)"، مجلة الحياة، ع09، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 2005م.

35. البو عبد اللي المهدي، "الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي"، مجلة الأصالة، ع08، الجزائر، 1972م.

36. بوتردين يحي بن صالح، "من أجل استراتيجية وطنية لحماية المخطوط"، مجلة الحياة، ع04، المطبعة العربية، غرداية.

37. بوراس يحي بن عيسى، "الحياة الثقافية في منطقة وادي مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج05، ع02، جامعة غرداية 2012م.

38. بوسعدة محمد، "دور المجتمع المزابي في الحراك الثقافي بالجنوب الجزائري"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج06، ع2، جامعة ورقلة، 2016م.

39. بوطارن محمد الهادي، "الرؤية الشّعرية عند رمضان حمود بين التقليد والتجديد"، مجلة المعارف، مج02، ع02، جامعة البويرة، 2002م.

40. بوطبة لخضر، "الشيخ إبراهيم بيوض وجهوده في الإصلاح الاجتماعي في الجزائر"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مج01، ع02، جامعة الوادي، 2015م.

41. بيوض براهيم عمر، "إلى الجاليات الميزابية بمدن إفريقيا الشمالية"، جريدة وادي ميزاب، ع20، 1927/02/18م.

42. جهلان محمد بن أحمد، "الشيخ عدون والكتابة الصحفية"، مجلة الحياة، ع07، رمضان 1426هـ/نوفمبر 2005م، القرارة، غرداية.

43. جهلان محمد بن أحمد، "رسالة الشيخ إبراهيم بيوض إلى الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش بشأن جهاده الوطني"، ودوافع مشاركته في المجلس الجزائري، وثيقة العدد، مجلة الحياة، ع18، نشر جمعية التراث Art Team، الجزائر، 2014م.

44. جيلالي حورية، "التداعيات الاجتماعية لقانون التجنيد الإجباري سنة 1912م على الأسرة الجزائرية"، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 05، ع 01، جامعة عين تموشنت، 2021م.

45. حبيب كدونة، بن يوسف تلمساني، "صدى التجنيد الإجباري في منطقة بني مزاب"، الحوار المتوسطي، مج 114، ع01، جامعة سيدي بلعباس، 2020م.

46. حريزي موسى بن إبراهيم، "الحاسة السادسة في شّعر الشيخ أبي اليقظان، تحليل على مضمون قصيدة "العميد مدينة الغد"، كنموذج لبعض تنبؤاته بالحاسة السادسة"، مجلة الحياة، ع6، نشر جمعية التراث، غرداية، 2002م.

47. حسين يوسف، "أسلوب الدعوة ووسائلها عند أبي اليقظان"، مجلة الموافقات، عدد05، منشورات المعهد العربي لأصول الدين، الجزائر، 1996م.

48. حمزة عزاوي، "أبعاد الترابط الاجتماعي في قوانين نظام العزابة عند بني مزاب"، مجلة معالم للدراسات القانونية والسياسية، مج03، ع02، المركز الجامعي تندوف، 2019م.

49. حمودة مصطفى بن الحاج بكير، "ملخص أطروحة دكتوراه مفدي زكرياء وإنتاجه الأدبي في مرحلة ما قبل الثورة"، مجلة الحياة، ع15، 2011م، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، 2011م.

50. دون إمضاء، "حقيقة الشّعر وفوائده نظرة عامة وبحث لطيف"، جريدة الشهاب، ع93، 1395هـ-1927م.

51. دون إمضاء، "شرح وتعليق على ما جري حول زيارة اللجنة البرلمانية وابن جلول بوادي مزاب، (الحلقة الثانية)"، جريدة الأمة، ع122، 25 ماي 1937م.

52. دون إمضاء، "يا قلبي"، جريدة وادي مزاب، ع95، 1928م.

53. رمضان حمود، "الحرية"، جريدة وادي ميزاب، ع93، 28/09/14.

54. زعينة امحمد، "الشّعر الوطني القومي عند أبي اليقظان إبراهيم (1888–1973م)"، مجلة الحياة، ع02، نشر جمعية التراث، غرداية، 1999م.

55. زكرياء مفدي، "أهلا بنسل الفاتحين ومرحبا!!"، جريدة الأمة، ع49، 1925/09/24م.

56. سعدو تالية، "الحركة الفكرية بالدولة الرستمية وإسهام المرأة الإباضية فيها"، مجلة العصور الجديدة، ع1، جامعة وهران، 2012م.

57. سعيدي مزيان، "من مظالم السياسة الدينية الفرنسية في الجزائر 1830–1870م"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، عدد خاص، أعمال الملتقى الوطني 17 و18 أفريل 2007م، مظالم الاستعمار الفرنسي، المدرسة العليا للأستاذة، بوزريعة، الجزائر، 2007م.

58. سعيود إبراهيم، "تأثيرات الوجود العثماني في بعض مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر"، مجلة الدراسة التاريخية، مج16، ع02، جامعة الجزائر2، 2015م.

59. شتوان بلقاسم،" الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش"، مجلة الحياة، ع14، المطبعة العربية، غرداية، 2010م.

60. صليحة بن سباع، "الجمعيات الثقافية في مواجهة سياسة التنصير في الجزائر"، "جمعية ابن باديس نموذجا"، مجلة مجتمع تربية عمل، مج01، ع02، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2022م.

61. عبد القادر فرحات، حوينة محمد، "إنتخابات الجمعية الجزائرية 1948م بمنطقة غرداية من خلال وثائق أرشيفية"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج04، ع02، جامعة ابن خلدون، سبتمبر 2021م.

62. العربي بلعزوز، "نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجنوب الجزائري واحداث وادي سوف(1937م-1938م) من خلال تقارير عسكرية"، مجلة العصور الجديدة، مج12، ع1، جامعة وهران1، 2022م.

63. عصماني عبد الصمد، "بصمات من حياة مصالي الحاج قبل إندلاع الثورة التحريرية (بين النشأة والمنفى)"، مجلة مدارات للعلوم الإجتماعية والإنسانية، مج2، ع6، جامعة غليزان ، 2022م.

64. العقبي الطيب، "بماذا ينتقدون علي"، جريدة الإصلاح، ع07، 1929/11/07م.

65. عوادي عبد القادر عزام، "المدرسة الصديقية ودورها في النهضة العلمية والحركة الإصلاحية بمنطقة وادي مزاب"، مجلة السباق، ع02، كلية الآداب واللغات، جامعة غرداية، 2016م.

66. فتيحة يطو، "معاهدة الحماية بين وادي ميزاب وفرنسا، حقيقتها وعلاقتها بنظام الإلحاق"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية الاجتماعية، ع01، سبتمبر 2009م.

67. الفرقد، "ترخبون بيوتهم بأيديهم"، مجلة وادي مزاب، ع 75، 1928/03/03م

68. الفرقد، "متى يستقر الدومينون في إفريقيا الشمالية"، جريدة المغرب، ع20، 14 أكتوبر 1930م.

69. فيروز بن رمضان، "دور المرأة في الحفاظ على الموروث الثقافي لوادي مزاب"، مجلة التواصلية، مج4، العدد1، جامعة المدية، 2018م.

70. قادة الأحمر، عطلاوي عبد الرزاق، "التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في أدبيات الرحلة العلمية الجزائرية 1913م-1954م"، مجلة آفاق فكرية، مج03، ع07، جامعة سيدي بلعباس، 2017م.

71. لحسن جاكر، "إنتخابات المجلس الجزائري في معسكر، 04-11 أفريل 1948م"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع03، جامعة معسكر، 2002م.

72. مجهول، "السياسة الأهلية"، جريدة وادي مزاب، ع66، 1928/01/27م.

73. مجهول، "تكريم مستحق"، جريدة وادي مزاب، ع75، 1928/03/23م.

74. مجهول، "شعور الأمة نائم فماذا ينبهه؟"، جريدة وادي ميزاب، ع42، 1927م.

75. مجهول، "معاهدة تحريم الحرب"، جريدة وادي مزاب، ع101، 1928/12/21م.

76. محمد زقاوي، عمر بلبشير، "الحركة العلمية بورجلان من خلال نظام حلقة العزابة ما بين القرن (4-6هـ) علم الكلام نموذجا"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج08، ع01، جامعة معسكر.

77. مرجاني عبد القادر، "مقاومة الشريف محمد بن عبد الله 1851-1871م على ضوء كتاب الفرنسيون في الصحراء"، مجلة الباحث، مج12، ع03، المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة، 2020م.

78. مرغيت محمد، "سياسة التنصير ودورها في المخطط الإستعماري الفرنسي بالصحراء"، مجلة التاريخية الجزائرية، ع04، جامعة المسيلة، 2017م.

79. مريوش أحمد، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916، مجلة المصادر، مج07، ع01، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة عام1954م، 2005م.

80. معيفي عبد الحميد، "جماليات الشّعرية بين نازك الملائكة ورمضان حمود"، مجلة الميدان للدراسات الرياضية والاجتماعية والإنسانية، مج3، ع9، جامعة الطارف، 2020م.

81. مكاتبكم: "بيان للناس"، جريدة المغرب، ع4، 1930/06/17م.

82. موسى ابن عمر الحاج،" الحركة الإصلاحية في ميزاب تحت مجهر الإدارة الاستعمارية"، مجلة الحياة، ع10، المطبعة العربية 2006م.

83. ناصر بلحاج، "التنظيمات الفرنسية للجماعات الحرفية والأثنية غداة الاحتلال – حالة جماعة بني ميزاب– مجلة العلوم الإنسانية، المجلد24، ع2، جامعة قسنطينة، 2013م.

84. ناصر بلحاج، "الفرقد"، سليمان بوجناح (1905–1988م) ونضاله الوطني، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج14، ع02، جامعة غرداية، 2022م.

85. ناصر بلحاج،"السيطرة الفرنسية على منطقة وادي مزاب فيما بين 1853م–1882م"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج06، ع01، جامعة باتنة، 2020م.

86. ناصر محمد صالح، "القيم الإسلامية في نظام التعليم بوادي مزاب (معهد الحياة أنموذجا)"، مجلة الحياة، ع01، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1997م.

87. وإسماعيل زهير بابا، "حماية خزائن مخطوطات وادي مزاب بغرداية وفهرستها"، مجلة الذاكرة، مج02، ع02، جامعة ورقلة، 2014م.

88. وإسماعيل زهير بابا، "فهارس مخطوطات وادي ميزاب وقراءة وصفية لمحتوياتها"، مجلة التراث، مج05، ع04، جامعة الجلفة، 2015م.

89. يحي بن بهون حاج امحمد، "الشيخ إبراهيم أبي اليقظان في جهاده الصحفي من خلال أشعار عمر بن عيسى بلعيد البرياني"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج11، ع1، جامعة غرداية، 2018م.

90. يحي بن بهون حاج امحمد، "الشيخ إبراهيم أبي اليقظان في جهاده الصحفي من خلال أشعار عمر بن عيسى بلعيد البرياني"، مجلة الواحات، ج11، ع 01، جامعة غرداية، 2018م.

91. يحي بن بهون حاج امحمد، "الشيخ امحمد بن يوسف أطفيش، حياته ورحلاته الحجازية"، مجلة الذاكرة، ع3، جامعة ورقلة، 2019م.

92. يحي بن بهون حاج امحمد، "المكتبات وخزانات المخطوط ببلدة تجننت بوادي مزاب"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج07، ع2، جامعة غرداية، 2014م.

93. يمينة بن رحال، "الشيخ بن عمر بيوض ونشاطه السياسي والثوري في الجزائر"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج06، ع11، جامعة المسيلة، 2016م.

94. يوسف أحمد، "هل كان رمضان حمود ثورة يتيمة؟!! 1906-1929م"، مجلة الآداب، مج 09، ع01، جامعة قسنطينة، 2008م.

95. يوسف حسين، "أسلوب الدعوة ووسائلها عند الشيخ أبي اليقظان"، مجلة الموافقات، ع05، 1992م.

تاسعا: الملتقيات والأيام الدراسية

1. بباعلي عمر بن إبراهيم، "الشيخ الحاج صالح الترجمة والمصادر"، أعمال اليوم الدراسي حول شخصية الحاج صالح لعلي يوم 19 محرم 1432هـ/ 25 ديسمبر 2010م، جمع وتح: مصطفى وينتن، نشر مكتبة الحاج صالح لعلي، مطبعة الأفاق، 2014م.

2. بن موسى الحاج موسى بشير، "الشيخ عمر سعيد بن علي بن يحي الخيري الجربي، حياته ودوره في وادي مزاب"، الأيام الدراسية العلمية من عمي سعيد الجربي إلى

الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد، أيام 01 نوفمبر 2006م إلى غاية 03 نوفمبر 2006م ، مؤسسة عمي سعيد، غرداية، 2006م.

3. بوبعيو بوجمعة، "إسهامات رمضان حمود في نقد الشّعر العربي الحديث"، الملتقى الوطني الأول حول النقد الأدبي الجزائري، 21 و22 ماي 2006م، ص جامعة باجي مختار، عنابة.

4. الزبيري محمد العربي، "عقيدة التوحيد: الجذور والموضوع"، أعمال الملتقى الدولي مفدي زكرياء شاعر الوحدة، 15 و16 مارس 2006م، نشر مؤسسة مفدي زكرياء، 2007م.

5. سعد الله أبو القاسم، "تفاعل مفدي زكرياء مع التيارات الوطنية"، أعمال الملتقى الدولي، مفدي زكرياء شاعر الوحدة، أيام 15 و16 مارس 2006، الجزائر، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2007م.

6. طالبي عمار، "كلمة الأستاذ عمار طالبي"، يوم دراسي: قطب الأئمة أطفيش، العلم والعمل لصالح الجماعة والوحدة، نشر المجلس الأعلى للغة العربية، 2011م.

7. لعساكر محمد، "جهاد الإمام الشيخ بيوض بين الإنصاف والإجحاف"، الملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، القرارة، 8-9 محرم 1421هـ الموافق لـ13-14 أفريل 2000م، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، 2002م.

8. مرابط يوسف بن مدني، "لمحة عن بعض خطوات الشيخ البكري في التعليم الديني لمدرسة الفتح"، فعاليات الأيام للدراسية العلمية الوطنية حول فكر الإمام الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي-البكري، بريان، 2002م، نشر مكتبة الصفاء، ومكتبة البكري، 2006م.

9. هواري مختار، "وضعية الجالية المزابية بتونس خلال فترة الحماية الفرنسية عليها"، ملتقى دولي حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، جامعة الوادي، يومي 10-11 نوفمبر 2013م.

عاشرا: الرسائل والأطروحات

1. إبراهيم ازدك، الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين 10-13 هـ/16-19م، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة تلمسان.

2. اسماوي صالح بن عمر، نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية في وادي ميزاب، دراسة معمقة، جامعة الجزائر، 1986 - 1987م.

3. بشير سحولي، مواقف النخبة الجزائرية المفرنسة من القضايا الوطنية 1900-1939م، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2014م.

4. بكار الدهمة، النشاط الثوري في ناحية غرداية في مواجهة الإستعمار الفرنسي في الجزائر، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة غرداية، 2020م.

5. بكار الدهمة، دور منطقة غرداية في الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1945م، شهادة الماجستير، التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر2، 2011-2012م.

6. بلحاج ناصر، النظم والقوانين العرفية بوادي ميزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين)، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث، جامعة قسنطينة 2013 - 2014م.

7. بن داود ابن صالح مصطفى، معلم الفكر الإسلامي عند الشيخ إبراهيم بيوض وتطبيقه في المجتمع، رسالة ماجستير، علوم إسلامية، جامعة ابن يوسف بن خدة، الجزائر 2011-2012م.

8. بن عمر الحاج موسى، القضايا الوطنية من منظور أعلام مزاب، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007 – 2008.

9. بوسعدة محمد، دور مزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1930-1962م، شهادة دكتوراه، تاريخ المغرب العربي الحديث المعاصر، جامعة الوادي، 2019-2020م.

10. الحاج إبراهيم الحاج امحمد، المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19م، (ميزاب والأهقار نموذجا) رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، 2011– 2012م.

11. الرزقي خير، القضايا الوطنية في صحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان (1926-1938م)، أطروحة دكتوراه، التاريخ حديث ومعاصر، جامعة قسنطينة، 2018/2017م.

12. سكحال نورالدين، الشيخ إبراهيم بيوض ومنهجه في الإصلاح 1980/1899، رسالة الماجستير، معهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1995/1994م.

13. شعشوع محمد، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش وقضايا المشرق العربي من مجلة المنهاج (1931/1925م) ، شهادة ماجستير، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر، 2012م.

14. عومري عبد الحميد، "الحياة لثقافية والفكرية في الجزائر 1880م-1919م"، رسالة دكتوراه، تاريخ الحركة الوطنية، جامعة سيدي بلعباس، 2017م.

15. قوبع عبد القادر، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920م و1954م، مذكرة الماجستير، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر، 2008م.

16. لكحل الشيخ، نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م، مذكرة شهادة ماجستير، تاريخ حديث، جامعة غرداية، 2013م.

17. مديني بشير، مساهمة الجالية الجزائرية بتونس في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية 1830م-1962م، رسالة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر02، 2014-2015م.

18. مريوش أحمد، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954م، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005-2006م.

فهرس الأعلام:

العلم	الصفحة
مارسيل مرسي	17
بيار روفو	18 – 17
حويل أبونو	17
يوسف بن بكير	79 – 22 – 18
محمد بن إبراهيم طلاي	226–187–185–65–56–53–52–47–43–28–19
عمر بن الخطاب	19
عبد الله بن أبي سرح	19
عبد الله بن الزبير	19
عبد الله بن العباس	19
عقبة بن نافع الفهري	19
حسان بن النعمان	19
عنيسة بن سحيم الكلبي	20
الدرحيني	222–28–21–20
أبو الشعتاء جابر بن زيد الأزدي	20
عبد الله بن وهب الراسي	20
أبو بلال مرداس بن أدية التميمي	20
ضمام بن السائب	20
الربيع بن حبيب	21
مسلم بن أبي كريمة	21
عبد الله بن إباض	21
جابر بن زيد الأزدي	21
سلمة بن سعد	21

أبا جعفر المنصور العباسي	22
محمد بن الأشعب	22
أبي الخطاب	22
عبد الرحمن بن رستم	22
يحي بوراس	28–22
واصل بن عطاء	23–22
أبي الحسن الأشعري	23
الحسن البصري	23
القطب أحمد أطفيش	23–32–33–35–37–48–68–72–73–75–76–77–78–79–80–81–84–86–88–95–97–98–119–121–122–123–124–125–126–127–132–165–168–174–175–188–190–191–201–213–223–232–235–242–255–286–316–317
إبراهيم مطياز	23–24–84–90–96–117–197–233–243
أبة عبد الله محمد بن بكر	23–24–25–28–31–45–61–64–69–185–223
الأمير يعقوب بن أفلح	23
المنصور بن ناصر	24
يحي بن إسحاق	24
ابن خلدون	25–26–28–34–74–122–171
أبي حمو موسى الثاني	26–25
مصعب بن محمد بن بادين	25
أبو فارس عبد العزيز	26
إبراهيم بحاز	26
حمو عيسى النوري	27–54–107
ابن عمار عبد الكافي	28–42–65
بابا سعد	29

بالخاج معروف	31–29
باسعيد بن بابكر	30
صالح اسماوي	30
سليمان بن عبد الجبار المعتزلي	32
سيدي بنور	32
بابا محمد بن يحي	32
أبو عيسى بن علوان	33–32
بابا السعد	32
القرادي	287–242–213–117–53–36–35–33
داية	33
محمد بن يحي	33
سيدي امحمد بن أحمد بن علي بن يحي	36
سيدي أحمد	36
سيدي سليمان	36
ريان بن محمد	37
سليم بن منصور	39
البكري	140–115–114–102–101–76–46–43–42–326–181–166
محمد صالح ناصر	42
روبانيسكي	42
ابن مخلد يزيد	44–42
المنصور العبيدي	44
أبي خزر يعلى	44
ابن الخطاب عبد السلام	45
أبو الربيع سليمان بن يخلف	45

توفيق المدني	45–53–54–66–71–302
عبد العزيز شهبي	47–201
الشيخ بيوض	48–90–91–92–93–94–95–113–114–140–169–181–186–191–192–195–200–206–207–208–212–213–218–223–226–229–230–272–278–280–281–285–286–287–288–289–290–296–317–320–326–327–328–334–335–336–337
أبي عبد الرحمن الكرثي	51
أبي مهدي عيسى بن إسماعيل	51
عمر سعيد بن علي بوحميدة	51–67–69–70–163
خير الدين بربروس	54
باجي بن موسى	54
بكير بن الحاج محمد بن بكير	54
شارلكان	55
يوحنا الثالث	55
أندريا دوريا	56
حسن آغا	56
دوماس	56
الباشا حسين	57
بن المفتي	57
عروج	58
حسن باشا	58–60
صالح باي	59
محمد عثمان باشا	59
الحاج بن عبد الرحمن بحمان	59–225
إبراهيم بن صالح	59

الحاج علي بن عبد اللطيف	59
إبراهيم بك بوصبع	60
حسين بوحنك	60
عبد القادر المجاوي	294–86–80–77–63
عمر بن قدور	300–262–63
محمد بن أبي شنب	63
عبد الحميد بن باديس	300–238–215–213–184–104–63
نوربيرت إلياس	64
ربيع سليمان المزابي	65
أبو اليقظان	–89–88–87–85–84–82–80–75–73–69–66 –106–105–103–102–100–99–98–97–90 –178–177–169–158–137–119–114–111 –196–195–192–187–183–182–180–179 –235–220–219–213–211–206–205–204 –293–285–281–278–271–268–267–266 –311–306–305–303–302–301–300–299 –328–326–324–322–321–320–319–318 233
محمد علي دبوز	–133–123–121–116–115–114–78–71–66 –205–201–195–192–190–181–178–175 292–281–213–212–208–206
عيسى بن إسماعيل المليكي	66
دحمان النفوسي	67
أبي زكرياء يحي بن صالح	187–108–107–76–72–68
عبد العزيز بن الحاج الثميني	187–182–158–100–76–74–72–68
الحاج محمد بن سعيد	70
أحمد بن موسى	70

يوسف بن حمو بن عدون	72–133
قاسم واعمر	72
بالحاج بن كاسي القراري	72
الحاج سليمان بن عيسى	72–74–96
سعيد بن يوسف وينتن	72
محمد ين سليمان بن صالح بن إدريسو	72–81–132–168
عمر والحاج	72
صالح لعلى	73–74–81–83–97–134–173–180–197
أبو القاسم سعد الله	74–75–76–77–123–126–127–140–151– 160–166–173–174–177–178–181–186– 201–276
إبراهيم بن يوسف	74–97–168
سعيد بن يوسف وينتن	74–81
عمر بن سليمان نوح	74
بابا بن يوسف	74
سليمان الباروني	74–77–184
سعيد بن تعاريت الجربي	74
أبو إسحاق أطفيش	75–84–86–87–88–89–98–105–133–134– 158–168–175–178–179–180–182–264– 265–298–299–300–312–321–335
بابكر بن الحاج مسعود	75
صالح بن يحي بن الحاج سليمان آل الشيخ	75–89–144–145
أحمد بن الحاج إبراهيم حميد أوجانة	75
ناصر بن إبراهيم الداغور	76–80
محمد حقي على التركي الحنفي	76

حمزة الرفاعي	76
مريامة فرطاس	225–76
محمد بالي	76
محمد بلقاسم	77
محمد عبده	275–196–86–77
عبد الله الباروني	77
ابن الموهوب	277–77
إيميل ماسكري	127–77
بوغش	77
أحمد بن داود أمعيز	79
باعمور بن الحاج أحمد	79
حمو بن باحمد بابا موسى	80
عمر بن يحي القراري	204–194–113–102–95–92–91–88–80 292–278–207
بابكر بن الحاج مسعود	80
محمد بابا وموسى	81
سعد الله الحلواني	81
حمو الشقبقب	81
لالة بنت يوسف بن هدون وينتن	81
محمد بن عيسى آزبار	174–167–98–97–96–82
الشيخ حفار	169–94–83
محمد بن يوسف بابانو	215–197–96–83
الحاج يوسف موريغ	84
عيسى بن بكير	84
داود بزملال	85–84
إسماعيل زرقون	98–95–86–84

محمد الثميني	84–87–98–99–100–105–167–178–182–302–296–284
عبد الله الكنطابلي	85
الحاج القشار	85–96–197
سموغورفسكي	85
عمر بن أحمد الزروالي	86
محمد بن يوسف الحنفي	86–89–98
الشيخ طاهر بن عاشور	86–89–98–101
محمد النخلي	86–89
عبد العزيز الثعالبي	87–89–99–107–108–144–
محب الدين الخطيب	87–135–297–299
الخضر حسين التونسي	88
إبراهيم بن كاسي	88
صالح النيفر	89–101
عبد العزيز جعيط	89
الطاهر بن صالح	89
حسن الحسني عبد الوهاب محمد العبيدي	89
محمد الأصرم	89
الطرابلسي	31–112–320
رمضان حمود	90–100–105–153–154–155–156–178–210–283–329
الفرقد	90–109–110–111–271–302–303–319–320
مفدي زكرياء	90–100–107–108–109–110–144–145–146–147–148–149–150–151–153–178–213–284–296–297–322–323–324–325–329–337

محمد بن الحاج يوسف	91
إبراهيم الإبريكي	192–191–92–91
عبد الرحمن بن عمر نوح	95
عبد الله بوكامل	272–173–95
سليمان بن داود بن يوسف	197–96
عبد الحميد أبوقاسم	96
عمر بن يوسف عبد الرحمن	96
إبراهيم بن محمد طلاي	198–96
عائشة بنت الحاج الهزيل	96
محمد بن يحي باحيو	97
آل خالد	167–98
إبراهيم بن إدريسو	98
أبي الحسن النجار	98
قاسم بن الحاج عيسى	191–99
العربي الكباوي	100
محمد بلحسين	100
الحبيب بورقيبة	323–100
زين العابدين بن سنوسي	100
الكاملي عبد الله بوراس	285–100
عمر بن حمو بكلي	305–193–173–101
يوسف بن بكير حمو	101
مولود الزريبي	296–101
الطيب السيالة	101
الزغواني	101
محمد بن القاضي	101
أحمد بن الحاج يحي بكلي	102

باسليمان إبراهيم لمنور	102
عمر بن عيسى بن إبراهيم الحاج امحمد	103
موريس فيوليت	327–284–266–265–209–104
عدون باسعيد	109
إبراهيم غرافة	329–324–322–151–110–109
سعيد بن الحاج شريفي "عدون"	289–288–281–278–239–231–208–197–191–113–112
إسماعيل بن يعقوب	112
الدبوز صالح علي بن عيسى	115
الدبوز عائشة بنت يحي	115
محمد عطية الإبراشي	116
عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)	116
محمد ناصر	185–178–146–140–116
محمد ناصر بوحجام	293–292–116
بابهون بكير	116
صالح النفوسي	117
إبراهيم محمد بن بهون	118
صالح لبسيس القراري	118
عمرو التلاشي	123
الجيطالي	189–124–123
أبي عبد الله بن علي لبنة	123
أبي زكرياء يحي بن الخير الجناوتي	124
محمد بن عمر أبي سنة المحشي	124
عامر بن علي الشماخي	124
الإمام ربيع بن حبيب	125

البخاري	125
الترمذي	125
النسائي	125
بن ماجة	125
أبي داود	125
الغزويني	126
ابن مالك	126–190
عبد الرحمن الأخضري	126
بكير قضي	134
محمد الهادي السنوسي	195
محمد صالح الجابري	145
صالح الخرفي	145–170
أبي القاسم الشابي	145
محمد الحليوي	145
محمد العيد الجباري	145
محمد العربي الشهيري	145
مصطفي خريف	146
مصطفى بن الحاج بكير حمودة	146
مصالي الحاج	149–151–306–322–324
بن عمار	151
لحول حسين	151
مسطول	151
علي الإدريسي	152
موسى بن إبراهيم الحريزي	152
أحمد شوقي	153–155
ميخائيل نعيمة	155

جبران خليل جبران	155
مامة تسليمان	316–282–165
بكير بن عمر موسى وعلي	166
آل عبد الله بن أحمد	166
يحي بن بهون	166
سليمان بن حاجو بكلي القاضي	166
باحمد بن الحاج يحي بكلي	166
آل باحمد	166
زكري بن سعيد زكرياء	269–268–107
تزقعين محمد بن صالح	167
بن الحاج عيسى بزملال	167
الزمخشري	167
القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي	168–167
أبي حامد الغزالي	171–167
الشيخ بن أبي القاسم نصر ابن محمد بن أحمد العنتري	167
بوحجام محمد	191
باية بن يوسف	168
سليمان بن الشيخ عمر المليكي	168
ابن الناصر الحاج محمد بن حمو المؤذن	170
علي مغربي	172
أندري جوليان	172
سعيد بن يوسف اليسقني	173
مصطفى بن الناصر وينتن	174

الزيني دحلاز	175
الشاذلي المورالي	178
صالح بن باعلي	178
قاسم بن الحاج عيسى	178–191
عمر بن الحاج مسعود	180
الحاج أحمد بن عمر أوراغ	181
بنوح مصباح	181
ابن النظر	189
عمر بن جميع	189
ابن هشام	189
أبي النصر بن نوح	189
السالمي	189
الشيخ بلحاج	191
والحاج عمر بن الحاج محمد بوحجام	191
الحاج محمد بن الحاج قاسم	192
بكلي بكر بن مسعود	193
قباض الحاج امحمد بن إبراهيم	193
بابعمي الحاج محمد بن قشعور	193
سماوي الطالب عمر بن الحاج	193
باسة يحي بن باحريز	193
علي يحي معمر	193
عبد الرحمن بن عمر	193
إبراهيم بن بكر حفار	195–197
عمر بن يحي	195–285
محمد رشيد رضا	196–275

ضنطاوي الجوهري	196
جمال الدين الأفغاني	275–196
عبد الرحمن الكواكبي	196
الغلايني	196
محمد النورقي	197
عباس بن حمانة	203–202–199
بشير صفر	200
الحاج بكير العنق	285–272–201
الحاج عمر العنق	201
الحاج بكير بن عمر المرموري	201
مالك بن نبي	203
حمو بن عيسى المرموري	205
دحمان بن الحاج بكير المرموري	205
الحاج داود بن الحاج أحمد احجوجة	205
حمو بن عمر نعمان	205
يحي بن يحي تاعموت	205
محمد لعساكر	324–322–206
عبد الكريم خليفة	209
فيقوروس	217–209
صالح بابكر	283–211–210–209
باية بن حمودة	209
أحمد إيتبرن	210
صالح فخار	210
أحمد بن عيسى قرزيط	283–210
بابة بن إبراهيم بوعروة	283–210

سليمان بن بنوح	283–210
سليمان بن بكير أدباش	283–210
أحمد بغباغة	211–210
بيراتشو	211
سليمان عبد الناصر حسين	212
إبراهيم بن سليمان المنور	212
الحاج سليمان فخار	212
صالح بن يوسف إبسيس	212
بابا عمي الحاج أحمد بن الحاج موسى	213
يحي طالب أحمد	214
إبراهيم حاج عيسى	214
عيسى بن الحاج صالح إدريس اليسجني	214
خبزي عيسى بن اعمارة	325–285–283–215
إبراهيم بن سليمان بربرسة	215
الحاج يحي حدبون	215
بكوش سليمان	215
خطارة الحاج عمر	215
محمد خير الدين	215
محمد الحاج إبراهيم الطرابلسي	215
عمر بن باحمد باللو	219
أليس لامازيير	220
الغاية	222
أم يحي النفوسية	222
عمروس بن فتح المساكني	222

أبا غانم بشر	222
الإمام عبد الوهاب	222
أبي عبيدة	222
باسعيد أعوشت	229
مامة بنت عبد العزيز	231
عمر بن الحاج عيسى باعمارة	231
سليمان القاضي	231
السيدة ابن سيدي غيي مسعودة بنت صالح	231
مامة بنت عمر الحاج مسعود	232
قاسم بن بلحاج	232
القاضي الحاج أحمد	232
الحاج بكير بن قاسم	232
الحاج إبراهيم بن عيسى	232
مامة بنت الحاج	232
بوهون أوموسى	232
جوردون بيرون	233
بابا عمي تيازيط ميرة بنت يحي	233
عائشة بنت عمر فخار	233
بلحاج إسماعيل	233
آل فخار	233
نانة أبو الصديق	233
أحمد بن كروم	233
محمد الطرابلسي	325–238
أطفيش داود بن يوسف	242
محمد بن الحاج يحي	242

عيسى بن موسى الأمين	242
محمد بن موسى	242
دي برمون	242
حسين داي	242
بني زعمون	242
الحاج سيدي السعيد	242
الحاج محي الدين بن مبارك	242
مصطفى بومرزاق	244
راندون	286–253–251–250–244
الأمير عبد القادر	253–248–247–246–245–244
الحاج أحمد باي	253–248–247–246–244
الحاج سيدي سعيد	245
باي أحمد بن بابا عيسى	245
الحاج سليمان بن داود	245
الحاج داود بن محمد بن موسى بن أحمد	245
يدر حمو بن يحي	245
يدر الحاج أحمد بن حمو	245
التيجاني	246
عبد القادر حسن بن عزوز البرجي	247
ابن قانة	247
كلوزيل	248
بيجو	310–250–248
دان ريمون	248
محمد بن عبد الله	253–251–250–249
مصطفى الآغا	250

محمد بن علي السنوسي	250
بن ناصر بن شهرة	250
لادميرول	251
الجنرال يوسف	258–251
الجنرال بيلسيه	258–251
ماك ماهون	251
شارل دي باريل	256–252
سولت	253
عميراوي احميدة	253
بابوهون	256
باعيسى بن بوهون	256
داود بن باحمد	256
بانوح بن الحاج أحمد	256
بكير بن علي	256
محمد بن الحاج زرقون	256
عمر بن داود	256
بكير بن سليمان	256
بكير بن كاسي	256
عيسى ولد الزيت	256
الجنرال مارغريت	259–257
آغا يتح	258–257
نابليون الثالث	258
كاسي بن زرويل	258
بوبكر بن قاسم	258
الجنرال دولاتور دوفيري	260
لويس تورمان	260

دوبان	260
لفنسكي	261
أدولف ميسيمي	262–261
عبد الحليم بن سماية	294–263
عمر راسم	263
جان باتيست	264
أبو بكر بن الحاج قاسم	269
أحمد بن حمو بوجناح	321–269
يحي بن باحمد بالولو	269
يوسف بن ناصر	269
الحاج محمد بن عيسى	210
عمر بن عيسى بن إبراهيم	271–270
جول كود	271
بيار يورد	271
القاضي داود بن الحاج بكير	273
بيار فالديك روسو	274
شارل جونار	276–274
علي يوسف	276
بلقاسم بن التهامي	277
محمد صوالح	277
سليمان بن ناصر	282
حسن الحاج سليمان بن الحاج	282
إسماعيل فخار	282
محمد بن الحاج قلو	282
علي عيسى دبوز	282
عمر بن سليمان أوراغ	282

سعيد بن بكير خالدي	284
عمر بن داود دواف	286–284
يوسف بن يحي الثميني	284
موسى بن بكير بوراس	285
عيسى بن عمر خمار	286
محمد بن بهون الحاج إبراهيم	287–286
الحاج إبراهيم بن الحاج محمد الحاج عيسى	286
أحمد بن الحاج موسى بابا عمي	286
عيسى السماوي	287
إسماعيل بن يحي	287
محمود كحول	293
محمد بن مصطفى	294
بن خوجة	294
سليمان بن الصيام الملياني	296
محمد بن بكير التاجر	296
باسعيد عدون	296
بوكلاي محمد الشريف	297
محمد قناش	297
الشاذلي المزابي	300
عبد الرحمن الصنادلي	300
الأمير خالد	326–300
البشير الإبراهيمي	300
السعيد الزاهري	300
الطيب العقبي	307–300
تعمون الحاج عيسى بن الشيخ	302

قاسم	
محمد التليلي	302
زين العابدين السنوسي	302
محمد خير الدين	303
جان ميرانت	307
كليرمون تونير	309
شارل لافيجري	314–310
إسحاق بن داود	312
قريز	312
جوزفين	313
لويز	313
نويي	313
ماري مادلين	314
يحي بوجناح	321
باعامر يحي	321
النعجة الحاج يحي	322
عوف عمر	323
حسين بوجدرة	323
الشاذلي المكي	323
الماطري	323
باحمد لعساكر	329–325
عيسى بن الحاج محمد الحاج الناصر	329–325
محمد بن بكير حمو الحاج الناصر	328
إبراهيم بن حمو بغباغة	325
قاسم بن حمو بغباغة	325

محمد لالوت	325
فرحات عباس	325
بن جلول	325
كانداس	229
فنتستاور	330
بول رمادي	330
أي شاتيتيو	330
روبارت شاومان	332
عيسى بن عمر باعلي	334
محمد بكاي	334
حمو لقمان	336

قائمة البلدان والأماكن والقبائل:

البلد	الصفحة
وادي مزاب	13–16–17–18–19–22–23–24–25–28–27–28–30–31–32–33–34–37–38–39–40–41–43–52–53–57–58–59–60–61–67–69–71–72–74–75–79–87–91–93–96–98–107–118–120–144–157–161–162–163–165–168–170–171–173–174–177–184–187–188–190–198–199–200–201–204–206–216–217–223–225–226–229–231–234–238–239–241–244–246–247–250–251–252–253–254–255–256–257–259–260–263–264–265–266–267–268–269–272–284–286–303–312–313–315–316–317–318–320–322–324–332
بلاد الشبكة	15–16–18–25–40
وارجلان	15–23–28–32–64–70–76–197–216–251
وادي بزبير	15
وادي زرقون	15
زلفانة	15–17
القرارة	15–16–31–35–37–61–85–88–90–94–95–112–115–117–118–169–180–191–192–193–197–204–206–231–278–280–285–286–293–297
بلاد الشعانبة	15–26–27–39–249
غرداية تغردايت	15–17–19–32–33–36–37–41–76–81–95–105–111–164–165–168–181–219–210–211–219–229–231–258–260–263–272
الجزائر العاصمة	15–85–96–101–108–117–256–284

وادي زقرير	36–16
وادي انسا	36–17–16
وادي متليلي	39–16
وادي بالوح	17
وادي سودان	17
بريان	212–181–115–103–102–80–61–37–31–18–17– 282–251
وادي لقديرة	17
وادي الأبيض	17
مليكة	289–245–169–79–54–35–33–32–30–17
بني يزقن	98–97–95–88–86–85–83–79–74–34–32–29–17– 197–189–181–180–174–167–166–144–134–107– 322–286–284–246–233–218–215–202
وادي انتيسا	30–17
وادي أزويل	30–17
بونورة	287–214–77–73–32–31–30–17
صبخة الهيشة	17
نفوسة	17
ورقلة	250–249–17
مصر	275–175–98–88–79–19–18
إفريقية	21–19
بلاد المغرب	21–20
البصرة	21
ليبيا	176–161–69–39–32–21
قبائل الجيتول	19
قبيلة لماية	39–21

تيهرت	223–161–69–45–44–23–21
بني مصعب	25–22
سدراتن	40–32–31–27–24–23
قلعة بني حماد	24
وادي ريغ	40–32–31–28–24
مصاب	28–26–25
واسين	28–25
بني عبد الواد	28–26–25
بني توحين	28–26–25
زناتة	45–35–28–26–25
تلمسان	249–238–219–148–55–25
بني زردال	28–26
القوارير	252–36–26
الشاوية	26
الشلحية	26
النفوسية	161–26
بني مرزوق	39–26
المذابيح	39–37–26
الشرفة	39–26
العطاطشة	39–26
المخادمة	39–26
اعزم نتلزضيت	32–29–28
موركي	33–29
أت بنور	79–29
تاجنيت	29
قصر أوخيرة	29

العطف	1729–32–40–54–101–102–103–118–160–166–193–213–219–233–245–286
بابا سعد	29
بوكياو	29–34
مغراوة	29
أقثوناي	29–34
أعزم أنواداي	30–35
آت أمليشت	30–35
تمزيرت	30
ترشين	30
مومو	30
تلات موسى	30
الأحنش	31
أولاد خلفي	32
أولاد عبد الله	32
سعيد أعوشت	32
خليفة آينور	32
تقنينت	32
أولاد عيسى	32
أولاد إبراهيم	32
أولاد إسماعيل	32
أولاد أبي إسماعيل	32–35
بني مجهر	32
جربة	32–58–67–69–74–87–161–163–189
الزيبان	34–253
الأغواط	34–36–40–104–250–251–252–258–260–332

الأوراس	34
وهران	325–246–34
عين الفكرون	35
قسنطينة	325–307–306–248–246–206–151–60–59–35
الشاوية	35
السقنية	35
أولاد خالد	35
أولاد عنان	35
أولاد موسى	35
أولاد يدر	35
مليكش	35
إيغيل علي	35
القبائل الصغرى	35
نفوسة	222–176–87–74–69–35
توات	252–36
أدرار	111–36
زقرارة	36
عرش باخة	37–36
العفافرة	36
أولاد نوح	36
بوتركفين	36
وادي كبش	36
بن جلاب	250–37
تقرت	250–37
الميريخ	37–36
الزناحرة	36

أولاد يعقوب	37
أولاد نايل	39
أولاد امغازي	39
البرازقة	39
بوروبة	39
الثوامر	39
أولاد عبد القادر	39
الزنوج	39
ضاية بن صخوة	39
السودان	39
الجريد	39
آت أم موسى	39
اليمن	39
جبل لعمور	59–39
المغرب الأوسط	43
الدولة العبيدية	64–44
صنهاجة	45
تقيوس	45
الأتراك	60–58–57–53–52
العثمانيين	58–55–53–52
كدية الصابون	55–54
الإسبان	56–55–54
القصبة	54
فرن الشعبة	54
تونس	55–58–69–79–80–87–89–98–99–100–101–107– 108–110–117–147–152–161–173–174–177–179–

	180–181–183–197–199–203–204–205–275–296–321
العائلة الحفصية	55
الزيانيين	55
فرنسا	55–77–87–90–161–243–244–246–248–250–251–255–257–258–272–274–275
بجاية	56
برج مولاي حسن	56
الإيطالية	57
المالطية	57
الكراغلة	57
القلغاز	57
الدولة الرستمية	64–69
زاوية الهامل	69
زاوية توات	69
تمنطيط	69
مازونة	69
بني عدي	73
زنجبار	77–79–87–176–189
عمان	79–87–96–97–167–174–176–189–209
شارع الحاسي	81
القاهرة	87–179–275
حي رفيقو	90–302–322
جامع الزيتونة	89–98–101–105–107–115–171–172–173–175–177–183–195–197–209–302
بسكرة	96–206–215–238–250

قالمة	325–284–99
البليدة	242–104–102
البيض	104
غليزان	238–213–105
المغرب	275–173–147–110
بروكسل	111
بني عباس	305–272–111
بشار	111
جامع الأزهر	183–115
الأصنام	151
الريفيين	151
القدس	176
أمريكا	176
تبسة	203–202–199–177
الحجاز	182
المدية	321–251–182
مكة	182
جامع القرويين	183
البلات	192
توقرت	246–206
باتنة	296
العلمة	206
تنزانيا	209
حمودين	210
سالم وعيسى	210
الحراش	242

بوفاريك	242
الشريعة	242
بريطانيا	244–243
السودان الغربي	252–243
قصر البخاري	245
قصر الشلالة	245
الجلفة	245
معسكر	246
التيطري	246
عين ماضي	246
تاقدمت	247
واحة نفطة	249
طرابلس	250
متليلي	250
زاوية الرويسات	250
وادي سوف	250
قصر الحيران	250
أولاد سيد الشيخ	251
الجنوب الوهراني	252
عين صالح	252
واحة غدامس	252
لرباع	253
حسيبة بن بوعلي	310
بوتان	322
تيارت	325
شلغوم العيد	325

قائمة الجداول:

الرقم	العنـوان	الصفحة
01	رصد مؤلفات القطب أطفيش	128
02	رصد مؤلفات القطب من خلال فهرس مكتبته	130
03	رصد مؤلفات القطب من فهرس خزانة الخبورات	130
04	رصد مؤلفات القطب من فهرس خزانة البكري	131
05	رصد مؤلفات القطب من فهرس خزانة حمو بابا وموسى	131
06	رصد مؤلفات محمد بن سليمان بن إدريسو من خلال خزانته	132
07	رصد مؤلفات صالح بن عمر من فهرس جمعية عمي سعيد	134
08	رصد مؤلفات الشيخ أبي إسحاق أطفيش	136
09	رصد مؤلفات أبو اليقظان	137
10	رصد مؤلفات الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض	140
11	نماذج أخرى من المؤلفين	142
12	بعض دور العلم في قصر بني يزقن	198
13	إحصائيات المدارس الإصلاحية مع بداية الخمسينيات	216
14	جرائد الشيخ أبو اليقظان	301

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ

الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة لمنطقة وادي مزاب عبر العصور

النطاق الجغرافي لمنطقة وادي مزاب.....15

الإطار التاريخي لمنطقة وادي مزاب.....17

1/بني مزاب في عصور ما قبل التاريخ.....17

2/ بني مزاب في فجر التاريخ.....18

3/ بني مزاب في فجر الإسلام.....19

الإباضية في بلاد المغرب.....20

بني مزاب من الاعتزال إلى الإباضية.....23

أصل تسمية بني مزاب.....25

نشأة وتطور حواضر وادي مزاب.....27

قصور مزاب السبع.....31

النظم الاجتماعية في وادي مزاب.....41

1/ حلقة العزابة في وادي مزاب.....42

علاقة قصور وادي مزاب بالحكام الأتراك في الجزائر.....52

مشاركة بني مزاب في مقاومة الاحتلال الأوربي لشمال إفريقيا.....54

حملة شارلكان ومساهمة المزابيين فيها.....55

موقف بني مزاب من أزمة الكراغلة.....58

خلاصة.....61

الفصل الثاني: المآثر الفكرية لأعلام منطقة وادي مزاب 1830-1954م "التآليف أنموذجا"

تمهيد.....63

أ/ العوامل التي ساهمت في ازدهار حركة التأليف في منطقة وادي مزاب.....64

1/ نظام العزابة.....64

2/ استقطاب العلماء..... 66
3/ انتشار خزائن المخطوطات والكتب..... 68
انتشار حلق العلم..... 70
ب/ ترجمة لبعض أعلام منطقة وادي مزاب خلال فترة الاحتلال..... 72
ج/ إسهامات أعلام وادي مزاب في حركة التأليف..... 120
التأليف في المنقول والمعقول..... 120
1/ الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش 121
2/ محمد بن سليمان بن صاح اليسقني ابن إدريسو(تو:1313هـ/1895م)..... 132
3/ أبو يعقوب بن عدون: (1158هـ/1745م-1252هـ/1836م)..... 133
4/ الشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي: (1287هـ/1870م-1347هـ/1928م).... 134
5/ الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش: (1305هـ/1888م-1385هـ/1965م) 135
6/ الشيخ أبو اليقظان بن عيسى حمدي: (1306هـ/1888م-1973/1393م).... 137
7/ الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض: (1315هـ/1839م-1981/1401م) 140
نماذج أخرى من المؤلفين..... 142
د/ أقلام شّعرية في منطقة وادي مزاب..... 143
الشّاعر زكرياء بن سليمان بن يحيي بن الشيخ سليمان آل الشيخ "مفدي زكرياء" (1908م-1977م)..... 144
الشّاعر حمود بن سليمان بن قاسم رمضان(1906م-1929م)..... 152
الشّاعر إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان(1888م-1973م)..... 157
خلاصة..... 159

الفصل الثاني: إسهامات أعلام مزاب في ميدان التربة والتعليم 1830-1954م

تمهيد..... 161
1/ المكتبات وخزائن المخطوطات في وادي مزاب وإسهامها في الحركة الفكرية..... 161
أ/ عوامل انتشار المكتبات في وادي مزاب 163
ب/ أهمية المخطوطات..... 164
ج/ أهم المكتبات وخزائن المخطوطات في وادي مزاب..... 165
2/ الرحلات والبعثات العلمية في وادي مزاب أثناء فترة الاحتلال 1830م-1954م 170

إسهامات أعلام مزاب في المشروع التعليمي خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1954م.184
المراكز التعليمية في وادي مزاب خلا فترة الاحتلال الفرنسي 1830م-1954م 184
أ/ دور المشايخ..... 187
ب/ المدارس الإصلاحية العصرية في منطقة وادي مزاب خلال فترة الاحتلال 1830م-1954م..... 199
1/ المدرسة الصديقية بتبسة 1913م..... 202
2/ مدرسة أبو اليقظان العصرية..... 204
3/ معهد الحياة "القرارة" 1925م..... 206
4/ مدرسة الإصلاح "غرداية" 1928م..... 209
5/ مدرسة الفتح بريان 1928م..... 212
6/ مدرسة غليزان 1929م..... 213
7/ مدرسة النهضة (العطف) 1932م..... 213
8/ مدرسة بنورة (قصر بنورة) 1924م..... 214
9/ مدرسة الإخاء (بسكرة) 1931م..... 215
10/ المعهد الجابري (بني يزقن)..... 215
أعلام مزاب والمشروع التعليمي الفرنسي 217
المرأة في المجتمعات المزابية وإسهاماتها الفكرية..... 220
عبر ومآثر من المشروع التعليمي في وادي مزاب خلال فترة الاحتلال 234
خلاصة..... 239

الفصل الثالث: إسهامات أعلام مزاب في الحركة السياسية 1830-1954م

تمهيد..... 241
بنو مزاب ومقاومة العدوان الفرنسي..... 241
سياسة التوسع الاستعماري في الجزائر..... 243
بنو مزاب ومقاومة الأمير عبد القادر 245
رفض بني مزاب إخضاع قراهم للأمير عبد القادر..... 246
بنو مزاب ومقاومة أحمد باي..... 248

بنو مزاب ومقاومة محمد بن عبد الله في الجنوب الجزائري 249
1/ معاهدة الحماية 21 رجب 1269 الموافق 29 أفريل 1853م..... 252
2/ بني مزاب والإلحاق العسكري1299هـ/1882م..... 256
أعلام مزاب وقضية التجنيد الإجباري..... 260
أعلام وادي مزاب ومجابهة مشروع لتجنيد الإجباري..... 264
1/ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش..... 264
2/ الشيخ أبي اليقظان بن الحاج عيسى..... 266
3/ زكريا زكري بن سعيد بن إسماعيل..... 268
4/ عمر بن عيسى بن إبراهيم..... 270
5/ سليمان بن يحي بوجناح (الفرقد)..... 271
بداية ظهور النوادي والجمعيات في منطقة وادي مزاب مع بداية القرن العشرين 273
النوادي..... 277
الجمعيات..... 279
نفقات الجمعيات والنوادي..... 289
دور الجمعيات والنوادي الأدبية في الحركة الفكرية والسياسية..... 290
أقلام مزابية مقاومة في الصحافة الوطنية..... 293
جرائد مزابية..... 295
1/ جريدة "الصديق"..... 295
2/ جريدة "الحياة"..... 295
3/ جريدة "الشعب"..... 296
4/ مجلة "المنفي" المنهاج..... 296
شيخ الصحافة "ابي اليقظان"..... 299
أعلام مزاب والسياسة الدينية الفرنسية 1830/1954م 307
إسهامات أعلام وادي مزاب في اتجاهات الحركة الوطنية..... 319
انتخابات المجلس الجزائري من منظور أعلام وادي مزاب..... 327
خلاصة..... 334
خاتمة..... 340

ملحق الوثائق.....
قائمة المصادر والمراجع.....
الفهارس العامة.....
فهرس الأعلام.....
فهرس الأماكن والبلدان والقبائل .....
فهرس الجداول .....
فهرس الموضوعات.....

ملخص:

يعالج البحث إسهامات أعلام منطقة وادي مزاب في الحركة الفكرية والسياسية خلال فترة الاحتلال الفرنسي، وقد تطرقنا في بدايته إلى جهود أعلام مزاب في حركة التأليف والشعر والتركيز على قطب الأئمة باعتباره الرائد في مجال التأليف، وإبراز دورهم في مجال التعليم والتربية، وما قدموه لإنجاح هذا المشروع من رحلات وبعثات علمية، وإنشاء المدارس العصرية لإصلاح المنظومة التعليمية وتطويرها والوقوف في وجه الجمود الفكري والمشروع التعليمي الفرنسي وإظهار مواقفهم منه، وتطرق إلى قضية تعليم المرأة المزابية وإسهاماتها الفكرية في إطار مجتمعها المحلي.

وما قاموا به من إسهامات لرد الحملة الفرنسية والتصدي لها، وإظهار مبررات معاهدة الحماية والإلحاق العسكري، والنضال المستمر ضد قانون التجنيد الإجباري، والتطرق إلى قضية إنشاء الجمعيات والنوادي الفكرية التي تعتبر المحيط الذي تكون فيه السياسيون، وظهرت فيه الأقلام الصحفية والصحف التي أصبحت وسيلة مهمة للحفاظ على المجتمع من خطر العدو الفرنسي الرامي إلى تنصير المنطقة بكل الأساليب المتاحة وفضح خططهم وسياساتهم الدينية.

وفي الأخير تطرقنا إلى نماذج من بعض السياسيين في الحركة الوطنية وموقف الأعلام المزابية من قضية الانتخابات.

الكلمات المفتاحية: مزاب، الأعلام، التآليف، التعليم، الشيخ بيوض، ابو اليقظان، الإنتخابات.

Résume :

La recherche porte sur les apports des notables de la région de la vallée du Mzab au mouvement intellectuel et politique durant la période de l'occupation française, et la mise en place d'écoles modernes pour réformer et développer le système éducatif et faire face à la stagnation intellectuelle et au projet éducatif français et montrer leur position sur celui-ci, et abordé la question de l'éducation des femmes mozabites et de leurs apports intellectuels dans le cadre de leur société locale et en résistant aux politiques de l'occupation française et en affrontant ses campagnes successives, et en montrant les justifications du traité de protection et d'annexion militaire, et la lutte continue contre la loi sur le recrutement obligatoire, et en abordant la question de la création d'associations et d'intellectuels les clubs, qui sont considérés comme le milieu dans lequel les politiciens existent, et dans lesquels les stylos de presse et les journaux sont apparus, qui sont devenus un moyen important pour préserver la société de la menace de l'ennemi français qui vise à christianiser la région par toutes les méthodes disponibles et à exposer leurs plans et les politiques religieuses.

Enfin, nous avons discuté des exemples de certains politiciens du mouvement national et de la position des médias mozabites sur la question des élections.